

مَوْسُوعَةُ الْكَلِمَةِ (٤)

كَلِمَةٌ
الْأَفْطَحُ الْأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

وَلِجَزَاءِ مَا كَفَرْنَا

آيَةُ اللَّهِ الرَّشِيدِ
السَّيِّدِ حَسَنِ الْحُسَيْنِيِّ الشَّيْبَانِيِّ
(قَدْ تَعَلَّقَ)



مَوْسُوعَةُ الْكَلِمَةِ
الْأَفْطَحُ الْأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
وَلِجَزَاءِ مَا كَفَرْنَا

كَلِمَةٌ

الْأَهْلَ الْأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

الطبعة الأولى
جميع حقوق الطبع محفوظة
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م



الكويت - تلفن: ٠٠٩٦٥٢٤٥٥٦٩٦ - فاكس: ٠٠٩٦٥٢٤٥٧١١٧
لبنان: ٠٠٩٦١٣١٠٣٩٧٢ - Email: ali-abdo42@hotmail.com



المكتب : حارة حريك - شارع السيد عباس الموسوي - تليفاكس : 01/545182 - 03/473919
ص.ب : 13/6080 - المستودع : بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - هاتف : 01/541650
www.daraloloum.com E-mail: info@daraloloum.com

مَوْسُوعَةُ الْكَلِمَةِ (٤)

كَلِمَةٌ

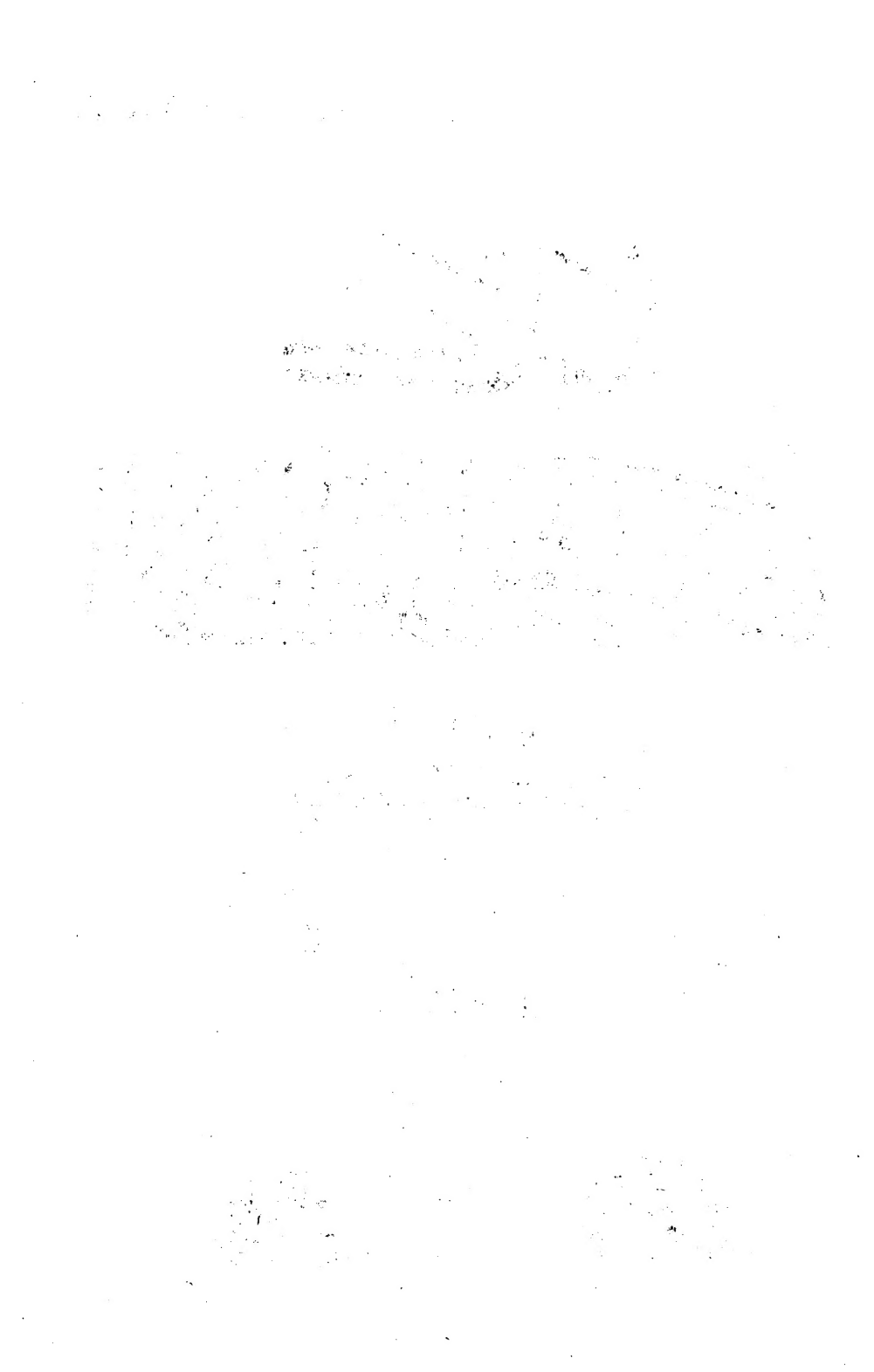
الْأَهْلُ الْأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

آيَةُ اللَّهِ الرَّسِيدُ
السَّيِّدُ حَسَنِ الْحُسَيْنِ الشَّهْرَازِي
(قَلْبِي)

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ



دار الفکر
الطبعة والتوزيع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

﴿٢﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿٤﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٥﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٦﴾
أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٧﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٨﴾

صدق الله العلي العظيم



كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

١

الكلمة

هذه الكلمة المباركة هي جزء أساسي وركن ركين من أركان الموسوعة الشيرازية المسماة بـ (موسوعة الكلمة).

وذلك لأنها كلمة ولي الله الأعظم والسيد المقدم، أسد الله الغالب، الإمام علي بن أبي طالب.. أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين، ويعسوب الدين، سيد الكونين، أبو الحسن والحسين (عليهم من الله آلاف التحية والسلام).

كلمة حق انطلقت من حنجرة أمير المؤمنين عليه السلام الذهبية النورانية..

تلك الحنجرة التي صاغها الباري تعالى خصيصاً لذاك الفتى المتفرد بجميع صفات الكمال البشرية، ولذلك قال الأمين جبرائيل عليه السلام يوم أحد: «لا فتى إلا علي...»^(١).

صيغت الحنجرة - كصاحبها - من نور لا تشوبها ظلمة .. فلم يخرج منها إلا إشعاعات نورانية، وسبحات قدسية : «كلامكم نور»^(١)، وتحلّت بالصدق فما خرجت منها صيغة كذب أبداً - عفوك سيدي وحاشاك - كيف ذاك وهو استجابة لدعوة خليل الله إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(٢).

كما كان عليه السلام يقول: «وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقراءة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد، يضمني إلى صدره، ويكفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرقه، وكان يمسح الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل»^(٣).

نعم .. كلمة صدق من إمام الصادقين، وأمير المؤمنين، الأنزع البطين .. علي بن أبي طالب عليه السلام ..

إلا أن تلك الكلمة مظلومة، لأنها خرجت من أول مظلوم غُصِبَ حقه، من حنجرة مكلومة مكظومة ..

خرجت مدوية تصرخ بالجميع للعودة إلى الصواب وجادته .. إلى النبي ﷺ وشريعته .. إلى الإمام المبين وعدله .. إلى الحق وأهله ..

فأرادوا ضياع تلك الصرخة بين ضجيج الضاجين، وعجيج العاجين، وصراخ الصارخين، حتى لا يُسمع منها ولا الصدى، فإن

(١) بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ١٣٢ ب ٨ ح ٤ زيارة الجامعة.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٨٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٤ ص ٤٧٥ ب ٣١ ح ٣٧. وج ٣٨ ص ٣٢٠ ب ٦٧ ح ٣٣ عن نهج البلاغة.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٩

أعداءه عليه السلام بل أعداء الله وأعداء رسوله ﷺ، وأعداء البشرية جمعاء
ظنوا أنهم قد ملكوا الزمان والمكان ..

ولكن الله خيَّب آمالهم، وغَيَّب أجسامهم، ولم تبقِ لهم إلا اللعن
من المنصفين والواعين ..

وليَتَهم يعودون لينظروا إلى آثار ما صنع الملوك عزت قدرته، الذي
جعل صدى كلمات أمير المؤمنين عليه السلام تصل إلى كل بقاع العالم من أقصاه
إلى أقصاه، ومن أدناه إلى أعلاه، فلا تكاد تجد بلداً من البلدان إلا وفيها
اسم علي عليه السلام يرفرف على الآفاق وصوته عليه السلام يجلجلج في كل مكان
ويزلزل العروش المبنية على النفاق ..

هذا هو حال كلام الحق .. حيث يبقى رغم الأنوف الحاقدة ..

أما الظلم، فإنه ينعكس على الظالم داءً وبلاءً أكثر مما ينعكس على
المظلوم .. لأن المظلوم منصور من جبار السماوات، وهو تعالى ناصره
ومعينه، وخاذل الظالم ومبيده، وكم الفرق كبير وواضح بين الاثنين ..

ومع كل ذلك فإن كلمة الأمير عليه السلام مظلومة كشخصه الكريم منذ ذلك
الحين وإلى الآن .. فمنذ مئات السنين قام حفيد كبير من أحفاده الكرام -
وهو الشريف الرضي رحمته الله - بجمع بعض خطب ورسائل وكلمات جده أمير
المؤمنين عليه السلام في كتاب قيّم أسماه (نهج البلاغة) وعلى رغم قوته العلمية
والبلاغية واشتماله على العلوم الكثيرة .. ترى البعض من المعاندين يريد
أن يقلل من شأن ذاك السّفر العظيم .. لماذا لست أدري؟

وهذه الحلمة المباركة (كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام) هي كذلك
مظلومة، بل يسكن لك أن تقول إنها مسجونة، وذلك لأنها أُلقي عليها

القبض في إحدى المطارات .. وأين وضعت ربنا أعلم ..

وقد جاء في كتاب (الموجز الجامع)^(١) ما نصه: «الكتاب من تأليفات بيروت ودمشق، صودرت النسخة (الأصلية) من قبل المتشددین في السلطات الإيرانية وذلك من أحد المشايخ في مطار طهران الدولي (مهر آباد) عام ١٩٩٥م»^(٢)، وكان يقع في مجلدين ..

فكأن حالها كحال أي مادة من مواد التهريب كالمخدرات وغيرها .. ولاذنب لها إلا لأنها من أروع وأجمل وأبهى وأكمل الكتب التي تحمل كلام أمير البيان وسيد البلغاء، جمعها ونسّقها السيد الشهيد رَحْمَةُ اللَّهِ بِشْكَلٍ بديع جداً ..

وبعد اليأس من إعادة النسخة الأصلية كانت هناك نسخة قديمة مصورة فوتوغرافياً تختلف شيئاً ما عن تلك النسخة المصادرة، فقمنا بطبعها وذلك لاكتمال عقد (موسوعة الكلمة) المباركة.

ونحن إذ نقدمها إلى الأخوة الأعزاء نلتمس منهم العذر - والعذر عند كرام الناس مقبول - ونعدهم إن شاء الله تعالى بتلافي واستدراك جميع الملاحظات عندما يفرج الله سبحانه عن النسخة الأصلية ..

ونطلب من جميع الغيارى وأصحاب الفكر والأدب والإيمان، الدعاء والتدخل للإفراج عن تلك الكلمة المباركة المسجونة ..

(١) (الموجز الجامع) الإصدار الرابع عام ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، يقع في ٨١٦ صفحة ويشتمل على القائمة التفصيلية لمؤلفات الإمام الشيرازي الراحل وأسرته الكريمة، وهو من إعداد: حسين الشاهرودي وعلي الفدائي.

(٢) (الموجز الجامع): ص ٤٧٥. الإصدار الرابع. ط مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، بيروت لبنان.

وأخيراً نقول:

إن أمير المؤمنين عليه السلام وكلماته وأقواله وأفعاله ظلّمها التاريخ.. وظلمها حتى الكثير من الأمة الإسلامية - والحق إن الأمة ظلّمت نفسها بذلك - بتركها من جهة وابتاع من لم يزدّهم اتباعهم إلا خساراً من جهة ثانية .. فهل يمكن أن نستمر أو نشجع تلك الظلامة والظلمات ..

٢

جامع الكلمة

جامع الكلمة هو شهيد الكلمة الصادقة .. والرأي الحر .. والأدب الموجه إسلامياً .. والفكر العقائدي الحق .. هو الشهيد السعيد آية الله السيد حسن الشيرازي (رحمة الله ورضوانه تعالى عليه) ..

ذلك الرجل العملاق .. الذي قلّ نظيره بين أبناء الأمة علماً وفقهاً وأدباً وشجاعة وسخاءً وعطاءً .. فقد درس في مدرسة جده الإمام الحسين عليه السلام وأبنائه وأصحابه الكرام عليهم السلام حتى صار شهيداً، وذلك لتبليغه ودفاعه عن الخط العقائدي والمنهج التربوي الذي رسمه أهل البيت عليهم السلام .. فقدّم ما ملكه من روح ودم لمواصلة تلك الدماء المباركة لسقي النبت الإسلامي النامي عبر الأمم والأجيال.

إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خذيني فالإمام الحسين عليه السلام وأبناؤه وأصحابه عليهم السلام أصبحوا نبراساً، وقدوة لكل الأحرار، وأصحاب المبادئ السامية في جميع العالم منذ ذاك اليوم العظيم (عاشوراء) وإلى يومنا هذا، وإلى آخر يوم من عمر المعمورة بإذن الله تعالى ..

والشهيد السعيد السيد حسن الشيرازي (رحمه الله) هو المجاهد الكبير الذي قضى عمره المبارك متنقلاً بين معاقل العلم والفقاهة، أعني الحوزات العلمية في عراقنا الجريح لا سيما حوزة كربلاء المقدسة، وذلك برعاية والده العظيم رحمته وأخيه المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله درجاته).

فقد درس على أساطين العلم والفقهاء متدرجاً من المقدمات والسطوح إلى البحث الخارج، كما درس الآداب العربية بأنواعها، فكان قلمه ولسانه من أعذب ما تقرأه أو تسمعه.

فإذا سمعت أو قرأت شعره أخذتك قصائده.. وأسرتك من شدة بهائها وجمالها، وإذا قرأت له قطعة نثرية تستغرب من عذوبتها وجمالها فتعيدها مرات عدة ولا تمل من إعادتها.. وربما تراها في كل مرة أجمل وأحلى..

ورغم كل المضايقات، والاعتقالات، والتهجير المتكرر، والتشريد من بلده الحبيب العراق الجريح.. فقد كتب وألف العديد من الكتب والدراسات والدواوين في مختلف صنوف العلم والفقهاء والأدب.

وكان في كل ما خطه وكتبه وألفه من خيرة رجال هذا العصر الرهيب..

وكذلك كانت شهادته مأساوية في كل فصولها بداية بالمكان والزمان والأسباب والنتائج..

وهكذا يموت العظماء وهم واقفون صامدون.. لا ينحنون ولا ينبطحون أمام أحد من الخلق أبداً.. فانحنأؤهم لا يكون إلا تعظيماً للخالق.. وسجودهم شكراً لواجب الوجود فقط..

نعم .. لقد تجاوز السيد حسن الشيرازي رحمته الله حدود العراق حيث لم يتسع له .. فخرج منه متوجهاً إلى لبنان وسوريا ، فكانتا نقطة انطلاقه إلى العالم كله بالفكر والجسد ، حيث زار أكثر من بلد وفي أكثر من قارة من قارات العالم الحالية ..

أما في بُعد الفكر فقد اتسع السيد الشهيد رحمته الله حتى لم تتسع له دائرة ضيقة ولم يحتوّه ظرف خاص ، بل كان أكبر من أية محاولة لتحجيمه لأنه كان تلميذاً في مدرسة الإسلام ورسالة السماء الخاتمة ومكتب أهل البيت عليهم السلام الطاهر.

فقد تلبّس السيد الشهيد رحمته الله عباءة الإسلام وتزيّن بتاج الإيمان :
العمامة السوداء التي ترمز إلى انتمائه إلى النبي العربي محمد عليه السلام عن طريق الإمام زيد الشهيد ابن الإمام زين العابدين السجاد ابن الإمام الحسين الشهيد بكربلاء ابن الإمام علي بن أبي طالب شهيد محراب الكوفة وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء المظلومة المكظومة (سلام الله عليهم أجمعين) .. من كوكبة ما أعظمها وأعظم شأنها في الدين والدنيا ..

ورحم الله الشاعر الذي قال مفتخراً بالانتساب إليهم :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ..

لا والله ما في الوجود مثلاً لهم إلا هم ف «نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد»^(١) فقد تفردوا بالفضائل حتى جمعوها فكانوا هم شجرة الفضل وأسس الفضائل في الكون كله ..

نعم .. منهم وإليهم ﷺ انتمى سماحة السيد الشهيد حسن الشيرازي رحمه الله الذي جمع هذه الكلمة النفيسة (كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام) من موسوعة الكلمة العملاقة ..

فجزاه الله عن هذه الأمة خير جزاء، وجعل الجنة مثواه ومأواه، مع محمد وآله الأطهار عليه السلام .. إله الحق آمين.

٣

صاحب الكلمة

قبل الدخول، لا بُدّ لنا من كلمة الإذن من الأمير عليه السلام.

فماذا نكتب..؟

وكيف نبدأ..؟

وما الجديد الذي نريد أن نقوله عن أمير المؤمنين علي عليه السلام؟

فذكره عليه السلام قد عمّ الخافقين، وسيرته العطرة زينة كل لسان، وكبار العلماء والشعراء والأدباء وأرباب الفكر والقلم .. قد كتبوا وتحدثوا عن الأمير عليه السلام ووقفوا أمامه بكل أدب وخشوع، والمليك المقتدر عزّ وجلّ قد باهى به ملائكة السماء .. فماذا نريد أن نقوله وبأي بشر نريد أن ندلي بدلونا وكلنا فقر تجاهه ..؟

إلا أن خدمة الأمير عليه السلام حبذتنا، والطمع بورقة شافعة جرأتنا للكتابة عنك سيدي ..

فعفوك .. عفوك .. مولاي وسيدي .. أبا الحسن عليه السلام على هذه الجراءة ونستمدّ منك العون والتسديد.

فمن هو الإمام علي (عليه السلام) ؟

هو أمير المؤمنين ، وسيد المتكلمين ..

هو أمير الكلام والبلاغة والبيان ..

هو الإمام الأعظم ، وسيد ولد آدم (عليه السلام) بعد رسول الله الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم)

لا ينازعه في هذا المقام أحد من الغابرين أو القادمين إلى يوم الدين .

إنه الرجل العظيم الذي عقم الزمان عن أمثاله .. وعجزت النساء أن

تلدن نظيراً له أبداً ..

ففي النسب هو : (أمير المؤمنين) علي بن أبي طالب بن شيبه الحمد

(عبد المطلب) بن عمرو العلي (هاشم) بن المغيرة (عبد مناف) بن زيد

(قصي) بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فهر ، بن

مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة ، بن إلياس ، بن

مضر ، بن نزار ، بن معدن ، بن عدنان ..

إلى أن يصل نسبه الشريف إلى إسماعيل (عليه السلام) - وهو أول من فتق

لسانه بالعربية المبينة التي نزل بها القرآن ، وأول من ركب الخيل وكانت

وحوشاً - وهو ابن خليل الله إبراهيم (عليه السلام) ^(١) .

الله .. الله وقد ورد في زيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «الذي غمست نوره

في بحر الفضيلة والمنزلة الجليلة والدرجة الرفيعة وأودعته الأصلاب

الطاهرة ونقلته بها إلى الأرحام المطهرة» ^(٢) . نعم .. إنها امتداد للسلسلة

الذهبية التي قالوا عنها : «والله .. لو قرئت على مجنون لأفاق ..» ^(٣) .

(١) راجع العمدة لابن البطريق: ص ٦٦ عن (فضائل الصحابة): ج ١ ص ٥٥٠ ح ٩٢٩ .

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ١٧٨ ح ٢٤٤ .

(٣) راجع بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٣٦٦ ب ٢٠ .

الأدب

والد الإمام ﷺ هو عظيم من عظماء الرجال، فهو ذاك البطل المؤمن الملقب بحامي الرسول ﷺ والمكنى بأبي طالب ﷺ .. خليفة أبيه شعبة الحمد عبد المطلب سيد قريش وملك العرب وصاحب الفضائل والإفضال لأهل مكة والجاهلية كلها، ذاك الذي اجتمع فيه نورا الرسالة والولاية.

أبو طالب ﷺ هو بطل الإسلام الأكبر، وحامي الرسول الأعظم ﷺ مدى الحياة .. وحافظه ومؤيده بالكلمة والسيف والموقف، ولقد فداه بالنفس والمال والأولاد ..

عاش رسول الله ﷺ وترعرع في بيت أبي طالب ﷺ، وأعطاه علياً ﷺ عندما تزوج واستقل في منزله، ووصل جناحه بولده جعفر الطيار عندما رآه ﷺ يصلي وليس معه أحد إلا الفتى علي ﷺ فقال له: «يا بني صل جناح ابن عمك»^(١).

فكان الرسول ﷺ منيعاً مادام أبو طالب ﷺ حياً في مكة.

ولذلك عندما توفي ناصراه وحامياه ومعيناه في مكة المكرمة في عام واحد - أبو طالب ﷺ وخديجة العظيمة ﷺ - سماه ﷺ عام الحزن .. وأمره الباري تعالى بالهجرة إلى المدينة المنورة .. لأنه ليس له مقام في مكة بعد عمه أبي طالب ﷺ.

نعم .. ذاك الرجل العظيم اتهموه بالكثير من التهم بغضاً منهم لابنه، وخرّجوه حتى من الإسلام، ونفوه عن عبادة رب العالمين .. ولا ذنب له

(١) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٢٨٠ ٢١١ ح ١٠ (بيان). والبحار: ج ١٨ ص ٥٢ ب ٨ ح ٧.

إلا أنه (أوى ونصر ..) وكان والداً لعلّي بن أبي طالب عليه السلام مبيد العتاة والمردة، وقاتل الصناديد من رجالهم ..

فالعجب كل العجب من أمة وأناس يدعون الإسلام وهم يؤلفون كتباً في الدفاع عن أبي سفيان وولده معاوية وحفيده يزيد! .. وينسبونهم إلى الإسلام والإيمان .. ولا يرضون بأن يذكروا أبا طالب عليه السلام إلا بالكفر والشرك والإلحاد .. ويكتبون ويؤلفون الأباطيل لإثبات ما يزعمونه .. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه لراجعون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

ونعم ما قال الشاعر^(١):

هبي يا أمة الكفر أني كافر أدخل النار وابني قسيمها
أو ينسى طه الشفيع مودتي حيث كان عندي يتيمها
لا والله يا شيخ الأباطح، ويا بيضة البلد، لا ينسى الشفيع ولا يدع القسم .. فأنت أنت المؤمن الموحد ولله درك ما أنت ..

الأم

وأما أمه الزكية الطيبة فهي من الأصل الراسخ: فاطمة بنت أسد بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي .. وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً، وهاجرت إلى النبي ﷺ مع الفواطم، وماتت مؤمنة .. وشهدها النبي ﷺ ^(٢) في قصة معروفة وبكاها روجي فداه ﷺ وقال عنها: إنها أُمي .. واضطجع في قبرها، ليقبها عصرة القبر، وأهدى إليها قميصه

(١) هو الشيخ أحمد رشيد مندو الفوعي السوري.

(٢) العمدة: ص ٧٢.

ولبسها علي ﷺ لبقياها في المحشر والقيامة، وصلى عليها ونام في قبرها ولقنها حجتها كاملة^(١) ..

فكانت امرأة عظيمة ندر أمثالها في ذاك الزمان، ولولا ذلك لما أعارها هذا الاهتمام وهذا الإكبار سيد البشر ورسول الإنسانية محمد ﷺ.

فالعالي عند الله، عال عند رسوله ﷺ بلا شك ..

نعم .. هذا نسب علي المؤمنين ﷺ بالوضع ..

أما بالمنهج والطبع فهو ابن الإسلام، وربيب الرسول الأعظم ﷺ .. وإلى هذا المجد السامي ينتسب، وبه يفتخر، ويحق له ذلك، ومن كولي الله الأعظم .. زوج البتول وأبي السبطين (عليهم آلاف التحية والسلام) ..

مولد النور

في أقدس مكان من العالم .. ومن أعظم شجرة إنسانية .. وفي أفضل عشيرة .. وفي أكرم بيت .. ولد فتى الفتان الذي بهر نور وجهه الثقلين منذ ذلك الحين ..

فمن الأصل الراسخ الهاشمي، من عشيرة قريش، من أبي طالب وفاطمة بنت أسد، وفي جوف الكعبة المشرفة .. ولد الإمام علي ﷺ^(٢).

وذلك في بداية نور يوم ١٣ رجب المرجب سنة ٣٠ بعد عام الفيل، أو ١٠ قبل البعثة المحمدية الشريفة. أو ٢٣ قبل الهجرة النبوية المباركة.

(١) للتفصيل راجع بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٣٢ ب ٨ ح ٤٤.

(٢) قال الحاكم في المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٥٥٠ ح ٦٠٤٤: فقد تواترت الأخبار على أن فاطمة بنت أسد، ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في جوف الكعبة.

فكانت ولادته كشخصيته وكروحه وشهادته إعجاز في إعجاز .. واستثناء تلو استثناء ، لم يحدث التاريخ ولم يرو أصحاب القصص ولا حتى الأساطير ما توفر في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من صفات ..

وعندما أراد له باريه وخالقه تبارك وتعالى ، أن يولد في هذه الحياة الدنيا كانت أمه المباركة تطوف بالبيت العتيق وفاجأها المخاض ، نعم حان وقت الولادة ولا مولدة ولا مساعدة .. وفاطمة بنت أسد عليها السلام فريدة وحيدة عند البيت العتيق .. فما لها إلا ربها .. فرمت بطرفها إلى السماء خجلة وجلة .. وأمسكت بطنها بيمينها وركن البيت ببسارها .. ضارعة داعية لله سبحانه وتعالى أمام (المستجار) قائلة :

«يا رب إني مؤمنة بك وبكل كتاب أنزلته وبكل رسول أرسلته .. ومصدقة بكلامك وكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام وقد بنى بيتك العتيق ، وأسألك بحق أنبيائك المرسلين وملائكتك المقربين وبحق هذا الجنين الذي في أحشائي إلا يسرت علي ولادتي»^(١) ..

فما أن أكملت تلك الكلمات حتى انشق جدار البيت الحرام .. وأتاها النداء إيذاناً وأمرأً بالدخول ..

فدخلت وعاد الجدار إلى مكانه وبقيت في ضيافة الله ثلاثة أيام! .. وعاد الجدار فانشق من جديد وخرجت وهي تحمل وليدها المبارك ملفوفاً بخرقه خضراء وعلامة البشر على محياها .. والابتسامة على ثغر ولدها الميمون.

فاستقبلها أبو طالب عليه السلام وابن أخيه محمد عليه السلام وفتية بني هاشم

بالفرح والسرور وراحوا يتناقلون الوليد وباركون للأبوين به، ورفعته الأكف حتى انتهى إلى ابن عمه محمد ﷺ، ولم يزل علي عليه السلام مع رسول الله ﷺ .. فإن النبي ﷺ تولى تسميته بعلي .. وقد خصّه بهذا الاسم الباري عز وجل حيث جاء النداء من السماء: (علي اشتق من العلي).

وروي: لما وُلد علي عليه السلام وخرجت أمه به من جوف الكعبة، جاء رسول الله ﷺ وبصق في فيه، ثم ألقمه لسانه فما زال يمصه حتى نام، فلما كان من الغد طلبوا له مرضعة فلم يقبل ثدي أحد، فدعوا له محمداً ﷺ فألقمه لسانه، فكان كذلك ما شاء الله.

فعلي عليه السلام من محمد ﷺ بالغذاء والنماء، وليس بالحب والولاء فقط ..

نعم اتفق الرواة في ولادته ﷺ في الكعبة المشرفة به، وقصّ المؤرخون، وحكى الأدباء، ونظم الشعراء في تلك الواقعة النورانية الفريدة في هذا الوجود .. فخلدوها في كل مكان، فيقول هذا الشاعر^(١) في قصيدته الرائعة:

لم يكن في كعبة الرحمن مولود سواه

إذ تعالى في البرايا عن مثل في علاه

وتولى ذكره في محكم الذكر الإله

أيقول الغرّ فيه بعد هذا .. لست أدري

أقبلت فاطمة حاملة خير جنين

جاء مخلوقاً بنور القدس لا الماء المهين
وتردّى منظر اللاهوت بين العالمين
كيف قد أودع في جنب وصدر .. لست أدري
أقبلت تدعو وقد جاء بها داء المخاض
نحو جذع النخل من ألطاف ذي اللطف المخاض
فدعت خالقها الباري بأحشاء مراض
كيف ضجت؟ كيف عجت؟ كيف ناحت ..؟ لست أدري
لست أدري غير أن البيت قد رد الجواب
بابتسام في جدار البيت أضحى منه باب
وجلّت فأنجاب فيه البشر عن محض اللباب
إنما أدري بهذا، غير هذا ... لست أدري
كيف أدري وهو سر وقد حار العقول
حادث في اليوم لكن لم يزل أصل الأصول
مظهر لله لكن لا اتحاد لا حلول
غاية الإدراك أن أدري بأنني .. لست أدري
ولد الطهر (عليّ) من تسامى في علاه
فاهتدى فيه فريق، وفريق فيه تاه
ضلّ أقوام فظنوا أنه حقاً إله
أم جنون العشق هذا لا يجازى؟ لست أدري^(١).

النشأة والأوصاف

ولد الفتى علي عليه السلام في بيت الله الحرام .. وتغذى من فم ولسان سيد الأنام عليه السلام .. ونمى وترعرع في منزل أبي طالب عليه السلام حامي الإسلام الأول ..

وما أجمل ما وصف به الأمير عليه السلام تلك الأيام عن علاقته بابن عمه الرسول الأعظم عليه السلام وذلك حين قال :

«وضعني في حجره وأنا وليد، يضمّني إلى صدره، ويكنّني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرقه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمّني به، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به عليه السلام من لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاعتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله عليه السلام وخديجة عليها السلام، أنا ثالثهما .. أرى نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه عليه السلام فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد آيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست نبي، ولكنك الوزير، وإنك لعلّى خير ..»^(١).

نعم .. إن أمير المؤمنين عليه السلام قد نشأ في منزل الرسول الأعظم عليه السلام وبَيْتِهِ، وذلك أن الرسول عليه السلام حيث تزوج من خديجة قال لعمه أبي

(١) نهج البلاغة، عنه البحار: ج ٢٨ ص ٣٢٠ ب ٦٧ ح ٣٢.

طالب: إني أحب أن تدفع إلي بعض ولدك يعينني على أمري ويكفيني، وأشكر لك بلاءك عندي..

قال أبو طالب عليه السلام: خذ أيهم شئت..

فأخذ عليه السلام علياً عليه السلام..^(١).

فمن استقى عروقه من منبع النبوة، ورضعت شجرته من ثدي الرسالة، وتهذلت أغصانه من نبع الأمانة، ونشأ في دار الوحي، ورُبِّي في بيت التنزيل ولم يفارق النبي عليه السلام في حال حياته إلى حال وفاته، لا يقاس بسائر الناس.. فإنه نفس النبي عليه السلام بصريح الآية المباركة^(٢). وهو الخليفة بعده عليه السلام دون من سواه بنصه عليه السلام الشريف.

فما هي الأوصاف التي تذكر للأمير عليه السلام.. وكيف كان ذاك العملاق في الإنسانية..

عذراً سيدي فليس لنا أدوات ولا كلمات لكي نصفك بما تعرف أو تألف.. إلا أنهم قالوا في وصفه: «كان عليه السلام مربع القامة، أدعج العينين، سهل الخدين، أزج الحاجبين، حسن الوجه، كأن وجهه قمر ليلة البدر... وكان عنقه إبريق فضة.. عريض الصدر والمنكبين..»^(٣).

وتلميذه ابن عباس قال عنه عليه السلام: «كان علي أمير المؤمنين عليه السلام يشبه القمر الباهر، والأسد الخادر، والفرات الزاخر، والربيع الباكر، فأشبهه من القمر ضوءه وبهاءه، ومن الأسد شجاعته ومضاءه، ومن الفرات جوده

(١) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٢٩٥ ب ٦٧ ح ١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٣) نزهة المجالس: ص ٤٥٤.

وسخاءه، ومن الربيع خصبه وحياءه، عقت النساء أن يأتين بمثل علي بعد النبي ﷺ»^(١).

والمحب الطبري يقول: «وكان ﷺ ربعة من الرجال، أدعج العينين عظيمهما، حسن الوجه كأنه قمر ليلة البدر... عريض ما بين المنكبين... والمشهور أنه كان أبيض اللحية، وكان إذا مشى تكفأً، شديد الساعدين واليد، وإذا مشى إلى الحرب هرول، ثبت الجنان، قوي، ما صارع أحداً إلا صرعه، شجاع منصور عند من لاقاه...»^(٢).

وقال عنه المغيرة: «كان علي ﷺ على هيئة الأسد، غليظاً منه ما استغلظ، ودقيقاً منه ما استدق...»^(٣).

وقال حريث: «وكان ﷺ بشره دائم، وثغره باسم، غيث لمن رغب، وغياث لمن ذهب، مأل الآمل، وثمان الأرامل، يتعطف على رعيته، ويتصرف على مشيته، ويكفه بحجته، ويكفيه بمهجته...»^(٤).

وأخيراً قال ابن أبي الحديد في شرحه: «وأما سجاحة الأخلاق وبشر الوجه، وطلاقة المحيا والتبسم، فهو المضروب به المثل فيه حتى عابه بذلك أعداؤه...»^(٥).

وأخيراً نقول:

إن الأجل من هذا كله هو قول الرسول الأعظم ﷺ ووصفه له

(١) لسان العرب: ج ١٤ ص ٢١٦ مادة (حيا).

(٢) ذخائر العقبى: ص ٥٧. وبحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٦٠٥ ب ١٢ ح ٤٧٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٢ ب ١ ح ١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٥١ ب ١٠٤ ح ٣.

(٥) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٤٧ ب ١٠٧ ح ٤٥.

حيث قال: «من أراد أن ينظر إلى آدم في جلالته، وإلى شيث في حكمته، وإلى إدريس في نباهته ومهابته، وإلى نوح في شكره لربه وعبادته، وإلى إبراهيم في وفائه وخلّته، وإلى موسى في بغض كل عدو لله ومناذته، وإلى عيسى في حب كل مؤمن ومعاشرته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام)»^(١).

وقال (عليه السلام) من أراد أن ينظر إلى يوسف في جماله، وإلى إبراهيم في سخائه، وإلى سليمان في بهجته، وإلى داود في حكمته فلينظر إلى علي ابن أبي طالب (عليه السلام)»^(٢).

نعم هذا بعض ما ذكر في وصف الأمير (عليه السلام) وهو ولي الله الأعظم، والإمام الأكبر لبني البشر.

ألقابه (عليه السلام) وكناه

لقد اشتهر للإمام (عليه السلام) اسمان وكنيتان.. وألقاب عديدة، كالتالي:

فهو علي عند الله ورسوله، وحيدر عند أمه وأبيه..

وكنيته: أبو الحسن، نسبة لابنه الأكبر، وأبو تراب، حيث كنّاه الرسول (صلى الله عليه وآله) به.. إلى غيرها من الكنى كأبي السبطين، وأبي الحسين و...

وأما الألقاب فهي كثيرة منها: أمير المؤمنين وهو أشهرها، وأمير النحل لتشبيه المؤمنين بالنحل، ويعسوب المؤمنين، وقائد الغر المحجلين، وأسد الله وأسد رسوله و...

(١) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٤١٩ ب ٥ ح ٤٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ٣٥ ب ٧٣ ح ٢.

فألقابه وصفاته عليه السلام رائعة الجمال، راتقة الجلال والكمال.. تخبر عن معنى من معاني الإمام عليه السلام أو مزية من مزاياه، أو فضيلة من فضائله التي جلّت عن العدّ أو الحصر أبداً..

نقوش خواتيم الأمير عليه السلام

- ١ : على الفص العتيق وهو للصلاة: «لا إله إلا الله عدة للقاء».
- ٢ : على الفص الفيروزج وهو للحرب: «نصر من الله وفتح قريب».
- ٣ : على الفص الياقوت وهو للقضاء: «الله الملك وعلي عبده».
- ٤ : على الفص الحديد الصيني وهو لختمه: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»^(١).

الأولاد

من فاطمة الزهراء عليها السلام: الحسن والحسين والمحسن السقط، وزينب الكبرى وزينب الصغرى (أم كلثوم) وسكينة.

ومن غيرها غيرهم، وفي بعض الروايات كان لأمير المؤمنين عليه السلام من الأولاد سبع وعشرون، وفي أكثرها أربعة وثلاثون..

منهم: محمد ابن الحنفية عليه السلام، أمه خولة بنت جعفر بن قيس.

عمر ورقية توأمان، أمهما أم حبيب بنت ربيعة.

العباس وجعفر وعثمان وعبد الله: شهداء الطف، أمهم فاطمة بنت حزام الكلابية (أم البنين) عليها السلام.

محمد الأصغر (أبو بكر) وعبيد الله، شهيدان بالطف، أمهما ليلى بن مسعود الدارمية.

يحيى وعبيد الله .. أمهما أسماء بنت عميس الخثعمية.

أم الحسن ورملة .. أمهما (أم مسعود) أو (أم سعيد) بنت عروة بن مسعود الثقفي.

نفيسة وزينب الصغرى ورقية الصغرى وأم هاني وأم الكرام وجمانة (أم جعفر) وأمامة وأم سلمة وميمونة وخديجة وفاطمة .. لأمهات شتى^(١).

وهؤلاء الكوكبة المباركة من الذكور والإناث هم أبناء وبنات أمير المؤمنين عليه السلام حسب أقوال كثير من المؤرخين ..

أنوار ولائية وإشعاعات حضارية

علي .. ومن كمثلك يا علي عليه السلام.

يذكر العلامة الجليل محمد جواد مغنية رحمته الله أنه كان حاضراً في حفل بهيج لذكرى ولادة الأمير عليه السلام فتعاقب الخطباء والشعراء واحداً تلو الآخر إلى أن قدّم عريف الحفل الأستاذ شكيب أرسلان الأديب اللبناني المعروف قائلاً:

تسمعون كلمة من الأمير شكيب، وإنما سمي أميراً لأنه شبيه بالأمير في سنامه وبيانه ..

فغضب شكيب من هذا التشبيه وانبرى إلى المنبر وقال:

والله ما اعتراني الخجل منذ خلقت حتى الساعة، كما اعتراني حين سمعت المعروف يشبهني بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ..

والله .. إن كل ما في السماء والأرض - عدا الله ورسوله - لا يشبه الغبار الذي على حافر فرس علي بن أبي طالب عليه السلام.

إن الله أمر بالخير .. ونهى عن الشر .. ثم خلق علياً كما يشاء وقال للناس: هذا هو المثل الأعلى فاحتذوه ..»^(١).

نعم .. علي عليه السلام المثل الأعلى، والقدوة المثلى .. والأسوة الحسنى .. والعروة الوثقى ..

فالإمام علي عليه السلام هو وجه الله الذي منه يُوتى، ويد الله التي تصول وتجول على الأعداء .. وولي الله الأولي .. ووصي الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ..

الإمام علي عليه السلام هو صريح المؤمنين، وغوث الهاربين، ونصرة المظلومين، وهداية التائهين، ونور الضالين، وأمل المحرومين، وملاذ المستضعفين، وسيف الفقراء بوجه الظالمين ..

عفوك سيدي .. يا ملاذنا ومعاذنا ..

كيف لا .. وقد لا ذبك الأنبياء عليهم السلام والأولياء والصالحون، إذ إنك كنت مع جميع الأنبياء بالسر والباطن .. وأيدت آخرهم وسيدهم صلى الله عليه وآله وسلم بالعلن والظاهر.

فأنت وأنت .. ولا أحد ممن خلق الله يعلم من أنت وما أنت .. إلا الله ورسوله العظيم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأما بقية الخلق فأكثرهم جهال بحقك ومكانتك وكنه معنك وعظيم علمك وتقواك .. يا مولى المتقين ..

فنبى الله آدم عليه السلام أكل من تلك الشجرة التي نُهي عنها، أما أنت يا سيدي فقد أذهب الله عنك الرجس وطهرك تطهيراً، فما عصيت الله طرفة عين - حاشاك - وكنت عين الهداية ومقصود المهتدين .. فأين أنت عن الغواية ..؟

ألم يكن اسمك عظيم من جملة الأسماء التي تعلمها آدم عليه السلام فتاب الله سبحانه بها عليه وعلى زوجته ورضي عنهما، وفاق الملائكة علماً فسجدوا له بك يا مولاي ..؟

وما حال أبي البشر الثاني نبي الله نوح عليه السلام شيخ الأنبياء وسيد المعمرين الذي دعى قومه إلى ربه وعبادته ٩٥٠ سنة وما آمن معه إلا قليل .. ألم تكن نجاته ونجاة سفينته من الطوفان والأمواج التي كانت كالجبال حينذاك، إلا بك وبآلِكَ الكرام عليه السلام ..

نعم .. فقد جاء في كتب الروايات، وأيدته الوقائع والكشفيات الأثرية مؤخراً، في اللوح المكتشف منذ الأمس القريب وذلك حينما كان فريق من خبراء المعادن الروس منكباً على حفر الأرض للتنقيب عن المعدن، وفي كانون الثاني لعام (١٩٥١م) ظهرت فجأة ألواح خشبية منخورة .. وبعد المريد من التنقيب اتضح لهم أن هناك الكثير من الألواح الخشبية المدفونة تحت الأرض وقد تآكل بعضها وبلي بمرور الزمان، وتوصلوا إلى أن بعضها غير عادية ويشتمل على سر مكنون فيه ..

فأخذوا بمزيد من الحفر بدقة بالغة، ثم استخرجوا الألواح الخشبية النخرة وعثروا من بينها على لوح خشبي مستطيل قد أدهش الجميع، لأن تصرف الزمان قد أبلى جميع الخشب سوى هذا اللوح الذي يبلغ طوله

٣٠ (كلمة الناشر) موسوعة الكلمة - ج٤/للشيرازي

أربعة عشر إنشاً (حوالي ٣٥سم) وعرضه عشرة إنشات (٢٥سم) ونقش عليه بضعة أحرف.

فشكلت الحكومة الروسية لجنة للتحقيق والبحث حول هذه الألواح الخشبية في (٢٧) شباط لسنة (١٩٥٣م) وكان أعضاؤها خبراء في الآثار وأساتذة مختصين باللغات القديمة ..

وبعد ثمانية أشهر من البحث والتنقيب انكشف سر ذلك اللوح الخشبي للجنة فاتضح أنه من سفينة نوح عليه السلام وقد نصب هذا اللوح عليها للبركة والاستمداد لما كتب عليه.

وكان في وسط اللوح رسم يمثل كفاً كتبت عليه عبارات عديدة باللغة السامية، ومن ثم ترجمت اللجنة تلك العبارات إلى اللغة الروسية وترجمت فيما بعد إلى اللغة العربية وكانت ترجمتها بالحرف:

يا ربي ..! يا مغيثي ..!

بلطفك ورحمتك، وبالذوات المقدسة!

محمد ..

وإيليا ..

وشبر ..

وشبير ..

وفاطمة ..

أعني .. فإن هؤلاء الخمسة أعظم الخلق، فيجب إعظامهم واحترامهم، وإن جميع الدنيا خلقت لأجلهم ..

إلهي بأسماء هؤلاء أعني، إنك قادر على هداية جميع الخلق إلى الطريق القويم..^(١).

وكذا كان النبي سليمان عليه السلام حيث اكتشف في مطلع هذا القرن لوح سمي بـ (لوح سليمان) وكانت ترجمته بعد التدقيق والترجمة من العبرية إلى العربية:

الله

أحمد إيلي

باهتول

حاسن حاسين

يا أحمد أغثني

يا علي أعني

يا بتول احميني

يا حسن أكرمني

يا حسين أسعدني

ها هو سليمان يستغيث الساعة بهؤلاء الخمسة الكرام وعليّ قدرة الله^(٢).

أما داود النبي عليه السلام صاحب الزبور فقد جاء في زبوره ما يلي:

«إطاعة ذلك الرجل الشريف الذي يدعى (إيلي) واجبة، وإطاعته

(١) الإمام علي والأنبياء: ص ٤٣.

(٢) نفس المصدر: ص ٣٥.

صلاح لأمر الدين والدنيا، ويسمى هذا الرجل العظيم أيضاً حدار (أي حيدر) إنه معين المساكين ومغيثهم، وأسد الأسود، وقوته وقدرته خارقة، وسيولد في كعابا (أي الكعبة) .. يجب على جميع الناس أن يتمسكوا بعروة هذا الرجل الجليل ويطيعوه كما يطيع العبد مولاه .. فليسمع كل من له أذن واعية، وليفهم كل من له عقل فهيم، وليعلم كل من له قلب ولب، لأن الوقت يمضي ولا يعود ثانية..»^(١).

وهناك أيضاً إشارات تنادي بالتمسك بالأمير عليه السلام قد لا نعرف أصحابها وأحوالهم ومكانتهم عند الله .. إلا أن كلماتهم تنبئ عن عظيم ما توصلوا إليه من منزلة الأمير عليه السلام ..

فذاك الهندوسي (شري كشرن جي) ناجى ربه قبل دخول الحرب قائلاً:

«يا رب العالم الكبير، وروح الكون العظيم، أقسم عليك بذاتك الطاهرة، وبمن كان سبباً لخلق الأرض والسماء، وبحبيبك، وبمن كان عزيزه وحبيه واسمه (أهلي) والذي سيظهر عند (الحجر الأسود) في أكبر معبد في العالم، انظر حالي واستجب دعوتي، واهلك أتباع الباطل والبهتان، وانصر أتباع الحق يا الله .. يا إيلا، يا إيلا، يا إيلا ..».

وكذلك حال الهندوسي الذي يقال له (المهاتما بدّة) فحين أفلقته النوائب دعا الله مستغيثاً:

«إلهي .. بذلك الوجود المقدس الرؤوف .. وهو رحمة للعالمين، أعني.

إلهي .. بعترته الطاهرة نجني.

إلهي باسمه المقدس أعزني وصن عرضي وشرفي ..».

وقال في آخر كلمات له لأحد تلامذته متحدثاً عن الرسول الأعظم عليه السلام قائلاً:

«إنه من سيختتم النبوة به، ويتوج بتاج خماسي يتلأل مثل الشمس والقمر واسم ألماسته الكبيرة (آليا)» أي علي عليه السلام.

فعند الضيق ما له إلا داحي باب خيبر، وعند اشتداد البأس واضطراب الأمر ما له إلا كاشف الكربات ودافع البلديات أمير المؤمنين علي عليه السلام ..

وهكذا كان الأنبياء والأوصياء عليهم السلام يتوسلون بوجوده المبارك إلى الله عزّ وجلّ في ضرائهم وشدائدهم .. فإن العظماء يعرفون قدر بعضهم .. وعمالقة الإنسانية يقدرون بعضهم البعض، والأنبياء عليهم السلام يعرفون أن أفضل وسيلة وأقوى حبل إلى الله هو الرسول الخاتم محمد عليه السلام وآله الأطهار عليهم السلام لأنهم العلة الغائية للكون، وهم أحد أهم أسباب الوجود والخلق ..

ألم يقولوا عليهم السلام: نحن الوسيلة إلى الله المثلى ..

ونحن الصراط المستقيم ..

ونحن حبل الله الممدود بين السماء والأرض ..

وهم العروة الوثقى التي لا انفصام لها ..

وهم سفينة النجاة للأمة.

وهم باب النجاة للملة.

فاستجابة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام تكون بأفضل الوسائل وأنجح وأنجع الطرق الموصلة إلى الهدف، وسيدهم وخاتمهم كثيراً ما قال عليه السلام: إذا أحببتم استجابة دعائكم فابدؤوه واختموه بالصلاة التامة غير المبتورة.. وهي الصلاة على محمد وآله عليهم السلام فإنها أحد أهم علامات قبول الدعاء والتهيؤ لاستجابته.

نعم فإنه «لا يُقاس بآل محمد أحد أبداً»..

وأمر المؤمنين عليهم السلام هو الألماسة العظمى، كما سماه ذاك الحكيم، وهو سيد العترة الطاهرة، وأصلها المبارك الثابت.. هو أمير في الدنيا والآخرة، وإمارته في الدنيا تشمل جميع المؤمنين على امتداد التاريخ الغابر والحاضر، ومن أتت به الأيام وتأتي به الأزمان منذ آدم عليه السلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. ما عدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فكل المؤمنين من أنبياء وأوصياء وشهداء وصالحين، هو عليه السلام أميرهم بلا منازع.. فالأمير أمير، والإمام إمام مهما طالت الأيام ومهما أبعدته.

والأنبياء والأوصياء عليهم السلام الذين يمثلون الخط الإلهي في هذا الكون يدركون هذه الحقائق الثابتة تماماً فلا يجحدونها - وحاشاهم من الجحود - بل يلتزمون بها تمام الالتزام ولهم الفخر في ذلك، كما افتخر به أعظم ملائكة الله جبرائيل عليه السلام بالانتساب إلى أهل البيت عليهم السلام وهذا ما قصّه حديث الكساء الشريف وغيره من الأحاديث النورانية المعتبرة والصحيحة.

ولكن هذه الأمة قد جحدت حق أمير المؤمنين عليه السلام وكثير منهم أنكروا فضله وفضائله.. مع أنهم استيقنتها أنفسهم.. وبذلك خسروا

أنفسهم وأخسروا البشرية الكثير والكثير.. ولم يضرُوا الإمام عليه السلام شيئاً حيث لا يحتاج إليهم بل هم المحتاجون إليه وإلى آله الأطهار عليهم السلام.. فكان جحودهم واستنكارهم كجحود رجل يبصر الشمس ويحس بحرارتها في منتصف نهار صيفي.. فهل يضر الشمس جحوده؟ وهل تبطل أنوارها وحرارتها نكرانه..؟

لا.. ولكن حظه الذي جحد، وعقله الذي أنكر.. لا أقل من ذلك ولا أكثر، فالشمس شمس وإن أنكرها كل البشر، والبدر بدر وإن خافته واختبأت منه الخفافيش الغبية التي تخشى النور ولا مرتع لها إلا الليالي الحالكات، وهي غاطسة في الظلام والظلمات..

نعم إن أعداء الأمير عليه السلام طمسوا عقولهم، ودفنوا رؤوسهم في الوحل وليس الرمل كالنعامة.. خوفاً من النور، وتحاشياً للجهر بالحق، وتهرباً من الحرية الحقيقية التي تعني العبودية المطلقة لله وحده لا شريك ولا ندّ ولا شبيه ولا معبود باستحقاق العبودية إلا له.. سبحانه وجلت قدرته..

الأمانة والخلافة

الحديث عن الإمامة طويل وعميق، وهو مبحث كلامي عقائدي طال البحث حوله وكثرت النظريات والمقالات فيه، وذلك منذ وفاة الرسول الأعظم عليه السلام وإلى يومنا هذا..

فالأدلة على الإمامة نابعة من الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة ومتجسدة في أقوال وأفعال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام نفسه، وفي زوجته المباركة العظيمة زهراء الرسول عليها السلام ومظلوميتها، وفي أبنائه

الميامين ذرية طه ويس (عليهم صلوات المصلين وتحيات رب العالمين).

فإن الحق والإمامة كانت وستبقى مع أمير المؤمنين علي عليه السلام وإن اختار البعض غيره ليحكمهم ويحكمونه في دنياهم .. إلا أنهم صرحوا بأفضلية الإمام علي عليه السلام وأحقيته بالأمر وعادوا إليه جميعهم في العلم والدين وفهم الأحكام الشرعية وعلوم القرآن وقال قائلهم عشرات المرات: (لولا علي لهلك فلان ..) وقال: (لا خلفت في قوم لست فيهم يا أبا الحسن ..) وقال: (... في معضلة وليس لها أبو الحسن عليه السلام) وهذه الكلمات أصبحت كالمثل السائر عند العرب ..

نعم .. فما أكثر الأقوال والأفعال التي قومها الإمام علي عليه السلام حينما اضطروا للرجوع إليه، ولم يرجعوا لأحد سواه في القضايا الهامة والمعضلات الصعبة ..

وهذا - بالحقيقة - اعتراف بإمامته لهم جميعاً.

وقد دار حديث بين عمر وابن عباس في أمر الخلافة والإمامة نشير إليه نصاً^(١).

محاورة ابن عباس وعمر

قال عمر في حديث طويل دار بينه وبين ابن عباس: يا بن عباس، أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد صلى الله عليه وسلم؟

(١) الكامل لابن الأثير: ج ٣ ص ٢٤ في آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣هـ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٠٧ في سيرة عمر، وفي ط دار الفكر بيروت ج ٣ ص ١٥٦، وانظر أيضاً تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٢٣. ونقله في المراجعات ص ٢٩٢ ط دار العلوم بيروت، المراجعة ١٠٦.

قال ابن عباس: فكرهت أن أجيئه، فقلت له: إن لم أكن أدري فإن الأمير يدري؟

فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة، فتجحفوا على قومكم بجحاً بجحاً^(١)، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت.

قال: فقلت: يا أمير! إن تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت.

قال: تكلم.

قال ابن عباس: أما قولك يا أمير! اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها من حين اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود.

وأما قولك: إنهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة، فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهة فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْطَ أَعْمَلَهُمْ﴾^(٢).

فقال عمر: هيهات يا بن عباس، قد كانت تبلغني عنك أشياء أكره أن أقرك عليها فتزيل منزلتك مني.

قلت: ما هي يا أمير! فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أَمَاط الباطل عن نفسه.

فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنا حسداً وبغياً وظلماً.

(١) البجح بالشيء: الفرح به.

(٢) سورة محمد، الآية: ٩.

قال: فقلت: أما قولك يا أمير! ظلماً، فقد تبين للجاهل والحليم،
وأما قولك حسداً فإن آدم ﷺ حسد ونحن ولده المحسودون.

فقال عمر: هيهات هيهات، أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا
حسداً لا يزول.

قال: فقلت: مهلاً يا أمير! لا تصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم
الرجس وطهرهم تطهيراً... الحديث.

نعم كان هذا رأيهم وهذه آراءهم وعند الله الحساب وهناك يخسر
المبطلون.. إلا أننا نقول: إن الإمامة هي مقام إلهي واستمرار للنبوة تماماً
وما ينطبق على النبي ﷺ ويشترط فيه، ينطبق على الإمام ﷺ ويشترط
فيه.. ومن هنا لا يكون إلا بالنص من الرسول الأعظم ﷺ وبأمر من
الباري عز وجل.

نعم إن الإمامة: هي بالتعيين والتخصيص للشخص الخاص، يعينه
الباري عز وجل ويبلغه الرسول الأكرم ﷺ فهي ﴿فَضَّلَ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١) و﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٢).

والإمامة مقام سام ومعلوم مهما أنكره البشر أو تحايل عليه الناس
لكي يضيعوه أو أخفوا مكانه ومكانته تلك، فهي مستند إلى قرار وأمر
شرعي سماوي إلهي مقدس.

أما ما أسموه بالخلافة - أو الحكومة الدنيوية - فهي قد تكون
بالاستيلاء والقهر والغلبة وقوة السيف، كما حدث بعد الرسول ﷺ

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٢) سورة الانعام، الآية: ١٢٤.

وحالها حال الانقلابات العسكرية في أيامنا هذه، فالقوي بالسلاح أو الذكي الداهية يبادر في غفلة من البشر وسهوة من الأيام ليستغل الفرصة ويسرق الحكم ليقول عن نفسه إنه أصبح حاكماً. فهذا النوع من الخلافة والحكومة لا تستند عادة إلا على ضجيج وعجيج الناس الهمج الرعاع وأصحاب المصالح المادية ليس إلا، ولا ترى مستنداً شرعياً لها إلا السيف!

نعم كثيراً ما يكون القليل وربما الأقل من القليل هم أصحاب الحق، فإنه قد ينتشر الباطل ويغطي، ويقل الحق ويضعف لفترة معينة، ولكن الله سيرسل صوت الحق وينصر أهله، ويدحر الباطل ويهدم أركانه، ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ﴾ (١).

وهذا هو الصراع الأبدي بين الحق والباطل... بين الخير والشر.. بين إبليس والأنبياء..

والإمام هو الإمام مهما كرّرت الأيام وتصرمت، ومهما تباعدت الأوقات وتقلبت، فهو كالشمس في كل زمان ومكان.. وهو كالرسول ﷺ أعظم وأعلى وأجل من أي مخلوق خلق..

وفي حديث عن الإمام الثامن من آل الكرام (عليه السلام) الرضا (عليه السلام) الغريب عن الأهل والأوطان، نكتطف من كلامه زهرات ونتنسم منه عبقات رحمانية نورانية.. قال (عليه السلام):

«هل تعرفون قدر الإمامة، ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم؟»

إن الإمامة أجلّ قدراً، وأعظم شأنًا، وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً، من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالونها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم..

إن الإمامة خصّ الله عزّ وجلّ بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة، مرتبة ثالثة وفضيلة شرّفه الله بها..

فمن أين يختار هؤلاء الجاهل..؟

إن الإمامة منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء..

إن الإمامة خلافة الله عزّ وجلّ وخلافة الرسل، ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن والحسين عليهما السلام..

إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين..

إن الإمامة رأس الإسلام النامي، وفرعه السامي..

بالإمام عليه السلام تمام الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف..

الإمام.. يحل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة..

الإمام.. كالشمس الطالعة للعالم، وهي في الأفق بحيث لا تناله الأيدي والأبصار.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / ج ١ ٤١

الإمام.. البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى والبيداء القفار ولجج البحار.

الإمام.. الماء العذب على الظمأ، والدال على الهدى، والمنجي من الردى.

الإمام.. النار على البقاع الحارة لمن اصطلى، والدليل على المسالك، من فارقه فهالك.

الإمام.. السحاب الماطر، والغيث الهائل، والشمس المضيئة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة.

الإمام.. الأمين الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، ومفزع العباد في الداهية.

الإمام.. أمين الله في أرضه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده، الداعي إلى الله، والذاب عن حرم الله..

الإمام.. المطهر من الذنوب، المبرأ من العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدين، وعز المسلمين، وغيظ المارقين، وبوار الكافرين.

الإمام.. واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عدل، ولا يوجد له بديل، ولا له مثل ولا نظير.. مخصص بالفضل، كله من غير طلب منه ولا اكتساب، بل اختصاص من المتفضل الوهاب.

فمن ذا يبلغ معرفة الإمام؟ ويمكنه اختياره؟..

هيهات.. هيهات.. ضلت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت

الألباب، وحسرت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت العلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألباب، وكَلَّت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعيت البلغاء، عن وصف شأن من شأنه ﷺ، أو فضيلة من فضائله، فأقرت بالعجز والتقصير..

وكيف يوصف أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه، ويغني عنه..؟

لا وكيف؟ وأنى، وهو بحيث النجم من أيدي المتناولين ووصف الواصفين..؟

فأين الاختيار من هذا..؟

وأين العقول عن هذا..؟

وأين يوجد مثل هذا..؟

ظنوا أن ذلك يوجد في غير آل رسول الله ﷺ كذبتهم والله أنفسهم، ومنتهم الباطل، فارتقوا مرتقى صعباً، وحصناً تزل عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة، باثرة، ناقصة، وآراء مضلّة، فلم يزدادوا منه إلا بعداً، قاتلهم الله أنى يؤفكون؟.

لقد راموا صعباً، وقالوا إفكاً، وضلوا ضلالاً بعيداً.. ووقعوا في الحيرة، إذ تركوا الإمام ﷺ من غير بصيرة، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم من السبيل، وكانوا مستبصرين.. رغبوا عن اختيار الله، واختيار رسوله إلى اختيارهم.. والقرآن يناديهم: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٨) (١).

فكيف لهم باختيار الإمام؟ والإمام عالم لا يجهل، وراع لا ينكل، معدن القدس والطهارة، والنسك والزهادة، والعلم والعبادة.. مخصوص بدعوة الرسول ﷺ وهو نسل المطهرة البتول، لا مغمز فيه في نسب، ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش، والذروة من هاشم، والعترة من آل الرسول، والرضا من الله..

شرف الأشراف والفرع من عبد مناف، تام العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله..^(١)

هذا ما نعتقده بالإمامة والإمام، فهي مقام بالتخصيص والتعيين والتنصيب من رب البرايا، العالم بالبلايا والمنايا، ولا دخل ولا شأن لبني البشر في أي شأن من شؤونها إلا الطاعة والامتثال لأوامرها وقيادتها الرشيدة..

وأما الانتخاب والاختيار والشورى والديمقراطية وكل الكلمات والمصطلحات قديمها وحديثها تبقى بعيدة كل البعد عن معنى الإمامة ومبناها - كما في النبوة - لأنها من تعيين الله عزّ وجلّ، وهذه الكلمات تكون فيما اختاره بيد الناس..

قالوا عنه الكثير

قالوا عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الكثير، وهذه الأقوال انطلقت من انبهار في شخصية الإمام، لا سيما ما كان ينطلق وينطق من ألسنة الكتاب غير المؤمنين من أي طائفة أو دين أو ملة كانت.. وراح علماؤنا

يتناقلونها، ويفتخرون بها أن قال الكاتب فلان عن الإمام (عليه السلام) :

إنه .. شهيد عظمته على سبيل المثال ..

أو إنه (عليه السلام) شخصية ولدت قبل أوانها وزمانها ..

أو إنه الدر والذهب المصفى ..

إلى غير ذلك من الأقوال الجميلة في سبكها ومعناها.

إلا أن الإمام (عليه السلام) كان أكبر من الزمان والمكان، فهو يحيط بالجميع بإذن الله تعالى، لأنها جميعاً واقعة تحت ولايته التكوينية، ولا يحويه شيء أو يحيط بكنهه أو معرفة حقيقته أحد إلا الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقط ..

والإمام علي (عليه السلام) موجود بسيرته العطرة في كل لحظة وفي كل أوان .. وفي كل اتجاه أو مجال من مجالات الحياة، فهو لسان الميزان، بل هو الميزان لأنه هو الحق .. والحق يدور معه كيفما دار أو اتجه .. فأينما يكون حق وباطل، وخير وشر، ونور وظلمات، فهو (عليه السلام) الحق والخير والنور، فكان (عليه السلام) شهيد الحق وهو بالتالي شهيد الله وشاهد على أعمال العباد دائماً وأبداً ..

والإمام علي (عليه السلام) هو الحق المبين .. وليس الدر والذهب المصفى إلا مجازاً ومن باب ضيق التعبير! فأَي در وأي ذهب، فهي فلزات ومعادن .. وذاك علي (عليه السلام) أعلى وأجلّ من كل من علا، إلا خالقه وابن عمه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ..

فما من كتاب تطرق إلى تاريخ الإسلام بل تاريخ الإنسانية والعدالة والحقيقة .. إلا ويذكر فيه فضائل من عظيم فضائله (عليه السلام) - وكم من كتاب

يختص بالفضائل - ولم يكتب أحد ولم يوضع كاتب ولا أديب في الفضائل إلا كان الأمير عليه السلام في رأس قائمة الفضائل تلك. فالأمير عليه السلام فضيلة وما بعدها فضيلة، وكل الفضائل منه تستقي، وكل الفضلاء من نبعه ترتوي، ومن هطل غيئه تنتشي. والحديث طويل وجميل، والمقام عظيم وجليل، إلا أن علينا الاختصار رعاية للمقام ..

الشهادة المفجعة

الشهادة: مقام وفضل ونور إلهي يعطيه لأصحاب المراتب العالية من المؤمنين، فكان الأجر بأمير المؤمنين وإمامهم عليه السلام أن يكون شهيداً؟
والمفجعة: لأنها فجعت لها السماوات والأرضين وما فيهن وما بينهن، فما من مؤمن من الإنس أو الجن أو الملائكة إلا وقد فجع باستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (بكت السماء دماً على علي عليه السلام ثلاثة أيام)^(١).

والشهادة محررة: لأنها حررت الإمام عليه السلام من الدنيا ومصاعبها، فقال عليه السلام حين ضربه اللعين: (فزت ورب الكعبة)^(٢)، فالفوز كان بالشهادة في محراب العبادة في مسجد الكوفة المبارك ..

فولادته عليه السلام كانت في جوف الكعبة المشرفة، وشهادته كانت في محراب الكوفة المقدسة بمسيل دمائه الطاهرة على ترابها ..

وكان ذلك في صبيحة يوم ١٩ من شهر الله شهر رمضان المبارك،

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج ٢ ص ٢٤٦، عنه (كلمة الأصحاب) ج ٢ ص ١٣٣ للشهيد الشيرازي.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٢ ب ٩٩ ح ٤.

حيث كمن له أشقى الأولين والآخرين ابن ملجم المرادي (لعنه الله) وعندما أخذ الإمام عليه السلام بنافلة الفجر ضربه بسيفه المسموم على قرنه الشريف، فخضب لحيته الشريفة من دمه الطاهر، كما أخبره ابن عمه الرسول الأعظم عليه السلام.

وانتقل الإمام عليه السلام إلى جوار ربه بعد يومين من تلك الحادثة.. أي في ليلة ٢١ من شهر رمضان المبارك سنة ٤٠ للهجرة المباركة ..

فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً ليكون حامل لواء الحمد، وساقى الحوض، وقسيم الجنة والنار..

كَلِمَة

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَام

الْمَجْلَدِ الْأَوَّلِ

آيَةُ اللَّهِ الشَّهِيدِ

السَّيِّدِ هَسَنِ الْحُسَيْنِيِّ الشَّيْرَازِيِّ

(قَدْ سَمِعَهُ)



الرهيات

إليه مصائر الخلق، وعواقب الأمر^(١)

رُويَ عَنْ نَوْفِ الْبَكَالِيِّ قَالَ: خَطَبَنَا بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ عليه السلام بِالْكُوفَةِ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى حِجَارَةٍ، نَصَبَهَا لَهُ جَعْدَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْمُخَزُومِيَّةُ، وَعَلَيْهِ مَدْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ، وَحَمَائِلُ سَيْفِهِ لَيْفٌ، وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ لَيْفٍ، وَكَأَنَّ جَبِينَهُ تَفَنَّهُ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، فَقَالَ عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ، وَعَوَاقِبُ الْأُمْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، وَنَبِيرِ بُرْهَانِهِ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ، حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرَّبًا، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِبًا، وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةً رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالْظُّلِّ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ.

وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانًا مَنْ رَجَاهُ مُوقِنًا، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِنًا، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّدًا، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّدًا، وَلَاذً بِهِ رَاغِبًا مُجْتَهِدًا.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٨٢، وبحار الأنوار: ج ٤ ص ٣١٣ - ٣١٥ ب ٤ ح ٤٠.

لَمْ يُولَدْ سُبحَانَهُ فَيَكُونُ فِي الْعِزِّ مُشَارِكًا، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونْ مَوْرُوثًا
هَالِكًا، وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ وَلَا زَمَانٌ، وَلَمْ يَتَعَاوَرَهُ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ،
بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عِلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتَقِنِ، وَالْقَضَاءِ
الْمُبْرَمِ.

السماءات بلا عمد

فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلَقَ السَّمَاءَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ، قَائِمَاتٍ بِلَا
سِنْدٍ، دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ، غَيْرَ مُتَكِنَّاتٍ وَلَا مُبْطِئَاتٍ، وَلَوْ لَا
إِفْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَإِدْعَائُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ، لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعًا لِعَرْشِهِ،
وَلَا مَسْكَنًا لِمَلَائِكَتِهِ، وَلَا مَصْعَدًا لِلِكَلِمِ الطَّيِّبِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ
خَلْقِهِ.

جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَامًا، يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُحْتَخِلِفِ فِجَاجِ
الْأَقْطَارِ، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءُ نُورِهَا، اذْلِهَمَّامُ سُجُفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَلَا
اسْتَطَاعَتْ جَلَابِيبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ، أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَاءَاتِ مِنْ
تَلَأُلُ نُورِ الْقَمَرِ.

فَسُبحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ عَسَقِ دَاجٍ، وَلَا لَيْلِ سَاجٍ، فِي بَقَاعِ
الْأَرْضِينَ الْمُتَطَاطِئَاتِ، وَلَا فِي يَفَاعِ السُّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ، وَمَا يَتَجَلَّجَلُ بِهِ
الرَّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، وَمَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْعِمَامِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ
وَرَقَةٍ، تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ، وَانْهِيْطَالُ السَّمَاءِ، وَيَعْلَمُ
مَسْقَطُ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا، وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجَرَّهَا، وَمَا يَكْفِي الْبُعُوضَةَ مِنْ
قُوَّتِهَا، وَمَا تَحْمِلُ الْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا.

الكائن قبل كل شيء

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ
أَرْضٌ، أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ، لَا يُدْرِكُ بِهِمْ، وَلَا يُقَدَّرُ بِهِمْ، وَلَا يَشْعَلُهُ
سَائِلٌ، وَلَا يَنْقُضُهُ نَائِلٌ، وَلَا يَنْظُرُ بَعَيْنٌ، وَلَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ، وَلَا يُوصَفُ
بِالْأَزْوَاجِ، وَلَا يُخْلَقُ بِعِلَاجٍ وَلَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ.

الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا، بِلَا جَوَارِحَ وَلَا
أَدَوَاتٍ، وَلَا نَظْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ.

بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِيُوصَفِ رَبِّكَ، فَصِفْ جِبْرِيلَ
وَمِيكَائِيلَ، وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، فِي حُجَرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجَحِينَ،
مُتَوَلِّهِ عُقُولُهُمْ، أَنْ يَحْدُوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ.

فَإِنَّمَا يُدْرِكُ بِالصِّفَاتِ، ذُو الْهَيْئَاتِ وَالْأَدَوَاتِ، وَمَنْ يَنْقُضِي إِذَا بَلَغَ
أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ
نُورٍ.

لا شيء أقرب من الله تعالى^(١)

ومن كلام لأمير المؤمنين علي عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ،
وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ، فَلَا عَيْنٌ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلَا قَلْبٌ مَنْ أَثْبَتَهُ
يُبْصِرُهُ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٤٩، وأعلام الدين: ص ٦٣ ومن خطبة له في هذا المعنى.

سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ، وَقَرُبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبَ مِنْهُ، فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ.

لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ، وَالْجَا حِدُونَ لَهُ عُلوًّا كَبِيرًا.

المعروف من غير رؤية^(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوْيَةٍ، الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا، إِذْ لَا سَمَاءَ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَلَا حُجُبَ ذَاتُ إِرْتَاجٍ، وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ، وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ، وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ، وَلَا فَجٌّ ذُو اغْوِجَاجٍ، وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ، وَلَا خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ، ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَوَارِثُهُ، وَإِلَهُ الْخَلْقِ وَرَازِقُهُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ، يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ، وَيُقَرَّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ.

قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ، وَأَخْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ، وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ، وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ، وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ، إِلَى أَنْ تَنْتَاهِيَ بِهِمُ الْغَايَاتُ.

هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ

لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ، قَاهِرٌ مَنْ عَارَظَهُ، وَمُدَمِّرٌ مَنْ شَاقَّهُ، وَمُذِلٌّ مَنْ نَاوَاهُ، وَغَالِبٌ مَنْ عَادَاهُ، مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ.

أول الدين معرفته^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) يذكر فيه ابتداء خلق السماء والأرض:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مَدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعْتُ مَوْجُودٌ، وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ، فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَدَّ بِالْصُّخُورِ مِيدَانَ أَرْضِهِ.

أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِّيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصَدِّيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمُوصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مُوصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ.

فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ، وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ، وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ قَالَ: «فِيمَ؟» فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ: «عَلَى مَ؟» فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١. والاحتجاج: ج ١ ص ١٩٨ - ٢٠٨ احتجاجة (عليه السلام) فيما يتعلق بتوحيد الله. و دستور معالم الحكم للقاضي القضاعي: ص ١٥٣ - ١٥٤ ب ٧ من كلامه في التوحيد.

كَائِنْ لَا عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ،
وَعَبْرَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ، فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْأَلَةِ، بَصِيرٌ إِذْ لَا
مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ، وَلَا يَسْتَوْجِسُّ لِفَقْدِهِ.

كيفية خلق العالم

أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا، وَلَا تَجَرِبَةٍ
اسْتَفَادَهَا، وَلَا حَرَكَةٍ أَحَدَنْهَا، وَلَا هِمَامَةٍ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا، أَحَالَ
الْأَشْيَاءَ لَأَوْقَاتِهَا، وَلَمْ يَبْنِ مُحْتَلِفَاتِهَا، وَغَرَّرَ غَرَائِزَهَا، وَأَلَزَمَهَا
أَشْبَاحَهَا، عَالِمًا بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، مُحِيطًا بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا، عَارِفًا
بِقَرَائِنِهَا وَأَحْثَائِهَا.

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتَقَّ الْأَجْوَاءَ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءَ، وَسَكَئِكَ الْهَوَاءَ،
فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِمًا تَيَّارُهُ، مُتَرَكَمًا زَخَّارُهُ، حَمَلَهُ عَلَى مَثَنِ الرِّيحِ
الْعَاصِفَةِ، وَالزَّرْعُزَّعَ الْقَاصِفَةِ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ، وَسَلَطَهَا عَلَى شَدِّهِ، وَقَرَنَهَا
إِلَى حَدِّهِ، الْهَوَاءَ مِنْ تَحْتِهَا فَيَقُوقُ، وَالْمَاءَ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقُ.

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحًا اغْتَنَمَ مَهَبَّهَا، وَأَدَامَ مُرَبَّهَا، وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا،
وَأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيْقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ، وَإِنَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ،
فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السَّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ، تَرَدُّ أَوَّلُهُ إِلَى
آخِرِهِ، وَسَاجِيَهُ إِلَى مَاثِرِهِ، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ، وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامَهُ، فَرَفَعَهُ فِي
هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ، وَجَوٍّ مُنْفَتِقٍ، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجًا
مَكْنُوفًا، وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفًا مَحْفُوظًا، وَسَمَكًا مَرْفُوعًا بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعُمُهَا، وَلَا

دَسَارٍ يَنْظُمُهَا، ثُمَّ زَيْنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَضِيَاءِ الثَّوَابِ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً، وَقَمَراً مُبِيناً، فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ.

أطوار الملائكة

ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ، مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ، وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ، لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، وَلَا سَهُوُ الْعُقُولِ، وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ، وَلَا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ.

وَمِنْهُمْ: أَمْنَاءٌ عَلَى وَحْيِهِ، وَالسَّيِّئَةُ إِلَى رُسُلِهِ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ.

وَمِنْهُمْ: الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جَنَانِهِ.

وَمِنْهُمْ: الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ، نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ، مُتَلَفِعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ، وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ، لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَلَا يَحْدُونَهُ بِالْأَمَاقِينَ، وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ.

كلمة التوحيد مرضاة الرحمن^(١)

ومن خطبة له عليه السلام بعد انصرافه من صفين:

أَحْمَدُهُ اسْتِثْمَاماً لِنِعْمَتِهِ، وَاسْتِسْلَاماً لِعِزَّتِهِ، وَاسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ،

وَأَسْتَعِينُهُ قَافَةً إِلَى كِفَايَتِهِ، إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، وَلَا يَبُلُّ مَنْ عَادَاهُ، وَلَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ، فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ، وَأَفْضَلُ مَا خُرِنَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُمْتَحَنًا إِخْلَاصُهَا، مُعْتَقَدًا مُصَاصُهَا، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَدًا مَا أَبْقَانَا، وَنَدْخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالذِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجًا بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ، وَتَحْوِيلًا بِالْمَثَلَاتِ، وَالنَّاسُ فِي فِتْنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ، وَتَزَعَزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ، وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ، وَضَاقَ الْمَخْرَجُ، وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ.

فَالْهَدَى خَامِلٌ، وَالْعَمَى شَامِلٌ، غُصِيَ الرَّحْمَنُ، وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ، وَخُذِلَ الْإِيمَانُ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ، وَعَفَتْ شُرُكُهُ، أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ، فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ، سَارَتْ بِهِمْ أَعْلَامُهُ، وَقَامَ لَوَاؤُهُ، فِي فِتْنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَوَطَّئَتْهُمْ بِأُظْلَافِهَا، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ، جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ، وَشَرِّ جِيرَانٍ، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ، وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ.

كل عزيز غيره ذليل^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ تَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالًا، فَيَكُونُ أَوَّلًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِرًا، وَيَكُونُ ظَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِنًا.

كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ، وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ، وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجَزُ، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصْمُ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ، وَيُصِمُّهُ كَبِيرُهَا، وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعْدَ مِنْهَا، وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ، وَلَطِيفِ الْأَجْسَامِ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ بَاطِنٌ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرٌ ظَاهِرٍ.

لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، وَلَا تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ، وَلَا اسْتِعَانَةٍ عَلَى نَدٍّ مُثَاوِرٍ، وَلَا شَرِيكِ مُكَاثِرٍ، وَلَا ضِدٍّ مُنَافِرٍ، وَلَكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ.

لَمْ يَحْلُلْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيُقَالُ: هُوَ فِيهَا كَائِنٌ.

وَلَمْ يَنَأَ عَنْهَا فَيُقَالُ: هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ.

لَمْ يُوْذِهِ خَلْقٌ مَا ابْتَدَأَ، وَلَا تَذَبِيرٌ مَا ذَرَأَ، وَلَا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ، وَلَا وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وَقَدَّرَ، بَلْ قَضَاءٌ مُتَقَنَّ، وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ، وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ، الْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ، الْمَرْهُوبُ مَعَ النِّعَمِ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٦٥، وإرشاد القلوب: ج ١ ص ١٦٧ - ١٦٨ ب ٥٠، وأعلام الدين: ص ٦٥ ومن كلام له في هذا المعنى.

المنان بفوائد النعم^(١)

ومن خطبة له عليه السلام تعرف بـ (خطبة الأشباح) وهي من جلائل خطبه عليه السلام.

وكان سألته سائل أن يصف الله حتى كأنه يراه عياناً فقال :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفِرُّهُ الْمَنْعُ وَالْجُمُودُ، وَلَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ، إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ، وَهُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النَّعْمِ، وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسَمِ، عِيَالُهُ الْخَلَائِقُ، ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاعِبِينَ إِلَيْهِ، وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجُودَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ.

الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلُ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدُ فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ، وَالرَّادِعُ أَنْاسِيَّ الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ، مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الْحَالُ، وَلَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالُ.

وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ، وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ، مِنْ فِلِزِّ اللَّجَيْنِ وَالْعُقْيَانِ، وَنُثَارَةِ الدُّرِّ وَحَصِيدِ الْمَرْجَانِ، مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ، وَلَا أَنْفَدَ سَعَةً مَا عِنْدَهُ، وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ دَخَائِرِ الْأَنْعَامِ مَا لَا تُنْفِذُهُ مَطَالِبُ الْأَنْامِ، لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ، وَلَا يُبْخِلُهُ إِحَاحُ الْمُلْحِحِينَ.

القرآن وصفات الله تعالى

فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ، فَمَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَأَنْتُمْ بِهِ، وَاسْتَضَى
بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ، مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ
فَرَضُهُ، وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَيْمَةِ الْهُدَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثَرُهُ، فَكُلَّ عِلْمُهُ إِلَى اللَّهِ
سُبْحَانَهُ، فَإِنْ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ.

صفات الراسخين في العلم

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، هُمُ الَّذِينَ أَعْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ
الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ، الْإِفْرَارَ بِجُمْلَةٍ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ
الْمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ
عِلْمًا، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفَهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوحًا.

فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ،
فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ.

الخلق دليل الخالق

هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتِ الْأَوْهَامُ لِتَذَرِكَ مُنْقَطِعَ قُدْرَتِهِ، وَحَاوَلَ
الْفِكْرُ الْمُبَرِّأُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ
مَلَكُوتِهِ، وَتَوَلَّهَتْ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِي فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ، وَغَمَضَتْ مَدَاحِلُ
الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ، رَدَعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ
مَهَاوِي سُدْفِ الْغُيُوبِ، مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ، مُعْتَرِفَةً
بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجَوْرِ الْإِغْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ، وَلَا تَحْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرُّوِّيَاتِ
خَاطِرَةً مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ.

الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ، وَلَا مِقْدَارٍ اخْتَدَى عَلَيْهِ، مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ، وَاعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمَسَاكِ قُوَّتِهِ، مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارٍ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، فَظَهَرَتِ الْبَدَائِعُ الَّتِي أَحَدَثَتْهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ، وَأَعْلَامُ حِكْمَتِهِ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ، وَدَلِيلًا عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ خَلْقًا صَامِتًا، فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةً، وَدَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ.

لَم يَعْرِفْكَ مِنْ شَبَّهِكَ

فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَائِنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وَتَلَاخُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَاجَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ، وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبُهُ الْيَقِينَ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتَّبِعِينَ، إِذْ يَقُولُونَ: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ سَوَّيْكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨)﴾^(١).

كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُواكَ بِأَصْنَامِهِمْ، وَنَحَلُواكَ حَلِيَّةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ، وَجَرَّوْكَ تَجَزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ، وَقَدَّرُواكَ عَلَى الْخَلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ، وَإِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ، فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيِّفًا، وَلَا فِي رَوَايَاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُودًا مُصَرِّفًا.

أذعن كل شيء لطاعته

قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ، وَوَجَّهَهُ لَوِجَتِهِ
فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَضِعْبْ
إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتْ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ؟.

الْمُنْشِئُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلَا رَوِيَّةٍ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا، وَلَا قَرِيحَةٍ غَرِيزَةٍ
أَضْمَرَ عَلَيْهَا، وَلَا تَجَرِبَةٍ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَلَا شَرِيكِ أَعَانَهُ
عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذَعَنَ لِطَاعَتِهِ، وَأَجَابَ إِلَى
دَعْوَتِهِ، لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِئِ، وَلَا أَنَاءُ الْمُتَلَكِّي، فَأَقَامَ مِنْ
الْأَشْيَاءِ أَوْدَهَا، وَنَهَجَ حُدُودَهَا، وَلَا عَمَّ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادَّهَا، وَوَصَلَ
أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا، وَفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَالْأَقْدَارِ، وَالْعَرَائِزِ
وَالْهَيْئَاتِ، بَدَايَا خَلَائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا، وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَابْتَدَعَهَا.

السماء وآياتها

وَنَظَّمَ بِلَا تَغْلِيْقٍ رَهَوَاتٍ فُرَجَهَا، وَلَا حَمَّ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا، وَوَشَّجَ
بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَرْوَاجِهَا، وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ،
حُزُونََ مِعْرَاجِهَا.

وَنَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ، فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا، وَفَتَقَ بَعْدَ
الْإِرْتِنَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا، وَأَقَامَ رَصْدًا مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَابِقِ عَلَى نِقَابِهَا،
وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تُمُورَ فِي خَرَقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً
لَأَمْرِهِ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوءَةً مِنْ لَيْلِهَا،

وَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلٍ مَّجْرَاهُمَا، وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا، لِيُمَيِّزَ
بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السَّنِينَ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا.

ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوْهَا فَلَكَّهَا، وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيَّهَا،
وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا، وَرَمَى مُسْتَرْقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهْبِهَا، وَأَجْرَاهَا عَلَى
أَذْلَالٍ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتٍ ثَابِتِهَا، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا، وَهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا،
وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا.

سكان السماوات

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَاوَاتِهِ، وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى مِنْ
مَلَكُوتِهِ، خَلْقًا بَدِيعًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ، وَمَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا، وَحَشَا بِهِمْ
فُتُوقَ أَجْوَانِهَا، وَبَيَّنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجْلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ
الْقُدْسِ، وَسُتْرَاتِ الْحُجُبِ، وَسُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ الَّذِي
تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ، سُبْحَاتِ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا، فَتَقِفُ خَاسِئَةً
عَلَى حُدُودِهَا.

وَأَنْشَأَهُمْ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَاتٍ، وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ، ﴿أَوَّلَى أَجْنَحَةٍ﴾^(١)
تَسْبُحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ، لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ، وَلَا يَدْعُونَ
أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئًا مَعَهُ مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ، ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾^(٢) لَا
يَسْأَلُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ^(٣).

(١) سورة فاطر، الآية: ١.

(٢) سورة الأنبياء، الآيات: ٢٦ - ٢٧.

جَعَلَهُمُ اللَّهُ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ، وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَانِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ، فَمَا مِنْهُمْ زَانِعٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ، وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِحْبَابِ السَّكِينَةِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلُلاً إِلَى تَمَاجِيدِهِ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ.

لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُؤَصِّرَاتُ الْآثَامِ، وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقْبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيْمَانِهِمْ، وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ، وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الْإِحْنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَلَا سَلَبَتْهُمْ الْحَيْرَةُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ، وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ.

أصناف الملائكة

وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْعَمَامِ الدُّلَحِ، وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَخِ، وَفِي قَتَرَةِ الظَّلَامِ الْأَبْهَمِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَائِيَاتٍ بَيِضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَحَارِقِ الْهَوَاءِ، وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَافَةٌ تَحْسِبُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ.

قَدْ اسْتَفْرَعَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ، وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ الْإِيْمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، وَقَطَعَهُمُ الْإِيْقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَهِ إِلَيْهِ، وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ.

قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَشَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَتَمَكَّنَتْ

مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَشَيْجَةِ خَيْفَتِهِ، فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ، وَلَمْ يُنْفِدْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الرُّلْفَةِ رِبْقَ خُشُوعِهِمْ، وَلَمْ يَتَوَلَّهِمُ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ، وَلَا تَرَكَتْ لَهُمْ اسْتِكَانَةُ الْإِجْلَالِ نَصِيبًا فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ، وَلَمْ تَغْضُ رَغَبَاتُهُمْ فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ، وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسْلَاتُ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَا مَلَكَتْهُمْ الْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهِمْسِ الْجَوَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ، وَلَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ، وَلَا تَعْدُو عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بَلَادَةُ الْغَفَلَاتِ، وَلَا تَتَنَصَّلُ فِي هَمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ.

لم يختلفوا في ربهم

قَدْ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمٍ فَاقَتِهِمْ، وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ، لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَرْجِعُ بِهِمْ الْإِسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ، إِلَّا إِلَى مَوَادٍّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ، لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ فَيَنُوتُوا فِي جِدِّهِمْ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمْ الْأَظْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ، وَلَمْ يَسْتَغْظَمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ اسْتَغْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتٍ وَجَلِيلِهِمْ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ، وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ، وَلَا تَشَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيْبِ، وَلَا اقْتَسَمَتْهُمْ أَحْيَافُ الْهَمَمِ، فَهُمْ أَسْرَاءُ إِيْمَانٍ، لَمْ يَفْكُكْهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلَا غُدُورٌ، وَلَا وَنَى وَلَا فُتُورٌ.

وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعٌ إِهَابٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْ سَاحٍ حَافِدٌ، يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً، وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظْماً.

ابتداء خلق الأرض

كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْجَلَةٍ، وَلُجَجِ بَحَارٍ زَاخِرَةٍ، تَلْتَطِمُ أَوَادِي أَمْوَاجِهَا، وَتَضْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتٌ أَثْبَاجِهَا، وَتَرْغُو زَبْداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا، فَخَضَعَ جَمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا، وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكُلِّكَلِهَا، وَذَلَّ مُسْتَخْذِيّاً إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا، فَأَصْبَحَ بَعْدَ اضْطِحَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِياً مَقْهُوراً، وَفِي حَكْمَةِ الذَّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً.

وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ، وَرَدَّتْ مِنْ نَحْوَةِ بَأْوِهِ وَاعْتِلَائِهِ، وَشُمُوحِ أَنْفِهِ وَسُمُومِ غُلَوَائِهِ، وَكَعَمْتِهِ عَلَى كِطَّةِ جَرِيَّتِهِ، فَهَمَدَ بَعْدَ نَزْفَاتِهِ، وَلَبَدَ بَعْدَ زَيْفَانٍ وَتَبَّاتِهِ.

فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْتَافِهَا، وَحَمَلِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ الشُّمَخِ الْبُذَخِ عَلَى أَكْتَافِهَا، فَجَرَ يَنَابِيعِ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أَنْوَفِهَا، وَفَرَّقَهَا فِي سُهوبٍ بِيَدِهَا وَأَخَادِيدِهَا، وَعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَّاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا، وَذَوَاتِ الشَّنَاحِيْبِ الشُّمِّ مِنْ صِيَاحِيْدِهَا، فَسَكَنَتْ مِنَ الْمِيدَانِ لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطْعِ أَدِيمِهَا، وَتَغْلُغْلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جُوبَاتِ خِيَاشِيمِهَا، وَرُكُوبِهَا أَغْنَاقِ سُهُولِ الْأَرْضَيْنِ وَجَرَائِيمِهَا، وَفَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَبَيْنَهَا، وَأَعَدَّ الْهَوَاءَ مُنْتَسِماً لِسَاكِنِهَا، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا.

حكمة الأمطار

ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرْزُ الْأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَائِبِهَا، وَلَا تَجِدُ
جَدَاوِلَ الْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا، حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةً سَحَابٍ تُحْيِي
مَوَاتِنَهَا، وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا، أَلْفَ عَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُحْمِهِ، وَتَبَايُنِ قَرَعِهِ،
حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ، وَالتَّمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفْفِهِ، وَلَمْ يَنْمِ وَيَمِضْهُ
فِي كَنْهَوْرِ رَبَائِهِ، وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ، أَرْسَلَهُ سَحًّا مُتَدَارِكًا، قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ،
تَمْرِيه الْجَنُوبُ دَرَرَ أَهَاضِيهِ، وَدَفَعَ شَائِبِيهِ.

فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرَكَ بَوَائِنِهَا، وَبَعَاغَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعِبَاءِ
الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ، وَمِنْ رُغْرِ الْجِبَالِ
الْأَعْشَابَ، فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا، وَتَزْدَهِي بِمَا أَلْبَسَتْهُ مِنْ رِبِطِ
أَزَاهِيرِهَا، وَحَلِيَةِ مَا سُمِطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا، وَجَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغًا
لِلْأَنَامِ، وَرِزْقًا لِلْأَنْعَامِ، وَخَرَقَ الْفَجَاجَ فِي آفَاقِهَا، وَأَقَامَ الْمَنَارَ لِلْسَّالِكِينَ
عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا...

الأرزاق والآجال

وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا، وَقَسَمَهَا عَلَى الضِّيقِ وَالسَّعَةِ فَعَدَلَ
فِيهَا، لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا، وَلِيُخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ
مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا.

ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتْهَا، وَبِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا، وَبِفُرَجِ
أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا.

وَخَلَقَ الْآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا، وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ
أَسْبَابَهَا، وَجَعَلَهُ خَالِجًا لِأَشْطَانِهَا، وَقَاطِعًا لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا.

عالم السر والنجوى

عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ، وَنَجْوَى الْمُتَخَفِّتِينَ، وَخَوَاطِرِ
رَجَمِ الظُّنُونِ، وَعُقْدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ، وَمَسَارِقِ إِيْمَاضِ الْجُفُونِ، وَمَا
ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ، وَغَيَابَاتُ الْغُيُوبِ، وَمَا أَصْعَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِحُ
الْأَسْمَاعِ، وَمَصَافِي الدَّرِّ، وَمَشَاتِي الْهَوَامِّ، وَرَجَعَ الْحَنِينِ مِنَ الْمُوَلَهَاتِ،
وَهَمَسِ الْأَقْدَامِ، وَمُنْفَسَحِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِحِ غُلْفِ الْأَكْمَامِ، وَمُنْقَمَعِ
الْوُحُوشِ مِنْ غَيْرَانِ الْجِبَالِ وَأَوْدِيَّتِهَا، وَمُخْتَبَأِ الْبُعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الْأَشْجَارِ
وَالْحَيَاتِهَا، وَمَغْرِزِ الْأَوْرَاقِ مِنَ الْأَفْنَانِ، وَمَحْطِّ الْأَمْسَاجِ مِنْ مَسَارِبِ
الْأَصْلَابِ، وَنَاشِئَةِ الْغُيُومِ وَمُتَلَا حِمِهَا، وَدُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي
مُتَرَاكِمِهَا، وَمَا تَسْفِي الْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا، وَتَعْفُو الْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا، وَعَوَمِ
بَنَاتِ الْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ الرَّمَالِ، وَمُسْتَقَرَّ ذَوَاتِ الْأَجْنِحَةِ بِذُرَا شَنَاخِيبِ
الْجِبَالِ، وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دِيَا جِيرِ الْأَوْكَارِ، وَمَا أَوْعَبَتْهُ
الْأَصْدَافُ، وَحَضَنْتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجَ الْبِحَارِ، وَمَا غَشِيَتْهُ سُدُفَةُ لَيْلٍ، أَوْ ذَرَّ
عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ، وَمَا اغْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدِّيَا جِيرِ، وَسُبْحَاتُ النُّورِ،
وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ، وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ، وَرَجَعَ كُلُّ كَلِمَةٍ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةِ،
وَمُسْتَقَرَّ كُلِّ نَسَمَةٍ، وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ، وَهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَةٍ، وَمَا عَلَيْهَا
مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ، أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ، أَوْ قَرَارَةِ نُطْفَةٍ، أَوْ نُقَاعَةِ دَمٍ وَمُضْغَةٍ، أَوْ
نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسُلَالَةٍ.

لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ كُفْلَةٌ، وَلَا اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ، وَلَا اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَتَدَابِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلَالَةٌ وَلَا فِتْرَةٌ، بَلْ نَفَذَهُمْ عِلْمُهُ، وَأَخْصَاهُمْ عَدُّهُ، وَوَسَّعَهُمْ عَذْلُهُ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

كل شيء قائم به^(١)

ومن خطبة له عليه السلام:

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ، غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَفْرَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ، مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ مَاتَ فَلَإِيهِ مُنْقَلَبُهُ.

لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرْ عَنْكَ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ.

لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِيَوْحِشَةٍ، وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ، وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ، وَلَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ، وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ، وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءُكَ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ.

كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ، أَنْتَ الْأَبَدُ فَلَا أَمَدَ لَكَ، وَأَنْتَ الْمُنتَهَى فَلَا مَحِيصَ عَنْكَ، وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ...

الملائكة المقربون

... مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ، هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخَوْفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ.

لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ، وَلَمْ يُضْمَنُوا الْأَرْحَامَ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَلَمْ يَتَشَبَّهُهُمْ رَبُّ الْمُنُونِ.

وإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ، لَحَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَزَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَعَرَفُوا أَنََّّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ.

الأزلي الأبدي^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَبِمُحَدِّثِ خَلْقِهِ عَلَى أَرْزَلِيَّتِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ، لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ، وَلَا تَحْبُبُهُ السَّوَابِرُ، لَا فِتْرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ، وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ.

الْأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلٍ عَدَدٍ، وَالْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ، وَالسَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ، وَالْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ، وَالشَّاهِدِ لَا بِمُمَاسَّةٍ، وَالْبَاطِنِ لَا بِتَرَاحِي مَسَافَةٍ، وَالظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَا، وَالْبَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ.

بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا، وَالْقُدْرَةُ عَلَيْهَا، وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٥٢، والكافي: ج ١ ص ١٢٩ - ١٤٠ باب جوامع التوحيد ح ٥.

مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَرْزَلَهُ،
وَمَنْ قَالَ: كَيْفَ؟ فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ، وَمَنْ قَالَ: أَيْنَ؟ فَقَدْ حَيَّرَهُ.
عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ، وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ.

هو الملك الحق^(١)

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقه الخفاش:
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي انْحَسَرَتِ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ، وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ
الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ.
هُوَ اللَّهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، أَحَقُّ وَأَبْنَى مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ.
لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهًا، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ
فَيَكُونَ مُمَثَّلًا.

خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمَثِيلٍ، وَلَا مَشُورَةٍ مُشِيرٍ، وَلَا مَعُونَةٍ مُعِينٍ، فَتَمَّ
خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَدْعَنَ لِطَاعَتِهِ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ، وَانْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ.

من لطائف الصنعة

وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، وَعَجَائِبِ خَلْقَتِهِ، مَا أَرَانَا مِنْ عَوَامِصِ الْحِكْمَةِ
فِي هَذِهِ الْخَفَافِيشِ، الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَيَسْطِطُّهَا
الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ
الْمُضِيئَةِ نُورًا تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وَتَتَّصِلَ بِعِلَاقَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى
مَعَارِفِهَا، وَرَدَّعَهَا بِتَلَاؤِ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا، وَأَكْنَهَا
فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بُلَجِ اثْتِلَاقِهَا.

فَهِىَ مُسْدَلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا، وَجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سَرَاجاً
تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي النِّمَاسِ أَرْزَاقِهَا، فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ، وَلَا تَمْتَنِعُ
مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِعَسَقِ دُجْنَتِهِ.

فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ
نُورِهَا عَلَى الضُّبَابِ فِي وَجَارِهَا، أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانِ عَلَى مَاقِيَهَا، وَتَبَلَّغَتْ
بِمَ اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظُلْمِ لَيَالِيهَا.

الطائر اللبون

فُسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً، وَالنَّهَارَ سَكناً وَفَرَاراً،
وَجَعَلَ لَهَا أَجْنَحَةً مِنْ لَحْمِهَا، تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيْرَانِ، كَأَنَّهَا
شَطَايَا الْأَذَانِ، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا قَصَبٍ، إِلَّا أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ
بَيِّنَةً أَعْلَاماً، لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَا فَيَنْشَقَّا، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَنْقُلا، تَطِيرُ وَلَدُهَا
لَا صَوْقَ بِهَا، لَا جِيءُ إِلَيْهَا، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ، لَا يُفَارِقُهَا
حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلُهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ، وَيَعْرِفُ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ،
وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ، فُسُبْحَانَ الْبَارِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ .

مخلوقاته دلائل وحدانيته^(١)

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجب خلقه الطاووس :

ابْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ،
وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صُنْعَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، مَا انْقَادَتْ لَهُ

الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةٌ بِهِ، وَمَسْلَمَةٌ لَهُ، وَنَعَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَالُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُورِ الْأَطْيَارِ، الَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَايِدَ الْأَرْضِ، وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا، وَرَوَاسِي أَعْلَامِهَا، مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئَاتِ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ، وَمُرْفَرَفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَحَارِقِ الْجَوِّ الْمُتَنَفِّسِ، وَالْفَضَاءِ الْمُتَفَرِّجِ.

كَوْنَهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُورِ ظَاهِرَةٍ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعَالَةٍ خَلْفَهُ أَنْ يَسْمُوَ فِي الْهَوَاءِ خُفُوفًا، وَجَعَلَهُ يَدْفُ دَفِينًا، وَنَسَقَهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِغِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ، فَمِنْهَا مَعْمُوسٌ فِي قَالِبِ لَوْنٍ لَا يَسُوبُهُ غَيْرُ لَوْنٍ مَا غُمِسَ فِيهِ، وَمِنْهَا مَعْمُوسٌ فِي لَوْنٍ صَبَغٍ قَدْ طُوقَ بِخِلَافٍ مَا صُبَغَ بِهِ.

أعجب الطيور خلقاً

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقًا الطَّاوُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبُهُ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبُهُ.

إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طِيَّهِ، وَسَمَا بِهِ مُطَلًّا عَلَى رَأْسِهِ، كَأَنَّهُ قَلْعُ دَارِيٍّ، عَنَجَهُ نُورِيُّهُ، يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ، وَيَمِيسُ بِزَيْفَانِهِ، يُفْضِي كِافُضَاءِ الدِّيَكَةِ، وَيُورُّ بِمَلَاكِحِهِ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُعْتَلِمَةِ لِلضَّرَابِ.

أَحْبَلُكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُعَايِنَتِهِ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفٍ إِسْنَادَهُ، وَلَوْ كَانَ كَزَعَمٍ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ، فَتَقِفُ فِي صَفَّتِي جُفُونِهِ، وَأَنْ أَنْثَاهُ تَطْعَمُ ذَلِكَ، ثُمَّ تَبْيِضُ لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ، سِوَى الدَّمْعِ

الْمُنْبَجِسِ، لَمَّا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ الْغُرَابِ.

تَحَالَ قَصْبُهُ مَدَارِي مِنْ فِضَّةٍ، وَمَا أُنبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ
وَشُمُوسِهِ، خَالِصَ الْعَقْيَانِ، وَفَلَذَ الزَّبْرَجَدِ.

فَإِنْ شَبَّهْتُهُ بِمَا أُنبِتَتِ الْأَرْضُ قُلْتُ: جَنِّي جُنِّي مِنْ زَهْرَةٍ كُلِّ رَبِيعٍ.

وَإِنْ ضَاهَيْتُهُ بِالْمَلَأْسِ فَهُوَ كَمَوْشَى الْحَلَلِ، أَوْ كَمُونِقٍ عَصَبِ الْيَمَنِ.

وَإِنْ شَاكَلْتُهُ بِالْحُلِيِّ، فَهُوَ كَفُصُوصِ ذَاتِ الْوَانِ، قَدْ نُطِقَتْ بِاللُّجَيْنِ
الْمُكَلَّلِ.

يَمْشِي مَشْيَ الْمَرْحِ الْمُحْتَالِ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنْبَهُ وَجَنَاحِيهِ، فَيَقْهَقُهُ ضَاحِكاً
لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ، وَأَصَابِيغِ وَشَاحِهِ.

قوائمه الطاووس

فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ، زَقَا مُعَوِلاً بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبَيِّنُ عَنِ
اسْتِغَاثَتِهِ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمَشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ
الْخِلَاسِيَّةِ، وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنُوبِ سَاقِهِ صِصِيَّةٌ خَفِيَّةٌ.

وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزَعَةٌ خَضْرَاءُ مُوْشَاءُ.

وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالْإِبْرِيْقِ، وَمَعْرِزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصَبْغِ الْوَسِمَةِ
الْيَمَانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرَاةَ ذَاتِ صَقَالٍ، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفَعٌ بِمِعْجَرِ
أَسْحَمٍ، إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ، وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ، أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ
مُمْتَرِجَةٌ بِهِ.

وَمَعَ فَتَقِ سَمْعِهِ خَطَّ كُمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ، فِي لَوْنِ الْأَقْحَوَانِ أَبْيَضُ يَقَقُ،
فَهُوَ بَيَاضُهُ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ.

وَقَلَّ صَبْغُ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ،
وَبَصِيصِ دِيْبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ.

فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمُبْثُوثَةِ، لَمْ تُرَبَّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ، وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ.

وَقَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيْشِهِ، وَيَعْرِى مِنْ لِبَاسِهِ، فَيَسْقُطُ تَتَرَى، وَيَنْبُتُ
تَبَاعاً، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصْبِهِ انْحِتَاتُ أَوْرَاقِ الْأَغْصَانِ، ثُمَّ يَتَلَحَّقُ نَامِياً حَتَّى
يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ، لَا يُخَالِفُ سَالِفَ الْوَانِهِ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ
مَكَانِهِ.

خالق المجرة والذرة

وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصْبِهِ، أَرَنْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً
خُضْرَةً زَبْرَجْدِيَّةً، وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً، فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هَذَا
عَمَائِقِ الْفِطَنِ، أَوْ تَبْلُغَهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَظِمُّ وَصْفَهُ أَقْوَالُ
الْوَاصِفِينَ، وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامُ أَنْ تُدْرِكَهُ، وَالْأَلْسِنَةُ أَنْ تَصِفَهُ؟
فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقِ جَلَّاهُ لِلْعُيُونِ، فَأَدْرَكَتْهُ
مَحْدُوداً مَكُوناً، وَمُؤَلِّفاً مُلَوَّناً، وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ، وَقَعَدَ
بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ.

وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ وَالْهَمْجَةِ، إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ
الْحَيَاتَانِ وَالْفَيْلَةِ، وَوَأَى عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ، مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ

إِلَّا وَجَعَلَ الْحِمَامَ مُوعِدَهُ، وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ^(١).

دل حدوث خلقه على قدمه^(٢)

ومن خطبة له عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ، وَلَا تَرَاهُ
التَّوَاطُرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاوِرُ.

الدَّالُّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ،
وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ.

الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي
خَلْقِهِ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ.

مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَرْزَاقِهِ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى
قُدْرَتِهِ، وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ.

وَاحِدٌ لَا يَعْدُدُ، وَدَائِمٌ لَا يَأْمَدُ، وَقَائِمٌ لَا يَبْعَدُ.

تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرَةٍ، وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَا بِمُحَاضَرَةٍ، لَمْ
تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا.

(١) قال السيد الرضي: يُورُّ بِمَلَاقِحِهِ الْأَر: كناية عن النكاح، يقال: أَرَّ الْمَرْأَةُ يَأُورُّهَا أَي: نَكَحَهَا. وقوله: كَأَنَّهُ قُلْعٌ دَارِيٌّ، عَنَجَةٌ نُوتِيَّةُ الْقَلْع: شراع السفينة، وداري: منسوب إلى دارين، وهي بلدة على البحر، يجلب منها الطيب، وعنجه: أي عطفه، يقال: عنجت الناقة. كنصرت. أَعْنَجَهَا عَنَجًا، إِذَا عَطَفْتُهَا، وَالنُّوتِي: الْمَلَّاح. وقوله: ضَفَّتَنِي جُفُونُهُ أَرَاد: جانبي جفونه، والضفتان: الجانبان. وقوله: وَلِلذِّبْرِ الْجَدِ الْفَلْدُ جَمْعُ فَلْدَةٍ وَهِيَ: الْقِطْعَةُ. (٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٨٥، والاحتجاج: ج ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ احتجابه فيما يتعلق بتوحيد الله، وأعلام الدين: ص ٦٧ ومن خطبة له في التوحيد.

لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النَّهَائَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجَسِّمًا، وَلَا بِذِي عِظَمٍ
تَنَاهَتْ بِهِ الْعَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجَسِّدًا، بَلْ كَبُرَ شَأْنًا، وَعَظُمَ سُلْطَانًا.

الرسول المصطفى ﷺ

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ، وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ ﷺ، أَرْسَلَهُ
بُجُوبِ الْحُجَجِ، وَظُهُورِ الْفَلَجِ، وَإِضَاحِ الْمُنْهَجِ.

فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعًا بِهَا، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالًّا عَلَيْهَا، وَأَقَامَ
أَعْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ، وَمَنَارَ الضِّيَاءِ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ الْإِسْلَامِ مَتِينَةً، وَغَرَى
الْإِيمَانَ وَثِيقَةً.

فاطر النملة والنحلة

منها في صفة خلق أصناف من الحيوانات :

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ،
وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةً، وَالْبَصَائِرَ مَذْخُولَةً.

أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وَأَثَقَنَ تَرْكِيبَهُ،
وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ؟

انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صَغَرِ جُثَّتِهَا، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ
الْبَصَرِ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكْرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وَصَبَّتْ عَلَى
رِزْقِهَا، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا، تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا
لِيَرُدَّهَا، وَفِي وَرْدِهَا لِصَدْرِهَا؟

مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِهَا، لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَانُ، وَلَا يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ، وَلَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ، وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ.

وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا، فِي عُلوِّهَا وَسُفْلِهَا، وَمَا فِي الْجَوِّ مِنْ شَرَّاسِيفِ بَطْنِهَا، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا.

فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا، لَمْ يَشْرِكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يُعِنْهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ.

وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ، مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ، هُوَ فَاطِرُ النَّحْلَةِ، لِذَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ، وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ، وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ، وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ، فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءً.

إله الأرض والسماء

وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ، وَالرِّبَاحُ وَالْمَاءُ، فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ، وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ، وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ، وَطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ، وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللَّغَاتِ، وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ.

فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدَّرَ، وَجَحَدَ الْمُدَبَّرَ، زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، وَلَا لِاخْتِلَافِ صُورِهِمْ صَانِعٌ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا، وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ؟ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ؟

خلقة الجراد

وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ، وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ، وَجَعَلَ لَهَا الْحَسَّ الْقَوِيَّ، وَنَابِئِينَ بِهِمَا تَقْرِضُ، وَمُنْجَلِينَ بِهِمَا تَقْضُ. يَرْهَبُهَا الرُّزَّاعُ فِي ذَرْعِهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا، وَتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا، وَخَلَقَهَا كُلَّهُ لَا يُكُونُ إِضْبَعًا مُسْتَدَقَّةً.

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا، وَيُعْفِرُ لَهُ خَدًّا وَوَجْهًا، وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْمًا وَضَعْفًا، وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفًا.

فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ، أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفْسِ، وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى وَالْيَبَسِ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا، وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا، فَهَذَا غُرَابٌ وَهَذَا عُقَابٌ، وَهَذَا حَمَامٌ وَهَذَا نَعَامٌ، دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ، وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ.

وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثَّقَالَ فَأَهْظَلَ دِيَمَهَا، وَعَدَّدَ قِسَمَهَا، فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا.

أمره قضاء وحكمة^(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمٍ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ.

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي،
حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وَأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ، وَأَفْضَلَ الْحَمْدِ
عِنْدَكَ، حَمْدًا يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ، حَمْدًا لَا يُحْجِبُ عَنْكَ،
وَلَا يُقْصِرُ دُونَكَ، حَمْدًا لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، وَلَا يَقْنَى مَدَدُهُ.

فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ، إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ
وَلَا نَوْمٌ، لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أَذْرَكَتِ الْأَبْصَارَ،
وَأَخْصَيْتِ الْأَعْمَالَ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ.

وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَنَعَجِبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ
سُلْطَانِكَ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَانْتَهَتْ عُقُولُنَا
دُونَهُ، وَحَالَتْ سُتُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ.

فَمَنْ فَرَعَ قَلْبَهُ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ؟ وَكَيْفَ
ذَرَأْتَ خَلْقَكَ؟ وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ؟ وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ
الْمَاءِ أَرْضَكَ؟ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيرًا، وَعَقْلُهُ مَبْهُورًا، وَسَمْعُهُ وَالْهَاءُ، وَفِكْرُهُ
حَائِرًا.

الرجاء الصادق

يَدْعِي بِرَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ، كَذَبَ وَالْعَظِيمِ، مَا بَالُهُ لَا يَتَّبِعُنْ رَجَاؤُهُ
فِي عَمَلِهِ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عَرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ، وَكُلُّ رَجَاءٍ إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ
تَعَالَى فَإِنَّهُ مَذْخُولٌ، وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ، إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ، يَرْجُو
اللَّهُ فِي الْكَبِيرِ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي

الرَّبِّ، فَمَا بَالُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصِّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بِهِ لِعِبَادِهِ؟

أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِبًا، أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ
مَوْضِعًا؟

وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا مِنْ عَيْدِهِ، أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي
رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْدًا، وَخَوْفُهُ مِنْ خَالِقِهِ ضِمَارًا وَوَعْدًا.

وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ، آثَرَهَا عَلَى
اللَّهِ تَعَالَى، فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا، وَصَارَ عَبْدًا لَهَا.

قريب لا بالتصاق، وبعيد لا بافتراق^(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ، وَسَاطِحِ الْمِهَادِ، وَمُسِيلِ الْوَهَادِ، وَمُخْصِبِ
النَّجَادِ، لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ، هُوَ الْأَوَّلُ وَلَمْ يَزَلْ،
وَالْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ، خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ، وَوَحَدَتْهُ الشِّفَاهُ.

حَدَّ الْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا، إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبْهَتِهَا، لَا تُقَدَّرُهُ الْأَوْهَامُ
بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدَوَاتِ.

لَا يُقَالُ لَهُ: «مَتَى؟» وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بـ «حَتَّى».

الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ: «مِمَّ؟» وَالْبَاطِنُ لَا يُقَالُ: «فِيمَ؟».

لَا شَبَحٌ فَيُتَقَضَّى، وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُحَوَّى.

لَمْ يَفْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالتَّصَاقِ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقِ.

وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ، وَلَا كُرُورُ لَفْظَةٍ، وَلَا
ازْدِلَافُ رَبْوَةٍ، وَلَا انْبِسَاطُ خُطْوَةٍ، فِي لَيْلٍ دَاجٍ، وَلَا عَسَقٍ سَاجٍ، يَتَفَيَّأُ
عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ الثَّوْرِ، فِي الْأُقُولِ وَالْكُرُورِ،
وَتَقْلِبُ الْأَرْمَنَةِ وَالذُّهُورِ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ.

قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ، وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ، تَعَالَى عَمَّا يَنْحُلُهُ الْمُحَدِّدُونَ
مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ، وَنِهَايَاتِ الْأَقْطَارِ، وَتَأْتِلِ الْمَسَاكِينِ، وَتَمَكِّنِ
الْأَمَاكِينِ، فَالْحَدُّ لِحَلْقِهِ مَضْرُوبٌ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنُشُوبٌ.

ابتدع الخلق ابتداءً

لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَصُولٍ أَرْلِيَّةٍ، وَلَا مِنْ أَوَائِلٍ أَبَدِيَّةٍ، بَلْ خَلَقَ مَا
خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ، وَصَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ، لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ، وَلَا لَهُ
بِطَاعَةٍ شَيْءٌ انْتِفَاعٌ، عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ، كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ،
وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى.

المحدود لا يتناول اللامحدود

أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ، فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ،
وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ، بُدِئْتَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، وَوُضِعْتَ فِي قَرَارٍ
مَكِينٍ، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ، تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِينًا، لَا
تُجِيرُ دُعَاءٌ، وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءٌ، ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقْرَكٍ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا،
وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا.

فَمَنْ هَذَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ، وَعَرَفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ
مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ؟

هَيْهَاتَ إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ وَالْأَدَوَاتِ، فَهُوَ عَنْ
صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ، وَمَنْ تَنَاولَهُ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ.

تدركه القلوب ولا تدركه الأبصار^(١)

ومن كلام له عليه السلام وقد سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربك يا
أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرى؟ فقال: وكيف تراه؟ فقال:
لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعَيَانِ، وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ
الْإِيمَانِ، قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ مَلَايَسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرِ مُبَايِنٍ، مُتَكَلِّمٌ لَا
بِرُوءِيَّةٍ، مُرِيدٌ لَا بِهَمَّةٍ، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ، لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ
لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَةِ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرَّقَّةِ،
تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ.

ما وحده من كيفه^(٢)

ومن خطبة له عليه السلام في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم
ما لا تجمعه خطبة.

مَا وَحَدَهُ مِنْ كَيْفِهِ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مِنْ مَثَلِهِ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ
شَبَّهَهُ، وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٧٩)، والكافي: ج ١ ص ١٣٨ - ١٣٩ باب جوامع التوحيد ح ٤،
والأمالي للصدوق: ص ٣٤١ - ٣٤٥ المجلس ٥٥ ح ١.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٨٦)، وأعلام الدين: ص ٥٩ - ٦٢ ومن خطبة له في التوحيد.

كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ، وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُودٌ.
 فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ، مُقَدَّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ، غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ.
 لَا تَضَحِبُهُ الْأَوْقَاتُ، وَلَا تَرْفِدُهُ الْأَدَوَاتُ، سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ،
 وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ، وَالْإِبْتَدَاءَ أَرْزَلُهُ.
 بِتَشْعِيرِهِ الْمَسَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ، وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ
 أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ.
 ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ، وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ، وَالْجُمُودَ بِالْبَلَلِ، وَالْحُرُورَ
 بِالصَّرْدِ، مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا، مُقَرَّبٌ بَيْنَ
 مُتَبَاعِدَاتِهَا، مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا.
 لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ، وَلَا يُحَسَبُ بِعَدٍّ، وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ
 إِلَى نَظَائِرِهَا، مَنَعَتْهَا «مُنْذُ» الْقَدَمِيَّةُ، وَحَمَتْهَا «قَدْ» الْأَزَلِيَّةُ،
 وَجَنَّبَتْهَا «لَوْلَا» التَّكْمِلَةُ، بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ، وَبِهَا ائْتَمَعَ عَنِ نَظَرِ
 الْعُيُونِ.

لا يجري عليه السكون والحركة

وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ، وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ،
 وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثُهُ؟
 إِذَا لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ، وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ، وَلَا مَتْنَعَ مِنَ الْأَرْزَالِ مَعْنَاهُ، وَلَكَانَ لَهُ
 وَرَاءُ إِذْ وَجَدَ لَهُ أَمَامٌ، وَلَا لَتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ.
 وَإِذَا لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ.

وَحَرَجَ بِسُلْطَانِ الْإِمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ فِي غَيْرِهِ، الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأَقُولُ، لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً، جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ، وَظَهَرَ عَنِ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ.

لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتُقَدَّرُهُ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرُهُ، وَلَا تُذَرِّكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسُّهُ، وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسُّهُ.

لا يتغير بحال

وَلَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ، وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي الْأَحْوَالِ، وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظُّلَامُ، وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ، وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ، وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ.

وَلَا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ، وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتُقْلَهُ أَوْ تُهْوِيهِ، أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيَمِيلُهُ أَوْ يُعَدِّلُهُ، لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ، وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ.

يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ، وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ، يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ، يَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ، يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ، يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنُهُ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١)، لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ، وَلَا بِبِنْدَاءٍ يُسْمَعُ، وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمَثَلُهُ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِناً، وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلَهاً ثَانِياً.

لا تجري عليه الصفات المحدثات

لَا يُقَالُ: كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، فَتَجْرِي عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ، وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَضْلٌ، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِي الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ، وَيَتَكَافَأُ الْمُبْدِئُ وَالْبَدِيعُ.

خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ.

وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِعَالٍ، وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ، وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوْدِ وَالْإِعْوَاجِ، وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالْإِنْفِرَاجِ.

أَرْسَى أَوْتَادَهَا، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا، وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا، وَخَدَّدَ أَوْدِيَّتَهَا، فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ.

هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فِعْلُهُ، وَلَا يَقُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيْسَبِقُهُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقُهُ.

خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ، لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ، فَتَمْتَنِعُ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ، وَلَا كُفَاءَ لَهُ فَيُكَافِئُهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيَسَاوِيهِ، هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَقْقُودِهَا.

فناء الدنيا بعد ابتداعها

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا، بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا، وَكَيْفَ وَلَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا، مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَسَائِمِهَا، وَأَصْنَافِ أَسْنَاحِهَا وَأَجْنَاسِهَا، وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا، عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرْتَ عَلَى إِحْدَاثِهَا، وَلَا عَرَفْتَ كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى إِيجَادِهَا، وَلَتَحَيَّرْتَ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ، وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً، عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ، مُقَرَّرَةٌ بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا، مُدْعِنَةٌ بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا.

عندما تنتهي الدنيا

وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ، كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا، بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ، وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ، عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَالُ وَالْأَوْقَاتُ، وَزَالَتِ السُّنُونُ وَالسَّاعَاتُ، فَلَا شَيْءَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.

الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ، بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا، وَبِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَائُهَا، وَلَوْ قَدَرْتَ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا.

لَمْ يَتَكَاذَبْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ، وَلَمْ يُوْذِهِ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَبَرَأَهُ، وَلَمْ يُكُونْهَا لِشَدِيدِ سُلْطَانٍ، وَلَا لِحَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ، وَلَا لِإِسْتِعَانَةٍ بِهَا عَلَى نِدِّ مُكَاتِرٍ، وَلَا لِإِلْخِرَازٍ بِهَا مِنْ ضِدِّ مُثَاوِرٍ، وَلَا لِإِزْدِيَادٍ بِهَا فِي مُلْكِهِ، وَلَا لِمُكَاتَرَةٍ شَرِيكَ فِي شَرِكِهِ، وَلَا لِيَوْحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا.

ثُمَّ هُوَ يُغْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا، لَا لِسَامٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا،
وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ، وَلَا لِثِقَلٍ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ.

لَا يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا، فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا
بِلُطْفِهِ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ، وَأَتَقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ.

إعادة الحياة بعد إفنائها

ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا، وَلَا اسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا
عَلَيْهَا، وَلَا لَانْصِرَافٍ مِنْ حَالٍ وَخَشَةِ إِلَى حَالٍ اسْتِثْنَائِيٍّ، وَلَا مِنْ حَالٍ
جَهْلٍ وَعَمَى إِلَى حَالٍ عِلْمٍ وَتِمَاسٍ، وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنَى وَكَثْرَةٍ،
وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ.

من بدائع صنعته تعالى^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) :

وَكَانَ مِنْ اقْتِدَارِ جَبْرُوتِهِ، وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صُنْعَتِهِ، أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ
الْبَحْرِ الزَّائِرِ، الْمُتَرَكِمِ الْمُتَقَاصِفِ، يَبَسًا جَامِدًا، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقًا،
فَفَتَّقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ ارْتِنَاقِهَا، فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ، وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ.

وَأَرَسَى أَرْضًا يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُتَعَنِّجُ، وَالْقَمَقَامُ الْمُسَخَّرُ، قَدْ ذَلَّ
لِأَمْرِهِ وَأَذَعْنَ لِهَيْبَتِهِ، وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِحَشِيَّتِهِ، وَجَبَلَ جَلَامِيدَهَا،
وَنُشُوزَ مُتُونِهَا وَأَطْوَادَهَا، فَأَرَسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا، وَأَلَزَمَهَا قَرَارَاتِهَا،

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١١)، وبحار الأنوار: ج ٥٤ ص ٣٨ - ٣٩ ب ١ تحقيق في دفع
شبهة ح ١٥.

فَمَضَتْ رُؤُوسَهَا فِي الْهَوَاءِ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ.

فَأَنهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا،
وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا، فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا، وَأَطَالَ أَنْشَارَهَا، وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ
عِمَادًا، وَأَرْزَهَا فِيهَا أَوْتَادًا، فَسَكَنْتَ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، أَوْ
تَسِيخَ بِحِمْلِهَا، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا.

فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوْجَانِ مِيَاهِهَا، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةٍ
أَكْنَفِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَادًا، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشًا، فَوْقَ بَحْرِ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ
لَا يَجْرِي، وَقَائِمٍ لَا يَسْرِي، تُكْرِكُهُ الرِّيَّاحُ الْعَوَاصِفُ، وَتَمْخِضُهُ الْعَمَامُ
الذَّوَارِفُ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْشَى﴾^(١).

الواحد لا من عدد^(٢)

ومن خطبة له عليه السلام :

الحمد لله الذي لا من شيء كان، ولا من شيء كَوْنٌ ما قد كان،
مستشهد بحدوث الأشياء على أزلّيته، وبما وسمها به من العجز على
قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه.

لم يخلُ منه مكان فيُدرك بأينّيته، ولا له شَبَهٌ مثال فيوصف بكيفيّته،
ولم يرغب عن علمه شيء فيُعلم بحيثّيته.

مباين لجميع ما أحدث في الصفات، وممتنع عن الإدراك بما ابتدع

(١) سورة النازعات، الآية: ٢٦.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ٥ - ١٤، عن كتاب التوحيد للصدوق: ص ٥١
ح ٢٥، ورواه عيون أخبار الرضا: ص ٩٩ ح ١٥، وقريباً منه العقد الفريد: ج ٤ ص ١٣٠.

من تصريف الذوات، وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرف الحالات، محرم على بوارع ثاقبات الفطن تحديده، وعلى عوامق ثاقبات الفكر تكييفه، وعلى غوائص سابحات الفطر تصويره.

لا تحويه الأماكن لعظمته، ولا تذرعه المقادير لجلاله، ولا تقطعه المقاييس لكبريائه. ممتنع عن الأوهام أن تكتننه، وعن الأفهام أن تستغرقه، وعن الأذهان أن تمثله.

وقد يئس من استنباط الإحاطة به طوامح العقول، ونضبت عن الإشارة إليه بالاكتهاء بحار العلوم، ورجعت بالصغر عن السمو إلى وصف قدرته لطائف الخصوم.

واحد لا من عدد، ودائم لا بأمد، وقائم لا بعمد.

ليس بجنس فتعادل الأجناس، ولا بشيخ فتضارعه الأشباح، ولا كالأشياء فيقع عليه الصفات.

خضعت له الصعاب

قد ضلّت العقول في تيار أمواج إدراكه، وتحيرت الأوهام عن إحاطة ذكر أزليته، وحصرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته، وغرقت الأذهان في لجج أفلاك ملكوته.

مقتدر بالآلاء، وممتنع بالكبرياء، ومتملك على الأشياء، فلا دهر يخلقه، ولا وصف يحيط به.

قد خضعت له رواتب الصعاب في محل تخوم قرارها، وأذعنت له رواصن الأسباب في منتهى شواهد أقطارها.

مستشهد بكلية الأجناس على ربوبيته، وبعجزها على قدرته، وبفطورها على قدمته، وبزوالها على بقائه، فلا محيص عن إدراكه إياها، ولا خروج عن إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولا امتناع من قدرته عليها.

كفى باتقان الصنع لها آيةً، وبمرگب الطبع عليها دلالةً، وبحدوث الفطر عليها قدمةً، وبإحكام الصنعة لها عبرة، فلا إليه حدّ منسوب، ولا له مثل مضروب، ولا شيء عنه محجوب، تعالى عن ضرب الأمثال والصفات المخلوقة علواً كبيراً.

توحد بصنع الأشياء^(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

الحمد لله الذي توحد بصنع الأشياء، وفطر أجناس البرايا، على غير مثال سبقه في إنشائها، ولا إعانة معين على ابتدائها، بل ابتدعها بلطف قدرته، فامتثلت خاضعة لمشيئته، مستحدثة لأمره، فهو الواحد الأحد، الدائم بغير حدّ ولا أمد، ولا زوال ولا نفاد، وكذلك لم يزل ولا يزال.

لا تغيّره الأزمنة، ولا تحيط به الأمكنة، ولا تبلغ صفاته الألسنة، ولا تأخذه نوم ولا سنة.

لم تره العيون فتخبر عنه برؤيته، ولم تهجم عليه العقول فيتوهم كنه صفته، ولم تدّر كيف هو إلّا بما أخبر عن نفسه، ليس لقضائه مردّ، ولا لقوله مكذب.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٣ ص ٦٣ - ٨١ الخطبة رقم (١٧)، عن إثبات الوصية:

ابتدع الأشياء بغير تفكير، وخلقها بلا ظهير ولا وزير، فطرها بقدرته، وصيّرَها بمشيئته، وصاغ أشباحها، وبرأ أرواحها، واستنبت أجناسها، خلقاً مبروءاً مذروءاً في أفطار السماوات والأرضين، لم يأت بشيء على غير ما أراد أن يأتي عليه، ليرى عباده آيات جلاله وآلائه، فسبحانه لا إله إلا هو الواحد القهار، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً...

أنت الفعّال لما تشاء

فتعاليت يا ربّ، لقد لطف علمك، وجلّت قدرتك عن التقسير، إلّا بما دعوت إليه من الإقرار بربوبيّتك.

وأشهد أنّ الأعين لا تدركك، والأوهام لا تلحقك، والعقول لا تصفك، والمكان لا يسعك، وكيف يسع المكان من خلقه وكان قبله؟ أم كيف تدركه الأوهام ولا نهاية له ولا غاية؟! وكيف يكون له نهاية وغاية، وهو الذي ابتدأ الغايات والنهايات؟ أم كيف تدركه العقول، ولم يجعل لها سبيلاً إلى إدراكه؟ وكيف يكون لها سبيل إلى إدراكه وقد لطف عن المحاسّة والمجاسّة؟ وكيف لا يلطف عنهما من لا ينتقل عن حال إلى حال، وقد جعل الانتقال نقصاً وزوالاً؟.

فسبحانك ملأت كلّ شيء، وباينت كلّ شيء، فأنت الذي لا يُفقدك شيء، وأنت الفعّال لما تشاء تباركت وتعاليت.

يا من كلّ مدرّك من خلقه، وكلّ محدود من صنعه، أنت الذي لا تستغني عنك المكان والزّمان، ولا نعرفك إلّا بانفرادك بالوحدانيّة والقدرة...

الإقرار بعظمة الله

فأنا يا الهي وسيدي ومولاي المقرّ لك، بأنّك الفرد الذي لا يَنازَع ولا يَغالب، ولا يجادل ولا يشارك، سبحانهك سبحانهك لا إله إلا أنت.

ما لعقلٍ مولود، وفهم معقود - مدحوّ من ظهر، مزيج بمحيض لحم وعلق، دُرء إلى فُضالة الحيض، وعُلالات الطعم، وشاركتة الأسقام، والتحفت عليه الآلام، ولا يمتنع من قِيل، ولا يقدر على فعل، ضعيف التركيب والبُنية، ما له والاقتحام على قدرتك؟ والهجوم على إرادتك؟ وتفتيش ما لا يعلمه غيرك؟!

بصائر كشفت عنها الأغطية

سبحانك أيّ عَيْن تَصَب نورك، وترقى إلى ضياء قدرتك؟ وأيّ فهم يفهم ما دون ذلك؟ إلاّ بصائر كشفت عنها الأغطية، وهتكت عنها الحجب العميّة، وفرقت أرواحها إلى أطراف أجنحة الأرواح، فتأملوا أنوار بهائك، ونظروا من مرتقى التربة إلى مستوى كبريائك، فسَمّاهم أهل الملكوت زوّاراً، ودعاهم أهل الجبروت أغماراً!.

فسبحانك يا من ليس في البحار قطرات، ولا في متون الأرض جنات، ولا في رِجاج الرياح حركات، ولا في قلوب العباد خطرات، ولا في الأبصار لمحات، ولا على متون السحاب نفحات، إلاّ وهي في قدرتك متحيّرات!

أما السماء فتُخبر عن عجائبك، وأما الأرض فتدلّ على مدائنك، وأما الرياح فتُنشر فوائدك، وأما السحاب فتَهطل مواهبك، وكلّ ذلك يحدث بتحنُّنك، ويخبر أفهام العارفين بشفقتك.

هو كائن بلا كينونة^(١)

جاء رجل من اليهود إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، متى كان ربنا عز وجل؟ فقال له عليه السلام: يا يهودي، لم يكن ربنا جلّ وعز فكان، وإنما يقال: متى كان لشيء لم يكن فكان، هو كائن بلا كينونة، كائن لم يزل، ليس له قبل، فهو قبل وقبل الغاية، انقطعت الغايات عنده، فهو غاية كل غاية.

لا حول ولا قوة إلا بالله ومعناها^(٢)

سأله رجل عن تفسير: لا حول ولا قوة إلا بالله؟ فقال عليه السلام في جوابه ما يلي:

تفسيرها: إنا لا نملك مع الله شيئاً، ولا نملك من دونه شيئاً، ولا نملك إلا ما ملكتنا ممّا هو أملك به.

فمتى ملكتنا ما هو أملك به كلّفنا، ومتى أخذ منّا وضع عنا ما كلّفنا.

إن الله عزّ اسمه أمرنا مختبراً، ونهانا تحذيراً، وأعطانا على قليل كثيراً.

لن يُطاع ربنا مُكرهاً، ولن يُعصى مغلوباً.

هو السلام ودينه الإسلام^(٣)

ومن كلام له عليه السلام في جواب عبادة بن قيس الذي سأله عن الإيمان والإسلام.

(١) دستور معالم الحكم: ص ١٠٩ ب ٥ جوابه عن سؤال يهودي.

(٢) دستور معالم الحكم: ص ١١٠ ب ٥ جوابه في تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله.

(٣) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم، للقاضي القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ هجرية: ص ١١٤ - ١١٩ ب ٥ جوابه عن سؤال عباد بن قيس في الإيمان.

إن الله جلّ ثناؤه ابتدأ الأمور بعلمه فيها، واصطفى لنفسه ما شاء، واستخلص ما أحبّ.

فكان ما أحبّ: أنّه اختار الإسلام، فجعله ديناً لعباده، اشتقّه من اسمه، لأنّه السلام ودينه الإسلام، الذي ارتضاه لنفسه، فنحله من أحبّ من خلقه، ثمّ شرفه فسهّل شرائعه لمن ورده، وعزّز أركانه على من حاربه، هيهات من أن يظلمه مظلّم.

جعل له عزّاً لمن والاه، وسلماً لمن دخله، وهدي لمن اتّمسّ به، ونوراً لمن استضاء به، وبرهاناً لمن تمسّك به، وزينة لمن تجلّله، وعوناً لمن انتحله، وشرفاً لمن عرفه، وحجّة لمن نطق به، وشاهداً لمن خاصم به، وفُلجاً لمن حاجّ به، وعِلماً لمن وعاه، وفهماً لمن رواه، وحكماً لمن قضى به، ولباً لمن تدبره، ويقيناً لمن عقله، وفهماً لمن تفتنّ به، وعبرة لمن اتّعظ به، وحبلاً وثيقاً لمن تعلّق به، ونجاة لمن صدّق به، ومودة لمن أصلح، وزلفى لمن اقترب، وراحة لمن فوّض، ولباساً لمن اتّقى، وكيفية لمن آمن، وأمناً لمن أسلم، وروحاً للصادقين.

الإسلام اصل الحق

فالإسلام أصل الحق، والحقّ سبيل الهدى، وصَفقته الحسنى، ومأثرته المجد، فهو أبلغ المنهج، نير السراج، مشرق المنار، ذاكي المصباح، رفيع الغاية، يسير المسلك، جامع الحيلة، قديم العدة، متنافس السبقة، أليم النعمة، قصد الصادقين، واضح البرهان، عظيم الشان، كريم الفرسان.

فالإيمان منهاجه، والتقوى عُدّته، والصالحات مناره، والعفة

مصاييحه، والمحبّون فُرسانه، والموت غايته، والدنيا مضماره، والقيامة حَلْبته، والجنّة سبّقته، والنار نَقمته.

فمعتصم السعداء بالإيمان، وخذلان الأشقياء بالعصيان، من بعد إيجاب الحجّة عليهم بالبيان، إذا وضع لهم منار الحقّ، وسبيل الهدى، فتارك الحقّ مشوّهة يوم التغابن خلقته، داحضة حجّته، عند فوز السعداء بالجنّة.

بين الإيمان والتقوى

فبالإيمان يُستدلّ على التقوى، وبالتّقوى يُرهب الموت، وبالموت تُختم الدنيا، وفي الدنيا تُحرز الآخرة، وفي القيامة تُزلف الجنّة، وبالجنّة تكون حسرة أهل النّار، وفي ذكر أهل النار موعظة أهل التقوى، والتقوى غاية لا يهلك من قصدها، ولا يندم من عمل بها، لأنّ بالتّقوى فاز الفائزون، وبالمعصية خسر الخاسرون.

وليذكر أهل التّقوى، فإن الخلق لا مقصر لهم في القيامة دون الوقوف بين يدي الحَكَم العدل، مُرقلين في مضمارها نحو القصبة العليا، إلى الغاية القصوى، مهطعين بأعناقهم نحو داعيها، قد شخصوا من مستقرّ الأجداث والمقابر، إلى ضرورة الأبد لكل أهلها.

قد انقطعت بالأشقياء الأسباب، وأفضوا إلى عذاب شديد العقاب، فلا كَرّة لهم إلى دار الدنيا، وافتقروا من الخيرات، ولم يغن عنهم الذين آثروا طاعتهم على طاعة الكبير المتعال، وفاز السعداء بولاية الإيمان.

الإيمان وأركانه

فالإيمان - يا ابن قيس - على أربعة أركان: الصّبر، واليقين، والعدل، والجهاد.

والصّبر من ذلك على أربعة أركان: على الشوق، والشفقة، والزهد، والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن الحرّمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن ترّقّب الموت سارع في الخيرات.

واليقين من ذلك على أربعة أركان: على تبصرة الفطنة، وموعظة العبرة، وتأويل الحكمة بتبيين العبرة، ومن تبيّن العبرة عرف السنّة، ومن عرف السنّة فكأنّما كان في الأولين، فاهتدى إلى التي هي أقوم.

والعدل من ذلك على أربعة أركان: على غامض الفهم، وغمرة العلم، وزهرة الحُكم، وروضة الحُكم، فمن فهم فسّر جُمْل العلم، ومن علم شرع غرائب الحُكم، ومن شرع غرائب الحُكم دلّته على معادن الحلم فلم يضلّ. من حلّم لم يفرط في أمره، وعاش في النَّاس حميداً.

والجهاد من ذلك على أربعة أركان: على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنّان الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شدّ ظهر المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافقين، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه، ومن شتّى الفاسقين فقد غضب لله جلّ وعزّ، ومن غضب لله جلّ ثناؤه، له ذلك الإيمان يا ابن قيس ودعائمه وأركانه. أفهمت؟

قال: نعم، يا أمير المؤمنين، أرشدك الله فقد أرشدت.

هو الأول والآخر^(١)

فَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بَعْدُ الْهَمَمُ، وَلَا يَنَالُهُ حَدْسُ الْفِطْنِ، الْأَوَّلُ
الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِي، وَلَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقُضِي.

هو الظاهر والباطن^(٢)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ، وَالظَّاهِرِ فَلَا
شَيْءَ فَوْقَهُ، وَالْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ.

هو العلي عن شبه المخلوقين^(٣)

ومن خطبة له (عليه السلام) :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَنِ شَبِّهِ الْمَخْلُوقِينَ، الْعَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ،
الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاطِرِينَ، وَالْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ
الْمُتَوَهِّمِينَ، الْعَالِمِ بِلَا اكْتِسَابٍ وَلَا اِزْدِيَادٍ، وَلَا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ، الْمُقَدِّرِ
لِجَمِيعِ الْأُمُورِ، بِلَا رَوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ.

الَّذِي لَا تَغْشَاهُ الظُّلُمُ، وَلَا يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ، وَلَا يَرْهَقُهُ لَيْلٌ، وَلَا
يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ، لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالْإِبْصَارِ، وَلَا عِلْمُهُ بِالْإِخْبَارِ.

ما يحير مقل العقول^(٤)

ومن خطبة له (عليه السلام) :

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٩٤)، والكافي: ج ١ ص ١٢٤ - ١٣٦ باب جوامع التوحيد ح ١،
والتوحيد: ص ٤١ - ٤٤ ب ٢ ح ٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٩٦)، وبحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٨٠ ب ١١ ح ٩٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١٣).

(٤) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩٥)، وبحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٣١٦ - ٣١٧ ب ١٤ ح ١٥.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ، وَجَلَالَ كِبَرِيَّائِهِ، مَا حَيْرَ مُقَلِّ
الْعُقُولِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ، عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ
صِفَّتِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، شَهَادَةَ إِيْمَانٍ وَإِيْقَانٍ، وَإِخْلَاصٍ وَإِدْعَانٍ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسُهُ، وَمَنَاهِجُ
الدِّينِ طَائِمِسُهُ، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ
بِالْقَصْدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

إنه لم يخلقكم عبثاً

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا، عَلِمَ
مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ، وَأَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ، فَاسْتَفْتَحُوهُ وَاسْتَنْجَحُوهُ،
وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنَحُوهُ، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ، وَلَا أَغْلَقَ عَنْكُمْ دُونَهُ
بَابٌ، وَإِنَّهُ لِكُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ.

لَا يَثْلِمُهُ الْعَطَاءُ، وَلَا يَنْقُصُهُ الْحَبَاءُ، وَلَا يَسْتَنْفِذُهُ سَائِلٌ، وَلَا
يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ، وَلَا يُلَوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ، وَلَا يُلْهِيهِ صَوْتُ عَنْ
صَوْتٍ، وَلَا تَحْجُزُهُ هَبَّةٌ عَنْ سَلْبٍ، وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ، وَلَا
تَوَلَّاهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ، وَلَا يُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ، وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ
عَنِ الْبُطُونِ، قَرُبَ فَنَاءٍ، وَعَلَا فَدْنَا، وَظَهَرَ فَبَطُنَ، وَبَطُنَ فَعَلَنَ، وَدَانَ
وَلَمْ يُدْنِ، لَمْ يَذَرِ الْخَلْقَ بِأَحْتِيَالٍ، وَلَا اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ.

نبويات

آدم عليه السلام بين الماء والطين^(١)

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزَنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذِبَهَا وَسَبَخَهَا، تُرْبَةً سَنَّاها بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلَا طَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَعْخَاءٍ وَوُضُولٍ، وَأَعْضَاءٍ وَفُضُولٍ، أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَضْلَدَهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ، لَوَقَتْ مَعْدُودٍ، وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ.

ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ، فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفَكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ، وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ، مَعْجُونًا بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ.

امتحان الملائكة بالسجود

وَاسْتَأْذَى اللَّهَ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةُ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ،

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم ١. والاحتجاج: ج ١ ص ١٩٨ - ٢٠٨ احتجابه فيما يتعلق بتوحيد الله. ودستور معالم الحكم للقاضي القضاعي: ص ١٥٣ - ١٥٤ ب ٧ من كلامه في التوحيد.

فِي الإِدْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالْخُشُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾^(١) اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشَّقْوَةُ، وَتَعَزَّزَ بِخَلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَهْوَنَ خَلَقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظْرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلْسُّخْطَةِ، وَاسْتَتَمَماً لِلْبَلِيَّةِ، وَانْجَازاً لِلْعِدَّةِ، فَقَالَ: ﴿...إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾^(٢) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾.

ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ ﴿٣٩﴾ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشُهُ، وَأَمِنَ فِيهَا مَحَلَّتُهُ، وَحَذَرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ، فَأَعْتَرَتْهُ عُدُوهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمَقَامِ، وَمُرَافَقَةِ الْأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ، وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَاسْتَبَدَّلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً، وَبِالْإغْتِرَارِ نَدماً، ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَلَقَاهُ كَلِمَةً رَحْمَتِهِ، وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ، وَتَنَاسَلَ الذَّرِّيَّةُ.

الأنبياء من ولد آدم ﷺ

وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَافْتَتَحَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ.

فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْذُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدَرَةِ، مِنْ سَقْفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٣٧ - ٣٨.

مَوْضُوع، وَمَعَايِشُ تُحْيِيهِمْ، وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ.

وَلَمْ يَخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تُقْصَرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقِ سَمِيِّ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَايِرِ عَرَفِهِ مَنْ قَبْلَهُ، عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْأَبَاءُ، وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ.

النبي الخاتم (عليه السلام)

إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) لِإِنْجَازِ عِدَّتِهِ، وَإِتْمَامِ نُبُوتِهِ، مَاخُودًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ، كَرِيمًا مِيلَادُهُ، وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتَّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهِ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ.

ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَامِ الْبُلُوَى، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيمًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

خليفة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): الكتاب والعترة

وَخَلَّفَ (صلى الله عليه وآله وسلم) فِيكُمْ مَا خَلَفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَّمِهَا، إِذْ لَمْ يَنْتَرُكُوهُمْ هَمَلًا، بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلَا عِلْمٍ قَائِمٍ.

كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيَّنًّا حَالَالَهُ وَحَرَامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخْصَهُ وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ

وَمَحْدُودُهُ، وَمُحْكَمُهُ وَمُتَشَابِهُهُ، مُفَسَّرًا مُجْمَلُهُ، وَمُبَيَّنًا غَوَامِضُهُ، بَيْنَ
مَأْخُودِ مِيثَاقِ فِي عِلْمِهِ، وَمَوْسَعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وَبَيْنَ مُثَبَّتِ فِي
الْكِتَابِ قَرَضُهُ، وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ،
وَمُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ، وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ،
وَمُبَايِنٍ بَيْنَ مَحَارِمِهِ، مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانُهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرَصَدَ لَهُ
غُفْرَانُهُ، وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَذْنَاهُ، مُوسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ.

البدء بآدم والختم بالخاتم (١)

فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ، اخْتَارَ آدَمَ ﷺ خَيْرَةً مِنْ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ
أَوَّلَ جِيلَتِهِ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَأَرْغَدَ فِيهَا أَكْلُهُ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَا عَنْهُ،
وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ، وَالْمَخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ.
فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَا عَنْهُ، مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ، فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ،
لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ، وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ.
وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ، مِمَّا يُوَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ، وَيَصِلُ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسِنِ الْخَيْرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ،
وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ، قَرَنًا فَقَرَنًا، حَتَّى تَمَّتْ بِنَيْبِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ حُجَّتُهُ،
وَبَلَغَ الْمَقْطَعُ عَذْرَهُ وَنَذَرَهُ.

النبي ﷺ والدنيا (٢)

من خطبه ﷺ في ذكر النبي ﷺ :

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم ٩١.

(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم (١٠٩).

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ١٠٣

قَدْ حَقَّرَ عليه السلام الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَّاهَا عَنْهُ اخْتِيَارًا، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ اخْتِقَارًا، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا، أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مَقَامًا.

بَلَغَ عليه السلام عَنْ رَبِّهِ مُعْذِرًا، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِرًا، وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّرًا، وَخَوْفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّرًا.

هدف البعثة^(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا عليه السلام بِالْحَقِّ، لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقَرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثَبِّتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. فَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوْفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَكَيْفَ مَحَقَّ مَنْ مَحَقَّ بِالْمَثَلَاتِ، وَاحْتَصَدَ مِنَ احْتَصَدَ بِالنِّقَمَاتِ.

الرسول عليه السلام أسوة^(٢)

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام كَافٍ لَكَ فِي الْأُسْوَةِ، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى دَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا،

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤٧)، والكافي: ج ٨ ص ٣٨٦ - ٣٩١ خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام ح ٥٨٦.

(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم ١٦٠.

وَوُطِّئَتْ لِعَبِيرِهِ أَكْنُافُهَا، وَفُطِمَ عَنْ رِضَاعِهَا، وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا.

موسى الكليم ﷺ

وَإِنْ شِئْتَ تَنَبَّئْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(١)، وَاللَّهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْرًا يَأْكُلُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تَرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، لِهَزَالِهِ وَتَشْدَبِ لَحْمِهِ.

قارئ أهل الجنة

وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ ﷺ صَاحِبِ الْمَرَامِيرِ، وَقَارِيْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجَلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا؟ وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا.

عيسى المسيح ﷺ

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْحَشَنَ، وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرِيحَانُهُ مَا تُنَبِّئُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزَنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفَتُهُ، وَلَا طَمَعٌ يَذُلُّهُ، دَابَّتْهُ رِجَالُهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ.

أحب العباد إلى الله

فَتَأْسَ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَظْهَرِ ﷺ فَإِنَّ فِيهِ أَسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءٌ

لِمَنْ تَعَزَّى، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصِّ لِأَثَرِهِ.

قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا، وَلَمْ يُعْرِهَا طَرْفًا، أَهْضَمَ أَهْلَ الدُّنْيَا كَشْحًا، وَأَحْمَصَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا لِلَّهِ، وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ.

هكذا كان رسول الله ﷺ

وَلَقَدْ كَانَ ﷺ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقُعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَّ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ.

وَيَكُونُ السَّيْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ، فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: يَا فَلَانَةُ - لِإِحْدَى أَزْوَاجِهِ - غَيْبِهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا.

فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا، وَلَا يَعْتَقِدَهَا قَرَارًا، وَلَا يَرْجُو فِيهَا مَقَامًا، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُذَكَّرَ عِنْدَهُ.

التأسي والّا فالهلكة

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا وَغُيُوبِهَا، إِذَا جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ.

فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ بِعَقْلِهِ، أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟

فَإِنْ قَالَ: أَهَانُهُ فَقَدْ كَذَبَ وَاللَّهُ الْعَظِيمُ بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ.

وَإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ،
وَزَوَّاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ.

فَتَأْسَى مُتَأَسِّ بْنِبِيِّهِ، وَاقْتَصَصَ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلَجَهُ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنِ
الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَمًا لِلْسَّاعَةِ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِرًا
بِالْعُقُوبَةِ، خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا حَمِيصًا، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيمًا، لَمْ يَضَعْ حَجَرًا
عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ.

فَمَا أَعْظَمَ مِنْهُ اللَّهُ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ، سَلَفًا نَتَّبِعُهُ، وَقَائِدًا نَطُّأُ
عَقْبَهُ.

وَاللَّهُ لَقَدْ رَفَعْتَ مِذْرَعَتِي هَذِهِ، حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ
لِي قَائِلٌ: أَلَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ؟ فَقُلْتُ: اغْرُبْ عَنِّي، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ
الشَّرَى.

مع سليمان بن داود عليه السلام^(١)

أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، الَّذِي أَلْبَسَكُمْ الرِّيَاشَ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ
الْمَعَاشَ.

فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا، أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا، لَكَانَ
ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عليه السلام، الَّذِي سَخَّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، مَعَ النُّبُوَّةِ
وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ، وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِسْيُ الْفَنَاءِ،

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / ج ١ ١٠٧

بَيْنَالِ الْمَوْتِ، وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَةً، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ.

وإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً، أَيُّنَ الْعَمَالِقَةِ وَأَبْنَاءِ الْعَمَالِقَةِ؟

أَيُّنَ الْفَرَاعِنَةِ وَأَبْنَاءِ الْفَرَاعِنَةِ؟

أَيُّنَ أَصْحَابِ مَدَائِنِ الرَّسِّ، الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ، وَأَطْفَقُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ، وَأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ؟

أَيُّنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ، وَهَزَمُوا بِالْأُلُوفِ، وَعَسَكَرُوا الْعَسَاكِرَ، وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ؟.

إعلان الشهادتين^(١)

وأشهد أن لا إله إلا الله إيماناً بربوبيته، وخلافاً على من أنكره.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المقرّ في خير مستقرّ، المتناسخ من أكارم الأصلاب، ومطهرات الأرحام، المخرج من أكرم المعادن مخْتِداً، وأفضل المنابت منبثاً، من أمتع ذروة وأعزّ أرومة، من الشجرة التي صاغ الله منها أنبياءه، وانتخب منها أمناءه، الطيبة العود، المعتدلة العمود، الباسقة الفروع، الناضرة الغُصون، اليبانة الثمار، الكريمة الحشاء.

في كرم غُرست، وفي حرم أنبتت، وفيه تشعبت وأثمرت، وعزّت وامتنعت، فسمت به وشمخت، حتى أكرمه الله عزّ وجلّ بالروح الأمين،

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ٥ - ١٤، عن كتاب التوحيد للصدوق: ص ٥١ ح ٢٥، ورواه عيون أخبار الرضا: ص ٩٩ ح ١٥، وقريباً منه العقد الفريد: ج ٤ ص ١٣٠.

والنور المبين، والكتاب المستبين، فسخر له البراق، وصافحته الملائكة، وأرعب به الأباليس، وهدم به الأصنام، والآلهة المعبودة دونه.

سنته ﷺ الرشد

سنته الرشد، وسيرته العدل، وحكمه الحق، صدع بما أمره ربه، وبلغ ما حمّله، حتّى أفصح بالتوحيد دعوته، وأظهر في الخلق أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، حتّى خلّصت له الوجدانيّة، وصفت له الربوبيّة، وأظهر الله بالتوحيد حجّته، وأعلى بالإسلام درجته، واختار الله عزّ وجلّ لنبيه ما عنده من الرّوح والدرجة والوسيلة، صلى الله عليه عدد ما صلّى على أنبيائه المرسلين، وآله الطاهرين.

فضل محمّد ﷺ (١)

اللّهم فمن جهل فضل محمّد ﷺ فإنّي مقرّ بأنّك ما سطحت أرضاً، ولا برأت خلقاً، حتّى أحكمت خلقه وأتقنته، من نور سبقت به السّلالة، وأنشأت آدم له جرماً، فأودعته منه قراراً مكيناً، ومستودعاً مأموناً، وأعدته من الشيطان، وحجّبه عن الزيادة والنقصان، وجعلت له الشرف الذي به تسامى عبادك، فأيّ بشر كان مثل آدم - فيما سقت الأخبار وعرفتنا كتبك - في عطاياك؟ أسجدت له ملائكتك، وعرفته ما حجب عنهم من علمك، إذ تناهت به قدرتك، وتمّت فيه مشيتك، دعاك بما أكننت فيه، فأجبتّه إجابة القبول.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ٦٣ - ٨١ الخطبة رقم (١٧)، عن إثبات الوصية: ص ١٠٠ - ١٠٥.

عبر الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة

فلما أذنت - اللهم - في انتقال محمد (صلى الله عليه وآله) من صلب آدم، ألفت بينه وبين زوج خلقتها له سَكَنًا، ووصلت لهما به سببًا، فنقلته من بينهما إلى « شيث » اختياراً له بعلمك، فأَيُّ بشر كان اختصاصه برسالتك؟ ثم نقلته إلى « أنوش » فكان خلف أبيه في قبول كرامتك، واحتمال رسالتك.

ثم قدّرت نقل النور إلى « قينان » وألحقته في الحُظوة بالسابقين، وفي المنحة بالباقيين.

ثم جعلت « مهلائيل » رابع أجرامه، قدّرت أن تودعها من خلقك في من له سهم النبوة وشرف الأبوة، حتّى تنهى تدبيرك إلى « أخنوخ » (أي: إدريس، على نبينا وآله وعليه السلام) فكان أول من جعلت من الأجرام ناقلاً للرسالة، وحاملاً لأعباء النبوة.

اصطفاء إدريس^(١)

سبحانك ما أبين اصطفاؤك لإدريس على سائر خلقك من العالمين، لقد جعلت له دليلاً من كتابك إذ سمّيته ﴿صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٢)، ورفعته ﴿مَكَانًا عَلِيًّا﴾^(٣)، وأنعمت عليه نعمة حرّمتها على خلقك - إلّا من نقلت إليه نور الهاشميين - وجعلته أول منذر من أنبيائك.

ثم أذنت في انتقال نور محمد (صلى الله عليه وآله) - من القابليين له « متوشلخ »

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٢٥ ب ١.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥٦.

(٣) سورة مريم، الآية: ٥٧.

و«لَمَك» المفيضين به - إلى نوح، فأَيَّ آلَاكَ يا رَبِّ لم تَوَلَّه، وأَيَّ خواصِّ كرامتك لم تعطه.

ثمَّ أذنت في إيداعه «ساماً» دون «حام» و «يافث» فضربت لهما بسهم الذلَّة، وجعلت ما أخرجت بينهما لنسل «سَام» حَوَلاً.

اتِّخَاذُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً

ثمَّ تتابع عليه القابلون - من حامل إلى حامل، ومستودع إلى مستودع من عترته، في فترات الدهور - حتى قبله «تَارُخ» أظهر الأجسام، وأشرف الأجرام، ونقلته منه إلى إبراهيم، فأسعدت بذلك جدَّه، وأعظمت به مجده، وقدَّسته في الأصفياء، وسمَّيته دون رسلك خليلاً.

ثمَّ خصصت به إسماعيل دون سائر ولد إبراهيم ﷺ، فأنطقت لسانه بالعربيَّة التي فضَّلَها على سائر اللغات، فلم تزل تنقله [محظوراً] عن الانتقال في كلِّ مقذوف] من أب إلى أب، حتَّى قبله «كَنَانَة» عن «مُدْرَكَة» فأخذت له مجامع الكرامة، ومواطن السلامة، وأحللت له البلدة التي قضيت فيها مخرجه.

أَلَفَ عَيْنَ لِأَجْلِ عَيْنٍ

فسبحانك لا إله إلَّا أنت، أَيْ صلب أسكنته فيه لم ترفع ذكره؟ وأَيَّ نبيٍّ بشر به فلم تتقدَّم في الأسماء اسمه؟ وأَيَّ ساحة من الأرض سلكت به لم يظهر بها قدسه؟ حتَّى الكعبة التي جعلت منها مخرجه، غرست أساسها بياقوتة من جنات عدن، وأمرت الملكين المطهَّرين: جبرئيل وميكائيل، فتوسطا بها أرضك، وسمَّيتها بيتك، واتخذتها معبداً لنبيِّك، وحرمت وحشها وشجرها، وقدَّست حجرها ومدرها!، وجعلتها مسلكاً

لوحيك، ومنسكاً لخلقك، ومأمّن المأكولات، وحجاباً للآكلات العاديات، تُحرّم على أنفسها إذعار من أجزت.

ثمّ أذنت للنظر في قبوله وإيداعه مالكا، ثمّ من بعد مالك فِهراً، ثمّ خصصت من ولد فِهْر غالباً، وجعلت كل من تنقله إليه أميناً لحرمك، حتّى إذا قبله لؤي بن غالب أنّ له حركة تقدّيس، فلم تودعه من بعده صلباً إلاّ جلّته نوراً تأنس به الأبصار، وتطمئنّ إليه القلوب.

الاعتراف بما أنزل الله^(١)

وأنا المقرّ بما أنزلت على ألسن أصفياك.

وإن أبانا آدم (عليه السلام) عند اعتدال نفسه، وفراغك من خلقه، رفع وجهه فواجهه من عرشك رسم فيه: « لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله ». فقال: إلهي من المقرون باسمك؟ فقلت: هو محمّد خير من أخرجته من صلبك، واصطفيته بعدك من ولدك، ولولاه ما خلقتك!

هاشم من خيرة الآباء

فسبحانك لك العلم النافذ، والقدر الغالب، لم تزل الآباء تحمله، والأصلاّب تنقله، كلّما أنزلته ساحة صُلب، جعلت له فيها صنعا، يحثّ العقول على طاعته، ويدعوها إلى متابعتة، حتّى نقلته إلى هاشم، خير آبائه بعد إسماعيل، فأبّ أب وجدّ، ووالد أسرة، ومجتمع عترة، ومخرج طهر، ومرجع فخر، جعلت - يا ربّ - هاشماً؟ لقد أقمته لدن بيتك، وجعلت له المشاعر والمتاجر.

من هاشم إلى عبد المطلب

ثم نقلته من هاشم إلى عبد المطلب، فأنهجه سبيل إبراهيم، وألهمته رشد التأويل، وتفصيل الحق، ووهبت له عبد الله وأبا طالب وحمزة، وفديت في القربان بعبد الله كسميتك في إبراهيم بإسماعيل، ووسمت في أبي طالب في ولده كسميتك في إسحاق، لتقديسك عليهم، وتقديم صفوة لهم، فلقد بلغت - يا إلهي - بني طالب، الدرجة التي رفعت إليها فضلهم في الشرف الذي مددت به أعناقهم، والذكر الذي حليت به أسماءهم، وجعلتهم معدن النور وجنته، وصفوة الدين وذروته، وفريضة الوحي وسنته.

عبد الله والد النبي ﷺ

ثم أذنت لعبد الله في نبذه، عند ميقات تطهير أرضك من كفار الأمم: الذين نسوا عبادتك، وجعلوا معرفتك، واتخذوا لك أنداداً، وجحدوا ربوبيتك، وأنكروا وحدانيتك، وجعلوا لك شركاء وأولاداً، وصَبَّوْا إلى عبادة الأوثان، وطاعة الشيطان.

الله ينصر نبيه بثلاثة

فدعاك نبينا (صلوات الله عليه) لنصرته، فنصرته بي وبجعفر وحمزة، فنحن الذين اخترتنا له، وسميتنا في دينك - لدعوتك - أنصاراً لنبيك، قائدنا إلى الجنة وخيرتك وشاهدنا.

أنت - رب السماوات والأرضين - جعلتنا ثلاثة ما نصب له عزيز إلا أذلته بنا، ولا ملك إلا طحطحته بنا، ﴿أَشَدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾^(١)، وصفتنا يا ربنا بذلك، وأنزلت فينا قرآناً، جلّيت به عن

وجوهنا الظلم، وأرهبت بصولتنا الأمم.

إذا جاهد محمد رسولك عدواً لدينك تلوذ به أسرته، وتحفّ به عترته، كأنهم النجوم الزاهرة إذا توسّطهم القمر المنير ليلة تمّه!

فصلواتك على محمد عبدك ونيك وصفيك وخيرتك وآله الطاهرين.

أيّ منيعة لم تهدمها دعوته؟ وأيّ فضيلة لم تنلها عترته؟ جعلتهم خير أئمة أخرجت للناس، يأمرّون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويجاهدون في سبيلك، ويتواصون بدينك، تشهد لهم وملائكتك أنهم باعوك أنفسهم، وابتذلوا من هيبتك أبدانهم [كذا] شعثة رؤوسهم، تربةً وجوههم، تكاد الأرض من طهارتهم أن تقبضهم إليها! ومن فضلهم أن تميد بمن عليها، رفعت شأنهم بتحريم أنجاس المطاعم والمشارب، فأيّ شرف يا ربّ جعلته في محمد وعترته؟!

الله يتوفّى نبيّه عليه السلام (١)

فتوفّى الله محمداً عليه السلام سعيداً شهيداً، هادياً مهدياً، قائماً بما استكفاه، حافظاً لما استرعاه، تمّم به الدين، وأوضح به اليقين، وأقرّت العقول بدلالته، وأبان به حجج أنبيائه، فاندفع الباطل زاهقاً، ووضح العدل ناطقاً، وعطل مظانّ الشيطان، وأوضح الحقّ والبرهان. اللهمّ فاجعل فواضل صلواتك، ونوامي بركاتك، ورأفتك ورحمتك، على محمد نبيّ الرحمة، وعلى أهل بيته الطاهرين.

بين موسى عليه السلام وفرعون (٢)

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٣٢ ب ١.

(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة (١٩٢).

فِرْعَوْنَ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارُ الصُّوفِ، وَيَأْيِدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ، وَدَوَامَ عِزِّهِ، فَقَالَ: أَلَا تَعْجُبُونَ مِنْ هَذَيْنِ، يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ، وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ؟.

إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ، وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذُّهْبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِيقَانِ، وَمَعَارِسَ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَخْشَرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ، وَوُحُوشَ الْأَرْضِينَ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَّا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُتَبَتِّلِينَ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتْ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا.

وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى، وَخَصَاصَةً تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَدًى.

لماذا الأنبياء ﷺ من ضعفة الناس؟

وَلَوْ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلُ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ، وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوُهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ، لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْإِعْتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْإِسْتِكْبَارِ، وَلَا مَنُوعَ عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتْ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً.

وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصَدِيقُ بِكُتُبِهِ،

وَالْخُشُوعُ لَوَجْهِهِ، وَالْإِسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالْإِسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ، أُمُورًا لَهُ خَاصَّةٌ، لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ، وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبُلُوى وَالْإِخْتِبَارُ أَعْظَمَ، كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ.

في ظل الأنبياء والأوصياء^(١)

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلُفَّتَهُمْ، كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، وَالتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِيقِينَ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِيهِينَ.

مع المَلَأ من قريش^(٢)

وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ عليه السلام لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا، لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا، إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَا، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ.

فَقَالَ عليه السلام: وَمَا تَسْأَلُونَ؟

قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا، وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ.

فَقَالَ عليه السلام: إِنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة (١٩٢).

(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة (١٩٢).

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: فَإِنِّي سَأَرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيؤُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْ يُحْزَبُ الْأَحْزَابِ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ، إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَانْقَلِعِي بِعُرْوَتِكَ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ.

فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، لَأَنْقَلَعَتْ بِعُرْوَتِهَا، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وَقَصَفٌ كَقَصَفِ أَجْنَحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُرْفَرَفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبَبَعُضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ، قَالُوا - عُلُوءًا وَاسْتِكْبَارًا -: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا، وَيَبْقَ نِصْفُهَا.

فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ، وَأَشَدِّ دَوِيًّا، فَكَادَتْ تَلْتَفُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

فَقَالُوا - كُفْرًا وَعُتُوًّا -: فَمُرْ هَذَا النَّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ.

فَأَمَرَهُ ﷺ فَرَجَعَ.

فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، تَصْديقًا بِنُبُوتِكَ، وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / ج ١ ١١٧

فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السَّحْرِ، خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا، يَعْزُونَنِي.

النبي الخاتم (عليه السلام) وعترته (١)

فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقْرَهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ، إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ، كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ، قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللَّهِ خَلَفٌ.

حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ (عليه السلام)، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنِيَّةً، وَأَعَزَّ الْأَرْوَاحَ مَغْرَساً، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءُهُ، وَانْتَجَبَ مِنْهَا أَمَنَاءُهُ.

عِزَّتُهُ (عليه السلام) خَيْرُ الْعِزِّ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأَسْرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتْ فِي حَرَمٍ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ، وَثَمَرٌ لَا يُنَالُ.

فَهُوَ (عليه السلام) إِمَامٌ مَنِ اتَّقَى، وَبَصِيرَةٌ مَنِ اهْتَدَى، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ، سِيرَتُهُ الْقَضْدُ، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ، وَكَلَامُهُ الْفَضْلُ، وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ، أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ، وَعَبَاوَةٍ مِنَ الْأُمَمِ.

البعثة النبوية الشريفة (٢)

ومن خطبة له (عليه السلام) :

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٩٤)، والكافي: ج ١ ص ١٢٤ - ١٢٦ باب جوامع التوحيد ح ١، والتوحيد: ص ٤١ - ٤٤ ب ٢ ح ٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٩٥)، وبحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢١٩ ب ١ ح ٥١.

بَعَثَهُ ﷺ وَالنَّاسُ ضَلَالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدْ اسْتَهْوَتْهُمْ
الْأَهْوَاءُ، وَاسْتَرْزَلَتْهُمْ الْكِبْرِيَاءُ، وَاسْتَحَفَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ، حَيَارَى فِي
زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ.

فَبَالَغَ ﷺ فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.

النبي ﷺ مجمع الفضائل والمكارم^(١)

مُسْتَقَرُّهُ ﷺ خَيْرٌ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبَتُهُ أَشْرَفُ مَنْبَتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ،
وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ، قَدْ صُرِفَتْ نَحْوُهُ أَفِيدَةُ الْأَبْرَارِ، وَنُيِّتَ إِلَيْهِ أَرْمَةُ
الْأَبْصَارِ.

دَفَنَ اللَّهُ بِهِ الضَّعَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ، أَلْفَ بِهِ إِخْوَانًا، وَفَرَّقَ بِهِ
أَقْرَانًا، أَعَزَّ بِهِ الدَّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ، كَلَّمَهُ بَيَانٌ، وَصَمَّمَهُ لِسَانٌ.

في عصر البعثة^(٢)

ومن خطبة له عليه السلام :

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ
يَقْرَأُ كِتَابًا، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً، وَلَا وَحْيًا، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ عَصَاهُ،
يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ، وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ، يَحْسِرُ الْكَاسِرُ،
وَيَقِفُ الْكَاسِرُ، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتُهُ، إِلَّا هَالِكًا لَا خَيْرَ فِيهِ، حَتَّى
أَرَاهُمْ مَنْجَاتُهُمْ، وَبَوَاهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رِحَاهُمْ، وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٩٦)، وبحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٨٠ ب ١١ ح ٩٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٠٤)، والإرشاد: ج ١ ص ٢٤٨.

لقد كنت من ساققتها

وَإِيْمُ اللّٰهِ، لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقِيْهَا، حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيْرِهَا، وَاسْتَوَسَقَتْ فِي قِيَادِهَا، مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ، وَلَا خُنْتُ، وَلَا وَهَنْتُ.

وَإِيْمُ اللّٰهِ، لَا بُقْرَنَ الْبَاطِلَ، حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ.

الإسلام نور^(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ، فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسَلَمًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ، وَنُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّسَ، وَتَبَصَّرَةَ لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجَنَّةً لِمَنْ صَبَرَ.

فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ، وَأَوْضَحُ الْوَلَائِحِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُشْرِقُ الْجَوَادِّ، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ الْمِضْمَارِ، رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ الْحَلَبَةِ، مُتَنَافِسُ السُّبُقَةِ، شَرِيفُ الْفُرْسَانِ، التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ، وَالْدُّنْيَا مِضْمَارُهُ، وَالْقِيَامَةُ حَلَبَتُهُ، وَالْجَنَّةُ سُبُقَتُهُ.

رسول الرحمة عليه السلام

حَتَّى أَوْرَى قَبْسًا لِقَابِسٍ، وَأَنَارَ عِلْمًا لِحَابِسٍ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيتُكَ نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٠٦)، والكافي: ج ٢ ص ٤٩ - ٥٠ ح ١، وكتاب سليم بن قيس:

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَمًا مِنْ عَذْلِكَ، وَاجْزِهِ مُضَعَّفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ.
اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزْلَهُ، وَشَرَّفْ عِنْدَكَ
مَنْزِلَهُ، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ، وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، غَيْرَ
خَزَايَا وَلَا نَادِمِينَ، وَلَا نَاكِيبِينَ وَلَا نَاكِثِينَ، وَلَا ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ، وَلَا
مُفْتُونِينَ.

الأمة إذا لم تغضب لله

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ، وَتُوصَلُ
بِهَا جِيرَانُكُمْ، وَيُعَظَّمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ،
وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةً.

وَقَدْ تَرَوْنَ عُهْدَ اللَّهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَّ، وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمِّ آبَائِكُمْ
تَأْنِفُونَ، وَكَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرْدٌ، وَعَنْكُمْ تَصُدُّرٌ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ،
فَمَكَّنْتُمُ الظُّلْمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ، وَأَلْقَيْتُمُ إِلَيْهِمْ أَرْمَتَكُمْ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي
أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ فَرَّقَ بَيْنَكُمْ
تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ، لَجَمَعَكُمْ اللَّهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ.

أرسله على حين فطرة^(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

أَرْسَلَهُ ﷺ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ،
وَأَنْقَاضٍ مِنَ الْمُبَرَمِ، فَجَاءَهُمْ بِتَضَدِّيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنُّورِ الْمُفْتَدَى

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٥٨)، والكافي: ج ٨ ص ١٧٣ - ١٧٦ خطبة لأمير المؤمنين

بِهِ، ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أَخْبِرْكُمْ عَنْهُ: أَلَا إِنَّ فِيهِ
عِلْمَ مَا يَأْتِي، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظَمَ مَا بَيْنَكُمْ.

بعثته (عليه السلام) النور المضيء^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) :

ابْتَعَثَهُ (عليه السلام) بِالنُّورِ الْمُضِيِّ، وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي،
وَالْكِتَابِ الْهَادِي.

أُسْرَتْهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَشَجَرَتْهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ، أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وَثِمَارُهَا
مُتَهَدِّلَةٌ، مَوْلَدُهُ بِمَكَّةَ، وَهَجَرَتْهُ بِطَبِيعَةٍ، عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ، وَامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ.

أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ.

أَظْهَرَ بِهِ (عليه السلام) الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَ بِهِ
الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ.

فَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا تَتَحَقَّقُ شِقْوَتُهُ، وَتَنْقَصِمَ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمَ
كَبُوتُهُ، وَيَكُنْ مَأْبَهُ إِلَى الْحُزَنِ الطَّوِيلِ، وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ.

وَأَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلَ الْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَأَسْتَرْشِدْهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى
جَنَّتِهِ، الْفَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغَبَتِهِ.

أوصيكم بتقوى الله

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَدًا، وَالْمَنْجَاةُ
أَبَدًا.

رَهَّبَ (عليه السلام) فَأَبْلَغَ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ، وَوَصَفَ لَكُمْ الدُّنْيَا وَانْقِطَاعَهَا،

وَرَوَّالَهَا وَانْتَقَالَهَا، فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا، لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا،
أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، فَعُضُّوا عَنْكُمْ عِبَادَ
اللَّهِ غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا، لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا،
فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ، وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ، وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ
مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ، قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ
وَأَسْمَاعُهُمْ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَانْقَطَعَ سُورُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ، فَبَدَّلُوا
بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقْدَهَا، وَبِصُحْبَةِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا.

لَا يَتَفَاحَرُونَ وَلَا يَتَنَاسَلُونَ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ وَلَا يَتَحَاوَرُونَ.

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ حَذَرَ الْعَالِبِ لِنَفْسِهِ، الْمَانِعِ لَشَهْوَتِهِ، النَّاطِرِ بِعَقْلِهِ،
فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ، وَالْعِلْمَ قَائِمٌ، وَالطَّرِيقَ جَدِّدٌ، وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ.

أرسله ﷺ بالضياء^(١)

أَرْسَلَهُ ﷺ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِي الْأَصْطِفَاءِ، فَرَتَّقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ، وَسَاوَرَ
بِهِ الْمُغَالِبَ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونََ، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ
عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ.

ألف به القلوب^(٢)

ومن خطبة له ﷺ خطبها بذى قار، وهو متوجه إلى البصرة، ذكرها
الواقدي في كتاب الجمل:

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١٣)، وبحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٢٥ ب ١ ح ٦٦.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٣١)، والاحتجاج: ص ١٦١ - ١٦٢ احتجاج أمير المؤمنين
على الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، والجمل للشيخ المفيد: ص ٢٦٧ - ٢٦٨
خطبة أخرى لأمير المؤمنين بذى قار.

فَصَدَعَ عليه السلام بِمَا أُمِرَ بِهِ، وَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ، فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ، وَرَتَّقَ بِهِ الْفَتْقَ، وَأَلَّفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ، بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ، وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ.

في رثاء النبي عليه السلام (١)

ومن كلام له عليه السلام قاله وهو يلي غسل رسول الله عليه السلام وتجهيزه :
بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقُطِعْ بِمَوْتِ
غَيْرِكَ، مِنَ النَّبُوءَةِ وَالْإِنْبَاءِ، وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ، خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسْلِيًّا
عَمَّنْ سِوَاكَ، وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً.

وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ، لَأَنْفَقْنَا عَلَيْكَ مَاءَ
الشُّوْنِ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا، وَالْكَمَدُ مُحَالِفًا، وَقَلَّا لَكَ، وَلَكِنَّهُ مَا لَا
يُمْلِكُ رَدُّهُ، وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ.

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ.

أرحم الناس بالناس (٢)

ومن كلام له عليه السلام في صفة النبي عليه السلام :

لم يكن حبيبي رسول الله عليه السلام بالطويل الذاهب طولاً، ولا بالقصير
المرتدّد، كان فوق الرِّبْعَةِ، أبيض اللون، مُشْرَبَ الحَمْرَةِ، جَعْدًا ليس
بالقطط، يَفْرِقُ شَعْرَتَهُ إِلَى أُذُنِهِ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٣٥)، والأمالى للمفيد: ص ١٠٢ - ١٠٣ المجلس ١٢ ح ٤.
(٢) مستدرک نهج البلاغة للحمودي: ج ١ ص ٧٤ - ٧٩ الخطبة رقم (١٧)، عن كتاب تاريخ
ابن عساکر، ورواه أيضاً في الرياض النضرة: ص ٢٢٧.

وكان حبيبي محمد ﷺ صلت الجبين، واضح الخدين، أدعج العين، دقيق المسربة، برّاق الثنايا، أقى الأنف، عنقه كأنما إبريق فضة، كأن الذهب يجري في تراقيه.

وكان لحبيبي محمد ﷺ شعرات من لبته إلى سرته، كأنهن قضيب مسك أسود، ولم يكن في جسده ولا صدره شعرات غيرهن، متن كتفيه كدارة القمر ليلة البدر، مكتوب فيه بالنور سطران: السطر الأعلى: لا إله إلا الله، وفي السطر الأسفل: محمد رسول الله.

وكان حبيبي محمد ﷺ شين الكف والقدم، إذا مضى كأنما يتقلع من صخر، وإذا انحدر كأنما ينحدر من صَبَب، وإذا التفت التفت بمجامع بدنه، وإذا قام غمر الناس، وإذا قعد علا على الناس، وإذا تكلم نصت له الناس، وإذا خطب بكى الناس.

وكان حبيبي محمد ﷺ أرجع [أرحم] الناس بالناس، كان لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزوج الكريم.

لم يكن مثله ولا مثل أهل بيته

وكان محمد ﷺ أشجع الناس قلباً، وأبذلهم كفاً، وأصبحهم وجهاً، وأطيبهم ريحاً، وأكرمهم حسباً، لم يكن مثله ولا مثل أهل بيته في الأولين والآخرين.

كان لباسه العباء، وطعامه خبز الشعير، ووسادته الأذم محشوة بليف النخل، وسريه أم غيلان مُرملاً بالشريط.

كان لمحمد ﷺ عمامتان: إحداهما تدعى السحاب، والأخرى العُقاب، وكان سيفه ذا الفقار، ورايته العُبراء (الغراء)، وناقته العُضباء، وبغلته دُلْدُل، وحماره يعفور، وفرسه مرتَجَز، وشأته بركة، وقضيبه

الممشوق، ولواؤه الحمد، وإدامه اللبن، وقدره الدِّبَا، وتحيته الشكر.
يا أهل الكتاب كان حبيبي محمد عليه السلام يعقل البعير، ويعلف
الناضح، ويحلب الشاة، ويرقع الثوب، ويخسف النعل.

مدخل رسول الله عليه السلام ^(١)

ومن كلام له عليه السلام في وصف خلق رسول الله عليه السلام وسيرته، قال
للحسين عليه السلام :

كان دخول رسول الله عليه السلام لنفسه مأذوناً له في ذلك، فإذا آوى إلى
منزله جزء دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه، ثم
جزء جزأه بينه وبين الناس، فيردُّ ذلك بالخاصة على العامة، ولا يدخر
عنهم منه شيئاً.

وكان من سيرته عليه السلام في جزء الأمة: إثارة أهل الفضل بإذنه، وقسمه
على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين،
ومنهم ذو الحوائج، فيتشأغل بهم ويشغلهم في ما أصلحهم وأصلح
الأمة، من مسألته عنهم، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: ليبلغ
الشاهد منكم الغائب، ويقول: أبلغوني حاجة من لا يقدر على إبلاغ
حاجته، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يقدر على إبلاغها، ثبت الله
قدميه يوم القيامة. ولا يُذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره.

يدخلون رُوداً - ولا يفترون إلا عن ذواق - ويخرجون أدلة فقهاء.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ٩٧ الخطبة رقم (٢٠)، عن كتاب عيون أخبار
الرضا: ج ١ ص ٣١٧ - ٣١٩ ب ٢٩ ح ١، ورواه أنساب الأشراف: ج ١ ص ٢٨٦، ودلائل
النبوة: ص ٥٥٤.

مخرج رسول الله ﷺ

قال الحسين عليه السلام : فسألته عن مخرج رسول الله ﷺ كيف كان يصنع فيه؟.

فقال : كان رسول الله ﷺ يَخْزَن لسانه إلا مما يَعْنِيهِ ، وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلَا يَفَرِّقُهُمْ [يَنْفَرُهُمْ].

وكان يُكْرِم كريم كل قوم ويؤْلِيه عليهم.

وكان يُحَذِّر الناس ، ويحترس منهم من غير أن يطويَ عن أحدٍ بَشْرَهُ وَلَا خُلُقَهُ ، ويتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما في الناس ، وَيُحَسِّن الحسن وَيُقَوِّيه ، وَيُقَبِّح القبيح وَيُهَوِّنُهُ.

معتدل الأمر غير مختلف.

لَا يَغْفُل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا.

وكان لكل حال عنده عَتَاد.

وكان لَا يَقْصُر عن الحق وَلَا يجوزه .

وكان الذين يلونه من الناس خيارهم.

وكان أفضلهم عنده أعمّهم نصيحة للمسلمين ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة لهم.

مجلس رسول الله ﷺ

قال : فسألته عن مجلسه ﷺ .

فقال : كان رسول الله ﷺ لَا يجلس وَلَا يقوم إِلَّا على ذكر الله جل

اسمه ، وَلَا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها ، وإذا انتهى إلى قوم جلس

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ١٢٧

حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه منه، حتى لا يحسب مَنْ جالسه أن أحداً أكرم عليه منه.

من جالسه [أو قاومه في حاجة] صابره، حتى يكون هو المنصرف عنه.

مَنْ سألَه حاجة لم يرجع إلا بها، أو بميسور من القول.

قد وسع الناس منه خُلُقَه وصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحق سواءً.

مجلسه مجلس حلم وحياء، وصدق وأمانة، لا تُرفع فيه الأصوات، ولا يوهن فيه الحُرَم، ولا تُنثى فلتاته، [ترى جلساؤه] متعادلين، متواصلين فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جلسائه

قال الحسين عليه السلام: فقلت: فكيف كانت سيرته صلى الله عليه وآله وسلم في جلسائه؟

فقال: كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فحاش، ولا عيَّاب ولا مدّاح، يتغافل عما لا يشتهي، فلا يؤس منه راجيه، ولا يُخيِّب فيه مؤمليه.

قد ترك نفسه من ثلاث: من المراء، والإكثار، وما لا يعنيه.

وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يُعيّره، ولا يطلب عثراته ولا غورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه.

إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكّت

تكلّموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه.

ويصبر للغريب على الجفوة في مسأله ومنطقه، حتى أن كان أصحابه ليستجلبونهم، وكان يقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأرفدوه، وكان لا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد كلامه حتى يجوز، فيقطعه بنهي أو قيام.

سكوت رسول الله ﷺ

قال الحسين عليه السلام: فسأله عن سكوت رسول الله ﷺ؟

قال: وكان سكوت رسول الله ﷺ على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكير.

فأما التقدير ففي تسوية النظر، والاستماع بين الناس.

وأما تفكيره ففيما يبقى أو يفنى.

وجمع له الحلم في الصبر، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزّه.

وجمع له الحذر في أربع:

أخذه بالحسن ليقتدى به.

وتركه القبيح ليُنْتَهَى عنه.

واجتهاده الرأي في صلاح أمته.

والقيام فيما جمع لهم خير الدنيا والآخرة.

ولائيات

النبي ﷺ وأهل بيته (١)

ومنها: يعني آل النبي (عليهم الصلاة والسلام).

هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ، وَكُھُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبَالُ دِينِهِ، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءُ ظَهْرِهِ، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ.

لا يقاس بآل محمد ﷺ أحد (٢)

ومنها: يعني قوماً آخرين.

زَرَعُوا الْفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ، وَحَصَّدُوا الثُّبُورَ، لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا.

هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْعَالِي، وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ، الْآنَ إِذْ

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم (٢).

(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم (٢).

رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، وَنُقِلَ إِلَى مُتَقَلِّهِ.

أهل البيت عليه السلام (١)

نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحْطُ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَبِنَايِعُ الْحُكْمِ، نَاصِرُنَا وَمُجِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَعَدُوَّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ.

معرفة أهل البيت عليه السلام (٢)

قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، وَلَمَعَ لَامِعٌ، وَلَاحَ لَاحِظٌ، وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ، وَاسْتَبَدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا، وَبِيَوْمٍ يَوْمًا، وَانْتَظَرْنَا الْغَيْرَ انْتَظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرِ.

وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُورَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلَامَةٍ، وَجَمَاعُ كَرَامَةٍ، أَصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُجَهُ، وَبَيَّنَّ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ، وَبَاطِنِ حُكْمٍ، لَا تَقْنَى غَرَائِبُهُ، وَلَا تَقْضِي عَجَائِبُهُ، فِيهِ مَرَايِعُ النِّعَمِ، وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ، لَا تَفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمِفَاتِيحِهِ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ، قَدْ أَحْمَى جَمَاهُ، وَأَرْعَى مَرْعَاهُ، فِيهِ شِفَاءُ الْمُسْتَشْفِي، وَكِفَايَةُ الْمُكْتَئِبِ.

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم (١٠٩).

(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم (١٥٢).

المنكرين لأهل البيت عليهم السلام (١)

وَهُوَ فِي مُهَلَّةٍ مِنَ اللَّهِ، يَهْوِي مَعَ الْعَافِلِينَ، وَيَعْدُو مَعَ الْمُذْنِبِينَ، بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ.

من أوصاف المهدي (عج) (٢)

قَدْ لَبَسَ لِلْحِكْمَةِ جُنتَهَا، وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدْبِهَا، مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا، فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّةٌ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا، فَهُوَ مُعْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ، وَضُرِبَ بِعَسِيبِ ذَنْبِهِ، وَالْأَصَقُ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ، بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ.

بثت لكم المواعظ

ثم قال عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثْتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ، الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَّمَهُمْ، وَأَدَيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا، لِلَّهِ أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَّأُ بِكُمْ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ؟

أين إخواني؟

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا، وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ، وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى، بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى.

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم ١٥٣.

(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم ١٨٢.

مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفَكْتَ دِمَاؤَهُمْ وَهُمْ بِصِفِّينَ، أَلَّا يَكُونُوا الْيَوْمَ
أَحْيَاءَ، يُسَيِّغُونَ الْعُصَصَ، وَيَشْرَبُونَ الرَّنَقَ؟ قَدْ وَاللَّهِ، لَقُوا اللَّهَ فَوْقَاهُمْ
أُجُورَهُمْ، وَأَحْلَهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ.

أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضُوا عَلَى الْحَقِّ؟
أَيْنَ عَمَّارٌ؟

وَأَيْنَ ابْنُ التَّيَّهَانِ؟

وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟

وَأَيْنَ نَظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وَأُبْرِدَ
بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ؟

قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ، فَأَطَالَ الْبُكَاءَ، ثُمَّ
قَالَ ﷺ: أَوْهَ عَلَى إِخْوَانِي، الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفُرْصَ
فَأَقَامُوهُ، أَحْيَاؤُا السُّنَّةَ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَقُّوْا
بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ.

ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: الْجِهَادَ، الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ، أَلَّا وَإِنِّي مُعْسِكِرٌ
فِي يَوْمِي هَذَا، فَمَنْ أَرَادَ الرِّوَاحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيُخْرِجْ.

قَالَ نَوْفٌ: وَعَقَدَ لِلْحُسَيْنِ ﷺ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، وَلِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ
فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، وَلِأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، وَلِغَيْرِهِمْ عَلَى
أَعْدَادٍ أُخَرَ، وَهُوَ يُرِيدُ الرَّجْعَةَ إِلَى صِفِّينَ، فَمَا دَارَتْ الْجُمُعَةُ حَتَّى ضَرَبَهُ
الْمُلْعُونُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللَّهُ، فَتَرَا جَعَتِ الْعَسَاكِرُ، فَكُنَّا كَأَغْنَامٍ فَقَدَتْ
رَاعِيَهَا، تَحْتَطِفُهَا الذَّنَابُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ^(١)

فوالله لأقولنّ قولاً لا يطيق أن يقوله أحد من خلقك :

أنا علّم الهدى، وكهف التقى، ومحلّ السخاء، وبحر الندى، وطود النهى، ومعدن العلم، والنور في ظلم الدّجى، وخير من أمر واتقى، وأكمل من تَقَمَّص وارتدى، وأفضل من شهد النجوى بعد النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله)، وما أزكي نفسي، ولكن أحدث بنعمة ربّي.

أنا صاحب القبلتين، وحامل الرايتين، فهل يوازي بي أحد؟

وأنا أبو السبطين، فهل يساوي بي بشر؟

وأنا زوج خير النّسوان، فهل يفوقني رجل؟.

أنا القمر الزاهر - بالعلم الذي علّمني ربّي - والفرات الزاخر، أشبهت من القمر نوره وبهاؤه، ومن الفرات بذله وسخاؤه.

أيها الناس، بنا أنار الله السبل، وأقام الميل، وعُبد الله في أرضه، وتناهت إليه معرفة خلقه، وقدّس الله جلّ وتعالى ببلاغنا الألسن، وابتهلت بدعوتنا الأذهان.

عِترَةُ نبيكم (صلى الله عليه وآله): ألسنة الصدق^(٢)

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ وَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ؟ وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ، وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يُنَاهِ بِكُمْ؟ وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِترَةُ نبيكم؟ وَهُمْ أَرْزَمَةُ الْحَقِّ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ، وَالْأَلْسِنَةُ الصّٰدِقِ، فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدِّوهُمْ وَرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٣٢ ب ١.

(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة (٨٧).

أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ﷺ: «إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ، فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ، وَاعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ وَهُوَ أَنَا.

أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ، وَأَتْرَكُ فِيكُمْ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ، قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْبَسْتُكُمْ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي، وَفَرَشْتُكُمْ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَأَرَيْتُكُمْ كَرَامَةَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي، فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ، وَلَا تَتَغَلَّغُلْ إِلَيْهِ الْفِكْرُ».

بنو أمية إلى زوال

حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ تَمْنَحُهُمْ دَرَهَا، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ، بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ، يَتَطَعُمُونَهَا بُرْهَةً ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً.

أمرنا صعب مستصعب^(١)

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَلَا يَبْعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَخْلَامٌ رَزِينَةٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَايِمِهَا، وَتَذْهَبُ بِأَخْلَامِ قَوْمِهَا.

موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١)

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصَّغَرِ بِكَلاَئِلِ الْعَرَبِ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةٍ وَمُضَرَ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِصَةِ.

وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ، يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيَمْسُئِي جَسَدَهُ، وَيُشْمُنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَعُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ.

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل الرسالة

وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ.

وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحُرَّاءَ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ وَاحِدٍ يَوْمِيذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وَخَدِيجَةَ وَأَنَا تَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ.

حين نزل الوحي

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ (صلى الله عليه وآله وسلم)، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ

تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ،
وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ.

من مواصفات أئمة أهل البيت عليهم السلام (١)

وَإِنِّي لِمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، سِيَمَاهُمْ سِيَمَا
الصَّادِقِينَ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ، عُمَارُ اللَّيْلِ، وَمَنَارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ
بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يُحْيُونَ سُنَنَ اللَّهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْلُونَ،
وَلَا يَعْلُونَ وَلَا يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجَنَانِ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ.

بنا اهتديتم في الظلماء (٢)

ومن خطبة له عليه السلام :

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلُمَاءِ، وَتَسَنَّمْتُمْ ذُرْوَةَ الْعُلْيَاءِ، وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنْ
السَّرَارِ، وَقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ، وَكَيْفَ يُرَاعِي النِّبَاءَ مَنْ أَصَمَّتْهُ
الصَّيْحَةُ؟ رُبُّ طَبْعٍ لَمْ يَفَارِقْهُ الْحَقَّقَانُ.

مَا زِلْتُ أُنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُعْتَرِّينَ، حَتَّى
سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ، وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النَّبِيِّ، أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ
الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ، حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ، وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تُمِهُونَ.

الْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمْ الْعَجَمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ، عَزَبَ رَأْيِي أَمْرِي تَخَلَّفَ عَنِّي،
مَا شَكَّكْتُ فِي الْحَقِّ مَذْ أَرَيْتُهُ.

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة (١٩٢).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٤)، والإرشاد: ج ١ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ فصل ومن كلامه حين قتل
طلحة وانفض أهل البصرة، وبحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ب ٤ ح ١٩٠.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / ج ١ ١٣٧

لَمْ يُوجِسْ مُوسَى (عليه السلام) خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ، بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَالِ،
وَدَوَّلِ الضَّلَالِ.

الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ.

أَهْوَى أَخِيكَ مَعْنَا؟^(١)

ومن كلام له (عليه السلام)، لما أظفره الله بأصحاب الجمل، وَقَدْ قَالَ لَهُ
بَعْضُ أَصْحَابِهِ: وَدِدْتُ أَنَّ أَخِي فُلَانًا كَانَ شَاهِدَنَا، لِيرَى مَا نَصَرَكَ اللَّهُ بِهِ
عَلَى أَعْدَائِكَ.

فَقَالَ لَهُ (عليه السلام):

أَهْوَى أَخِيكَ مَعْنَا؟

فَقَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَقَدْ شَهِدْنَا، وَلَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ
الرِّجَالِ، وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرَعَفَ بِهِمُ الزَّمَانُ، وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ.

أول من صدَّق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢)

ومن كلام له (عليه السلام) يجري مجرى الخطبة:

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا، وَنَطَقْتُ حِينَ
تَعْتَعُوا، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا، وَكُنْتُ أَحْفَضَهُمْ صَوْتًا، وَأَعْلَاهُمْ
فَوْتًا.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٢)، والمحاسن: ج ١ ص ٢٦١ - ٢٦٢ ب ٣٣ ح ٣٢٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٣٧)، والأمالى للصدوق: ص ٢٤١ - ٢٤٣ المجلس ٤٢ ح ١١،
وإعجاز القرآن للباقلاني: ص ١٤٣ - ١٤٥.

فَطَرْتُ بِعَيْنَانِهَا، وَاسْتَبَدَّدْتُ بِرَهَانِهَا، كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ،
وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ.

لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ، وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَعْمَزٌ.
الدَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخَذَ الْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى
آخَذَ الْحَقَّ مِنْهُ.

رَضِينَا عَنِ اللَّهِ فَضَاءَهُ، وَسَلَّمْنَا لِلَّهِ أَمْرَهُ.
أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ وَاللَّهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، فَلَا
أَكُونُ أَوَّلُ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ.

فَطَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي، وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي
لِغَيْرِي.

كنا مع رسول الله ﷺ^(١)

ومن كلام له عليه السلام :

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا،
مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا، وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقَمِ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ
الْأَلَمِ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ.

وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُونَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ،
يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمُنُونِ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُونَا،
وَمَرَّةً لِعَدُونَا مِنَّا.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٥٦)، وكتاب سليم بن قيس: ص ٦٩٧ ح ١٥، وكتاب وقعة
صفين: ص ٥٢٠ - ٥٢١ خطبة لعلي بعد الصلح.

فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدْوِنَا الْكَبْتَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصَرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ، وَمُتَبَوِّئًا أَوْطَانَهُ.

وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، وَلَا اخْضَرَ لِلْإِيمَانِ عُودٌ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَمًا، وَلَتَشْبِعُنَّهَا نَدَمًا.

سبققت إلى الإيمان والهجرة^(١)

ومن كلام له (عليه السلام) لأصحابه :

أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ.

أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبْيِ الْبِرَاءَةِ مِنِّي، فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُونِي، فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَلَكُمْ نَجَاةٌ، وَأَمَّا الْبِرَاءَةُ فَلَا تَتَّبِعُوا مِنِّي، فَإِنِّي وَلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ.

سلوني قبل أن تفقدوني^(٢)

ومن خطبة له (عليه السلام) :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيَّ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهُبُهَا، وَاشْتَدَّ كَلْبُهَا،

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٥٧)، ووسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٢٢٨ ب ٢٩ ح ٢١٤٣١، والمناقب: ج ٢ ص ٢٧٢ فصل في إخباره بالمنايا والبلايا والأعمال.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٩٣)، وكتاب سليم بن قيس: ص ٧١٢ - ٧١٣ ح ١٧، وتاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١١٩ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلَا عَنْ فِتْنَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً، إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَائِقِهَا، وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا، وَمُنَاحِ رِكَابِهَا، وَمَحْطِ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا.

وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي، وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهِ الْأُمُورِ، وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ، لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ، وَفَشَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ، وَذَلِكَ إِذَا قَلَصَتْ حَرْبُكُمْ، وَشَمَرَتْ عَنْ سَاقٍ، وَضَافَتْ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضَيْقًا، تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ، حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ.

إِنَّ الْفِتْنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَهَتْ، وَإِذَا أَذْبَرَتْ نَبَهَتْ، يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ، وَيُعْرَفْنَ مُذْبِرَاتٍ، يَحْمَنُ حَوْمَ الرِّيَّاحِ، يُصْبِنُ بَلَدًا وَيُخْطِنُ بَلَدًا.

بلاء بني أمية وفتنتهم

أَلَا وَإِنَّ أَخَوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمِيَّةَ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمِيَاءُ مُظْلِمَةٌ، عَمَتْ خُطَّتُهَا، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا. وَإِيمَ اللَّهُ، لَتَجِدَنَّ بَنِي أُمِيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ، تَعْذِمُ بِفِيهَا، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا.

لَا يَزَالُونَ بِكُمْ، حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ، أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ.

وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ، حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ، إِلَّا كَانَتْ نِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ، وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَضْحِيهِ.

تَرُدُّ عَلَيْكُمْ فِتْنَتَهُمْ شَوْهَاءَ مَحْشِيَّةٍ، وَقِطْعاً جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارٌ هُدًى، وَلَا عِلْمٌ يَرَى.

نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ، كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ بِمَنْ يَسُومُهُمْ حَسْناً، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ، لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنِي مَقَاماً وَاحِداً، وَلَوْ قَدَرَ جَزْرُ جَزُورٍ، لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلَبَ الْيَوْمَ بَعْضُهُ فَلَا يُعْطُونِيهِ.

مَثَل آلِ مُحَمَّدٍ (عليه السلام) (١)

ومن خطبة له (عليه السلام) أخرى :

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِيْنَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ.

دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلَامِ، بَطِيءُ الْقِيَامِ، سَرِيعُ إِذَا قَامَ، فَإِذَا أَنْتُمْ أَلْتُمْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ، وَأَسْرُتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ، فَلَيْسَتْكُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ، حَتَّى يُطْلِعَ اللَّهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ، وَيَضُمُّ شُرُكَكُمْ، فَلَا تَطْمَعُوا

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٠٠)، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ج ٧ ص ٩٢ قال: واعلم أن هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين في الجمعة الثالثة من خلافته....

فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ، وَلَا تَيَأْسُوا مِنْ مُدِيرٍ، فَإِنَّ الْمُدِيرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ بِهِ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ، وَتَثْبِتَ الْأُخْرَى فَرَجِعَا حَتَّى تَثْبِتَا جَمِيعاً.

أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ، إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلْتُمْ مِنَ اللَّهِ فِيكُمْ الصَّنَائِعُ، وَأَرَأَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ.

إِنِّي أُولَى النَّاسِ بِالنَّاسِ^(١)

ومن كلام له عليه السلام:

أَنْتُمْ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْجَنُّ يَوْمَ الْبَاسِ، وَالْبَطَانَةُ دُونَ النَّاسِ.

بِكُمْ أَضْرَبُ الْمُدِيرَ، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ، فَأَعِينُونِي بِمَنَاصِحَةِ خَلِيَّةٍ مِنَ الْعِشْرِ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُولَى النَّاسِ بِالنَّاسِ.

عِنْدَنَا أَبْوَابُ الْحُكْمِ^(٢)

ومن كلام له عليه السلام:

تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ، وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ، وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ، وَعِنْدَنَا أَهْلُ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحُكْمِ، وَضِيَاءُ الْأَمْرِ.

أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةً، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ، مَنْ أَخَذَ بِهَا لِحَقٍّ وَغَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١١٨)، وتاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٨ ذكر ما كان من خبر الخوارج، والإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج ١ ص ١٦٥ ما قال علي لأهل الكوفة.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٢٠)، وكتاب سليم بن قيس: ص ٧١٧ ح ١٧، وبحار الأنوار: ج ٣٤ ص ٢٢١ ب ٣٣.

اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تَذْخُرُ لَهُ الذَّخَائِرُ، وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ، وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ، فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ، وَغَائِبُهُ أَغْوَزُ، وَاتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَلِيقَتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ.

أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ، يَجْعَلُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ.

إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ^(١)

ومن كلام له عليه السلام لأبي ذر رضي الله عنه لما أخرج إلى الربذة.
يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ، فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ، إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ، وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَاهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ، فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ، وَسَتَعْلَمُ مِنَ الرَّايِحِ غَدًّا، وَالْأَكْثَرُ حَسَدًا.

وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتَقًا، ثُمَّ اتَّقَى اللَّهُ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا، لَا يُؤْنِسُكَ إِلَّا الْحَقُّ، وَلَا يُوحِشُكَ إِلَّا الْبَاطِلُ، فَلَوْ قِيلَتْ دُنْيَاهُمْ لِأَحْبُوكَ، وَلَوْ قَرَضَتْ مِنْهَا لِأَمْنُوكَ.

الأئمة من بطن هاشم^(٢)

ومن كلام له عليه السلام :

بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٣٠)، والكافي: ج ٨ ص ٢٠٦ - ٢٠٨ حديث قوم صالح ح ٢٥١، وكشف الغمة: ج ٢ ص ٣٤٦ وأما مناقبه.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤٤)، وبحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٦١٢ - ٦١٣ ب ١٥ بيان.

خَلَقِهِ، لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْدَارِ إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ.

أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ الْخُلُقَ كَشْفَةً، لَا أَنَّهُ جَهْلٌ مَا أَخْفَوَهُ مِنْ مَصُونٍ أَسْرَارِهِمْ، وَمَكْنُونٍ ضَمَائِرِهِمْ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَالْعِقَابُ بَوَاءً.

أَيُّنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ؟ بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى، وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى.

إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ فُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبُطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

الذين غصبوا الأئمة حقهم

آثَرُوا عَاجِلًا، وَأَخَّرُوا آجِلًا، وَتَرَكَوا صَافِيًا، وَشَرِبُوا آجِنًا، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقَتِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلْفَهُ، وَبَسَى بِهِ وَوَافَقَهُ، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وَصُبِعَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزِيدًا كَالْتِيَارِ لَا يُبَالِي مَا عَرَقَ، أَوْ كَوَفَعَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا يَحْفِلُ مَا حَرَقَ.

أَيُّنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَضْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى، وَالْأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى؟

أَيُّنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وَهَبَتْ لِلَّهِ، وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ؟

ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ، وَتَشَاخَوْا عَلَى الْحَرَامِ، وَرَفَعَ لَهُمْ عِلْمُ الْجَنَّةِ
وَالنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ، وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ، وَدَعَاهُمْ
رَبُّهُمْ فَتَفَرَّقُوا وَوَلَّوْا، وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا.

نحن أبواب الله^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) :

وَنَاطِرُ قَلْبِ اللَّيْبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ، دَاعٍ دَعَا،
وَرَاعٍ رَعَى، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي، وَاتَّبِعُوا الرَّاعِي.

قَدْ خَاضُوا بِحَارِ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدْعِ دُونَ السُّنَنِ، وَأَرَزَّ الْمُؤْمِنُونَ،
وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ.

نَحْنُ الشُّعَارُ وَالْأَصْحَابُ، وَالْحَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ، وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا
مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقًا.

في آل محمد (عليهم السلام) كرائم القرآن

فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإِنْ
صَمَتُوا لَمْ يُسَبِّحُوا.

فَلْيَصْدُقْ رَأْيُ أَهْلِهِ، وَلْيُخْضِرْ عَقْلُهُ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ
مِنْهَا قَدِيمٌ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ.

فَالنَّاطِرُ بِالْقَلْبِ، الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ، يَكُونُ مُبْتَدَأَ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ، أَعْمَلُهُ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٥٤)، ووسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٣٤ - ١٣٥ ب ١٠
ح ٣٣٤١١.

عَلَيْهِ أَمْ لَهُ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ، فَإِنَّ الْعَامِلَ
بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ، فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَّا
بُعْدًا مِنْ حَاجَتِهِ، وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، فَلْيَنْظُرْ
نَاطِرُ أَسَائِرٍ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ؟

العمل: نبات

وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا عَلَى مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ،
وَمَا خَبَثَ ظَاهِرُهُ خَبَثَ بَاطِنُهُ.

وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ، وَيُبْغِضُ
عَمَلَهُ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ، وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ».

وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتًا، وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ، وَالْمِيَاهُ
مُخْتَلِفَةٌ، فَمَا طَابَ سَقْيُهُ، طَابَ عَرْسُهُ، وَحَلَّتْ ثَمَرَتُهُ، وَمَا خَبَثَ سَقْيُهُ،
خَبَثَ عَرْسُهُ، وَأَمَرَتْ ثَمَرَتُهُ.

الأئمة وعلم ما كان وما يكون^(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

أَيُّهَا الْغَافِلُونَ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُودَ مِنْهُمْ، مَا لِي
أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاجِعِينَ، كَأَنَّكُمْ نَعَمَ أَرَاخَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى
مَرْعَى وَبَيٍّ، وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ، وَإِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى، لَا تَعْرِفُ مَاذَا
يُرَادُّ بِهَا، إِذَا أَحْسِنَ إِلَيْهَا، تَحَسَّبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا، وَشَبَعَها أَمْرَهَا.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٧٥)، وبحار الأنوار: ج ٣٤ ص ٢١٧ ب ٣٣.

وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أَخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلَجِهِ، وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمِنُ ذَلِكَ مِنْهُ.

وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ، مَا أَنْطَقُ إِلَّا صَادِقًا، وَقَدْ عَهَدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلُّهُ، وَبِمَهْلِكٍ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو، وَمَالٍ هَذَا الْأَمْرِ، وَمَا أَبْقَى شَيْئًا يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَعُهُ فِي أُذُنِي، وَأَفْضِي بِهِ إِلَيَّ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحْتُكُمْ عَلَى طَاعَةٍ، إِلَّا وَأَسْقِيكُمْ إِلَيْهَا، وَلَا أَنْهَأَكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ، إِلَّا وَاتَّأَمَّ قَبْلُكُمْ عَنْهَا.

من ذا أحق بالنبي ﷺ؟^(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنِّي لَمْ أَرَدْ عَلَى اللَّهِ، وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ، وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا.

وَلَقَدْ قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي، وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي، فَأَمَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي، وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ ﷺ وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَّةُ، مَلَأُ يَهْبِطُ وَمَلَأُ يَعْرُجُ، وَمَا فَارَقْتُ سَمْعِي هَيْنَئِهِ مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرْيَحِهِ، فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩٧)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٢٠ ق ١ ب ٥ ف ٢ فضائله ح ٢١٠٣.

مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا؟ فَانْفُذُوا عَلَيَّ بَصَائِرِكُمْ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ
عَدُوِّكُمْ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنِّي لَعَلَى جَادَةِ الْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ
الْبَاطِلِ، أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

بضعة الرسول ﷺ والشهادة المبكرة^(١)

ومن كلام له ﷺ عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي، وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جَوَارِكَ،
وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ.

قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنْ فِي
التَّأْسِي لِي عَظِيمٍ فُرْقَتِكَ، وَفَادِحٍ مُصِيبَتِكَ، مَوْضِعَ تَعَرٍّ، فَلَقَدْ وَسَدْتُكَ فِي
مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ، فَ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ﴾^(٢).

فَلَقَدْ اسْتُرْجِعْتَ الْوُدِيعَةَ، وَأُخِذَتِ الرَّهْيْنَةُ، أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا
لَيْلِي فَمُسْهَدٌ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ.

وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافِيرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَأُخْفِهَا السُّؤَالَ،
وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ، هَذَا وَلَمْ يَطْلُ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا، سَلَامَ مُودَعٍ، لَا قَالٍ وَلَا سَيِّمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفَ فَلَا
عَنْ مَلَالَةٍ، وَإِنْ أُقِمَ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ .

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠٢)، والكافي: ج ١ ص ٤٥٨ - ٤٥٩ باب مولد فاطمة الزهراء

ج ٣، وكشف الغمة: ج ١ ص ٥٠٤ - ٥٠٥ ذكر وفاتها وما قبل ذلك.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ١٤٩

مع سبطي رسول الله ﷺ^(١)

ومن كلام له عليه السلام في بعض أيام صفين، وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب:

امْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْعُلَامَ لَا يَهْدِنِي، فَإِنِّي أَنَفْسٌ يَهْدِينِ (يَعْنِي: الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَام عَلَى الْمَوْتِ، لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ).

لله ما فعله الأشر من خير!^(٢)

ومن كلام له عليه السلام يريد به بعض أصحابه:

لِلَّهِ بَلَاءُ فُلَانٍ، فَلَقَدْ قَوْمَ الْأَوْدَ، وَدَاوَى الْعَمَدَ، وَأَقَامَ السُّنَّةَ، وَخَلَفَ الْفِتْنَةَ، ذَهَبَ نَقِي الثَّوْبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ، أَصَابَ خَيْرَهَا، وَسَبَقَ شَرَّهَا، أَدَّى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ، رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ، لَا يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ، وَلَا يَسْتَقِينُ الْمُهْتَدِي.

إنّا أمراء الكلام^(٣)

ومن كلام له عليه السلام:

أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ، فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ، وَلَا

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠٧)، وبحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٥٦٢ ب ١٢ ح ٤٦٧.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٢٨)، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١٢ ص ٣ الخطبة رقم (٢٢٣).

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٣٣)، وأعلام الدين: ص ٣٢١ من كلام أمير المؤمنين، وتنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ٧٩ باب العتاب.

يُمَهِّلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ، وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ الْكَلَامِ، وَفِينَا تَنْشَبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ.

وَأَعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ، أَنَّكُمْ فِي زَمَانِ الْقَائِلِ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ،
وَاللِّسَانُ عَنِ الصَّدَقِ كَلِيلٌ، وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ، أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى
الْعِصْيَانِ، مُضْطَلِحُونَ عَلَى الْإِذْهَانِ، فَتَاهُمْ عَارِمٌ، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ،
وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ، وَقَارِنُهُمْ مُمَادِقٌ، لَا يُعْظَمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرُهُمْ، وَلَا يَعُولُ
غَنِيَّهُمْ فَقِيرُهُمْ.

أفصح من نطق بالضاد بعد الرسول ﷺ^(١)

ومن كلام له عليه السلام اقتصر فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي ﷺ ثم لحاقه به.

فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَاخَذَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى
الْعَرَجِ^(٢).

هم عيش العلم وموت الجهل^(٣)

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمد ﷺ :

هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ،

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٣٦)، والنهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ٢٠١ باب الواو مع الطاء مادة (وطأ).

(٢) قال الشريف الرضي في كلام طويل: قوله: فَأَطَأُ ذِكْرَهُ من الكلام الذي رمى به إلى غايته الإيجاز والفصاحة، أراد أنني كنت أعطى خبره من بدء خروجي إلى أن انتهيت إلى هذا الموضوع، فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٣٩)، والكافي: ج ٨ ص ٣٩١ خطبة لأمير المؤمنين ح ٥٨٦.

وَزَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكْمِ مَنْطِقِهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَهُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ، وَوَلَايُجُ الْإِغْتِصَامِ، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نَصَابِهِ، وَأَنْزَا حَ الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ، وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنَبِيِّهِ، عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلًا وَعَايَةَ وَرِعَايَةَ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةَ، فَإِنَّ رُؤَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرِعَاةُ قَلِيلٌ.

له الفخر والمجد والثناء^(١)

ومن خطبة له عليه السلام في يوم الشورى :

إِنَّ أَحْسَنَ مَا ابْتَدَأَ بِهِ الْمُبْتَدِئُونَ، وَنَطَقَ بِهِ النَّاظِقُونَ، وَتَفَوَّهَ بِهِ الْقَائِلُونَ: حمد الله، والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة على النبي محمد وآله.

الحمد لله المتفرّد بدوام البقاء، المتوَحّد بالملك، الذي له الفخر والمجد والثناء، خضعت له الجبابة لآلائه وجلاله، ووجلّت القلوب من مخافته، فلا عدل له ولا نِدٌّ، ولا يشبهه أحد من خلقه، ونشهد له بما شهد به لنفسه، وأولو العلم من خلقه: أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ليس له صفة تُنال، ولا حد يُضرب له فيه الأمثال، المديّر صوب الغمام بينات النّطاف، ومُنهّط الرّباب بوابل الطّل، فَرَشَ الْفَيَافِي والآكام بتشقيق الدّمن وأنيق الزهر وأنواع النبات، والمهريق العيون الغرار من صُمّ الأطواد، ببعث الرّلال حياتاً للطير والهوامّ والوحش،

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ١١٦ - ١٢٦ الخطبة رقم (٢٦)، عن مناقب الخوارزمي: ص ٢١٣، ورواه في غاية المرام: ص ١٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ج ٢٥ ص ٦٠.

وسائر الأنعام والأنام، فسبحان من يُدان لدينه، ولا يُدان لغير الله دين،
وسبحان الذي ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود.

استنقذنا الله بمحمد ﷺ

ونشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله المرتضى، ونبيّه المصطفى،
وحبيبه المجتبى، أرسله الله إلينا كافة، والناس أهل عبادة الأوثان،
وخضوع للضلالة، يسفكون دماءهم، ويقتلون أولادهم، ويخيفون
سبيلهم، عيشهم الظلم، وأمنهم الخوف، وعزهم الذل، حتى استنقذنا
الله بمحمد ﷺ من الجهالة، وأنتأشنا بمحمد ﷺ من الهلكة، ونحن
معاشر العرب أضيق الأمم معاشاً، وأخشنها رياشاً، جُلُّ طعامنا الهبيد،
وجل لباسنا الوبر والجلود، مع عبادة الأصنام والأوثان والنيران، فهدانا
الله بمحمد ﷺ إلى صالح الأديان، وأنقذنا من عبادة الأوثان، بعد أن
أمكنه الله من شُعلة النور، فأضاء بمحمد ﷺ مشارق الأرض ومغاربها،
فقبضه الله إليه، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فما أجلّ رزّيته، وأعظم
مصيّته، فالمؤمنون فيه طراً مصيّتهم واحدة.

لا فتى إلا علي ﷺ

ثم قال علي ﷺ :

فأنشدكم بالله يا معاشر المهاجرين والأنصار، هل تعلمون أن
جبرئيل ﷺ أتى النبي ﷺ وقال: يا محمد، لا سيف إلا ذو الفقار، ولا
فتى إلا علي؟ هل تعلمون كان هذا؟

قالوا: اللهم نعم.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ١٥٣

قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أن جبرئيل عليه السلام نزل على النبي فقال: يا محمد، إن الله يأمرك أن تحبّ علياً وتحبّ من يحبه، فإن الله تعالى يحبّ علياً ويحبّ من يحبّ علياً؟
قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لما أُسري بي إلى السماء السابعة رُفِعْتُ إلى رفارف من نور، ثم رُفِعْتُ إلى حُجُب من نور، فَوَعَدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله الْجَبَّارُ - لا إله إلا هو - أشياء، فلما رجع من عنده نادى مناد من وراء الحُجُب: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك علي بن أبي طالب، واستوص به؟ أتعلمون يا معاشر المهاجرين والأنصار كان هذا؟

فقال أبو محمد من بينهم - يعني عبد الرحمن بن عوف -: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وإلا فصمتا.

ليس لأحد مثل منزلتنا

ثم قال: هل تعلمون أن أحداً كان يدخل المسجد جنباً غيري؟
قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أن أبواب المسجد سدّها رسول الله صلى الله عليه وآله وترك بابي بأمر من الله؟
قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أني كنت إذا قاتلت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وآله قاتلت الملائكة عن يساره؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال لي: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي)؟
قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ أخذ الحسن والحسين فجعل يقول: هيّ يا حسن. فقالت فاطمة: يا رسول الله، إن الحسين أصغر وأضعف ركناً منه. فقال لها رسول الله ﷺ: ألا ترصين أن أقول أنا: هيّ يا حسن، ويقول جبرئيل: هيّ يا حسين؟ فهل لأحد من الناس مثل منزلتنا عند الله وعند رسول الله؟ نحن صابرون ليقضي الله في هذه البيعة أمراً كان مفعولاً.

أخو رسول الله ﷺ وخليفته^(١)

ومن كلام له عليه السلام قاله على سبيل الاحتجاج على أصحاب الشورى:

أنشدكم بالله، الذي لا إله إلا هو، أفيكم أحد وحد الله قبلي؟
قالوا: اللهم لا.

قال: أنشدكم بالله، هل فيكم أحد صلى لله قبلي، وصلى القبلتين؟
قالوا: اللهم لا.

قال: أنشدكم بالله، هل فيكم أحد أخو رسول الله ﷺ غيري، إذ

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ١٢٧ - ١٣٤ الخطبة رقم (٢٧)، عن تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٣٨ ص ٣٩، ورواه ابن المغازلي في مناقبه: ص ٥٣.

أخى بين المؤمنين فأخى بيني وبين نفسه، وجعلني منه بمنزلة هارون من موسى إلا أنني لست بنبي؟

قالوا: لا.

قال: أنشدكم بالله، أفيكم مطهرٌ غيري، إذ سد رسول الله ﷺ أبوابكم وفتح بابي، وكنت معه في مساكنه ومسجده، فقام إليه عمه فقال: يا رسول الله، غلّقت أبوابنا وفتحت باب علي؟! قال: نعم، أمر الله بفتح بابه وسد أبوابكم.

قالوا: اللهم لا.

أحب الناس إلى الله ورسوله

قال: نشدتكُم بالله، أفيكم أحد أحب إلى الله وإلى رسوله مني، إذ دفع الراية إليّ يوم خيبر، فقال: لأعطين الراية إلى من يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ويوم الطائر إذ يقول: اللهم ائني بأحب خلقك إليك يأكل معي، فجئت، فقال: اللهم وإلى رسولك، اللهم وإلى رسولك؟

قالوا: اللهم لا.

قال: نشدتكُم بالله، أفيكم أحد قدّم بين يدي نجواه صدقة غيري؟

قالوا: اللهم لا.

قال: نشدتكُم بالله، أفيكم من قتل مشركي قريش والعرب في الله وفي رسوله غيري؟

قالوا: اللهم لا.

قال : نشدتكم بالله ، هل فيكم أحد دعا رسول الله ﷺ له في العلم ، وأن يكون أذنه الواعية مثل ما دعا لي؟
قالوا : اللهم لا .

نفس رسول الله ﷺ

قال : نشدتكم بالله ، هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله ﷺ في الرحم ، ومن جعله رسول الله ﷺ نفسه ، وأبناءه أبناءه ، ونساءه نساءه ، غيري؟
قالوا : اللهم لا .

قال : نشدتكم بالله ، أفيكم أحد كان يأخذ الخمس مع النبي ﷺ قبل أن يؤمن أحد من قرابته غيري وغير فاطمة؟
قالوا : اللهم لا .

قال : نشدتكم بالله ، أفيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين؟
قالوا : اللهم لا .

قال : نشدتكم بالله ، هل فيكم أحد له ابنان مثل ابني الحسن والحسين ، سيدي شباب أهل الجنة ، ما خلا النبيين غيري؟
قالوا : اللهم لا .

قال : نشدتكم بالله ، أفيكم أحد له أخ كأخي جعفر الطيار في الجنة ، المزيّن بالجناحين مع الملائكة ، غيري؟
قالوا : اللهم لا .

منا أسد الله وأسد رسوله

قال: نشدتكم بالله، أفيكم أحد له عمٌ مثل عمِّي، أسد الله وأسد رسول الله ﷺ سيد الشهداء حمزة، غيري؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد وليّ غمض رسول الله ﷺ مع الملائكة، غيري؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: نشدتكم بالله، أفيكم أحد وليّ غسل النبي ﷺ مع الملائكة يُقلّبونه كيف أشاء، غيري؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: نشدتكم بالله، أفيكم أحد كان آخر عهده برسول الله ﷺ حتى وضعه في حفرته، غيري؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: نشدتكم بالله، أفيكم أحد قضى عن رسول الله ﷺ ديونه ومواعيده، غيري؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنَعُ إِلَىٰ

حِينَ ۝﴾^(١).

هؤلاء شيعتنا^(١)

ومن كلام له عليه السلام في نعته شيعته والمتمسكين بولايته، قاله لمولاه
نوف:

إن شيعتي إن شهدوا لم يُعرفوا، وإن غابوا لم يُفتقدوا، وإن خطبوا
لم يُزَوَّجوا، وإن مرضوا لم يُعَادوا.

شيعتي من لم يَهَرَّ هَرِير الكلب، ولم يطمع طمع الغراب، ولم يسأل
الناس وإن مات جوعاً، وإن رأى مؤمناً أكرمه، وإن رأى فاسقاً هجره.
شيعتي الذين هم في قبورهم يتزاوَرُون، وفي أموالهم يتواسُونَ، وفي
الله تعالى يتباذَلُون.

يا نوف، درهماً ودرهماً، وثوباً وثوباً، وإلا فلا.

هؤلاء - والله يا نوف - شيعتي، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة،
وحوائجهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، اختلفت بهم الأبدان، ولم تختلف
قلوبهم.

قال نوف: قلت: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، فأين أطلب
هؤلاء؟

قال: اطلبهم في أطراف الأرض، هؤلاء والله يا نوف شيعتي.

إذا كان يوم القيامة

يا نوف، يُحيي الله النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة، وهو آخذ بحُجزة ربه،

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ٤٤٩ - ٤٥٢ الخطبة رقم (١٣٨)، عن تاريخ
دمشق لابن عساكر: ج ٦ ص ٧.

وأنا آخذ بحُجْزته، وأهل بيتي آخذون بحُجْزتي، وشيعتي آخذون بحُجْزتنا، فإلى أين يا نوف؟ إلى الجنة ورب الكعبة، إلى الجنة ورب الكعبة، إلى الجنة ورب الكعبة.

أما الليل فصافون أقدامهم، مفترشون جباههم، تجري دموعهم على خدودهم، يناجون ربهم في فكاك رقابهم.

وأما النهار فحلمااء نجباء، كرام أبرار أتقياء.

يا نوف، بشر الزاهدين، نعم الساعة ساعة الزاهدين، أما إنها ساعة لا يسأل الله فيها عبد شيئاً إلا أعطاه، ما لم يكن جائراً، أو عاشراً، أو ساحراً، أو ضارب كوبة، أو ضارب عرطبة.

يا نوف، شيعتي الذين اتخذوا الأرض بساطاً، والماء طيباً، والقرآن شعاراً، وقرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح عيسى ابن مريم.

مع شهداء كربلاء^(١)

ومن كلام له عليه السلام لما مرّ في مسيره إلى صفّين بكربلاء :

ثَقُلَ لآلِ مُحَمَّدٍ يَنْزِلُ هَاهُنَا، فَوَيْلٌ لَهُمْ مِنْكُمْ، وَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْهُمْ.

فقال له رجل : ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟

قال عليه السلام : وَيْلٌ لَهُمْ مِنْكُمْ تَقْتُلُونَهُمْ، وَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْهُمْ يُدْخِلُكُمْ اللَّهُ بِقَتْلِهِمْ إِلَى النَّارِ.

وفي رواية القندوزي، عن مودة القري، عن الأصبغ بن نباتة، قال :

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ١٣٠ - ١٣٢، عن كتاب صفين: ص ١٤١، وينايع المودة: ص ٢١٦.

أتينا مع علي أمير المؤمنين عليه السلام كربلاء، فنزل وبكى وقال:
ها هنا مُناخ ركابهم، ها هنا مَوْضع رحالهم، وها هنا مُهراق
دمائهم، فئة من آل محمد عليهم السلام يُقتلون بهذه العرصة، تبكي عليهم السماء
والأرض.

أرسله بالهدى ودين الحق^(١)

ومن خطبة له عليه السلام بصفين :

الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البر والفاجر،
وعلى حُججه البالغة على خلقه من أطاعه فيهم ومن عصاه، إن رَجِمَ
فبفضله ومنّه، وإن عَذَّبَ فيما كسبت أيديهم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ
لِّلْعَبِيدِ﴾^(٢).

أحمده على حُسن البلاء، وتظاهر النعماء، وأستعينه على ما نابنا من
أمر دنیا أو آخرة، وأومن به وأتوكل عليه، وكفى بالله وكيلاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ارتضاه لذلك وكان أهله، واصطفاه
على جميع العباد لتبليغ رسالته، وجعله رحمة منه على خلقه، فكان كعلمه
فيه رؤوفاً رحيماً.

النبي عليه السلام أكرم الخلق

أكرم خلق الله حسباً، وأجمله منظراً، وأسخاه نفساً، وأبره بوالد،

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ٢١٧ - ٢٢٢، عن كتاب صفين: ص ٣١٣، وقريباً
منه رواه الصدوق في أماليه.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٢، سورة الأنفال، الآية: ٥١، سورة الحج، الآية: ١٠.

وأوصله لرحم، وأفضله علماً، وأثقله حُلماً، وأوفاه بعهد، وآمنه على عَقْد.

لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة قط، بل كان يُظلم فيغفر، ويقدّر فيصفح ويعفو، حتى مضى (عليه السلام) مطيعاً لله، صابراً على ما أصابه، مجاهداً في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين (عليه السلام)، فكان ذهابه أعظم المصيبة على جميع أهل الأرض، والبر والفاجر.

ترك فيكم الكتاب والعترة

ثم ترك كتاب الله فيكم، يأمر بطاعة الله وينهى عن معصيته.

وقد عهد إليّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عهداً فلست أحيده.

وقد حَضَرْتُم عدوكم، وقد علمتُم من رئيسهم، منافق ابن منافق، يدعوهم إلى النار.

وابن عم نبيكم معكم بين أظهركم، يدعوكم إلى الجنة، وإلى طاعة ربكم، ويعمل بسنة نبيكم (صلى الله عليه وآله وسلم).

فلا سواء من صلّى قبل كل ذكر، لم يسبقني بصلاتي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أحد، وأنا من أهل بدر، ومعاوية طليق ابن طليق.

والله إنكم لعلّى حق، وإنهم لعلّى باطل، فلا يكونن القوم على باطلهم اجتمعوا عليه، وتفرّقون عن حقكم، حتى يغلب باطلهم حقكم ﴿قَتَلُوهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ يَأْتِيكُمُ﴾^(١)، فإن لم تفعلوا يعذبهم بأيدي غيركم.

فأجابه أصحابه فقالوا: يا أمير المؤمنين، انهض بنا إلى عدونا وعدوك إذا شئت، فوالله ما نريد بك بدلاً، نموت معك، ونحيا معك.

إني لعلی بینه من ربي

فقال علي عليه السلام مجيباً لهم: والذي نفسي بيده، لَنَظُرَ إِلَيَّ رسول الله صلى الله عليه وآله اضرب قُدَّامه بسيفي، فقال: (لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي).

وقال: (يا علي أنت مني بمنزلة هارون بن موسى، غير أنه لا نبي بعدي، وموتك وحياتك يا علي معي).

والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ، ولا ضَلَلْتُ ولا ضُلَّ بي، وما نسيت ما عهد إليّ، وإني لعلی بینه من ربِّي، وإني لعلی الطريق الواضح أَلْقُطُهُ لِقْطاً.

عمار مع الحق^(١)

ومن كلام له عليه السلام يمدح به عماراً حين استشهد بصفين:

إن امرأً من المسلمين لم يعظم عليه قتل عمار، ولم يدخل عليه بقتله مصيبةٌ مُوجوعة، لغير رشيد.

رحم الله عماراً يوم أسلم، ورحم الله عماراً يوم قُتل، ورحم الله عماراً يوم يُبعث حياً.

لقد رأيت عماراً ما يُذكر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة إلا كان الرابع، ولا خمسة إلا كان الخامس.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ٢٣٨ - ٢٣٩، عن أنساب الأشراف: ج ١ ص ١٧٤ ح ٤١٩، والطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٢٦٢.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / ج ١ ١٦٣

وما كان أحد من أصحاب محمد يَشْكُ في أن عماراً قد وجبت له الجنة في غير مَوْطن ولا اثنين، فهنيئاً لعمار الجنة، عمار مع الحق أين ما دار، وقاتل عمار في النار.

أنا أول من أجاب^(١)

ومن كلام له (عليه السلام) لما رفعت المصاحف، وانخدع بها عشرون ألفاً من أصحابه، وطالبوه بإجابة القوم إلى كتاب الله :

ويحكم، أنا أول من دعا إلى كتاب الله، وأول من أجاب إليه، وليس يحلُّ لي، ولا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، ولكني أعلمتكم أنهم قد كادوكم، وأنهم ليسوا بالعمل بالقرآن يريدون!

ليت فيكم مثل الأشر^(٢)

ومن كلام له (عليه السلام) يمدح به الأشر لما قالوا له: إن الأشر لا يرضى إلا بقتال القوم :

بلى، إن الأشر ليرضى إذا رضيت، وقد رضيتُ ورضيتُم، ولن يَصْلُح الرجوع بعد الرضا، ولا التبديل بعد الإقرار، إلا أن يُعصى الله ويتعدى ما في كتابه.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ٢٤٩، عن كتاب صفين، وقريب منه في الإمامة والسياسة: ص ١٢١ و ١٢٤.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ٢٨٠ - ٢٨١، عن كتاب صفين: ص ٥٢١.

وأما الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه، فليس هو من أولئك، وليس أتخوّفه على ذلك [ولا أعرفه على ذلك (خ ل)]، وليت فيكم مثله اثنين، بل ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوه مثل رأيه، إذن لخفت عليّ مؤونتك، ورجوت أن يستقيم لي بعض أودّكم، وأما القضية فقد استوثقنا لكم فيها، وقد طمعت أن لاتضلوا إن شاء الله رب العالمين.

أنت أخي ووارثي^(١)

ومن كلام له عليه السلام في جواب من سأله عن سبب اختصاصه بوراة رسول الله صلى الله عليه وآله :

جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبد المطلب، فصنع لهم مُداً من الطعام، فأكلوا حتى شبعوا، وبقي الطعام كما هو كأنه لم يُمسّ!!

ثم دعا صلى الله عليه وآله بعس فشرّبوا حتى رووا، وبقي الشراب كأنه لم يمسّ أو لم يشرب!!

فقال صلى الله عليه وآله : يا بني عبد المطلب، إني بُعثت إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، وقد رأيتم من هذه الآية ما قد رأيتم، فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي، ووارثي ووزيري؟

فلم يقم إليه أحد!!

فقمت إليه، وكنت أصغر القوم سنّاً، فقال: اجلس.

ثم قال ذلك ثلاث مرات، كل ذلك أقوم إليه، فيقول: اجلس.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ٤٩١ - ٤٩٣ الخطبة رقم (٣٠١)، عن كتاب خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ص ٨٦، ورواه الطبري في تاريخه: ج ٢ ص ٣٢١.

حتى كان في الثالثة، ضرب بيده على يدي، ثم قال: أنت أخي وصاحبي، ووارثي ووزير، فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي.

اعرف الحق، تعرف أهله^(١)

ومن كلام له (عليه السلام) مع الحارث الهمداني عندما ذكر له اختصام أصحابه بينهم:

ألا إن خير شيعتي النمط الأوسط، فإليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التالي.

فقال له الحارث: لو كشفت - فذاك أبي وأمي - الرّين عن قلوبنا، وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا.

قال (عليه السلام): قدك، فإنك امرؤ ملبوس عليك .

ثم قال: إن دين الله لا يُعرف بالرجال! بل بآية الحق، فاعرف الحق تعرف أهله.

يا حارث، إن الحق أحسن الحديث، الصادع به مجاهد، وبالحق أخبرك، فأرعني سمعك، ثم خبر به من كان له حصافة من أصحابك:

ألا إني عبد الله وأخو رسوله، وصديقه الأول [الأكبر (خ ل)]، صدّقه وآدم بين الروح والجسد.

ثم إني صديقه الأول في أمتكم حقاً.

فنحن الأولون ونحن الآخرون، ونحن خاصّته - يا حارث -

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ٦٦٧ - ٦٧١ الخطبة رقم (٣٥١)، عن أمالي الشيخ المفيد: ص ١٠ المجلس ١ ح ٣، وأمالي الشيخ: ص ٤١ المجلس ٢٩ ح ٥.

وخالسته، وأنا صُنوه ووصيه ووليه، وصاحب نجواه وسره، أوتيت فهم الكتاب، وفصل الخطاب، وعلم القرون والأسباب، واستودعت ألف مفتاح، يفتح كل مفتاح ألف باب، يفضي كل باب إلى ألف ألف عهد، وأُيدت واتخذت، وأمددت بليلة القدر نَفلاً، وإن ذلك يجري لي، ولمن استُحفظ من ذريتي، ما جرى الليل والنهار، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

قسيم الجنة والنار

وأبشرك يا حارث، لتعرفني عند الممات، وعند الصراط، وعند الحوض، وعند المقاسمة.

قال الحارث: وما المقاسمة؟

قال: مقاسمة النار، أقاسمها قسمة صحيحة، أقول: هذا وليي فاتركه، وهذا عدوي فخذيه.

ثم أخذ أمير المؤمنين عليه السلام بيد الحارث، فقال: يا حارث، أخذت بيدك كما أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال لي - وقد شكوت إليه حسد قريش والمنافقين لي -: إنه إذا كان يوم القيامة أخذت بحبل الله وبحجزته - يعني عصمة من ذي العرش تعالى - وأخذت أنت يا علي بحجزتي، وأخذ ذريتك بحجزتك، وأخذ شيعتكم بحجزتكم، فماذا يصنع الله بنبيه، وما يصنع نبيه بوصيه؟!

خذها إليك يا حارث، قصيرة من طويلة: أنت مع من أحببت، ولك ما اكتسبت.

يقولها ثلاثاً.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ١٦٧

فقام الحارث يجزّ رداءه وهو يقول: ما أبالي بعدها متى لقيت الموت أو لقيني.

سلوني عن كتاب الله^(١)

ومن كلام له عليه السلام في مسجد الكوفة والناس حوله:

سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن كتاب الله، فوالله ما نزلت آية من كتاب الله إلا وقد أقرأنيها رسول الله ﷺ وعلمني تأويلها.

فقال ابن الكوّاء: فما كان ينزل عليه وأنت غائب؟

فقال عليه السلام: بلى، كان رسول الله ﷺ يحفظ عليّ ما غبت عنه، فإذا قدّمت عليه قال لي: يا علي، أنزل الله بعدك كذا وكذا فيقرئنيه، وإن تأويله كذا وكذا فيعلّمنيه.

محبّتنا أهل البيت إيمان^(٢)

ومن خطبة له عليه السلام:

إن الله بعث محمداً ﷺ بالنبوة، واصطفاه بالرسالة، فأنال في الناس وأنال.

وعندنا أهل البيت مفاتيح العلم، وأبواب الحكمة، وضياء الأمر، وفصل الخطاب.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ٦٧٦ الخطبة رقم (٣٥٤)، عن كتاب سليم بن قيس: ص ١٨٩.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ٦٧٩ - ٦٨٠ الخطبة رقم (٣٥٦)، عن المحاسن للبرقي: ص ١٩٩.

فمن يحبنا أهل البيت ينفعه إيمانه، ويتقبل منه عمله.
ومن لا يحبنا أهل البيت لا ينفعه إيمانه، ولا يتقبل منه عمله، وإن
أدأب الليل والنهار لم يزل.

إني أولاكم بالله ورسوله^(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

الحمد لله الذي هدانا من الضلالة، وبصّرنا من العمى، ومنّ علينا
بالإسلام، وجعل فينا النبوة، وجعلنا النجباء، وجعل أفرأطنا أفرأط
الأنبياء، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس، نأمر بالمعروف وننهى عن
المنكر، ونعبد الله ولا نشرك به شيئاً، ولا نتخذ من دونه ولياً.

فنحن شهداء الله، والرسول شهيدٌ علينا، نشفع فنشفع فيمن شفّعنا
له، وندعو فيستجاب دعاؤنا، ويغفر لمن ندعو له ذنوبه، أخلصنا لله فلم
ندع من دونه ولياً.

أيها الناس ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢).

أيها الناس، إني ابن عم نبيكم، وأولاكم بالله ورسوله، فاسألوني ثم
اسألوني، وكأنكم بالعلم قد نفّذ، وإنه لا يهلك عالم إلا يهلك بعض علمه.

مثل العلماء في الناس

وإنما العلماء في الناس كالقدر في السماء، يضيء نوره على سائر
الكواكب.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٣ ص ٢٢ - ٢٥ الخطبة رقم (٤)، عن كتاب الإرشاد
للمفيد: ص ١٢٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢.

خذوا من العلم ما بدا لكم، وإياكم أن تطلبوه لخصال أربع :
لتباهوا به العلماء.
أو تماروا به السفهاء.
أو تراؤوا به في المجالس.
أو تصرفوا وجوه الناس إليكم للترؤس.
لا يستوي عند الله في العقوبة الذين يعلمون والذين لا يعلمون،
نفعنا الله وإياكم بما علمنا، وجعله لوجهه خالصاً، إنه سميعٌ مجيب.

إن ها هنا لعلماً جماً^(١)

ومن كلام له (عليه السلام) في جواب من سأله عن نفسه، وعن خيار أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :
سُئِلَ أمير المؤمنين (عليه السلام) عن ابن مسعود، فقال: قرأ القرآن ووقف عنده، وأحلَّ حلاله وحرَّم حرامه.
وسُئِلَ عن حذيفة، فقال: أَسْرَّ إليه علم أسماء المنافقين، طلبَ علماً فأدركه.

وسُئِلَ عن أبي ذر، فقال: وعاءٌ ملئَ علماً، وقد ضيَّعه الناس!
وسُئِلَ عن عَمَّار، فقال: مؤمن ينسى، فإذا ذُكِرَ تذكَّر، وقد ملئَ إيماناً ما بين قرنه إلى قدمه!
وسُئِلَ عن سلمان، فقال: أدرك العلم الأول والعلم الآخر، وهو بحر لا يُنْزَح! وهو منا أهل البيت.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٣ ص ٤١٩ - ٤٢٠ الخطبة رقم (١١١)، عن كتاب تيسير المطالب: ص ٧٦، وقريب منه رواه ابن عساکر في کتاب تبیین کذب المفتری: ص ٨٠.

وسُئِلَ عنه نفسه، فقال: إِيَّاهُ أَرَدْتُمْ! كُنْتُ إِذَا سَكُتُ ابْتُدِّيتُ، وَإِذَا سَأَلْتُ أُعْطِيتُ، وَإِنْ مَا بَيْنَ هَاتَيْنِ الدَّفَتَيْنِ - يَعْنِي الْجَنِّينَ - لِعِلْمًا جَمًّا.

كَأَنِّي بِالْقَائِمِ ﷺ حِينَ يَظْهَرُ^(١)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ ﷺ يَصِفُ فِيهِ بَعْضُ حَالَاتٍ وَلَدَهُ الْإِمَامُ الثَّانِي عَشَرَ ﷺ:

كَأَنِّي بِالْقَائِمِ ﷺ قَدْ عَبَرْتُ مِنْ وَادِي السَّلَامِ إِلَى مَسِيلِ السَّهْلَةِ، عَلَى فَرَسٍ مُجَلَّلٍ لَهُ شِمْرَاخٌ يَزْهَرُ، يَدْعُو وَيَقُولُ فِي دَعَائِهِ:
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَقًّا حَقًّا، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِيْمَانًا وَصِدْقًا، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعْبُدًا وَرِقًّا.

اللَّهُمَّ مَعَرِّ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَمَذَلِّ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيْدٍ، أَنْتَ كَهْفِي حِينَ تَعِيْنِي الْمَذَاهِبَ، وَتَضِيقُ عَلَيَّ الْأَرْضَ بِمَا رُحِبَتْ.
اللَّهُمَّ خَلَقْتَنِي وَكُنْتُ غَنِيًّا عَنْ خَلْقِي، وَلَوْلَا نَصْرُكَ إِيَّايَ لَكُنْتُ مِنَ الْمَغْلُوبِينَ.

يَا مَنْشِرَ الرَّحْمَةِ مِنْ مَوَاضِعِهَا، وَمَخْرَجَ الْبَرَكَاتِ مِنْ مَعَادِنِهَا، وَيَا مَنْ خَصَّ نَفْسَهُ بِشُمُوحِ الرَّفْعَةِ، وَأَوَّلِيَاؤَهُ بِعَزِّهِ يَتَعَزَّزُونَ.

يَا مَنْ وَضَعَتْ لَهُ الْمُلُوكُ نَيْرَ الْمَذَلَّةِ عَلَى أَعْنَاقِهَا، فَهَمُّ مِنْ سَطْوَتِهِ خَائِفُونَ، أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي فَطَرْتَ بِهِ خَلْقَكَ فَكُلُّ لَهُ مَذْعَنُونَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تُنْجِزَ لِي أَمْرِي وَتُعَجِّلَ لِي فِي الْفَرَجِ، وَتَكْفِينِي وَتَعَايِينِي، وَتَقْضِيَ حَوَائِجِي، السَّاعَةَ السَّاعَةَ، اللَّيْلَةَ اللَّيْلَةَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٣ ص ٤٥٥ - ٤٥٦ الخطبة رقم (١٢١)، عن كتاب بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٣٩١ نقلاً عن كتاب العدد القوية.

أَخْلَاقِيَّات

عند انقلاب الموازين^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) :

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ، وَزَمَنٍ كَنُودٍ، يُعَدُّ فِيهِ
الْمُحْسِنُ مُسِيئًا، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوًّا، لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا، وَلَا نَسْأَلُ
عَمَّا جَهِلْنَا، وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا.

أصناف الناس

وَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ :

مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةً نَفْسِهِ، وَكَالَالَةَ
حَدِّهِ، وَنَضِيضُ وَفْرِهِ.

وَمِنْهُمْ الْمُضِلُّ لِسَيْفِهِ، وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ، وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ، قَدْ
أَشْرَطَ نَفْسَهُ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ، لِحِطَامٍ يَنْتَهِزُهُ، أَوْ مِقَنَبٍ يَقُودُهُ، أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ،
وَلَبِئْسَ الْمَتَجَرُّ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا، وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عَوَضًا.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٣٢)، وإعجاز القرآن للباقلائي: ص ١٤٨ - ١٤٩، وبحار الأنوار:

الدُّنْيَا، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ نَوْبِهِ،
وَرَزَخَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤُولُهُ نَفْسِهِ، وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ،
فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ
الرَّهَادَةِ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاكِحٍ وَلَا مَعْدَى.

من أخلاق النبلاء

وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ، وَأَرَأَقَ دُمُوعُهُمْ خَوْفُ
الْمَحْشَرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ، وَدَاعٍ
مُخْلِصٍ، وَتُكْلَانٍ مُوجِعٍ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمْ التَّقِيَّةُ، وَشَمِلَتْهُمْ الدَّلَّةُ، فَهُمْ فِي
بَحْرِ أُجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ صَامِزَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ، قَدْ وَعْظُوا حَتَّى مَلُّوا،
وَقُفِّرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا.

فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرْطِ، وَقُرَاصَةِ الْجَلَمِ،
وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَارْفُضُوهَا
دَمِيمَةً، فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ^(١).

(١) قال الشريف الرضي: أقول: وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية، وهي من
كلام أمير المؤمنين الذي لا يشك فيه، وأين الذهب من الرغام، وأين العذب من الأجاج، وقد
دل على ذلك الدليل الخريت، ونقده الناقد البصير: عمرو بن بحر الجاحظ، فإنه ذكر هذه
الخطبة في كتاب: البيان والتبيين، وذكر من نسبها إلى معاوية، ثم تكلم من بعدها بكلام
في معناها جملته، أنه قال: وهذا الكلام بكلام علي أشبه، وبمذهبه في تصنيف الناس،
وفي الإخبار عما هم عليه من القهر والإذلال، ومن التقية والخوف أليق، قال: ومتى
وجدنا معاوية في حال من الأحوال، يسلك في كلامه مسلك الرُّهَادِ ومذاهب العُبَادِ؟!

الزهد: من قمع الأخلاق^(١)

ومن كلام له (عليه السلام) :

أَيُّهَا النَّاسُ، الزَّهَادَةُ: قِصْرُ الْأَمَلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النَّعَمِ، وَالتَّوَرُّعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ، فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ، فَلَا يَغْلِبُ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ، وَلَا تَنْسَوُا عِنْدَ النَّعَمِ شُكْرَكُمْ، فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ، وَكُتِبَ بَارِزَةً الْعُذْرُ وَاضِحَةً.

له الإحاطة بكل شيء^(٢)

ومن خطبة له (عليه السلام) :

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ، وَخَبَرَ الضَّمَائِرَ، لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْغَلْبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

من أخلاق العقلاء

فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهْلِهِ، قَبْلَ إِزْهَاقِ أَجَلِهِ، وَفِي فَرَاعِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغْلِهِ، وَفِي مُتَنَفِّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَطْمِهِ، وَلِيْمَهْدَ لِنَفْسِهِ وَقَدَمِهِ، وَلِيَتَزَوَّدَ مِنْ دَارِ طَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ.

قَالَ اللَّهُ! أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ، وَاسْتَوَدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً، وَلَمْ يَدْعُكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمَى، قَدْ سَمَى آثَارَكُمْ، وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٨١)، وبحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٣١٧ ح ٢٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٨٦)، وبحار الأنوار: ج ٤ ص ٣١٩ ع ٤ ح ٤٥.

وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تَبَيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ، وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهَ أَرْمَانًا، حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ - فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ - دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِ، وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ، وَأَلْقَى إِلَيْكُمْ الْمَعْذِرَةَ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيِّ عَذَابٍ شَدِيدٍ.

لا تداهنا

فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ، وَاضْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْعُقْلَةُ، وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ، وَلَا تُرَحِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمْ الرُّخْصُ مَذَاهِبَ الظُّلْمَةِ، وَلَا تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمْ الْإِذْهَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ.

أنصح الناس لنفسه

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنْ أَعَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ، وَالْمَعْبُودُ مَنْ عَبَنَ نَفْسَهُ، وَالْمَعْبُودُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ انْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شَرُّكَ، وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ الْهَوَى مَنَسَاةٌ لِلْإِيمَانِ، وَمَحْضَرَةُ لِلشَّيْطَانِ، جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ، الصَّادِقُ عَلَى شَفَا مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ، وَالْكَاذِبُ عَلَى شَرَفٍ مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ، وَلَا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ، وَلَا تَبَاغُضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِيَ الْعَقْلَ، وَيُنْسِي الذِّكْرَ، فَاكْذِبُوا الْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ.

مِنْ أَحَبِّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) :

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ : عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ، وَتَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ، فَرَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ، وَأَعَدَّ الْقِرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ، وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ، نَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ، وَارْتَوَى مِنْ عَذْبِ فُرَاتٍ سُهَّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ، فَشَرِبَ نَهْلًا، وَسَلَكَ سَبِيلًا جَدَدًا.

قَدْ خَلَعَ سَرَائِلَ الشَّهَوَاتِ، وَتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ، إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا انْفَرَدَ بِهِ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى، وَمَعَالِيْقِ أَبْوَابِ الرَّدَى.

قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ، وَاسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا، وَمِنَ الْجِبَالِ بِأَمْتِنِهَا، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ.

قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ : مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ، مِصْبَاحِ ظُلُمَاتٍ، كَشَافِ عَشَوَاتٍ، مِفْتَاحِ مُبْهَمَاتٍ، دَفَاعِ مُعْضَلَاتٍ، دَلِيلِ فُلُوتٍ، يَقُولُ فَيُنْفِخُهُمْ، وَيَسْكُتُ فَيَسْلِمُ.

قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ، فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ، قَدْ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٨٧)، وأعلام الدين: ص ١٢٧ - ١٢٩ باب صفة المؤمن.

أَلَزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ، نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ، يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ، لَا يَدْعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً، إِلَّا أَمَّهَا، وَلَا مَظَنَّةً إِلَّا قَصَدَهَا، قَدْ أُمَكَّنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ، فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقْلُهُ، وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ.

مِنْ أَبْغَضِ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ

وَأَخْرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَالٍ، وَأَصَالِيلَ مِنْ ضَلَالٍ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكَ مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ، وَقَوْلِ زُورٍ، قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ، وَعَظَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ، يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ الْعِظَائِمِ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ، يَقُولُ: أَقِفْ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَفِيهَا وَقَعَ، وَيَقُولُ: أَعْتَزِلْ الْبِدْعَ وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ، فَالْصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعُهُ، وَلَا بَابَ الْعَمَى فَيُضَدُّ عَنْهُ، وَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ.

ما ينبغي لأهل العصمة والتقوى^(١)

ومن كلام له (عليه السلام) في النهي عن غيبة الناس :

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ، وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ، أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ، وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ.

فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ، وَعَيْرَهُ بِبُلُوَاهُ؟ أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سِتْرِ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤٠)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣١٨ ب ٤ ف ٢ ح ٧٣٤٠.

اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ، مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ؟
وَكَيْفَ يَذُمَّ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ؟

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ، فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ، مِمَّا
هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَإِنَّمَا اللَّهُ، لَيْتَن لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ، وَعَصَاهُ فِي
الصَّغِيرِ، لَجَرَاءَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ؟

يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلَا تَأْمَنَ
عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ.

فَلْيَكُفِّفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ، لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، وَلْيَكُنِ
الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ.

من آداب التآخي^(١)

ومن كلام له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ، وَسَدَادَ طَرِيقٍ، فَلَا
يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي، وَتُحْطِئُ السَّهَامُ،
وَيُحِيلُ الْكَلَامُ، وَبَاطِلٌ ذَلِكَ يَبُورُ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ، أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ
الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ.

فُسِّلَ عليه السلام عن معنى قوله هذا؟

فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثم قال: الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ:
سَمِعْتُ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ: رَأَيْتُ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤١)، ووسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٣٧٩ ب ٣٣ ح ٢١٨١١،

وبحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٩٧ ب ١٢ ح ١٦.

المعروف إذا لم يوضع في أهله^(١)

ومن كلام له عليه السلام :

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحِطِّ فِيمَا
أَتَى، إِلَّا مَحَمَّدُ اللَّثَامِ، وَتَنَاءُ الْأَسْرَارِ، وَمَقَالَةُ الْجُهَالِ، مَا دَامَ مُنْعَمًا
عَلَيْهِمْ: مَا أَجُودَ يَدَهُ! وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ بِحَيْلٍ.

فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ، وَلْيَفُكْ بِهِ
الْأَسِيرَ وَالْعَانِي، وَلْيُعِطْ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْعَارِمَ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ
وَالنَّوَائِبِ، ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ، فَإِنَّ فَوْزاً بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا،
وَدَرْكٌ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ليرأف كبيركم بصغيركم^(٢)

ومن كلام له عليه السلام :

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، وَلِيَرَأَفَ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ، وَلَا تَكُونُوا
كَجَفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ، وَلَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ، كَقَيْضٍ
يَبِضُّ فِي أَدَاخٍ، يَكُونُ كَسْرُهَا وَزُرًّا، وَيُخْرَجُ حِضَانُهَا شَرًّا.

عاقبة الظالمين^(٣)

افْتَرَقُوا بَعْدَ أُفْتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ، فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا
مَالَ مَالٌ مَعَهُ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤٢)، والكافي: ج ٤ ص ٣٢ باب وضع المعروف موضعه ح ٣،
وبحار الأنوار: ج ٧١ ص ٤١٦ ب ٣٠ ح ٣٥.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٦٦)، بحار الأنوار: ج ٣٤ ص ١١٣ - ١١٤ ب ٣١.

(٣) نهج البلاغة: ضمن الخطبة ١٦٦.

عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ، كَمَا تَجْتَمِعُ قَرْعُ
الْخَرِيفِ، يُؤْلَفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَّامًا كَرُكَّامِ السَّحَابِ، ثُمَّ يَفْتَحُ
اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابًا يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسِيلِ الْجَنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ
قَارَةٌ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكْمَةٌ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَّهُ رَصٌّ طَوْدٍ، وَلَا حِدَابٌ أَرْضٍ،
يُرْعَرِعُهُمُ اللَّهُ فِي بَطُونِ أَوْدِيَّتِهِ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ، يَأْخُذُ بِهِمْ
مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمْكِنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ، وَإِيمُ اللَّهِ لِيَذُوبَنَّ مَا فِي
أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ، كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ.

التيه: نتيجة التخاذل

أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَّخِذُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهْنُوا عَنْ تَوْهِينِ
الْبَاطِلِ، وَلَمْ يَطْمَعَ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقَوْ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ،
لَكِنَّكُمْ تَهْتُمُ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَلَعَمْرِي لِيُضَعَّفَنَّ لَكُمْ التَّيُّهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافًا، بِمَا خَلَقْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ
ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الْأَدْنَى، وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ اتَّبَعْتُمْ
الدَّاعِيَ لَكُمْ، سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ، وَكُفَيْتُمْ مَوْوَنَةَ الْإِعْتِسَافِ،
وَبَذَلْتُمْ الثَّقَلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ.

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) في أول خلافته :

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٦٧)، وبحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٠ - ٤١ ب ١ ح ٢٦، وتاريخ
الطبري: ج ٣ ص ٤٥٧ اتساق الأمر في البيعة لعلي بن أبي طالب.

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيَّنَّ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَاصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا.

الْفَرَائِضُ، الْفَرَائِضُ! أَدْوَهَا إِلَى اللَّهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَامًا غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحَرَمِ كُلِّهَا، وَشَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا، فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يَحِلُّ أَدَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ.

بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةِ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ، فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ، تَحَقَّقُوا تَلَحُّقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ.

المسؤولية: خلق إسلامي

اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ، أَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ.

أقبلوا نصيحة الله^(١)

ومن خطبة له ﷺ :

انْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ، وَأَقْبِلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْدَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيلَةِ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ، وَبَيَّنَّ لَكُمْ مَحَابَهُ مِنْ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٧٦)، وأعلام الدين: ص ١٠٥ - ١٠٧ أبيات في التوحيد.

الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِ مِنْهَا، لِيَتَّبِعُوا هَذِهِ وَتَجْتَنِبُوا هَذِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ الْجَنَّةَ حُقَّتْ بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ النَّارَ حُقَّتْ بِالشَّهَوَاتِ».

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهِهِ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ، فَارْحَمَ اللَّهُ أَمْرًا نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْرَعًا، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوَى.

من أخلاق المؤمن

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمَسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظُنُونٌ عِنْدَهُ، فَلَا يَزَالُ زَارِيًا عَلَيْهَا، وَمُسْتَرِيدًا لَهَا، فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ، وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ، قَوِّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ، وَطَوُّوْهَا طَيِّ الْمَنَازِلِ.

الناصح الذي لا يغش

وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ، وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، زِيَادَةٍ فِي هُدًى، أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمَى.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى، فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى أَدْوَائِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ، وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنَّفَاقُ، وَالْغَيِّ وَالضَّلَالُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ.

كونوا من أتباع القرآن

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَقَائِلٌ مُصَدِّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَّ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلَى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةٍ عَمَلِهِ، غَيْرَ حَرْثَةِ الْقُرْآنِ»، فَكُونُوا مِنْ حَرْثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، وَاسْتَنْصَحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، وَاسْتَغِشُوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ.

الْعَمَلُ، الْعَمَلُ!

ثُمَّ النَّهَايَةِ، النَّهَايَةِ!

وَالِاسْتِقَامَةَ، الْإِسْتِقَامَةَ!

ثُمَّ الصَّبْرَ، الصَّبْرَ!

وَالْوَرَعَ، الْوَرَعَ!

إِنَّ لَكُمْ نَهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَائِيَّتِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ عِلْمًا فَاهْتَدُوا بِعِلْمِكُمْ، وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ، وَاخْرُجُوا إِلَى اللَّهِ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وَبَيِّنْ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ، أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ، وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ.

استقيموا على الطريقة

أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ، وَالْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ، وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بَعْدَ اللَّهِ وَحُجَّتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا

تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾^(١)، وَقَدْ قُلْتُمْ رَبَّنَا اللَّهُ فَاَسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ، وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ، ثُمَّ لَا تَمُرُقُوا مِنْهَا، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا، وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا، فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطِعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

إِيَّاكُمْ وَتَلَوْنَ الْأَخْلَاقَ

ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعِ الْأَخْلَاقِ وَتَضْرِيفِهَا، وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِدًا، وَلِيَحْزُنَ الرَّجُلُ لِسَانَهُ، فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ، وَاللَّهُ مَا أَرَى عَبْدًا يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَحْزُنَ لِسَانَهُ، وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبْدَاهُ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ، لَا يَدْرِي مَاذَا لَهُ، وَمَاذَا عَلَيْهِ!!

وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ»، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَغْرَاضِهِمْ، فَلْيَفْعَلْ.

المؤمن بعيد عن البدع

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ عَامًا أَوَّلَ، وَيَحْرُمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَامًا أَوَّلَ، وَأَنَّ مَا أَخَذَتْ النَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئًا مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ.

فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَسْتُمُوهَا، وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَضُرِبَتْ
الْأَمْثَالُ لَكُمْ، وَدُعِيتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ، فَلَا يَصُمُّ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَصَمُّ،
وَلَا يَعْمَى عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَعْمَى، وَمَنْ لَمْ يَنْفَعُهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ، لَمْ
يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ، وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ، حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ،
وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ.

الناس رجлан

وَأِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ: مُتَّبِعٌ شِرْعَةً، وَمُتَّبِدِعٌ بِدْعَةً، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ بُرْهَانٌ سُنَّةً، وَلَا ضِيَاءٌ حُجَّةً.

وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ
الْمَتِينِ، وَسَبَبُهُ الْأَمِينِ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ
غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكَّرُونَ، وَبَقِيَ النَّاسُونَ أَوْ الْمُتَنَاسُونَ، فَإِذَا
رَأَيْتُمْ خَيْرًا فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَادْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «يَا ابْنَ آدَمَ، اْعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعْ الشَّرَّ، فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ
قَاصِدٌ».

الظلم ثلاثة

أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يُعْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا
يُطْلَبُ.

فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُعْفَرُ: فَالشَّرْكُ بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا
يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾^(١).

وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُعْفَرُ: فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ، عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ.

وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ: فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ، لَيْسَ هُوَ جَرْحًا بِالْمُدَى، وَلَا ضَرْبًا بِالسَّيَاطِ، وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْعَرُ ذَلِكَ مَعَهُ.

فَيَاكُمْ وَالتَّلَوْنَ فِي دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيَمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ، خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيَمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا مِنْ مَضَى، وَلَا مِنْ بَقِيَ.

طوبى لمن شغله عيبه

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ غُيُوبِ النَّاسِ، وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وَأَكَلَ قُوَّتَهُ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغْلٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ.

الإيمان مستقرّ ومستودع^(١)

ومن كلام له (عليه السلام):

فَمَنْ الْإِيمَانُ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقَرًّا فِي الْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَّ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالضُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ، فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ، فَقَفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ.

. وَالْهَجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ، مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِيرِ الْإِمَّةِ وَمُعْلِنِهَا، لَا يَقَعُ اسْمُ الْهَجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ

فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ، وَلَا يَقَعُ اسْمُ الْإِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ، فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاَهَا قَلْبُهُ.

عظم حلمه فعفى^(١)

ومن كلام له عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ، وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ، وَالْمُتَعَالِي جَدُّهُ، أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ التَّوَامِ، وَالْآلِيهِ الْعِظَامِ، الَّذِي عَظَّمَ جَلْمُهُ فَعَفَا، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى، وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَى، مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بَعْلِمِهِ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ، بِلَا اقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ، وَلَا اخْتِدَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعِ حَكِيمٍ، وَلَا إِصَابَةٍ خَطَأٍ، وَلَا حَضَرَةٍ مَلَأٍ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ابْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي عَمْرَةٍ، وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْمَةٌ الْحَيْنِ، وَاسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْنِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ.

نعم الخلق: التقوى

عِبَادَ اللَّهِ، أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقِّكُمْ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّهِ، وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَرَزُ وَالْجَنَّةُ، وَفِي غَدِ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ، مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ، وَسَالِكُهَا رَايِحٌ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ.

لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِينَ مِنْكُمْ، وَالْعَابِرِينَ

لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا عَدَاً، إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبَدَى، وَأَخَذَ مَا أَعْطَى، وَسَالَ عَمَّا أَسَدَى، فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبْلَهَا، وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا، أُولَئِكَ الْأَقْلَوْنَ عَدَدَاً، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، إِذْ يَقُولُ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾^(١).

فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا، وَالْطُّوَا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا، وَاعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَنَّا، وَمِنْ كُلِّ مُحَالِفٍ مُّوَافِقًا، أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ، وَاقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ، وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ، وَارْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ، وَذَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ، وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ، وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا.

صونوا التقوى وتصونوا بها

أَلَا فَضُونُوهَا وَتَصُونُوهَا بِهَا، وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَاهَاً، وَإِلَى الْآخِرَةِ وُلاَهَا، وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَى، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا، وَلَا تَسِيمُوا بَارِقَهَا، وَلَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا، وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِسْرَاقِهَا، وَلَا تُفْتِنُوا بِأَعْلَاقِهَا، فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ، وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ، وَأُمُومَالُهَا مَحْرُوبَةٌ، وَأَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ.

أَلَا وَهِيَ الْمُتَصَدِّقَةُ الْعُنُونُ، وَالْجَامِحَةُ الْحُرُونُ، وَالْمَائِنَةُ الْخُؤُونُ، وَالْجَحُودُ الْكُنُودُ، وَالْعُنُودُ الصَّدُودُ، وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ، حَالُهَا انْتِقَالُ، وَوُطْأُهَا زِلْزَالُ، وَعِزُّهَا ذُلُّ، وَجِدُّهَا هَزْلُ، وَعُلُوُّهَا سُفْلُ.

من دأب الدنيا

دَارُ حَرْبٍ وَسَلْبٍ، وَنَهَبٍ وَعَطْبٍ، أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَاقٍ، وَلِحَاقٍ

وَفِرَاقٍ، قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا، فَأَسْلَمَتْهُمْ الْمَعَاقِلُ، وَلَفَظَتْهُمْ الْمَنَازِلُ، وَأَعْيَتْهُمْ الْمَحَاوِلُ، فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ، وَشِلْوٍ مَذْبُوحٍ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ، وَعَاضٌ عَلَى يَدَيْهِ، وَصَافِي بِكَفِّهِ، وَمُرْتَفِقٍ بِحَدْيِهِ، وَزَارٍ عَلَى رَأْيِهِ، وَرَاجِعٌ عَنْ عَزْمِهِ، وَقَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيلَةُ، وَأَقْبَلَتِ الْغِيلَةُ، ﴿وَلَا تَحِينَ مَنَاصِرَ﴾^(١).

هَيْهَاتَ، هَيْهَاتَ! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَمَضَتْ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾^(٢).

اختار العز والكبرياء لنفسه^(٣)

ومن خطبة له عليه السلام تسمى (القاصعة) وهي تتضمن ذم إبليس لعنه الله، على استكباره وتركه السجود لآدم عليه السلام، وأنه أول من أظهر العصبية وتبع الحمية، وتحذير الناس من سلوك طريقته.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبَسَ الْعِزَّ وَالْكَبْرِيَاءَ وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا حِمًى وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ، وَاضْطَفَاهُمَا لِحِجَابِهِ، وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَارَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ.

ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ - وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ، وَمَحْجُوبَاتِ

(١) سورة ص، الآية: ٣.

(٢) سورة الدخان، الآية: ٢٩.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩٢)، وبحار الأنوار: ج ١٤ ص ٤٦٥ - ٤٧٧ ب ٣١ ح ٣٧،

وأعلام الوري: ص ٢٢ - ٢٣ ب ٢، والمناقب: ج ١ ص ١٢٩ فصل في إعجازه.

الْغُيُوبِ :- ﴿...إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴿١﴾، اغْتَرَضْتُهُ الْحَمِيَّةُ، فَأَفْتَحَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ.

إبليس: إمام المتعصبين

فَعَدُّوْا اللّٰهَ إِمَامًا الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصْبِيَّةِ، وَنَارَعَ اللّٰهَ رِدَاءَ الْجَبَرِيَّةِ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ، أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللّٰهُ بِتَكْبَرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرْفُعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَذْهُورًا، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا؟

لو أراد الله لفعل

وَلَوْ أَرَادَ اللّٰهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ، وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُؤَاؤُهُ، وَطِيبَ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعْلٍ، وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً، وَلَخَفَّتِ الْبُلُوى فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَلَكِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ، تَمَيِّزًا بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ، وَنَفْيًا لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِبْعَادًا لِلْخِلَاءِ مِنْهُمْ.

اعتبروا من فعل الله بإبليس

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللّٰهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلُهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدُهُ الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللّٰهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ، لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا، أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ؟ عَنْ كَبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ.

فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟

كَلَّا، مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرِ أُخْرِجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا،
إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ
مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَّةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمَى حَرَمِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ.

لا يُعديكم إبليس بدائه

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ عُدْوَ اللَّهِ، أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنَدَائِهِ،
وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ.

فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوْقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ،
وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، فَقَالَ: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١)، قَدْفًا بَغِيْبٍ بَعِيدٍ، وَرَجْمًا بَظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ، صَدَقَهُ
بِهِ أَبْنَاءُ الْحِمِيَّةِ، وَإِخْوَانُ الْعَصِيَّةِ، وَفُرْسَانُ الْكِبَرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ.

حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ
فِيكُمْ، فَتَجَمَّعَتِ الْحَالُ مِنَ السَّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ، اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ
عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الدُّلِّ، وَأَحْلَوْكُمْ
وَرَطَاتِ الْقَتْلِ، وَأَوْطَؤُوكُمْ إِنْخَانَ الْجِرَاحَةِ، طَعْنًا فِي عُيُونِكُمْ، وَحَزًّا فِي
حُلُوقِكُمْ، وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ، وَقَصْدًا لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوْقًا بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى
النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ.

فَأُصْبِحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ حَرْجًا، وَأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَذْحًا، مِنَ الَّذِينَ

أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ، فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ، وَلَهُ جِدَّكُمْ.

أجلب إبليس بخيله عليكم

فَلَعَمْرُ اللَّهِ، لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلَابِكُمْ، وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ، وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ، يَفْتَنُصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ، لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ، فِي حَوْمَةٍ ذُلٍّ، وَحَلَقَةٍ ضِيقٍ، وَعَرَصَةٍ مَوْتٍ، وَجَوْلَةٍ بَلَاءٍ.

فَاطْفُؤُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ، وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحِمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَحْوَاتِهِ، وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَاعْتَمِدُوا وَضَعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُؤُوسِكُمْ، وَإِلْقَاءِ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وَخَلَعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ.

وَاتَّخِذُوا التَّوَاضَعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُودًا وَأَعْوَانًا، وَرَجِلًا وَفُرْسَانًا، وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ، مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ، سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ، مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ، وَقَدَحَتِ الْحِمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبَرِ، الَّذِي أَغْصَبَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ، وَالزَّرَمَةَ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

إياكم وكبر الحمية

أَلَا وَقَدْ أَمَعْنْتُمْ فِي الْبَغْيِ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ، مُصَارَحَةً لِلَّهِ بِالْمُنَاصِبَةِ، وَمُبَارَرَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي كِبَرِ الْحِمِيَّةِ، وَفَخْرٍ

الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ مَلَأَ قُحُ الشَّنَّانِ، وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ، الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَّمَ الْمَاضِيَةَ، وَالْقُرُونُ الْخَالِيَةَ، حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ، وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ، ذُلًّا عَنْ سِيَاقِهِ، سُلْسًا فِي قِيَادِهِ، أَمْرًا تَشَابَهَتْ الْقُلُوبُ فِيهِ، وَتَتَابَعَتْ الْقُرُونُ عَلَيْهِ، وَكَبْرًا تَضَايَقَتْ الصُّدُورُ بِهِ.

لا تطيعوا الأدعياء

أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ، الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسْبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقُوا الْهَجِيئَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابِرَةً لِقَضَائِهِ، وَمُغَالَبَةً لِأَلَايِهِ، فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ اعْتِرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعْمِهِ عَلَيْكُمْ أُضْدَادًا، وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَادًا، وَلَا تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدْرَهُمْ، وَخَلَطْتُمْ بِصَحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ، وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ.

اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ، وَجُنْدًا بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، اسْتِرَاقًا لِعُقُولِكُمْ، وَدُخُولًا فِي عُيُونِكُمْ، وَنَفْثًا فِي أَسْمَاعِكُمْ، فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ، وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ، وَمَأْخَذَ يَدِهِ.

اعتبروا بما أصاب المستكبرين

فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَّمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثَلَاتِهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ، وَمَصَارِعِ

جُنُوبِهِمْ، وَاسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبَرِ، كَمَا تَسْتَعِيدُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ.

فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبَرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ، لَرَخَّصَ فِيهِ لِمَخَاصِئِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَاثُرَ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ، فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وَعَقَرُوا فِي الثَّرَابِ وُجُوهَهُمْ، وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا قَوْمًا مُسْتَضْعِفِينَ، قَدْ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخْمَصَةِ، وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ، وَامْتَحَنَهُمُ بِالْمَخَافِ، وَمَخَضَهُمُ بِالْمَكَارِهِ.

فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَا وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ، جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، وَالِاخْتِبَارِ فِي مَوَاضِعِ الْغِنَى وَالِاقْتِدَارِ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ سَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١)، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ، بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعِفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ.

بين موسى عليه السلام وفرعون

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَى فِرْعَوْنَ، وَعَلَيْهِمَا مَذَارِعُ الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ، وَدَوَامَ عِزِّهِ، فَقَالَ: أَلَا تَعَجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ، يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ، وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ؟

إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ، وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذُّهَبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعُفْيَانِ،
وَمَعَارِسَ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ، وَوُحُوشَ الْأَرْضِينَ
لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَّا
وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلِينَ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ،
وَلَا لَزِمَتْ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا.

وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولَى قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيمَا
تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى،
وَحَصَاصَةً تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَدًى.

لماذا الأنبياء من ضعفة الناس؟

وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلُ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لَا تُصَامُ، وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوُهُ
أَعْنَاقُ الرِّجَالِ، وَتُسَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ، لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي
الِاعْتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْإِسْتِكْبَارِ، وَلَا مُنَا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ
مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ النَّيِّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً.

وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصَدِيقُ بِكُتُبِهِ،
وَالْخُشُوعُ لَوُجْهِهِ، وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ، أُمُورًا لَهُ
خَاصَّةٌ، لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ، وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلَاةُ وَالِاخْتِبَارُ
أَعْظَمَ، كَانَتِ الْمُثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ.

من أسرار وجوب الحج

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ (صلوات الله

عليه) إلى الآخرين من هذا العالم، بأحجارٍ لا تضرُّ ولا تنفع، ولا تُبصرُ ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام، الذي جعله للناس قياماً.

ثم وضعه بأوعرِ بقاع الأرض حَجَراً، وأقلَّ نتائقي الدنيا مدرّاً، وأضيقَ بطون الأودية قُطراً، بينَ جبالٍ خَسَنَةٍ، ورمالٍ دَمَثَةٍ، وعُيونٍ وشِلَةٍ، وقرى مُنْقَطَعَةٍ، لا يزكو بها خُفٌّ، ولا حافرٌ ولا ظِلْفٌ.

ثم أمر آدم عليه السلام، ولده، أن يثنوا أعطافهم نحوه، فصار مثابةً لِمُتَجِّعِ أسفارهم، وغايةً لِمُلْقَى رحالهم، تهوي إليه ثمارُ الأفئدة، من مفاوزِ قفارٍ سحيقة، ومهاوي فجاجٍ عميقة، وجزائرِ بحارٍ مُنْقَطَعَةٍ، حتّى يهزُّوا مناكِبهم ذُللاً، يهلّلون لله حوله، ويرملون على أقدامهم شعثاً غبراً له.

قد نبذوا السراويل وراء ظهورهم، وشوهوا بإعفاءِ الشُّعُورِ محاسنَ خلقهم، ابتلاءً عَظِيماً، وامتحاناً شديداً، واختباراً مُبِيناً، وتمحيصاً بليغاً، جعله الله سبباً لرحمته، ووصلةً إلى جنّته.

لو كانت الكعبة بين رياض ناضرة

ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام، ومساعره العظام، بين جنّاتٍ وأنهارٍ، وسهلٍ وقرارٍ، جمّ الأشجارِ، داني الثمارِ، مُلتَفِّ البنى، مُتَصِلِ القرى، بين بُرّةٍ سَمراءَ، وروضةٍ خَضراءَ، وأريافٍ مُحدِّقةٍ، وعِراضٍ مُعْدِقةٍ، ورياضٍ ناضرةٍ، وطُرقٍ عامرةٍ، لكان قد صغرَ قدرُ الجزاءِ، على حسبِ ضعفِ البلاءِ.

ولو كان الأساسُ المَحْمُولُ عليها، والأحجارُ المَرْفُوعُ بها، بينَ

زُمُرْدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَأْقُوتَةَ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءَ، لَحَفَفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةً الشَّكَّ فِي الصُّدُورِ، وَلَوَضَعَ مُجَاهِدَةً إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ.

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجًا لِلتَّكْبَرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَانًا لِلتَّذَلُّلِ فِي نَفْسِهِمْ، وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَابًا فَتْحًا إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَابًا ذُلًّا لِعَفْوِهِ.

الكبير: مَصِيدَةُ إِبْلِيسَ

فَاللَّهُ اللَّهُ! فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبَرِ، فَإِنَّهَا مَصِيدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ، فَمَا تُكْدِي أَبَدًا، وَلَا تُشْوِي أَحَدًا، لَا عَالِمًا لِعِلْمِهِ، وَلَا مُقَلًّا فِي طِمْرِهِ.

وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالرَّكَّوَاتِ، وَمُجَاهِدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ، تَسْكِينًا لِأَطْرَافِهِمْ، وَتَخْشِيعًا لِأَبْصَارِهِمْ، وَتَذْلِيلًا لِنَفْسِهِمْ، وَتَخْفِيزًا لِقُلُوبِهِمْ، وَإِذْهَابًا لِلْخِيَلَاءِ عَنْهُمْ، وَلِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَغْيِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالثَّرَابِ تَوَاضَعًا، وَالتَّبَصُّاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُرًا، وَلُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلًا، مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ.

انظُرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ، وَقَدْعِ طَوَالِعِ الْكِبَرِ.

التعصّب الأعمى

وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لَشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهِ الْجُهَلَاءِ، أَوْ حُجَّةٍ تَلِيْطُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَيْرِكُمْ، فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرِ مَا يُعْرِفُ لَهُ سَبَبٌ، وَلَا عِلَّةٌ.

أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأُضْلِهِ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خَلْقَتِهِ، فَقَالَ: أَنَا نَارِيٌّ، وَأَنْتَ طِينِيٌّ.

وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتَرَفَةِ الْأُمَمِ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النَّعَمِ، فَ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ (١).

ليكن تعصّبكم للمكارم والمحاسن

فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ، فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ، وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ، وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَّاءُ وَالنُّجَدَاءُ، مِنْ بَيُوتَاتِ الْعَرَبِ، وَيَعَاسِيِبِ الْقَبَائِلِ بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيْبَةِ، وَالْأَحْلَامِ الْعَظِيْمَةِ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيْلَةِ، وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ.

فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ، مِنَ الْحِفْظِ لِلْجَوَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبَرِ، وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ، وَالْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ، وَالْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ، وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ.

احذروا ما نزل بالأمم قبلكم

وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثَلَاتِ، بِسُوءِ الْأَفْعَالِ، وَدَمِيمِ

الْأَعْمَالِ، فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا
أَمْثَالَهُمْ.

فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالِيهِمْ، فَالزَّمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتْ الْعِزَّةُ بِهِ
شَأْنُهُمْ، وَزَاوَتْ الْأَعْدَاءَ لَهُ عَنْهُمْ، وَمَدَّتِ الْعَافِيَةُ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَانْقَادَتْ
النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، وَوَصَلَتْ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلُهُمْ، مِنَ الْإِجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ،
وَاللِّزُومِ لِلْأُلْفَةِ، وَالتَّحَاضُّ عَلَيْهَا، وَالتَّوَاصِي بِهَا.

وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فَقَرَّتَهُمْ، وَأَوْهَنَ مُتَتَّهُمْ، مِنْ تَضَاعُنِ الْقُلُوبِ،
وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ الْأَيْدِي.

تَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَاضِينَ

وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ
التَّمَحِيصِ وَالْبَلَاءِ، أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً، وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً،
وَأَضْيَقَ أَهْلَ الدُّنْيَا حَالاً؟ اتَّخَذَتْهُمْ الْفِرَاعَةُ عَبِيداً، فَسَأَمُوهُمْ سُوءَ
الْعَذَابِ، وَجَرَّعُوهُمْ الْمَرَارَ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ، وَقَهْرِ
الْغَلْبَةِ، لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ، وَلَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعٍ.

حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ،
وَالِإِحْتِمَالِ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَائِقِ الْبَلَاءِ فَرَجاً،
فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ، وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً،
وَأَئِمَّةً أَعْلَاماً، وَقَدْ بَلَغَتِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الْآمَالُ إِلَيْهِ
بِهِمْ.

ثمرات الاتحاد والاختلاف

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتْ الْأَمْلاءُ مُجْتَمِعَةً، وَالْأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً،
وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً، وَالْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً،
وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً، أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِينَ، وَمُلُوكًا عَلَى
رِقَابِ الْعَالَمِينَ؟

فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ،
وَتَشَتَّتِ الْأَلْفَةُ وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالْأَفْئِدَةُ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ، وَتَفَرَّقُوا
مُتَحَارِبِينَ، وَقَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ،
وَبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبْرًا لِلْمُعْتَبِرِينَ.

تحت وطأة الأكاسرة والقيصرة

فَاغْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَبَنِي إِسْحَاقَ، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ (ع)، فَمَا
أَشَدَّ اغْتِدَالِ الْأَحْوَالِ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهِ الْأَمْثَالِ؟

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّبِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ، لِيَالِي كَانَتْ الْأَكَاسِرَةُ
وَالْقَبَاصِرَةُ أَرْبَابًا لَهُمْ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رَيْفِ الْآفَاقِ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ،
وَحُضْرَةِ الدُّنْيَا، إِلَى مَنَابِتِ الشَّيْخِ، وَمَهَافِي الرِّيحِ، وَنَكَدِ الْمَعَاشِ،
فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ، إِخْوَانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ، أَذَلَّ الْأُمَمِ دَارًا، وَأَجْدَبَهُمْ
قَرَارًا، لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَلَا إِلَى ظِلِّ أَلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ
عَلَى عِزِّهَا، فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَّةٌ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي
بَلَاءٍ أَزَلٍ، وَأَطْبَاقٍ جَهْلٍ، مِنْ بَنَاتِ مَوْءُودَةٍ، وَأَصْنَامِ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامِ
مَقْطُوعَةٍ، وَغَارَاتِ مَشْنُونَةٍ.

في ظل الأنبياء والأوصياء

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلُفَّتَهُمْ، كَيْفَ نَشَرَتِ النُّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، وَالتَّقَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ.

قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ، وَأَوْتَهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنْفِ عِزٍّ غَالِبٍ، وَتَعَطَّطَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي دُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِينَ، يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمَضِّيهَا فِيهِمْ، لَا تُعْمَرُ لَهُمْ قَنَاءٌ، وَلَا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاءٌ.

نفضتم أيديكم من حبل الطاعة

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وَتَلَمَّثْتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ، بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ اِمْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ، مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأُلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنْفِهَا، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيَمَةً، لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنِ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ.

صرتم بعد الهجرة أعراباً

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَعْرَابًا، وَبَعْدَ الْمَوَالَاةِ أَحْزَابًا، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ.

تَقُولُونَ: النَّارَ وَلَا الْعَارَ، كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِرُوا الْإِسْلَامَ عَلَى

وَجِهِهِ، أَنْتَهَاكَ لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضًا لِمِيثَاقِهِ، الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ، وَأَمْنًا بَيْنَ خَلْقِهِ، وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ، حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلَ وَلَا مِيكَائِيلَ، وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارُ يَنْصُرُونَكُمْ، إِلَّا الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ.

وَإِنْ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالُ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَقَوَائِعِهِ، فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ، جَهْلًا بِأَخْذِهِ، وَتَهَاوُنًا بِبَطْشِهِ، وَيَأْسًا مِنْ بَأْسِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقُرْنَ الْمَاضِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، إِلَّا لَتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ النَّهْيِ.

لقد قطعتم قيد الإسلام

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلَامِ، وَعَظَلْتُمْ حُدُودَهُ، وَأَمْتُمُ أَحْكَامَهُ.
أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ، وَالنَّكَثِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ، وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفَيْتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةٌ قَلْبِهِ، وَرَجَّةٌ صَدْرِهِ، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ، وَلَكِنْ أَذِنَ اللَّهُ فِي الْكُرَّةِ عَلَيْهِمْ، لِأَدِيلَنَ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَدَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَدُّرًا.

من أخلاق المتقين^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) يصف فيها المتقين :

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩٣)، وكتاب سليم بن قيس: ص ٨٤٩ - ٨٥٢ ح ٤٣، والكافي: ج ٢ ص ٢٢٦ - ٢٣٠ باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح ١، والأمالى للصدوق: ص ٥٧٠ - ٥٧٤ المجلس ٨٤ ح ٢٤.

رُوي: أَنَّ صَاحِباً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يُقَالُ لَهُ: هَمَّامٌ، كَانَ رَجُلًا عَابِداً، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، صِفْ لِي الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ؟. فَتَنَاقَلَ عليه السلام عَنْ جَوَابِهِ، ثُمَّ قَالَ:

يَا هَمَّامُ، اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنْ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٧٨﴾^(١).

فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِهَذَا الْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ.

فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ عليه السلام، ثُمَّ قَالَ عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ - حِينَ خَلَقَهُمْ - غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَاشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ.

المتقون هم أهل الفضائل

فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْإِفْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُّعُ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نُزِلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَأَلَّتِي نُزِلَتْ فِي الرَّخَاءِ، وَلَوْ لَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ. عَظَّمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ

كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ، قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ، صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً، أَعَقَبَتْهُمْ رَاحَةٌ طَوِيلَةٌ، تِجَارَةٌ مُرَبِّحَةٌ بِسَرَّهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ، أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا.

ليل المتقين ونهارهم

أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ، يُرْتَلُونَهَا تَرْتِيلًا، يَحْزَنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصَبٌ أَعْيُنُهُمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَضَعَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهيقَهَا فِي أَصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكْفُهُمْ، وَرَكِبَهُمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ.

وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءَ، أَبْرَارُ أَتْقِيَاءَ، قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرِي الْقِدَاحِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرْضٍ، وَيَقُولُ: لَقَدْ خَوِلْتُوْا، وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ.

لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ، فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَهِمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ، إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ، خَافَ مِمَّا يَقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي، اللَّهُمَّ لَا

تُؤَاخِذُنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ.

من علامات المتقين

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ: أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْماً فِي لِينٍ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ، وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ، وَعِلْماً فِي حِلْمٍ، وَقَصْداً فِي غِنَى، وَخُشوعاً فِي عِبَادَةٍ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ، وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ، وَطَلَباً فِي حَلَالٍ، وَنَشَاطاً فِي هُدًى، وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ.

يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمَسِّي وَهْمُهُ الشُّكْرَ، وَيُضْبِحُ وَهْمُهُ الذِّكْرَ، يَبِيتُ حَذِراً، وَيُضْبِحُ فَرِحاً، حَذِراً لِمَا حُذِرَ مِنْ الْعَقْلَةِ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ، إِنْ اسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَ، لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ، قُرَّةٌ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى.

يَمْرُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ، تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ، قَلِيلاً زَلُّهُ، خَاشِعاً قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُوراً أَكْلُهُ، سَهْلاً أَمْرُهُ، حَرِيزاً دِينُهُ، مَيَّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ، الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ، إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبَ مِنَ الْغَافِلِينَ.

سمات المتقين البارزة

يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، بَعِيداً فُحْشُهُ، لَيْناً قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ، فِي الرِّلَازِلِ وَقُورٌ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ، وَفِي الرِّخَاءِ شُكُورٌ، لَا يَحِيفُ عَلَى

مَنْ يُبْغِضُ، وَلَا يَأْتُمُ فِيمَنْ يُحِبُّ، يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ.

لَا يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ، وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ، وَلَا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ، إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْمَهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ صَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بَغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمَ لَهُ.

نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ، أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِأَخِرَتِهِ، وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ، بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ، وَدُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ.

هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها

قَالَ: فَصَعِقَ هَمَامٌ صَعَقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام): أَمَا وَاللَّهِ، لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَهَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا؟

فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: فَمَا بَالُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟

فَقَالَ (عليه السلام): وَيَحَكَ، إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ، وَسَبَبًا لَا يَتَجَاوَزُهُ، فَمَهْلًا لَا تُعَدُّ لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ.

خوض الغمار من رضوان الله^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) يصف فيها المنافقين:

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَنَسْأَلُهُ لِمَتِّهِ تَمَامًا، وَبِحَبْلِهِ اغْتِصَامًا.

وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَاصَّ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ، وَقَدْ تَلَوْنَ لَهُ الْأَذْنُونَ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَفْصُونَ، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعْنَتَهَا، وَضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بُطُونُ رَوَاجِلِهَا، حَتَّى أَنْزَلْتُ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا، مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ، وَأَسْحَى الْمَزَارِ.

احذروا النفاق والمنافقين

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحْذَرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ، فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ، وَالرَّالُونَ الْمُرْتُلُونَ، يَتَلَوْنُ الْوَنَاءَ، وَيَفْتَتُونَ افْتِنَانًا، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ، وَيَرْضِدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ، فُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ، وَصِفَاهُمْ نَقِيَّةٌ، يَمْسُونَ الْخَفَاءَ، وَيَدْبُونَ الضَّرَاءَ، وَصَفُهُمْ دَوَاءٌ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ، وَفِعْلُهُم الدَّاءُ الْعِيَاءُ، حَسَدَةُ الرَّخَاءِ، وَمُؤَكِّدُو الْبَلَاءِ وَمُقْنِطُو الرَّجَاءِ، لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ، وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ، وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ، يَتَقَارِضُونَ الثَّنَاءَ، وَيَتَرَاقِبُونَ الْجَزَاءَ، إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا، وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا، وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا.

من صفات المنافقين

قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا، وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحًا، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحًا.

يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَأَهُمْ، وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاهُمْ، يَقُولُونَ فَيَسْبَهُونَ، وَيَصِفُونَ فَيَمُوهُونَ.

قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ، وَأَصْلَعُوا الْمَضِيقَ، فَهُمْ لَمَّةُ الشَّيْطَانِ، وَحُمَةُ النَّيِّرَانِ، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١).

التقوى: زمام وقوام^(٢)

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا الرِّمَامُ وَالْقَوَامُ، فَتَمَسَّكُوا بِوَتَائِقِهَا، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا، تَوَلَّ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ، وَأَوْطَانِ السَّعَةِ، وَمَعَاوِلِ الْحَزْرِ، وَمَنَازِلِ الْعِزِّ، فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ، وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ، وَتُعْطَلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ، وَيَنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وَتَبْكُمُ كُلُّ لَهْجَةٍ، وَتَذِلُّ الشُّمُ الشَّوَامِخُ، وَالصُّمُ الرِّوَاسِخُ، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَابًا رَفَرَقًا، وَمَعْهَدُهَا قَاعًا سَمَلَقًا، فَلَا شَفِيعَ يَشْفَعُ، وَلَا حَمِيمَ يَنْفَعُ، وَلَا مَعِذَةَ تَدْفَعُ.

من آثار العقل والتعقل^(٣)

ومن كلام له (عليه السلام) :

قَدْ أَحْيَا عَقْلُهُ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ، وَلَطَفَ غَلِيظُهُ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرَقِ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ، وَتَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ، وَدَارِ الْإِقَامَةِ، وَتَبَتَّ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةٍ بَدَنِهِ، فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ، بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبُهُ وَأَرْضَى رَبَّهُ.

(١) سورة المجادلة، الآية: ١٩.

(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم (١٩٥)، وبحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٣١٦ - ٣١٧ ب ١٤ ح ١٥.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٢٠)، وبحار الأنوار: ج ٦٦ ص ٣١٦ ب ٢٧ ح ٣٤.

التقوى: عتق وتحرر^(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ، وَعِثْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ، بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ، وَيُنْجُو الْهَارِبُ، وَتُنَالُ الرِّغَائِبُ، فَاغْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، وَالِدُّعَاءُ يُسْمَعُ، وَالْحَالُ هَادِئَةٌ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ.

وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمْرًا نAKِسًا، أَوْ مَرَضًا حَاسِبًا، أَوْ مَوْتًا خَالِسًا، فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمٌ لَذَاتِكُمْ، وَمُكَدِّرٌ شَهَوَاتِكُمْ، وَمُبَاعِدٌ طَيِّبَاتِكُمْ، زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ، وَقَرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، وَوَائِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ.

فَدَأْغَلَقْتُمْ حَبَائِلُهُ، وَتَكَنَّفْتُمْ غَوَائِلُهُ، وَأَفْضَدْتُمْ مَعَابِلُهُ، وَعَظَّمْتُمْ فِيكُمْ سَطَوْتُهُ، وَتَتَابَعْتُمْ عَلَيْكُمْ عَدَوْتُهُ، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبَوْتُهُ، فَيُوشِكُ أَنْ تَعْسَاكُمْ دَوَاجِي طُلُلِهِ، وَاحْتِدَامُ عِلَلِهِ، وَخَنَادِسُ عَمَرَاتِهِ، وَعَوَاشِي سَكَرَاتِهِ، وَأَلِيمُ إِرْهَاقِهِ، وَدُجُو أَطْبَاقِهِ، وَجُشُوبُهُ مَذَاقِهِ.

فَكَأَنَّ قَدْ أَتَاكُمْ بَعْتُهُ، فَأَسْكَتَ نَجِيَّتَكُمْ، وَفَرَّقَ نَدِيَّتَكُمْ، وَعَفَى آثَارَكُمْ، وَعَطَلَ دِيَارَكُمْ، وَبَعَثَ وُرَائَكُمْ يَفْتَسِمُونَ تُرَائِكُمْ، بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعُ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعُ، وَآخِرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ.

الجد والاجتهاد: دأب العقلاء

فَعَلَيْكُمْ بِالْجَدِّ وَالْاجْتِهَادِ، وَالتَّأَهُبِ وَالِاسْتِعْدَادِ، وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ، وَلَا تَغَرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٢٠٩

الْمَاضِيَّةِ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا، وَأَفْنَوْا
عِدَّتَهَا، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا.

وَأَصْبَحَتْ مَسَاكِينُهُمْ أَجْدَانًا، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثًا، لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ،
وَلَا يَخْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ.

فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا عَدَارَةٌ غَرَارَةٌ خَدُوعٌ مُعْطِيَةٌ مُنَوَّعٌ مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ، لَا
يَدُومُ رَخَاؤُهَا، وَلَا يَنْقُضِي عَنَاؤُهَا، وَلَا يَرْكُدُ بِلَاؤُهَا.

من علامات الزاهدين

كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ
مِنْهَا، عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصَرُونَ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ، تَقَلَّبَ أَبْدَانُهُمْ
بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الْآخِرَةِ، وَيَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعْظَمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ،
وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَامًا لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ.

أفضل الأخلاق: إحياء الحق^(١)

ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس :

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَيَقُوتُهُ، وَيَحْزَنُ عَلَى
الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ.

فَلَا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ: بُلُوعُ لَذَّةٍ، أَوْ شِفَاءُ
عَظِيظٍ، وَلَكِنْ إِطْفَاءُ بَاطِلٍ، أَوْ إِحْيَاءُ حَقٍّ.

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٦٦)، وبحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٤٩٢ ب ٢٩ ح ٦٩٨، ومستدرک
سفينة البحار: ج ٨ ص ١٦٣ باب الغفلة واللغو وكثرة الفرح.

وَلْيَكُنْ شُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ، وَأَسْفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ، وَهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ
الْمَوْتِ.

الصفح مع الدولة^(١)

ومن كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني:

وَتَمَسَّكَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَاسْتَنْصَحَهُ، وَأَحْلَلَ حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ،
وَصَدَّقَ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ، وَاعْتَبَرَ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا، فَإِنَّ
بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضًا، وَآخِرُهَا لَا حَقَّ بِأَوَّلِهَا، وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ.

وَعَظَّمَ اسْمَ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ، وَأَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ، وَمَا بَعْدَ
الْمَوْتِ، وَلَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرِّ وَثِيقٍ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ
صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ، وَيُكْرَهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي
السِّرِّ، وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ
أَنْكَرَهُ، أَوْ اعْتَدَرَ مِنْهُ.

وَلَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضًا لِنِبَالِ الْقَوْلِ، وَلَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا
سَمِعْتَ بِهِ، فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِبًا، وَلَا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلِّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ،
فَكَفَى بِذَلِكَ جَهْلًا.

وَاعْظِمِ الْعُيُظَ، وَتَجَاوَزْ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ، وَاحْلَمْ عِنْدَ الْعُصْبِ، وَاصْفَحْ
مَعَ الدَّوْلَةِ، تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ، وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ، وَلَا
تُضِيعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَكَ، وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ.

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٦٩)، وبحار الأنوار: ج ٣ ص ٥٠٨ - ٥٠٩ ب ٢٩ ح ٧٠٧.

أفضل المؤمنين

وَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَإِنَّكَ مَا تَقْدِّمُ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَى لَكَ ذُخْرُهُ، وَمَا تُؤَخِّرُهُ يَكُنْ لِعَيْرِكَ خَيْرُهُ، وَاحْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ، وَيُنْكِرُ عَمَلُهُ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ.

اسكن الأمصار العظام

وَاسْكُنِ الْأَمْصَارَ الْعِظَامَ، فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ.
وَاحْذَرْ مَنَازِلَ الْعُقْلَةِ وَالْجَفَاءِ، وَقَلَّةَ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ.
وَأَفْضِرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْنِيكَ.
وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ، فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ، وَمَعَارِضُ الْفِتَنِ.
وَأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فَضَّلْتَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ.
وَلَا تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ، إِلَّا فَاصِلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ.
وَأَطِعِ اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ، فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ فَاصِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا.
وَخَادِعُ نَفْسِكَ فِي الْعِبَادَةِ، وَأَرْفُقْ بِهَا وَلَا تَقْهَرْهَا، وَخُذْ عَفْوَهَا وَنَشَاطَهَا، إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوبًا عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا، وَتَعَاهِدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا.

وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقُ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا.
وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَاقِ، فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ، وَوَقِّرِ اللَّهَ، وَأَحِبِّ أَجْبَاءَهُ.

وَاحْذَرِ الْغَضَبَ، فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ. وَالسَّلَامُ.

حجب العقول عن أن تتخيل ذاته^(١)

ومن خطبة له عليه السلام تعرف بالوسيلة :

الحمد لله الذي أعدم الأوهام أن تنال إلى وجوده، وحجب العقول أن تختال^(٢) ذاته، لا متناعها من الشَّبه والتشاكل، بل هو الذي لا تتفاوت ذاته، ولا تتبعض بتجزئة العدَد في كماله.

فأرق الأشياء لا باختلاف الأماكن، ويكون فيها لا على الممازجة، وعَلِمَها لا بأداة لا يكون العلم إلَّا بها، وليس بينه وبين معلومه عِلْمٌ غيره كان عالماً لعلومه.

إن قيل : كان، فعلى تأويل أزليّة الوجود.

وإن قيل : لم يزل، فعلى تأويل نفي العدم، فسبحانه وتعالى عن قول من عبد سواه فاتخذ إلهاً غيره علوّاً كبيراً.

نحمده بالحمد الذي ارتضاه من خلقه، وأوجب قبوله على نفسه.

الشهادتان: الكلمتان الطيّبتان

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، شهادتان ترفعان القول، وتضاعفان العمل، خَفَّتْ ميزان تُرفعان منه، وثَقُلَ ميزان توضعان فيه، وبهما الفوز بالجنة، والنجاة من النار، والجواز على الصراط، وبالشهادة تدخلون الجنة.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ٤٨ - ٦٣ الخطبة رقم (١٣)، عن تحف العقول: ص ٦١ في المختار الرابع من كلامه.

(٢) تتخيل، خ ل.

وبالصلاة تنالون الرحمة، فأكثرُوا من الصلاة على نبيكم ﷺ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا^(١).

لا شرف أعلى من الإسلام

أيها الناس، إنه لا شرف أعلى من الإسلام، ولا كرم أعزّ من التقوى، ولا معقل أحرز من الورع، ولا شفيح أنجح من التوبة، ولا لباس أجلّ من العافية، ولا وقاية أمتع من السلامة، ولا مال أذهب بالفاقة من الرضا والقنوع، ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة.

والرغبة مفتاح التعب، والاحتكار مطية النصب، والحسد آفة الدين، والجِرص داع إلى التّقحّم في الذنوب، وهو داع إلى الحرمان، والبغى سائق إلى الحين، والشّرّه جامع لمساوي العيوب، ربّ طمع خائب، وأمل كاذب، ورجاء يؤدّي إلى الحرمان، وتجارة تؤوّل إلى الخسران.

ألا ومن تورّط في الأمور غير ناظر في العواقب، فقد تعرّض لمفصّحات النوائب، وبئست القلادة الذين^(٢) للمؤمن.

لا جمال أحسن من العقل

أيها الناس، إنه لا كنز أنفع من العلم، ولا عزّ أنفع من الحلم، ولا حسب أبلغ من الأدب، ولا نصب أوجع من الغضب، ولا جمال أحسن من العقل، ولا قرين أشر من الجهل، ولا سَواة أسوأ من الكذب، ولا

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) الذنب، خ ل.

حافظ أحفظ من الصمت، ولا غائب أقرب من الموت.

من حفر لأخيه بئراً وقع فيه

أيها الناس، إنه من نظر في عيب نفسه شغل عن عيب غيره، ومن رضي برزق الله لم يأسف على ما في يد غيره، ومن سلَّ سيف البغي قُتل به، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيها، ومن هتك حجاب غيره انكشفت غورات بيته، ومن نسي زلَّته استعظم زلل غيره، ومن أعجب برأيه ضلَّ، ومن استغنى بعقله زلَّ، ومن تكبَّر على الناس ذلَّ، ومن سَفَه على الناس سُتِم، ومن خالط العلماء وُقِر، ومن خالط الأندال حُقِر، ومن حمل ما لا يُطبق عجز.

لا عبادة كالتفكير

أيها الناس، إنه لا مال هو أعود من العقل، ولا فقر هو أشد من الجهل، ولا واعظ هو أبلغ من النصيح، ولا عقل كالتدبير، ولا عبادة كالتفكير، ولا مُظاهرة أوثق من المشاورة، ولا وَحدة أوحش من العُجب، ولا ورع كالكفِّ، ولا حلم كالصبر والصمت.

عشر خصال يظهرها اللسان

أيها الناس، إن في الإنسان عشر خصال يُظهرها لسانه:

شاهد يُخبر عن الضمير، وحاكم يَفصل بين الخطاب، وناطق يُردِّد به الجواب، وشافع تُدرِك به الحاجة، وواصف تعرِّف به الأشياء، وأمير يأمر بالحسن، وواعظ ينهى عن القبيح، ومُعزّز تُسكِّن به الأحزان، وحامد تُجلى به الضغائن، ومونق يُلهي الأسماع.

بين الصمت والكلام

أيها الناس، إنه لا خير في الصمت عن الحكم، كما أنه لا خير في القول بالجهل.

اعلموا أيها الناس، أنه من لم يَمْلِك لسانه يندم، ومن لا يتعلم يجهل، ومن لا يتحلم لا يحلم، ومن لا يرتدع لا يعقل، ومن لا يعقل يَهْن، ومن يَهْن لا يُوقَر، ومن يتَّق ينج، ومن يكسب مالاً من غير حقّه يصرفه في غير أجره، ومن لا يدعُ وهو محمود يدعُ وهو مذموم، ومن لم يُعط قاعداً مُنع قائماً، ومن يطلب العزَّ بغير حق يُذَلّ، ومن عاند الحقّ لزمه الوهن، ومن تفقّه وُقِر، ومن تكبر حُقِر، ومن لا يُحسِن لا يُحمد.

القبر خير من الفقر

أيها الناس، إن المنيّة قبل الدنيّة، والتجلّد قبل التبلّد، والحساب قبل العقاب، والقبر خير من الفقر، وعمي البصر خير من كثير من النظر، والدهر يوم لك ويوم عليك، فاصبر فبكليهما تُمتَحَن.

أعجب ما في الإنسان

أيها الناس، أعجب ما في الإنسان قلبه، وله موادّ من الحكمة، وأضداد من خلافها، فإن سَنَح له الرجاء أذَلّه الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن مَلَكَ اليأس قتله الأسف، وإن عَرَض له الغضب اشتد به الغيظ، وإن أسعد بالرضا نسي التحفُّظ.

وإن ناله الخوف شغله الحزن، وإن اتَّسع بالأمن استلبته الغرّة، وإن جُدَّت له نعمة أخذته العزّة، وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى، وإن عضّته فاقة

شغله البلاء، وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن أجهده الجزع قعد به الضعف، وإن أفرط في الشبع كظته البطنة، فكل تقصير به مُضر، وكل إفراط له مفيد.

من جاد ساد

أيها الناس، من قلّ ذلّ، ومن جاد ساد، ومن كثر ماله رأس، ومن كثر حلمه نبل، ومن فكّر في ذات الله تزندق، ومن أكثر من شيء عُرف به، ومن كثر مزاحه استُخفّ به، ومن كثر ضحكه ذهب هيبته.

فسد حسب من ليس له أدب، إن أفضل الفعال صيانة العرض بالمال، ليس من جالس الجاهل بذي معقول.

من جالس الجاهل فليستعدّ لقليل وقال، لن ينجو من الموت غني بماله، ولا فقير لإقلاقه.

إنّ للقلوب شواهد

أيها الناس، إنّ للقلوب شواهد تُجري الأنفس عن مَدْرَجَة أهل التفریط.

فطنة الفهم للمواعظ مما تدعو النفس إلى الحذر من الخطأ، وللنفوس خواطر للهوى، والعقول تزجر وتنهى، وفي التجارب علم مستأنف، والاعتبار يقود إلى الرشد.

وكفاك أدباً لنفسك ما تكرهه من غيرك.

عليك لأخيك المؤمن مثل الذي لك عليه.

لقد خاطر من استغنى برأيه، والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم،

ومن استقبل وجوه الآراء عَرَفَ مواقع الخطأ، ومن أمسك عن الفضول عدلت رأيه العقول، ومن حصر شهوته فقد صان قدره، ومن أمسك لسانه أَمِنَه قَوْمُه ونال حاجته، وفي تقلب الأحوال عُلِمَ جواهر الرجال، والأيام توضح لك السرائر الكامنة.

أشرف الغنى: ترك المني

وليس في البرق الخاطف مُسْتَمْتَع لمن يَخْوض في الظلمة، ومن عُرِفَ بالحكمة لحظته العيون بالوقار والهيبة، وأشرف الغنى ترك المني، والصبر جُنة من الفاقة، والحرص علامة الفقر، والبخل جلاباب المسكنة.

والمودة قرابة مستفادة، ووصول مُعْدِم خير من جاف مكثّر، والموعظة كهف لمن وعّاها، ومن أطلق طرفه كثر أسفه، ومن ضاق خلقه ملّه أهله، ومن نال استطال، قلّ ما تُصَدِّقُ الأُمْنِيَّة، التواضع يكسوك المهابة، وفي سعة الأخلاق كُنُوز الأرزاق.

في خلاف النفس رُشْدُها

من كساه الحياء ثوبه خفي على الناس عيبه، تحرّ القصد من القول، فإنه من تحرّى القصد خَفَت عليه المؤن، في خلاف النفس رُشْدُها، من عرف الأيام لم يَغْفُل عن الاستعداد.

ألا وإن مع كل جرعة شَرَقاً، وفي كل أكلة غُصَصاً، لا تنال نعمة إلا بزوال أخرى، لكل ذي رَمَق قوت، ولكل حبة آكل، وأنت قوت الموت.

اعلموا أيّها الناس، أنه من مشى على وجه الأرض فإنه يصير إلى بطنها، والليل والنهار يتسارعان في هدم الأعمار.

من الكرم: لين الكلام

أيّها الناس، كفر النعمة لؤم، وصحبة الجاهل شؤم، من الكرم لين الكلام.

إيّاك والخديعة! فإنها من خُلِق اللثام، ليس كل طالب يُصيب، ولا كل غائب يُؤب.

لا ترغب فيمن زهد فيك.

رُبّ بعيد هو أقرب من قريب.

سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار.

استر عورة أخيك لما تعلمه فيك، اغتفر زلّة صديقك ليوم يركبك عدوك، مَنْ غضب على من لا يقدر أن يضره طال حزنه، وعذب نفسه. من خاف ربه كفّ ظلمه، من لم يعرف الخير من الشر فهو بمنزلة البهيمة.

إن من الفساد إضاعة الزاد، ما أصغر المصيبة مع عِظَم الفاقة غداً، وما تناكرتم إلّا لما فيكم من المعاصي والذنوب، ما أقرب الراحة من التعب، والبؤس من التغيير.

معيار الخير والشر

ما شرّ بشرٍ بعده الجنة، وما خيرٌ بخيرٍ بعده النار، وكل نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية.

عند تصحيح الضمائر تبدو الكبائر، تصفية العمل أشد من العمل، تخليص النية عن الفساد أشد على العاملين من طول الجهاد.

هيهات، هيهات! لولا التّقى كنتُ أدهى العرب.

عليكم بالعدل على العدو والصديق

عليكم بتقوى الله في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وبالعدل على العدو والصديق، وبالعمل في النشاط والكسل، والرضا عن الله في الشدة والرخاء.

من كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار. ومن تفكّر اعتبر، ومن اعتبر اعتزل، ومن اعتزل سلّم.

الحرّ: من ترك الشهوات

ومن ترك الشهوات كان حرّاً، ومن ترك الحسد كانت له المحبة عند الناس.

عزّ المؤمن غناه عن الناس، القناعة مالٌ لا ينفد، ومن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن علم أن كلامه من عمله قلّ كلامه إلاّ فيما ينفعه.

العجب ممن يخاف العقاب فلا يكفّ، ويرجو الثواب ولا يتوب. وعَمَلُ الفكر يورث نوراً، والغفلة ظُلْمة، والجهالة ضلالة. والسعيد من وعظ بغيره، والأدب خير ميراث، وحسن الخلق خير قرين.

ليس مع قطيعة الرحم نماء، ولا مع الفجور غنى، العافية عشرة أجزاء: تسعة منها في الصمت إلاّ بذكر الله، وواحد في ترك مجالسة السفهاء.

رأس العلم: الرفق

رأس العلم الرفق، وآفته الخُرق، ومن كنوز الإيمان الصبر على المصائب، والعَفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى، كثرة الزيارة تورث الملالة، والطمأنينة قبل الخبرة ضدّ الحزم.

إعجاب المرء بنفسه يدل على ضعف عقله، لا تُؤيس مذنباً فكم من عاكف على ذنبه خُتم له بخير، وكم من مُقبل على عمله مفسد له في آخر عمره صائر إلى النار.

بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد.

طوبى للمخلصين

طوبى لمن أخلص لله عمله وعِلمه، وبُغضه وحُبّه، وأخذه وتركه، وكلامه وصمته، وفعله وقوله.

لا يكون المسلم مسلماً حتى يكون ورعاً، ولن يكون ورعاً حتى يكون زاهداً، ولن يكون زاهداً حتى يكون حازماً، ولن يكون حازماً حتى يكون عاقلاً، وما العاقلُ إلّا من عقل عن الله، وعمل للدار الآخرة.

وصلّى الله على محمد النبي وعلى أهل بيته الطاهرين.

أحسن يحسن إليك^(١)

ومن خطبة له ﷺ مع نَوف البكالي حين سأله أن يعظه:

يا نَوف، أحسن يُحسن إليك.

فقلت: زدني يا أمير المؤمنين.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ٤٤٦ - ٤٤٨ الخطبة رقم (١٣٧)، عن أمالي الصدوق: ص ١٨٥ ح ٩ من المجلس ٣٧.

فقال: يا نَوف، ارحم تُرحم.

فقلت: زدني يا أمير المؤمنين.

قال: يا نَوف، قل خيراً تُذكر بخير.

فقلت: زدني يا أمير المؤمنين.

قال: يا نَوف، اجتنب الغيبة، فإنها أدام كلاب النار.

لا تكن أحد هؤلاء

ثم قال: يا نَوف، كذب من زعم أنه وُلِدَ من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة، وكذب من زعم أنه وُلِدَ من حلال وهو يبغضني ويبغض الأئمة من ولدي، وكذب من زعم أنه وُلِدَ من حلال وهو يحب الزنى، وكذب من زعم أنه وُلِدَ من حلال وهو مجترئ على معاصي الله كل يوم وليلة.

يا نَوف، اقبل وصيتي: لا تكوننّ نقيباً، ولا عريفاً، ولا عشاراً، ولا بريدأ.

حسن خلقك يُخَفِّف حسابك

يا نَوف، صلّ رحمك يزد الله في عمرك، وحسن خلقك يُخَفِّف الله حسابك.

يا نَوف، إن سرّك أن تكون معي يوم القيامة فلا تكن للظالمين مُعيناً.

يا نَوف، من أحبّنا كان معنا يوم القيامة، ولو أن رجلاً أحب حجراً لحشره الله معه.

يا نَوف، إِيَّاكَ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِلنَّاسِ، وَتُبَارِزَ اللَّهَ بِالْمَعَاصِي فَيَفْضَحَكَ اللَّهُ
يَوْمَ تَلْقَاهُ.

يا نَوف، احفظ عني ما أقول لك، تَنَلْ بِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

كونوا كأصحاب عيسى ﷺ^(١)

ومن كلام له ﷺ يخبر فيه عن سيطرة الأشرار.

قال أبو عطاء: خرج علينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ
محزوناً يتنفس فقال:

كيف أنتم وزمان قد أظلمكم؟ تُعْطَلُ فيه الحدود، وَيُتَّخَذُ المال فيه
دُولاً، وَيُعَادَى فيه أولياء الله، وَيُوَالَى فيه أعداء الله!

قلنا: يا أمير المؤمنين، فإن أدركنا ذلك الزمان فكيف نصنع؟

قال: كونوا كأصحاب عيسى ﷺ، نُشْرُوا بالمناشير، وَصُلِبُوا على
الخُشْبِ. موت في طاعة الله عزّ وجلّ خير من حياة في معصية الله.

كونوا في الناس كالنحل في الطير^(٢)

ومن كلام له ﷺ يوصي فيه شيعته بمكارم الأخلاق:

كونوا في الناس كالنحل في الطير، ليس شيء من الطير إلا وهو
يَسْتَضِعُّهَا، ولو يعلم ما في أجوافها لم يفعل بها ما يفعل!

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ٦٣٩ الخطبة رقم (٣٤٥)، عن دستور معالم الحكم: ص ١١٣ أواخر الباب ٥.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ٦٨٦ - ٦٨٧ الخطبة رقم (٣٦١)، عن مقدمة كتاب الغيبة للنعماني: ص ٨، ورواه في أمالي الشيخ المفيد: ص ٨٤ ح ٧ من المجلس ١٥.

خالطوا الناس بأبدانكم، وزائلوهم بقلوبكم وأعمالكم، فإن لكل امرئ ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب.

موت الأخلاق: من علامات الظهور

أما إنكم لن تروا ما تحبون وما تأملون - يا معشر الشيعة - حتى يتفلسف بعضكم في وجوه بعض، وحتى يسمي بعضكم بعضاً كذابين، وحتى لا يبقى منكم على هذا الأمر إلا كالكحل في العين، والملح في الطعام، وهو أقل الزاد.

احذر الأحمق والحماقة^(١)

ومن كلام له (عليه السلام) في التحذير عن مصادقة الأحمق:

يا فلان، ما العدو إلى عدوه أسوأ تضييعاً من الأحمق إلى نفسه!
احذر الأحمق، فإن الأحمق يرى نفسه محسناً وإن كان مسيئاً! ويرى
عجزه كيساً، وشره خيراً!.

إن استغنى بظُر، وإن افتقر قنط، وإن ضحك شهق، وإن بكى خار،
وإن نصحك أخلجلك، وإن اعتزلك شتمك، وإن كان فوقك حقرك، وإن
كان دونك همزك.

فاستعن بالله، وعليك بالأخلاق الصالحة، فإن كنت غنياً فأحسن،
وإن كنت فقيراً فاصبر، وضع نفسك للحق، وفرّ بها من الباطل، ولا

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٣ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ الخطبة رقم (٥٩)، عن تيسير المطالب في ترتيب أمالي السيد أبي طالب: ص ٢٦٦ من الباب ٥٥ من النسخة المخطوطة وص ٤١٩ من المطبوعة.

تكل في معيشتك على كسب غيرك! وتنتظر متى يتصدق عليك.

مصائب أخلاقية عظيمة^(١)

ومن كلام له عليه السلام :

أيها الناس، سبع مصائب عظام - ونعوذ بالله منها -: عالم زلّ، وعابد ملّ، ومؤمن ضلّ، ومؤتمن غلّ، وغني أفلّ، وعزيز ذلّ، وفقير اعتلّ.

من موانع الدعاء

فقام إليه رجل فقال: صدقت يا أمير المؤمنين، أنت القبلّة إذا ما ضللنا، والنور إذا ما أظلمنا، ولكن نسألك عن قول الله تعالى: ﴿ادْعُوهُ﴾ أَسْتَجِبْ لَهُ^(٢)، فما بالنا ندعو فلا يجاب لنا دعاؤنا؟.

قال أمير المؤمنين عليه السلام : إن قلوبكم جاءت بثمان خصال:

أولها: إنكم عرفتم الله، فلم تؤدوا حقه كما أوجب عليكم، فما أغنت عنكم معرفتكم شيئاً.

والثانية: إنكم آمنتم برسوله، ثم خالفتم سنته وأمتّم شريعته، فأين ثمرة إيمانكم؟.

والثالثة: إنكم قرأتم كتابه المنزل عليكم، فلم تعملوا به، وقتلتم: سمعنا وأطعنا، ثم خالفتم.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٣ ص ٢٤٥ - ٢٤٧ الخطبة رقم (٦٣)، عن كتاب بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ٣٧٦ عن كتاب دعائم الدين نقلاً عن كتاب التنبيه.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

والرابعة: إنكم قلتم: إنكم تخافون من النار، وأنتم في كل وقت تُقدِّمون عليها بمعاصيكم، فأين خوفكم؟.

والخامسة: إنكم قلتم: إنكم ترغبون في الجنة، وأنتم في كل وقت تفعلون ما يباعدكم منها، فأين رغبتكم فيها؟.

والسادسة: إنكم أكلتم نعم الله ولم تشكروه عليها.

والسابعة: إن الله أمركم بعداوة الشيطان، وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾^(١)، فعاديتموه بالقول، وواليتموه بالمخالفة.

والثامنة: إنكم جعلتم عيوب الناس نصب أعينكم، وعيوبكم وراء ظهوركم، تلومون من أنتم أحق باللوم منه، فأَيُّ دعاء يستجاب مع هذا؟ وقد سدّدتم أبوابه وطُرُقَه.

موجبات الإجابة

فاتقوا الله، وأصلحوا أعمالكم، وأخلصوا سرائركم، وأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، فيستجيب الله لكم دعاءكم.

ثلاثة يجتنب مؤاخذاتهم^(٢)

ومن كلام له عليه السلام في التحذير من مصادقة أصناف ثلاثة:

ينبغي للمسلم أن يجتنب مواخاة ثلاثة: الماجن، والأحمق، والكذاب.

(١) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٣ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ الخطبة رقم (٧١)، عن الكافي: ج ٢ ص ٣٧٦ و ص ٦٢٨.

فأما الماجن: فيُزَيَّن لك فعله، ويحب أن تكون مثله، ولا يُعينك على أمر دينك ومعادك، ومقارنته جفاء وقسوة، ومدخله ومخرجه عليك عار.

وأما الأحمق: فإنه لا يُشير عليك بخير، ولا يُرجى لصرف السوء عنك ولو أجهد نفسه، وربما أراد منفعتك فضرَّك! فموته خير من حياته، وسكوته خير من نُطقه، وبُعدّه خير من قُربه.

وأما الكذّاب: فإنه لا يَهْنُؤُك معه عيش، ينقل حديثك وينقل إليك الحديث! كلما أفنى أحادثة مَظْها بأخرى، حتى إنه يُحدِّث بالصدق فما يُصدِّق، ويُغري بين الناس بالعداوة فيُنبت السخائم في الصدور، فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم.

اجتنب الغضب^(١)

ومن وصية له ﷺ لرجل التمس منه الوصية: أوصيك بتقوى الله، واجتناب الغضب، وترك الأمانى، وأن تحافظ على ساعتين من النهار: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ومن العصر إلى غروبها، ولا تفرح بما علمت، ولكن بما عملت فيها.

أخلاق مذمومة^(٢)

ومن كلام له ﷺ في ذم الأَخلاق: لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويرجو التوبة بطول الأمل،

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج٨ ص ٩٥ الخطبة رقم (٢١)، عن تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص ١٨٥.

(٢) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم، للقاضي القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ هجرية: ص ٧٧ - ٧٨ ب ٤.

ويقول في الدنيا قول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أعطي منها لم يشبع، وإن مُنِع منها لم يقنع، يَعِزُّ عن شكر ما أوتي، وِيبْتَغِي الزيادة فيما بقي، وينهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي.

يحبّ الصالحين ولا يعمل بعملهم، ويُبْغِضُ الطالحين وهو منهم، ويكره الموت لكثرة ذنوبه، ويُقِيم على ما يكره الموت له، إن سقم ظل نادماً، وإن صحَّ قام لاهياً، يُعْجِب بنفسه إذا عوفي، ويَقْنِط إذا ابتلي.

صفات دانية

تغلبه نفسه على ما يظن، ولا يغلبها على ما يَسْتَيْقِن، لا يَثِق من الرزق بما ضمن له، ولا يعمل من العمل بما فُرض عليه، إن استغنى بطر، وإن افتقر قنط ووهن، فهو من الذنب والنعمة مُوقِّر، يبتغي الزيادة ولا يشكر، يتكلف من الناس ما لم يؤمر، ويُضَيِّع من نفسه ما هو أكثر، يُبالغ إذا سأل، ويُقَصِّر إذا عمل.

يخشى الموت، ولا يبادر الفوت، يستكثر من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه، ويستكثر من طاعته ما يحقره من غيره، وهو على الناس طاعن، ولنفسه مداهن، ولَلَّغُو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء، يحكم على غيره لنفسه، ولا يحكم عليها لغيره، وهو يُطَاع ويعصى، ويسْتَوْفِي ولا يوفي.

عليك بخصال الخير^(١)

ومن كلام له عليه السلام في مكارم الأخلاق:

عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: أوصاني أبي عليه السلام قبل موته بثلاثين خصلة، قال:

(١) دستور معالم الحكم: ص ٧٩ - ٨٢ ب ٤ وصيته لابنه الحسن.

يا بني، إن أنت عملت بها في الدنيا سلّمك الله من شرّ الدنيا والآخرة.

قال : قلت : وما هي يا أبه؟.

فقال : احذر من الأمور ثلاثاً، وخف من ثلاث، وارج ثلاثاً، ووافق ثلاثاً، واستحي من ثلاث، وافزع إلى ثلاث، وشحّ على ثلاث، وتخلّص إلى ثلاث، واهرب إلى ثلاث، واهرب من ثلاث، وجانب ثلاثاً، يجمع الله لك بذلك حُسن السيرة في الدنيا والآخرة.

احذر ثلاثاً

فأما الذي أمرتك أن تحذرها : فاحذر الكبر، والغضب، والطمع.
فأما الكبر : فإنه خَصلة من خِصال الأشرار، والكبرياء رداء الله عزّ وجلّ، ومن أسكن الله قلبه مثقال حبة من كبر أوردته النار.
والغضب يُسفّه الحليم، ويُطيش العالم، ويُفقد معه العقل، ويظهر معه الجهل.

والطمع فَنَح من فخاخ إبليس، وشَرَك من عظيم احتباله، يَصيد به العلماء والعقلاء، وأهل المعرفة وذوي البصائر.

خَف ثلاثاً

قال : قلت : صدقت يا أبه، فأخبرني عن قولك : خف ثلاثاً.

قال : نعم يا بني، خف الله، وخف من لا يخاف الله، وخف لسانك فإنه عدوك على دينك، يؤمنك الله جميع ما خفته.

ارجُ ثلاثاً

قال : صدقت يا أبه، فأخبرني عن قولك : وارج ثلاثاً.

قال: يا بني، ارج عفو الله عن ذنوبك، وارج محاسن عملك، وارج شفاعة نبيك (صلى الله عليه وآله).

وافق ثلاثاً

قلت: صدقت يا أبه، فأخبرني عن قولك: وافق ثلاثاً.

قال: نعم، وافق كتاب الله، ووافق سنة نبيك (صلى الله عليه وآله)، ووافق ما يوافق الحق والكتاب.

استح من ثلاث

قلت: صدقت يا أبه، فأخبرني عن قولك: استح من ثلاث.

قال: نعم يا بني، استح من مطالعة الله إياك وأنت مقيم على ما يكره، واستح من الحفظة الكرام الكاتبين، واستح من صالح المؤمنين.

افزع إلى ثلاث

قلت: صدقت يا أبه، فأخبرني عن قولك: وافزع إلى ثلاث.

قال: نعم، افزع إلى الله في ملّمات أمورك، وافزع إلى التوبة في مساوي عملك، وافزع إلى أهل العلم وأهل الأدب.

شخّ على ثلاث

قلت: صدقت يا أبه، فأخبرني عن قولك: شخّ على ثلاث.

قال: نعم، شخّ على عمرك أن تُفنيّه مما هو عليك لا لك، وشخّ على دينك ولا تبذله للغضب، وشخّ على كلامك إلا ما كان لك ولا عليك.

تخلّص إلى ثلاث

قلت: صدقت يا أبة، فأخبرني عن قولك: تخلّص إلى ثلاث.
قال: نعم يا بني، تخلّص إلى معرفتك نفسك وإظهار عيوبها ومقتك
إياها، وتخلّص إلى تقوى الله، ثم تخلّص إلى إخمال نفسك وإخفاء
ذكرك.

أهْرُب من ثلاث

قلت: صدقت يا أبة، فأخبرني عن قولك: واهرب من ثلاث.
قال: نعم يا بني، أهرب من الكذب، واهرب من الظالم وإن كان
وَلَدَكَ أو والدك، واهرب من مواطن الامتحان التي يحتاج فيها إلى
صبرك.

جَانِب ثلاثاً

قلت: صدقت يا أبة، فأخبرني عن قولك: جانب ثلاثاً.
قال: نعم يا بني، جانب هواك وأهل الأهواء، وجانب الشر وأهل
الشر، وجانب الحمقى وإن كانوا متقربين أو مَشِيخَة مختصّين، والسلام.

احفظ عني أربعاً وأربعاً^(١)

ولما ضربه ﷺ ابن ملجم، دخل عليه الحسن ﷺ وهو باك، فقال
له:

ما يبكيك يا بني؟

فقال له: ما لي لا أبكي، وأنت في أول يوم من أيام الآخرة، وآخر
يوم من أيام الدنيا؟

(١) دستور معالم الحكم: ص ٨٩ - ٩٠ ب ٤ وصيته للحسن لما ضربه ابن ملجم.

فقال له: يا بني، احفظ عني أربعاً وأربعاً، لا يضرك ما عملت بهن شيء.

قلت: وما هن يا أبة؟.

قال: إن أغنى الغنى العقل، وأكثر الفقر الحُمق، وأوحش الوحشة العُجب، وأكرم الحسب حُسن الخلق.

قلت: يا أبة، هذه أربع، فأعطني الأربع.

قال: يا بني، وإياك ومصادقة الأحمق! فإنه يريد أن ينفعك فيضرك. وإياك ومصادقة الكذاب! فإنه يقرب عليك البعيد، ويبعد عليك القريب.

وإياك ومصادقة البخيل! فإنه يقعد بك عند أحوج ما تكون إليه.

وإياك ومصادقة الفاجر! فإنه يبيّعك في نفاقه.

من آداب السائل والمجيب^(١)

وكلام له عليه السلام يوصي به السائل والمجيب:

أما بعد، أيّها الناس إذا سأل سائل فليعقل، وإذا سُئل فليتثبت، فوالله لقد نزلت بكم نوازل البلاء، وحقائق الأمور لفُشِل كثير من المسؤولين، وإطراق كثير من السائلين.

مواصفات أبغض خلق الله^(٢)

وقال عليه السلام:

ذمّتي رهينة وأنا به زعيم لمن صرّحت له العبر، أن لا يهيج على

(١) دستور معالم الحكم: ص ٩٧ ب ٥.

(٢) دستور معالم الحكم: ص ١٢١ - ١٢٣ ب ٦.

التقوى زَرَع قوم، ولا يظماً على التقوى سِنْخ أصل.

ألا وإن بغض خلق الله إلى الله: رجل قَمَشَ علماً غاراً بأغباش
الفتنة، عَمِيّاً بما في غَيْب الهدنة، سَمَاه أشباهه من الناس عالماً، ولم يَغْن
في العِلْم يوماً سالماً، بَكَر فاستكثر مما قَلَّ منه، فهو خير مما كَثُر.

حتى إذا ما ارتوى من آجِن، وأكثر من غير طائل، قَعَد بين الناس
قاضياً لتخليص ما التبس على غيره، إن نزلت به إحدى المبهمات هياً
حشواً رأياً من رأيه، فهو من قَطَعَ الشبهات في مثل غَزَل العنكبوت، لأنه
لا يَعْلَم إذا أخطأ، أخطأ أم أصاب.

خَبَاط عَشَوَات، رَكَاب جهالات، لا يعتذر مما لا يعلم فَيَسْلَم، ولا
يَعْض في العِلْم بِضرس قاطع، يذرو الرواية ذَرَوَ الريح الهشيم، تبكي منه
الدماء، وتصرخ منه الموارديث، ويُستحل بقضائه الفَرْج الحرام، لا مليء
والله بإصدار ما ورد عليه، ولا أهل لما قُرْظ به.

المؤمن وصفاته^(١)

وكلام له ﷺ يصف فيه المؤمن :

صفة المؤمن: قُوَّة في دينه، وجُرأة في لينه، وإيمان في يقينه،
وخَوْض في فقه، وبرٌّ في استقامة، وعمل في علم، ونشاط في هدى،
وكَيْس في رفق، لا يَغْلِبُه فَرْجه، ولا يَفْضُحه بطنه، نفسه منه في عناء،
والناس منه في إعفاء، لا يَغْتَاب، ولا يَتَكَبَّر.

من آداب المتعلم^(٢)

وقال ﷺ في حق العالم:

(١) دستور معالم الحكم: ص ١٢٩ ب ٧ وصفه للمؤمن.

(٢) دستور معالم الحكم: ص ١٣١ - ١٣٢ ب ٧ وصفه للعالم.

من حق العالم : أن لا تكثر عليه السؤال ، ولا تُعنته في الجواب ، ولا تُلح عليه إذا كسل ، ولا تأخذه بثوبه إذا نهض ، ولا تفشي له سرّاً ، ولا تغتب عنده أحداً ، وأن تجلس أمامه .

وإذا أتيتَه قصدته بالتحية ، وسلّمت على القوم عامة ، وأن تحفظ سرّه ومَغيبه ما حفظ أمر الله عزّ وجلّ ، فإنما العالم بمنزلة النخلة تنتظر متى يَسْقُط عليك منها شيء .

والعالم أفضل من الصائم القائم الغازي في سبيل الله ، وإذا مات العالم انثلم بموته في الإسلام ثُلْمة لا تُسدُّ إلى يوم القيامة ، وإذا مات العالم شيعه سبعة وسبعون ألفاً من مقربي السماء .

كن شكوراً^(١)

إن النعمة موصولة بالشكر ، والشكر متعلّق بالمزيد ، وهما مقرونان في قرْن ، فلن ينقطع المزيد من الله عزّ وجلّ ، حتى ينقطع الشكر من العباد .

الخير : أن يعظم حلمك^(٢)

ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ، وأن يعظّم حلمك ، وأن تباهي الناس بعبادة ربك ، فإن أحسنت حمدت الله عزّ وجلّ ، وإن أسأت استغفرت الله .

ولا خير في الدنيا إلّا لرجلين : رجل أذنب ذنباً فهو يتدارك ذلك

(١) دستور معالم الحكم: ص ١٣٨ ب ٧ ما قاله في النعمة والشكر .

(٢) دستور معالم الحكم: ص ١٤٠ - ١٤١ ب ٧ قوله في السعيد والشقي .

بتوبة، ورجل يسارع في الخيرات، ولا يقلُّ عمل مع تقوى، فكيف يقلُّ ما يُتقبل.

رجلان يبغضهما الله^(١)

إن أبغض الخلق إلى الله لرجلان:

رجل وكله الله عزَّ وجلَّ إلى نفسه، فهو جائر عن القصد السبيل، مشعُوف بكلام بدعة، قد لَهجَ منها بالصوم والصلاة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هُدي من كان قبله، مضل لمن افتتن به حياته وموته، حَمال لخطايا غيره، رهين بخطيئته.

ورجل قَمَشَ جهلاً في جهال الناس بالأباطيل والأضاليل، نصبها عُدَّةً من حبال غرور، وقول زور، قد حمل الكتاب على رأيه، واستعطف الحق على هواه، يُزَيِّنُ العظائم، ويهوِّنُ كبير الجرائم، لم يراقب مَنْ خَلَقَهُ فيسكت حيث لا يعلم، قد اغترَّ مع ذلك فُساقاً تُصدِّقه، يستجهل بهم أشباه الناس، وجافٍ متجافٍ أعمى حيران يدعو إلى العمى، ويرى البصر في ترك النظر، يقول: أقف عند الشبهات، وفيها وقع، ويقول: اعتزل البدع، وفيها اضطجع.

مثل الرجل الذي قمش جهلاً

فهو في الناس رجل: الصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيران، بهيمة بل البهيمة خير منه، فهو في الأحياء في الثقلب، والموت أغلب عليه في الصفة، عَشَوَةٌ غارٌّ بأغباش، عُمر بما في ريث الهدنة، قد سمَّاه

(١) دستور معالم الحكم: ص ١٤١ - ١٤٦ ب ٧ في المرائين وعلماء السوء والجهلة والعلماء العاملين.

أشبه الناس عالماً، ولم يَغْن فيه يوماً سالماً، تَكَثَّر فاستكثر، وما قلّ منه خير مما كَثُر.

حتى إذا ارتَوى من غير آجِن، واكتنز من غير طائل، جلس بين الناس قاضياً، ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، وإن خالف قاضياً فَسَّقَه، ولم يَأْتَم في حُكمه بمن خلفه، وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات، هيأ لها حشواً رَأياً من رأيه ثم قطع.

فهو من لبس الشبهات في غَزَل العنكبوت؛ لأنه لا يدري أصاب أم أخطأ؟ لا يحسب العلم في شيء مما أنكر، ولا يدري أن وراء ما بلغ مذهباً، إن قاس شيئاً بشيء لم يُكذَّب نظره، وإن أظلم عليه أمر اکتتم به، لما يعلم من جهل نفسه، لكي لا يقال له: لا يعلم.

ثم جسر فحکم، فهو مفتاح عَشَوَات، رَكَاب شُبُهَات، خَبَاط جهالات، لا يَعْتذر مما لا يَعْلَم فَيَسْلَم، ولا يَعِضُّ في العلم بضرر قاطع فيغتم، يذرو الرواية ذَرَوَ الريح الهَشِيم، تبكي منه المواريث، وتصرخ منه الدماء، ويستحل بقضائه الفَرْج الحرام، لا ملىء بإصدار ما أورد عليه، ولا هو أهلٌ لِمَا منه فَرَط من ادّعائه في عِلْم الخَلْق.

أحبّ الناس إلى الله

ألا وإن أحبّ الناس إلى الله: لعبد أعانه الله جل ثناؤه على نفسه، فاستشعر الخوف، وتجلبب الحزن، وأضمر اليقين، وتجنّب الشك والشبهات، وتوهم الزوال، فهو منه على بال.

قد زهرت مصابيح الهدى في قلبه، فُقِرَب به البعيد، وهُوَن به الشديد، فَكَّرَ فاستكثر، ونظر فأبصر، حتى إذا ارتَوى من عَذب فرات

سهلت موارده، فشرب نهلاً، وسلك سبيلاً سهلاً، لم يدع مظلمة إلا أبصر جلاءها، ولا مبهمة إلا عرف مداها.

قد خلع سراويل الشهوات، وتخلّى من الهموم إلا همّاً واحداً، انفرد به دون الهموم الشاغبة الشاغلة للعقول، فخرج من صفة العمى، ومشاركة الهوى، فصار من مفاتيح أبواب الهدى، ومغاليق أبواب الردى، واستفتح بما فتح به العالم أبوابه، فخاض بحاره، وقطع غماره، ووضّحت له سبله ومناره.

مواصفات من أحبه الله تعالى

قد استمسك من العرى بأوثقها، ومن الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على مثل ضياء الشمس، قد نصب نفسه لله عزّ وجل في أرفع الأمور، من إصدار كل وارد عليه، وردّ كل فرع إلى أصله، فالأرض الذي هو فيها مشرقة بيضاء نوره، ساكنة بقضائه، فراج عشوات، كشاف مهمّات، دفاع معضلات، مصباح ظلمات، دليل فلوات، لا يدع للخير مطلباً.

فالعلم ثمرة قلبه، ومُنَى نفسه التي إليها يقصد، وإياها يحاول، بقيّة أبقاه الله جلّ وعزّ لدينه وحبّته، خليفة من خلائف أنبياء الله بلزوم طريقتهم، والدعاء إلى ما كانت عليه دعوتهم، والقيام بحجّتهم، قد أمكن الكتاب من زمانه، فهو قائده وإمامه، يَضَع رَحله حيث حَل ثقله، والناس عن الصراط ناكبون، في غمرة ساهون، وفي حيرة يعمهون.

عبادات

فريضة الحج^(١)

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وَلَوْهَ الْحَمَامِ.

جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لَتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سَمَاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُخْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتَجَرِّ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَ مَوْعِدِ مَغْفِرَتِهِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عِلْماً، وَلِلْعَائِذِينَ حَرِماً، فَرَضَ حَجَّهُ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وَفَادَتَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

من كمال الأضحية^(٣)

ومن خطبة له (عليه السلام) في ذكرى يوم النحر وصفة الأضحية:

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم ١. والاحتجاج: ج ١ ص ١٩٨ - ٢٠٨ احتجابه فيما يتعلق بتوحيد الله.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٥٢)، ووسائل الشيعة: ج ١٤ ص ١٢٧ ب ٢١ ح ١٨٧٨٤، وبحار الأنوار: ج ٩٦ ص ٣٠٠ ب ٥٢ ح ٣٤.

وَمَنْ تَمَامِ الْأُضْحِيَّةِ: اسْتِشْرَافُ أَذُنِهَا، وَسَلَامَةٌ عَيْنِهَا.
فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ الْأُضْحِيَّةُ وَتَمَّتْ، وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ
الْقَرْنِ تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنْسَكِ^(١).

أفضل القربات إلى الله^(٢)

ومن خطبة له عليه السلام :
إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: الْإِيمَانُ بِهِ
وَبِرَسُولِهِ.

وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ.
وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ، فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ.
وِإِقَامُ الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ.
وَإِتْيَاءُ الرِّكَاعِ، فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ.
وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ.
وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ، وَيَرْخِضَانِ الذَّنْبَ.
وَصِلَةُ الرَّحِمِ، فَإِنَّهَا مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ، وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجْلِ.
وَصَدَقَةُ السَّرِّ، فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ.
وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ، فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ.
وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ، فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ.

(١) المنسك أي المذبح.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١١٠)، وتحف العقول: ص ١٤٩ - ١٥٠، وعلل الشرائع: ج ١

استنوا بسنة نبيكم

أَفِضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ.
وَارْعَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ، فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ.
وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ عليه السلام، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ.
وَاسْتَنُوا بِسُنَّتِهِ، فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ.
وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ.
وَتَفَقَّهُوا فِيهِ، فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ.
وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ، فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ.
وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ، فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ.
وَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ، كَالْجَاهِلِ الْحَايِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ
جَهْلِهِ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ.

بعد صلاة الاستسقاء^(١)

ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء:

أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تُقْلُكُمُ، وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمُ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمُ،
وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِرَبْكَيْهِمَا تَوْجَعًا لَكُمْ، وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمُ، وَلَا لِحَيْرِ
تَرْجَوَانِهِ مِنْكُمُ، وَلَكِنْ أَمْرَتَا بِمَنَافِعِكُمُ فَأَطَاعَتَا، وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ
مَصَالِحِكُمُ فَقَامَتَا.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤٣)، ومستدرک الوسائل: ج ٦ ص ٢٠١ - ٢٠٢ ب ١١
ح ٦٧٥٢، وبحار الأنوار: ج ٨٨ ص ٣١٢ - ٣١٣ ب ١ ح ٣.

إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ
الْبَرَكَاتِ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ
مُتَذَكِّرٌ، وَيَرْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْتِغْفَارَ سَبَبًا لِدُرُورِ الرِّزْقِ، وَرَحْمَةً الْخَلْقِ،
فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿...أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا
۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝﴾ (١).

فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ، وَبَادَرَ مَنِيئَتَهُ.

اسقنا غيثك

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْثَانِ، وَبَعْدَ عَجِيجِ
الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وَخَائِفِينَ
مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ.

اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ،
وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ، نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ، حِينَ أَلْجَأْتَنَا
الْمُضَاقِ الْوَعْرَةَ، وَأَجَاءْتَنَا الْمَقَاحِطَ الْمُجْدِبَةَ، وَأَعْيَيْنَا الْمَطَالِبَ
الْمُتَعَسِّرَةَ، وَتَلَاَحَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتْنُ الْمُسْتَضْعِيَّةُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَلَّا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلَا تَقْلِبْنَا وَاجِمِينَ، وَلَا تُخَاطِبَنَا
بِدُنُوبِنَا، وَلَا تُقَايِسَنَا بِأَعْمَالِنَا.

اللَّهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ، وَاسْقِنَا سُقْيَا نَافِعَةً، مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً، تُثَبِّتْ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ، نَافِعَةً الْحَيَا، كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى، تُرْوِي بِهَا الْقِيْعَانَ، وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ، وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ، وَتُرْخِصُ الْأَسْعَارَ، إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ.

الصلاة تحت الذنوب^(١)

ومن كلام له (عليه السلام) كان يوصي به أصحابه:

تَعَاهِدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَاسْتَكَثِّرُوا مِنْهَا، وَتَقَرَّبُوا بِهَا، فَإِنَّهَا ﴿كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا﴾^(٢).

أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾^(٣) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾.

وَإِنَّهَا لَتَحُثُّ الذَّنُوبَ حَتَّى الْوَرَقِ، وَتُظْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرَّبْقِ، وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْحِمَةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ.

وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةٌ مَتَاعٌ، وَلَا فُرَّةٌ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿رِجَالٌ لَا لُتْهِمِهِمْ تَحِيْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾^(٤).

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩٩)، والكافي: ج ٥ ص ٣٦ - ٣٨ باب ما كان يوصي به أمير المؤمنين به ح ١.

(٢) سورة النساء: الآية: ١٠٣.

(٣) سورة المدثر، الآيتان: ٤٢ - ٤٣.

(٤) سورة النور، الآية: ٣٧.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَصَبًا بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبَشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ، لِقَوْلِ
اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^(١)، فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ
وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ.

الزكاة مع الصلاة قربان

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَانًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَمَنْ أَعْطَاهَا
طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمِنْ النَّارِ حِجَازًا [حجاباً] (خ
ل) [وَوَقَايَةً، فَلَا يُتَبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهْفُهُ، فَإِنَّ مَنْ
أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا، يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، فَهُوَ جَاهِلٌ
بِالسُّنَّةِ، مَعْبُودٌ الْأَجْرِ، ضَالُّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ.

أداء الأمانة

ثُمَّ أَدَاءُ الْأَمَانَةِ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا، إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى
السَّمَاوَاتِ الْمُبِينَةِ، وَالْأَرْضِينَ الْمَدْحُورَةِ، وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّوْلِ الْمَنْصُوبَةِ،
فَلَا أَطُولُ وَلَا أَعْرَضُ، وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمُ مِنْهَا، وَلَوْ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولِ
أَوْ عَرْضِ، أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَامْتَنَعَ، وَلَكِنْ أَشْفَقَنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَعَقَلْنَ مَا
جَهَلَ مَنْ هُوَ أَوْعَفُ مِنْهُنَّ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ، ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٢).

لا تخفى عليه خافية

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ
وَنَهَارِهِمْ، لَطْفَ بِهِ خُبْرًا، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا، أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ،

(١) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ، وَصَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ.

صَلُّوا بِهِمْ صَلَاةَ أَوْعَظِهِمْ^(١)

ومن كتاب له (عليه السلام) إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة:

أَمَّا بَعْدُ، فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهَرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِنْ مَرْبِضِ الْعَنَزِ.
وَصَلُّوا بِهِمْ الْعَصْرَ، وَالشَّمْسُ بَيَظَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ، حِينَ
يُسَارُ فِيهَا فَرَسَخَانِ.

وَصَلُّوا بِهِمْ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ، وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مَنَى.
وَصَلُّوا بِهِمْ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ.
وَصَلُّوا بِهِمْ الْعِدَاةَ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ.
وَصَلُّوا بِهِمْ صَلَاةَ أَوْعَظِهِمْ، وَلَا تَكُونُوا فِتْنَانِينَ.

بعد صلاة العيد^(٢)

ومن خطبة له (عليه السلام) في يوم الفطر:

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور،
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، لا نشرك بالله، ولا نتخذ من دونه إلهاً ولا
ولياً.

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٥٢)، وبحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٧٢ - ٤٧٣ ب ٢٩ ح ٦٨٥،
والبحار: ج ٧٩ ص ٣٦٥ ب ٥ ح ٥٢.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ٥٠٩ - ٥١٥ الخطبة رقم (١٤٩) عن تيسير
المطالب. في ترتيب أمالي السيد أبي طالب. ص ١٣٥، ورواه الفقيه في الحديث ٧٩
ج ١ ص ٢٢٥ باختلاف يسير.

والحمد لله الذي لا مقنوط من رحمته، ولا مخلوٌّ من نعمته، ولا مستنكف عن عبادته، بكلماته قامت السماوات، واستقرت الأرضون، وثبتت الجبال الرواسي، وجرت الرياح اللواقح، وسار في جوِّ السماء السحاب، وقامت على حدودها البحار، قاهر يخضع له المعتزّون، ويذلّ طوعاً وكرهاً له العالمون.

نستعينه ونستغفره

نحمّده كما حمّد نفسه، وكما هو أهله، ونستعينه ونستغفره، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعلم ما تخفي النفوس، وما تُجِنّ البحار، وما تُواري الأسرار، وما تغيض الأرحام وما تزداد، وكل شيء عنده بمقدار، ونستهدي الله الهدى، ونعوذ به من الضلالة والردى.

ونشهد أنّ محمداً عبده ونبّه، ورسوله إلى خلقه، وأمينه على وحيه، قد بلّغ رسالات ربّه، وجاهد في الله المولّين عنه، العادلين به، وعبد الله حتّى آتاه اليقين، وصلى الله عليه وآله.

اذكروا الله يذكركم

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، الذي لا تنفد منه نعمة، ولا تُفقد له رحمة، الذي رَغِب في التقوى، وزهّد في الدنيا، وحذّر من المعاصي، وتعزّز بالبقاء، وذللّ خلقه بالموت والفناء، فالموت غاية المخلوقين، وسبيل العالمين، ومعقود بنواصي الباقين.

ادّوا زكاة فطرتكم

فاذكروا الله يذكركم، وادعوه يستجب لكم. وأدّوا فطرتكم، فإنّها سُنة من نبيكم ﷺ وهي لازمة لكم، واجبة عليكم، فليؤدّها كلّ امرئٍ منكم عن عياله ذكّهم وأنّاهم، صغيرهم

وكبيرهم، حرّهم ومملوكهم، عن كلّ إنسانٍ منهم نصف صاع من بُرّ.

وقال أبو العباس (رحمه الله تعالى): وسمعنا من رواية أخرى:

صاعاً من بُرّ أو صاعاً من شعير أو تمر.

فأطيعوا الله فيما فرض عليكم، وأمركم به من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت - من استطاع إليه سبيلاً - وصوم شهر رمضان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان إلى نساءكم، وما ملكت أيمانكم، وأطيعوا الله فيما نهاكم عنه، من قَذْف المحصّنات، وإتيان الفاحشات، وشرب الخمر، وبخس المكيال والميزان، وشهادة الزور، والفرار من الزحف، عصمنا الله وإياكم بالتقوى، وجعل الآخرة خيراً لكم ولنا من الأولى.

إنّ أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله، أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (١) قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴿١﴾.

أشهدني الله الهدى

ثم جلس ثم قام فقال: الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأومن به وأتوكل عليه، وأشهدني الله الهدى، وأعوذ به من الضلالة والردى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أرسله على حين فِترَةٍ من الرسل، وانقطاع من الوحي، وطُمُوس من العلم، ودُرُوس من معالم الهدى، فصَدَعَ بَوَحِيهِ، وَجَلَا غَمَرَاتِ الظُّلَمِ بنوره، وَقَمَعَ مَشْرِفَ الباطل بحقّه، حتى أنار الإسلام، وَوَضَحَتْ الأحكام، فصلّى الله عليه وآله وعليهم رحمة الله وبركاته.

التقوى جُنَّةٌ حصينة

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، والاعتصام بوثائق عُراها، والمواظبة على رعايتها، فإنها جُنَّةٌ حصينة، وعُقْدةٌ متينة، وغنيمةٌ مُغْتَنَمَةٌ، قبل أن يحال بينكم وبينها بانقطاع من الرّجاء، وحدوثٍ من الزوال، ودَنَفٍ من الانتقال.

فاذكروا من فارق الدنيا، ولم يأخذ منها فُكَاكَ رَهْنِهِ، ولا براءةً أَمْنِهِ، فخرج منها سَلِيباً محسوراً، قد أتعَبَ الملائكةَ نفسه التي هي مَطْلَعَةٌ عليها، وهو مُسَوَّدٌ وجهه، زُرْقَةٌ عَيْنَاهُ بادية غورته، يدعو بالويل والثبور، لا يُرْحَمُ دعاؤه، ولا يُفْتَرُ عنه من عذابها شيء، كذلك يُجْزَى كُلّ كَفُورٍ.

واذكروا من فارق الدنيا وقد أخذ منها فُكَاكَ رَهْنِهِ، وبراءةً أَمْنِهِ، فرحل منها آمناً مرحوماً، مَوْفَقاً معصوماً، قد ظفر بالسعادة، وفاز بالخلود، وأقام بدار الحيوان، وعِيشَةَ الرضوان، حيث لا تَنُوبُ الفجائع، ولا تَحُلُّ القوارع، ولا تموت النفوس، عطاؤهم عطاءً غير مجذوذ.

ثم أخذ ﷺ في الدعاء للمؤمنين والمؤمنات ودعا على أهل الشرك، ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(١) إلى آخر الآية.

قبل صلاة الجمعة^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) في يوم الجمعة :

الحمد لله أهل الحمد ووليّه، ومنتهى الحمد ومحله، البدعي البديع، الأجلّ الأعظم، الأعزّ الأكرم، المتّوحد بالكبرياء، والمتفرد بالآلاء، القاهر بعزّه، والمسلّط بقهره، الممتنع بقوّته، المهيمن بقدرته، والمتعالي فوق كلّ شيء بجبروته، المحمود بامتنانه وبإحسانه، المتفّضل بعطائه وجزيل فوائده، الموسع برزقه، المسبغ بنعمه.

نحمده على آلائه، وتظاهر نعمائه، حمداً يَزِنُ عظمة جلاله، ويَمَلَأُ قَدْرَ آلائه وكبريائه.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، الذي كان في أوّليته متقدّماً، وفي ديموميّته متسيّطراً، خضع الخلائق لوحدانيّته ورُبوبيّته وقديم أزليّته، ودانوا لدوام أبديّته.

خيرة الله من خلقه

وأشهد أن محمداً (صلى الله عليه وآله) عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، اختاره بعلمه، واصطفاه لوحيه، وائتمنه على سرّه، وارتضاه لخلقه، وانتدبه لعظيم أمره، وإمضاء معالم دينه، ومناهج سبيله، ومفتاح وحيه، وجعله سبباً لباب رحمته.

ابتعثه على حين فترة من الرسل، وهداة من العلم، واختلاف من الملل، وضلال عن الحق، وجهالة بالرب، وكفر بالبعث والوعد.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٣ ص ١٥٣ - ١٦٠ الخطبة رقم (٤٤) عن روضة الكافي: ص ١٧٣ ح ١٩٤.

الكتاب كريم

أرسله إلى النَّاس أجمعين رحمة للعالمين، بكتاب كريم قد فضّله
وفضّله، وبَيَّنّه وأوضحه وأعزّه، وحفِظه من أن يأتيه الباطل من بين يديه
ومن خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ضرب للنَّاس فيه الأمثال، وصرّف فيه الآيات لعلهم يعقلون.

أَحَلَّ فيه الحلال، وحرّم فيه الحرام، وشرع فيه الدِّين لعباده عُذْراً
وُنُذْراً، لئلا يكون للنَّاس على الله حِجَّة بعد الرسل، ويكون بلاغاً لقوم
عابدين.

فبلغ رسالاته، وجاهد في سبيله، وعبده حتّى أتاه اليقين، صلّى الله
عليه وآله وسلّم تسليماً كثيراً.

الوصية بالتقوى

أوصيكم عباد الله وأوصي نفسي، بتقوى الله الذي ابتدأ الأمور
بعلمه، وإليه يصير غداً ميعادها، وبيده فناؤها وفناؤكم، وتصرُّم أيامكم،
وفناء آجالكم، وانقطاع مُدَّتكم، فكأن قد زالت عن قليل عتّا وعنكم، كما
زالت عمّن كان قبلكم!

فاجعلوا عباد الله، اجتهادكم في هذه الدنيا التزوّد من يومها القصير
ليوم الآخرة الطويل، فإنّها دار عملٍ والآخرة دار القرار والجزاء، فتجافوا
عنها فإنّ المغترّ من اغترّ بها.

التزهيد في الدنيا

لن تَعُدّو الدنيا إذا تناهت إليها أُمْنِيّة أهل الرغبة فيها - المحبّين لها،
المطمئنين إليها، المفتونين بها - أن تكون كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا

مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ^(١).

مع أنه لم يصب امرؤ منكم في هذه الدنيا خبرةً إلا أورثته عبرة! ولا يُصبح فيها في جناح آمن، إلا وهو يخاف فيها نزول جائحةٍ، أو تغير نعمةٍ، أو زوال عافيةٍ.

مع أن الموت من وراء ذلك، وهول المَطْلَعِ، والوقوف بين يدي الحَكَمِ العدل، يوم تُجزى كل نفس بما عملت، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾^(٢).

فاتقوا الله عزّ ذكره، وسارعوا إلى رضوان الله، والعمل بطاعته، والتقرّب إليه بكلّ ما فيه الرضا فإنه قريب مجيب.

جعلنا الله وإياكم ممن يعمل بمحابهٍ ويجتنب سَخَطه.

القرآن أحسن القصص

ثم إن أحسن القصص وأبلغ الموعظة، وأنفع التذكّر كتاب الله عزّ وجلّ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٣).

أستعِذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ﴾^(١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾^(٤).

(١) سورة يونس، الآية: ٢٤.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

(٤) سورة العصر، الآيات: ١ - ٣.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

الصلاة على النبي وآله ﷺ

اللهم صلّ على محمد وآل محمد، وبارك على محمد وآل محمد،
وتحنّن على محمد وآل محمد، وسلّم على محمد وآل محمد، كأفضل ما
صلّيت، وباركت، وترخّمت، وتحنّنت، وسلّمت، على إبراهيم وآل
إبراهيم إنّك حميد مجيد.

اللهم أعط محمدًا الوسيلة والشرف والفضيلة والمنزلة الكريمة.

اللهم اجعل محمدًا وآل محمدٍ أعظم الخلائق كلّهم شرفاً يوم
القيامة، وأقربهم منك مقعداً، وأوجههم عندك يوم القيامة جاهاً،
وأفضلهم عندك منزلةً ونصيلاً.

اللهم أعط محمدًا أشرف المقام، وجبّاء السلام، وشفاعة الإسلام.

اللهم وألحقنا به غير خزايا ولا ناكبين [ولا ناكثين (خ ل)]، ولا
نادمين ولا مبدلين، إله الحقّ آمين.

أحقّ من خُشي وُحمد

ثمّ جلس ﷺ قليلاً، ثمّ قام فقال:

الحمد لله أحقّ من خُشي وُحمد، وأفضل من اتّقي وعُبد، وأولى من
عُظم ومُجّد.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٢٥١

نحمده لعظيم غنائه، وجزيل عطائه، وتظاهر نعمائه، وحسن بلائه،
ونؤمن بهداه الذي لا يخبو ضياؤه، ولا يهدأ سناؤه، ولا يوهن عُراه،
ونعوذ بالله من سوء كل الريب، وظلم الفتن، ونستغفره من مكاسب
الذنوب، ونستعصمه من مساوي الأعمال، ومكاره الآمال، والهجوم في
الأهوال، ومشاركة أهل الريب، والرضا بما يعمل الفجار في الأرض
بغير الحق.

اللهم اغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات،
الذين تَوَفَّيْتَهُمْ على دينك وملة نبيك عليه السلام.

اللهم تقبل حسناتهم، وتجاوز عن سيئاتهم، وأدخل عليهم الرحمة
والمغفرة والرضوان.

واغفر للأحياء من المؤمنين والمؤمنات، الذين وُحِدُوا، وصدقوا
رسولك، وتمسكوا بدينك، وعملوا بفرائضك، واقتَدَوْا بنبيك، وسنوا
سنتك، وأحلّوا حلالك، وحرّموا حرامك، وخافوا عقابك، ورجّوا
ثوابك، ووالّوا أولياءك، وعادوا أعداءك.

اللهم اقبل حسناتهم، وتجاوز عن سيئاتهم، وأدخلهم برحمتك في
عبادك الصالحين، إله الحق آمين.

أدنى ما للصائمين والصائمات^(١)

ومن خطبة له عليه السلام في عيد الفطر:

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٣ ص ١٦١ - ١٦٢ الخطبة رقم (٤٥) عن أمالي
الشيخ الصدوق: ص ٥٤ ح ١٠، ورواه مجموعة ورام: ص ٤٦٧.

أيها الناس، إنَّ يومكم هذا يوم يُثاب فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون، وهو أشبه يوم بيوم قيامكم^(١).

فاذكروا بخروجكم من منازلكم إلى مصالكم خروجكم من الأجداث إلى ربكم.

واذكروا بوقوفكم في مصالكم وقوفكم بين يدي ربكم.

واذكروا برجوعكم إلى منازلكم رجوعكم إلى منازلكم في الجنة أو النار.

واعلموا عباد الله، أن أدنى ما للصائمين والصائمات، أن يناديهم ملك - في آخر يوم من شهر رمضان -: أبشروا عباد الله، فقد غفر الله لكم ما سلف من ذنوبكم، فانظروا كيف تكونون فيما تستأنفون؟.

طلب العلم عبادة^(٢)

ومن وصية له ﷺ في الحث على العلم:

أيها الناس، اعلموا أنَّ كمال الدين طلب العلم والعمل به، وأنَّ طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إنَّ المال مقسوم بينكم، مضمون لكم، قد قَسَمه عادلٌ بينكم ووضَّعَه، وسَيَفِي لكم به، والعلم مخزون عليكم عند أهله، قد أُمِرتم بطلبه منهم فاطلبوه.

واعلموا، أنَّ كثرة المال مَفْسدة للدين، مَقْساءة للقلوب، وأنَّ كثرة

(١) قيامتكم. خ ل.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٧ ص ١٠ - ١٤ الخطبة رقم (١) عن الكافي: الحديث ٤ من الباب ١ من كتاب فضل العلم، والحديث ١٤ من باب ٨ من كتاب الحجة، ورواها تحف العقول: ص ١٣٧ في المختار من كلام أمير المؤمنين.

العلم والعمل به مصلحة للدين، سبب إلى الجنة، والنفقات تُنقص المال، والعلم يَزكو على إنفاقه، وإنفاقه بَنَّه إلى حَفَظته ورواته.

صحبة العالم الربّاني

واعلموا، أن صحبة العالم واتباعه دينٌ يُدان الله به، وطاعته مَكسبة للحسنات، مِمحاة للسيئات، وذخيرة للمؤمنين، ورفعة في حياتهم، وجميل الأُحدوثة عنهم بعد موتهم.

العلم وفضائله

وأن العلم ذو فضائل كثيرة: فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأُذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحِفْظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الأسباب بالأمور، ويده الرحمة، وهِمّته السلامة، ورجله زيارة العلماء، وحِكمته الورع، ومُسْتَقْرُهُ النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلام، وسَيْفه الرضا، وقَوْسه المداراة، وجَيْشه محاوراة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، ومأواه المَوادعة، ودليله الهدى، ورفيقه صُحبة الأخيار.

العبادة بالعقل لا بالكثرة^(١)

والله، لَيَسْبِقَنَّ إلى جنّاتِ عَدْنٍ يوم القيامة أقوامٌ، ما كانوا بأكثر الناس صلاةً، ولا صياماً، ولا حجّاً، ولا عمرةً، ولكن على قدر عقولهم.

(١) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم للقاضي القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ هجرية:

أقل مراتب الجهاد^(١)

الجهاد ثلاثة:

أول ما يغلب عليه من الجهاد: اليد، ثم اللسان، ثم القلب.

فإذا كان القلب لا يعرف معروفاً، ولا يُنكر منكراً، نُكس فجعل
أعلاه أسفله.

(١) دستور معالم الحكم: ص ١٥٢.

مراعاة

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا^(١)

عِبَادَ اللَّهِ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا، وَحَاسِبُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَنْفَسُوا قَبْلَ ضَيْقِ الْخِنَاقِ، وَانْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَعْنِ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا لَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ.

الدنيا وزخارفها^(٢)

سُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا بِحُسْنِ بَلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ، خَلَقْتَ دَارًا وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدِبَةً، مَشْرَبًا وَمَطْعَمًا، وَأَزْوَاجًا وَخَدَمًا، وَقُصُورًا وَأَنْهَارًا، وَزُرُوعًا وَثَمَارًا.

ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيًا يَدْعُو إِلَيْهَا، فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا، وَلَا فِيهَا رَغَبَتْ رَغْبُوا، وَلَا إِلَى مَا شَوَّقَتْ إِلَيْهِ اسْتَأْقُوا.

(١) نهج البلاغة، ضمن الخطبة ٩٠.

(٢) نهج البلاغة، ضمن الخطبة ١٠٨.

أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ قَدْ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا، وَاضْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا، وَمَنْ
عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ، وَمَرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ،
وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ حَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ،
وَوَلَّهَتْ عَلَيْهَا نَفْسَهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا، وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَتْ
زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا.

لَا يَنْزَجِرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ، وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ، وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُودِينَ
عَلَى الْغُرَةِ، حَيْثُ لَا إِقَالََةَ وَلَا رَجْعَةَ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ،
وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمُنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا
يُوعَدُونَ.

الرحيل إلى الآخرة

فَعَبِيرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ: اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ، وَحَسْرَةُ
الْفُوتِ، فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ.

ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وَلُوجاً، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ، وَإِنَّهُ
لَبَيْنَ أَهْلِهِ، يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ، عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ.
يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْتَى عُمُرُهُ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرُهُ.

وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا، أَعْمَصَ فِي مَطَالِبِهَا، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا
وَمُسْتَبْهَاتِهَا، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا، تَبَقَّى لِمَنْ
وَرَاءَهُ يَنْعُمُونَ فِيهَا، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ، وَالْعِبَاءُ عَلَى
ظَهْرِهِ، وَالْمَرءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا، فَهُوَ يَعْصُ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ

لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمْرِهِ، وَيَتَمَنَّى أَنْ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا، وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ.

فَلَمَّ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ، حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ، يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ، يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ.

الإنسان إذا فارق الحياة

ثُمَّ ارْتَدَّادَ الْمَوْتُ التَّيَّاطُ بِهِ، فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ، وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ، فَصَارَ حَيَفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ، قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لَا يُسْعِدُ بَاكِئاً، وَلَا يُجِيبُ دَاعِياً.

ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَحْطِّ فِي الْأَرْضِ، فَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ، وَانْقَطَعُوا عَنْ زُورَتِهِ.

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَالْأَمْرُ مَقَادِيرَهُ، وَالْحَقُّ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ، أَمَادَ السَّمَاءِ وَفَطَرَهَا، وَأَرْجَ الْأَرْضِ وَأَرْجَفَهَا، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا، وَدَكَ بَعْضَهَا بَعْضاً مِنْ هَيْئَةٍ جَلَالَتِهِ، وَمَخُوفِ سَطَوَتِهِ، وَأَخْرَجَ مِنْ فِيهَا، فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلَاقِهِمْ، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ.

عند قيام الساعة

ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الْأَعْمَالِ، وَخَبَايَا الْأَفْعَالِ، وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ، وَانْتَقَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ.

فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَتَابَهُمْ بِجَوَارِهِ، وَخَلَدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لَا يَظْعَنُ
النُّزَالُ، وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ، وَلَا تُتَوَبُّهُمْ الْأَفْزَاعُ، وَلَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ،
وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ: فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَعَلَّ الْأَيْدِيَّ إِلَى الْأَعْنَاقِ،
وَقَرَنَ النَّوَاصِي بِالْأَقْدَامِ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ، وَمُقَطَّعَاتِ النَّيْرَانِ،
فِي عَذَابٍ قَدْ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ، فِي نَارٍ لَهَا كَلْبٌ
وَلَجَبٌ، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ، وَقَصِيفٌ هَائِلٌ، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يُفَادَى
أَسِيرُهَا، وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا، لَا مَدَّةَ لِلدَّارِ فَتَقْنَى، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى.

من عوامل الهلاك^(١)

وإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ، وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ
بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تَرَدُّ عَنْهُ الْمَعْدَرَةُ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ
وَالنَّقْمَةُ.

تعرف الأشياء بأضدادها

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنْ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وَفَقَّ، وَمَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدًى
لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ، وَعَدُوُّهُ خَائِفٌ.

وإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمُ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ
يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ
يَسْتَسْلِمُوا لَهُ، فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرَبِ، وَالْبَارِي
مِنْ ذِي السَّقَمِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ.

أهل البيت عليه السلام أهل الحق

فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عَنِ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، هُمْ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ.

كما تزرع تحصد^(١)

حَتَّى إِذَا كَسَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، وَاسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ، اسْتَقْبَلُوا مُدِيرًا، وَاسْتَدْبَرُوا مُقْبِلًا، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلَبَتِهِمْ، وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ.

إِنِّي أَحَذِّرُكُمْ وَنَفْسِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ، فَلْيَنْتَفِعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَدًا وَاضِحًا، يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي، وَالضَّلَالَ فِي الْمَعَاوِي، وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغَوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ.

فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ، وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ مِمَّا لَا بُدَّ

مِنْهُ، وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ، وَخَالَفَ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ، وَدَعَاهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ.

وَضَعَ فُحْرَكَ، وَاحْطُظْ كِبْرَكَ، وَادْكُرْ قَبْرَكَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمْرَكَ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدُمُ عَلَيْهِ غَدًا، فَاْمْهَدْ لِقَدَمِكَ، وَقَدِّمَ لِيَوْمِكَ، فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ! أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ، وَالْجِدَّ الْجِدَّ! أَيُّهَا الْغَافِلُ، ﴿وَلَا يَنْفِكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾^(١).

من موجبات الثواب والعقاب

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، الَّتِي عَلَيْهَا يُثَبُّ وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ، وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ، أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لَا قِيًّا رَبَّهُ، بِخَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَثْبُ مِنْهَا:

أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ.

أَوْ يَسْفِي غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ.

أَوْ يُقِرَّ بِأَمْرِ فَعَلَهُ غَيْرُهُ.

أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ.

أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ.

أَوْ يَمْشِي فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ.

اعْقِلْ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شَبِيهِهِ.

فوارق ومميزات

إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا.

وإِنَّ السَّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا.
وإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا.
إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ.
إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ.
إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ.

اعملوا رحمكم الله^(١)

اعْمَلُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَلَى أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُو إِلَى دَارِ
السَّلَامِ، وَأَنْتُمْ فِي دَارٍ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ،
وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ، وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ،
وَالْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ.

قريب ما يطرح الحجاب^(٢)

ومن كلام له (عليه السلام) :

فَإِنَّكُمْ لَوْ قَدْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ، لَجَزِعْتُمْ وَوَهَلْتُمْ،
وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَلَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا، وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ
الْحِجَابُ.

وَلَقَدْ بَصُرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَأَسَمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ، وَهَدَيْتُمْ إِنْ اهْتَدَيْتُمْ.
وَبِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: لَقَدْ جَاهَرْتُكُمْ الْعَبْرُ، وَزَجَرْتُكُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ، وَمَا
يُبْلَغُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ.

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم (٩٤)، والكافي: ج ١ ص ١٣٤ - ١٣٦ باب جوامع التوحيد
ح ١، والتوحيد: ص ٤١ - ٤٤ ب ٢ ح ٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠)، والكافي: ج ١ ص ٤٠٥ باب ما يجب من حق الإمام ح ٣.

تخففوا تلحقوا^(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

فَإِنَّ الْعَايَةَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ وَرَاءَكُمْ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ، تَخَفُّوْا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يَنْتَظِرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ^(٢).

اليوم المضمار وغداً السباق^(٣)

ومن خطبة له عليه السلام :

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا أَذْبَرَتْ وَأَذَنْتْ بِوَدَاعٍ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ، أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغَدَاً السَّبَاقَ، وَالسَّبْقَةُ الْجَنَّةُ، وَالْعَايَةُ النَّارُ.

أَفَلَا تَأْتِبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ؟

أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ؟

أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامٍ أَمَلِهِ، قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ، فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ، وَلَمْ يَضُرُّهُ أَجَلُهُ، وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامٍ أَمَلِهِ،

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١)، وخصائص الأئمة: ص ١١٢ ومن كلامه في آخر عمره لما

ضربه ابن ملجم لعنه الله، وتاريخ الطبري: ج ٣ ص ٤٥٧ اتساق الأمر في البيعة لعلي.

(٢) قال الشريف الرضي: أقول: إن هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه، وبعد كلام رسول

الله بكل كلام لمال به راجحاً، وبرز عليه سابقاً. فأما قوله: تَخَفُّوْا تَلْحَقُوا، فما سمع كلام

أقل منه مسموعاً، ولا أكثر منه محصولاً، وما أبعد غورها من كلمة، وائقع نطقها من

حكمة، وقد نبهنا في كتاب (الخصائص) على عظم قدرها، وشرف جوهرها.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٨)، والإرشاد: ج ١ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ومن كلامه في مثل ذلك

ما اشتهر بين العلماء.

قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ، فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ، وَضَرَّهُ أَجَلُهُ.

أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ.

أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرْ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا، وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا.

أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى يَجْرُ بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى.

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ، وَدُلِّتُمْ عَلَى الرَّادِّ، وَإِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ.

فَتَرَوْدُوا فِي الدُّنْيَا (مِنَ الدُّنْيَا) مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا^(١).

(١) قال الشريف الرضي: وأقول: إنه لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا، ويضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام، وكفى به قاطعاً لعلائق الآمال، وقادحاً زناد الاعتاض والازدجار.

ومن أعجبه قوله: أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغَدَا السَّبَاقَ، وَالسَّبْقَةَ الْجَنَّةَ، وَالْغَايَةَ النَّارَ، فإن فيه مع فخامة اللفظ، وعظم قدر المعنى، وصادق التمثيل، وواقع التشبيه، سرّاً عجيباً، ومعنى لطيفاً، وهو قوله: وَالسَّبْقَةَ الْجَنَّةَ، وَالْغَايَةَ النَّارَ، فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين، ولم يقل: السبقة النار، كما قال: السبقة الجنة؛ لأن الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب، وغرض مطلوب، وهذه صفة الجنة، وليس هذا المعنى موجوداً في النار نعوذ بالله منها، فلم يجوز أن يقول: والسبقة النار، بل قال: وَالْغَايَةَ النَّارَ؛ لأن الغاية قد ينتهي إليها من لا يسره الانتهاء إليها ومن يسره ذلك، فصلح أن يعبر بها عن الأمرين معاً، فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل، قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ - سورة إبراهيم: ٣٠. ولا يجوز في هذا الموضع أن يقال: سبقتكم بسكون الباء إلى النار، فتأمل ذلك فباطنه عجيب، وغوره بعيد لطيف. وكذلك أكثر كلامه.

وفي بعض النسخ: وقد جاء في رواية أخرى: (وَالسَّبْقَةُ الْجَنَّةُ) بضم السين، والسبقة عندهم: اسم لما يُجعل للسابق إذا سبق من مال أو عَرَض، والمعنيان متقاربان؛ لأن ذلك لا يكون جزاءً على فعل الأمر المذموم، وإنما يكون جزاءً على فعل الأمر المحمود.

أخوف ما أخاف عليكم^(١)

ومن كلام له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ.

فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ.
أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَاءً، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صَبَابَةٌ كَصَبَابَةِ الْإِنَاءِ
اضْطَبَّهَا صَابُهَا.

أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ
الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأَبِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ^(٢).

تزودوا للآخرة^(٣)

ومن خطبة له عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَا مَخْلُوفٍ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَلَا مَأْيُوسٍ
مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَلَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ، الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلَا تُفْقَدُ
لَهُ نِعْمَةٌ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٤٢)، ووسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٨٠ ب ٣٢ ح ٢٠٥١٥،

والإرشاد: ج ١ ص ٢٣٦ ومن كلامه في مثل ذلك ما اشتهر بين العلماء.

(٢) قال الشريف الرضي: أقول: الحذاء السريعة، ومن الناس من يرويه: جذاء.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٤٥)، ومن لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٥١٤ باب صلاة العيدين

وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِي لَهَا الْفَنَاءُ، وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ، وَهِيَ حُلُوءٌ خَضْرَاءُ، وَقَدْ عَجِلْتُ لِلطَّلَابِ، وَالتَّبَسَّتْ بِقَلْبِ النَّاطِرِ، فَارْتَجَلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الرَّادِ، وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ.

الدنيا قد تصرّمت^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) :

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَآذَنْتْ بِانْقِصَاءٍ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا وَأَذْبَرَتْ حَدَّاءَ، فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا، وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا، وَقَدْ أَمَرَ فِيهَا مَا كَانَ حُلُوءًا، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفُوءًا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ، لَوْ تَمَرَزَهَا الصَّدِيانُ لَمْ يَنْفَعِ.

فَارْمِعُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ، الْمَفْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الرِّوَالِ، وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ فِيهَا الْأَمَدُ.

كل شيء أمام ثواب الله قليل

فَوَاللَّهِ لَوْ حَسَنْتُمْ حَيِّنَ الْوَلِّهِ الْعِجَالِ، وَدَعَوْتُمْ بِهِدِيلِ الْحَمَامِ، وَجَارْتُمْ جُورَارَ مُتَبَلِّي الرُّهْبَانِ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، التِّمَّاسَ الْقُرْبَةَ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ، أَوْ غُفْرَانَ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ، وَحَفِظَتْهَا رُسُلُهُ، لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٥٢)، والامالي للمفيد: ص ١٥٩ - ١٦١ المجلس ٢٠ ح ٢، ومصباح المتعبد: ص ٦٦٣ - ٦٦٤ خطبة يوم الاضحى.

لا تكافئ أعمالكم نعم الله عليكم

وَتَاللَّهِ لَوْ أَنْمَاتُ قُلُوبُكُمْ أَنْمِيَاءً، وَسَلَّاتِ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ، أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَمًا، ثُمَّ عَمَّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةً، مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ عَنْكُمْ - وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئًا مِنْ جُهْدِكُمْ - أَنْعَمَهُ عَلَيْكُمْ الْعِظَامُ، وَهَذَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ.

الدنيا مزرعة الآخرة^(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسَلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا. ابْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً، فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا، أَخْرَجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ، وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِعَيْبِهَا، قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ. فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفِيِّ الظِّلِّ، بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغًا حَتَّى قَلَصَ، وَزَائِدًا حَتَّى نَقَصَ.

لم يخلقكم الله عبثاً^(٢)

ومن خطبة له عليه السلام :

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جَدَّ بِكُمْ، وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَكُمْ، وَكُونُوا قَوْمًا صَاحِبَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبَدَّلُوا.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٦٣)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٣٨ الزهد في الدنيا ح ٢٤٣١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٦٤)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٧ اعمل لآخرتك ح ٢٩٧٦.

فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ.

وَإِنَّ غَايَةَ تَنْقُصِهَا اللَّحْظَةُ، وَتَهْدِيمِهَا السَّاعَةُ، لَجَدِيرَةٌ بِقَصْرِ الْمُدَّةِ، وَإِنَّ غَايَةَ يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الْأَوْتَةِ، وَإِنَّ قَادِمًا يَقْدُمُ بِالْفُوزِ أَوْ الشَّقْوَةِ، لِمُسْتَحَقٍّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا، مَا تَحْزُرُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا.

قَدِّمُوا تَوْبَتَكُمْ

فَاتَّقَى عَبْدُ رَبِّهِ نَصَحَ نَفْسَهُ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ، وَعَلَبَ شَهْوَتَهُ، فَإِنْ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ، يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا، وَيُمَيِّنِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا، إِذَا هَجَمَت مَيِّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا. فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ، أَنْ يَكُونَ عُمْرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً، وَأَنْ تُوَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى الشَّقْوَةِ.

نَسَأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ، وَلَا تُقْصِرُهُ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً، وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَلَا كَابَةً.

اغْتَنِمُوا الْمَهْلَ^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) :

رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى، وَدُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا، وَأَخَذَ بِحُجْزَةِ هَادٍ فَتَنَجَا.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٧٦)، وبحار الأنوار: ج ٦٦ ص ٣١٠ ب ٣٧ ح ٣١، وتحف العقول: ص ٢١٣ وروي عنه في قصار هذه المعاني.

رَاقِبَ رَبِّهُ، وَخَافَ ذَنْبَهُ.
 قَدَّمَ خَالِصاً، وَعَمِلَ صَالِحاً.
 اكْتَسَبَ مَذْخُوراً، وَاجْتَنَبَ مَحْذُوراً.
 وَرَمَى غَرَضاً، وَأَحْرَزَ عَوْضاً.
 كَاثَرَ هَوَاهُ، وَكَذَّبَ مُنَاهُ.
 جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ، وَالتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ.
 رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَاءَ، وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيضَاءَ.
 اغْتَنَمَ الْمَهْلَ، وَبَادَرَ الْأَجَلَ، وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ.

دارٌ أولها عناء وآخرها فناء^(١)

ومن خطبة له ﷺ في صفة الدنيا:
 مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ.
 فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ.
 مَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ.
 وَمَنْ سَاعَاها فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ.
 وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتُهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتُهُ^(٢).

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٨٢)، والاختصاص: ١٨٨ حديث سقيفة بني ساعدة،

وخصائص الأئمة: ١١٨ ومن جملة وصيته لابنه الإمام أبي محمد الحسن بن علي.

(٢) قال الشريف الرضي: أقول: وإذا تأمل المتأمل قوله: وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتُهُ، وجد تحته من المعنى العجيب، والغرض البعيد، ما لا تبلغ غايته، ولا يدرك غوره، لا سيما إذا قرن إليه قوله:

وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتُهُ، فإنه يجد الفرق بين (أبصر بها) و(أبصر إليها)، واضحاً نيراً، وعجيباً باهراً.

دار اختبار واعتبار^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) عجيبة تسمى «الغراء» :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ، وَدَنَا بِطَوْلِهِ، مَا نَحِجُّ كُلَّ غَنِيْمَةٍ وَفَضْلٍ،
وَكَاشَفَ كُلَّ عَظِيْمَةٍ وَأَزَلَّ.

أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ، وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ، وَأَوْمِنُ بِهِ أَوَّلًا بِأَدْيَا،
وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيبًا هَادِيًا، وَأَسْتَعِيْنُهُ قَاهِرًا قَادِرًا، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ لِنَفَازِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ
عُذْرِهِ، وَتَقْدِيمِ نَذْرِهِ.

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، الَّذِي صَرَبَ الْأُمَثَالَ، وَوَقَّتَ لَكُمْ
الْأَجَالَ، وَأَلْبَسَكُمْ الرِّيَاشَ، وَأَرْفَعَ لَكُمْ الْمَعَاشَ، وَأَحَاطَ بِكُمْ الْإِحْصَاءَ،
وَأَرْصَدَ لَكُمْ الْجَزَاءَ، وَأَثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ، وَالرَّقْدِ الرَّوَافِعِ، وَأَنْذَرَكُمْ
بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ، فَأَحْصَاكُمْ عَدَدًا، وَوَضَّفَ لَكُمْ مُدَدًا، فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ،
وَدَارِ عِبْرَةٍ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا، وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا.

الدنيا: ظل زائل

فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنَقٌ مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا، يُوْنِقُ مَنْظَرُهَا، وَيُوبِقُ
مَخْبَرُهَا، غُرُورٌ حَائِلٌ، وَضَوْءٌ آفِلٌ، وَظِلٌّ زَائِلٌ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ.

حَتَّى إِذَا أُنِسَ نَافِرُهَا، وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا، وَقَنَصَتْ

بَاحِبِلْهَا، وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهَمِهَا، وَأَعْلَقَتْ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ، قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ، وَوَحْشَةَ الْمَرْجِعِ، وَمُعَايَنَةَ الْمَحَلِّ، وَتَوَابِ الْعَمَلِ.

وَكَذَلِكَ الْخَلْفُ بِعَقِبِ السَّلَفِ، لَا تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَاماً، وَلَا يَرْعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَاماً، يَجْتَذُونَ مِثَالاً، وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً، إِلَى غَايَةِ الْإِنْتِهَاءِ، وَصَيُورِ الْفَنَاءِ.

إذا أزف النشور

حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ، وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ، وَأَزِفَ النُّشُورُ، أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ، وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ، وَأَوْجِرَةِ السَّبَاعِ، وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ، سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ، مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ، رَعِيلاً صُمُوتاً، قِيَاماً صُفُوفاً، يَنْفِذُهُمُ الْبَصَرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، عَلَيْهِمْ لُبُوسُ الْإِسْتِكَانَةِ، وَضَرْعُ الْإِسْتِسْلَامِ وَالذَّلَّةِ.

قَدْ ضَلَّتِ الْحَيْلُ، وَانْقَطَعَ الْأَمَلُ، وَهَوَتْ الْأَفِيدَةُ كَاطِمَةً، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيِّمَةً، وَالْجَمُّ الْعَرَقُ، وَعَظُمَ الشَّقَقُ، وَأَرْعَدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزْبَرَةِ الدَّاعِي، إِلَى فَضْلِ الْخُطَابِ، وَمُقَايَصَةِ الْجَزَاءِ، وَنَكَالِ الْعِقَابِ، وَنَوَالِ الثَّوَابِ.

تبعثون أفراداً

عِبَادَ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَاراً، وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَاراً، وَمَقْبُوضُونَ اخْتِصَاراً، وَمُضْمَنُونَ أَجْدَاناً، وَكَائِنُونَ رُفَاتاً، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً، وَمَدِينُونَ جَزَاءً، وَمُمَيِّزُونَ حِسَاباً.

قَدْ أَمْهَلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ، وَهَدُّوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ، وَعُمِّرُوا مَهَلْ

الْمُسْتَعْتَبِ، وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدُفُ الرَّيْبِ، وَخُلُوا لِمِضْمَارِ الْجِيَادِ، وَرَوِيَّةِ
الْإِرْتِيَادِ، وَأَنَاةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرتَادِ فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ، وَمُضْطَرَبِ الْمَهْلِ.
فَيَا لَهَا أَمْثَالاً صَائِبَةً، وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً، لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً،
وَأَسْمَاعاً وَاعِيَةً، وَآرَاءَ عَازِمَةً، وَالْبَابَا حَازِمَةً.

فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً مَنْ سَمِعَ فَخْشَعَ، وَافْتَرَفَ فَاغْتَرَفَ، وَوَجَلَ فَعَمِلَ،
وَحَادَرَ فَبَادَرَ، وَأَيَقَنَ فَأَحْسَنَ، وَعَبَّرَ فَاغْتَبَّرَ، وَحَذَرَ فَحَذَرَ، وَزَجَرَ
فَارْزَجَرَ، وَأَجَابَ فَأَنَابَ، وَرَاجَعَ فَتَابَ، وَاقْتَدَى فَاخْتَدَى، وَأَرَى فَرَأَى.
فَاسْرِعَ طَالِباً، وَنَجَا هَارِباً، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً، وَأَطَابَ سَرِيرَةً، وَعَمَّرَ
مَعَاداً، وَاسْتَظْهَرَ زَاداً، لِيَوْمِ رَحِيلِهِ، وَوَجْهِ سَبِيلِهِ، وَحَالِ حَاجَتِهِ، وَمَوْطِنِ
فَاقَتِهِ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، جِهَةً مَا خَلَقَكُمْ لَهُ، وَاحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَرَكُمْ
مِنْ نَفْسِهِ، وَاسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّجَرُّ لِيَصْدُقَ مِيعَادُهُ، وَالْحَذَرِ مِنْ
هَوْلِ مَعَادِهِ.

خَلَّفَ لَكُمْ عِبَرَ الْمَاضِينَ

جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لَتَعْيِي مَا عَنَاهَا، وَأَبْصَاراً لَتَجْلُو عَنْ عَشَاهَا،
وَأَشْلَاءَ جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا، مُلَائِمَةً لِأَخْنَائِهَا، فِي تَرْكِيبِ صُورِهَا، وَمُدِدِ
عُمْرِهَا، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا، وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا، فِي مُجَلَّلَاتِ
نَعْمِهِ، وَمُوجِبَاتِ مَنِّهِ، وَحَوَاجِزِ عَافِيَتِهِ.

وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ، وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَرًا مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ
قَبْلَكُمْ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِهِمْ وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ، أَرْهَقَتْهُمْ الْمَنَايَا دُونَ

الْأَمَالِ، وَشَدَّبَهُمْ عَنْهَا تَخَرُّمُ الْآجَالِ، لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أَنْفِ الْأَوَانِ.

فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّبَابِ إِلَّا حَوَائِي الْهَرَمِ؟ وَأَهْلُ غَضَارَةِ الصَّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ؟ وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوَنَةَ الْفَنَاءِ؟ مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ، وَأَزُوفِ الْإِنْتِقَالِ، وَعَلَزِ الْقَلْقِ، وَأَلَمِ الْمَضْضِ، وَغُصَصِ الْجَرَضِ، وَتَلَفَتِ الْإِسْتِعَانَةَ بِنُصْرَةِ الْحَفْدَةِ وَالْأَقْرِبَاءِ، وَالْأَعِزَّةِ وَالْقُرَنَاءِ.

يوم لا تدفع الأقارب ولا تنفع النواحب

فَهَلْ دَفَعَتِ الْأَقَارِبُ؟ أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ؟ وَقَدْ غَوِدرَ فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ رَهِينًا، وَفِي ضَيْقِ الْمَضْجَعِ وَحِيدًا، قَدْ هَتَكَتِ الْهَوَامُ جِلْدَتَهُ، وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ، وَعَفَتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ، وَمَحَا الْحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ، وَصَارَتِ الْأَجْسَادُ شَجَبَةً بَعْدَ بَضْيَتِهَا، وَالْعِظَامُ نَخْرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا، وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثَقْلِ أَعْبَائِهَا، مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا، لَا تُسْتَرَادُّ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا، وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلَّلِهَا.

أَوْ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءِ، وَإِخْوَانَهُمْ وَالْأَقْرِبَاءَ؟ تَحْتَذُونَ أَمْثَلَتَهُمْ، وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ، وَتَطْوُونَ جَادَتَهُمْ؟ فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا، لَا هِيَّةَ عَنْ رُشْدِهَا، سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا، كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا، وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَارِ دُنْيَاهَا.

إن مجازكم على الصراط

وَاعْلَمُوا، أَنَّ مَجَازَكُمُ عَلَى الصَّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَخْصِهِ، وَأَهَاوِيلِ زَلَّلِهِ، وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ، وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ، وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ، وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ، وَأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ، وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ، وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ، وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِيَلَاتُ الْغُرُورِ، وَلَمْ تَعَمَّ عَلَيْهِ مُسْتَبْهَاتُ الْأُمُورِ، ظَافِرًا بِفَرَحَةِ الْبُشْرَى، وَرَاحَةَ التُّعْمَى، فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ، وَأَمِنِ يَوْمِهِ.

وَقَدْ عَبَّرَ مَعْبَرَةَ الْعَاجِلَةِ حَمِيدًا، وَقَدَّمَ زَادَ الْآجِلَةِ سَعِيدًا، وَبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ، وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ، وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ، وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ، وَنَظَرَ قُدَمَاءَ أَمَامَهُ.

كفى بالجنة ثواباً

فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً وَنَوَالاً، وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَوَبَالاً، وَكَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِماً وَنَصِيراً، وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَاجِجاً وَخَصِيماً.

أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَعَذَّرَ بِمَا أُنْذَرَ، وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ، وَحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيّاً، وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيّاً، فَأَصْلَ وَأَرْدَى، وَوَعَدَ فَمَتَى، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ، حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، وَاسْتَعْلَقَ رَهِيئَتَهُ، أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ، وَاسْتَغْظَمَ مَا هَوَّنَ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ.

أنشأه في ظلمات الأرحام

أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَشُغِفِ الْأَسْتَارِ، نُظْفَةً دِهَاقاً، وَعَلَقَةً مِحَاقاً، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً، وَوَلِيداً وَيَافِعاً.

ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا، وَلِسَانًا لَا فِظًا، وَبَصَرًا لَا حِظًا، لِيُنْفِهُم مُعْتَبِرًا،
وَيُقْصِّرَ مُزْدَجِرًا.

حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتَدَالُهُ، وَاسْتَوَى مِثَالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا، وَخَبَطَ سَادِرًا،
مَاتِحًا فِي غَرْبِ هَوَاهُ، كَادِحًا سَعْيًا لِدُنْيَاهُ، فِي لَذَاتِ طَرَبِهِ، وَبَدَوَاتِ
أَرْبِهِ، ثُمَّ لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً، وَلَا يَخْشَعُ نَفْيَةً، فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيرًا، وَعَاشَ
فِي هَفْوَتِهِ يَسِيرًا، لَمْ يَفِدْ عَوْضًا، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضًا.

فجعات المنيّة

دَهَمَتُهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبْرِ جَمَاحِهِ، وَسَنَنِ مِرَاحِهِ، فَظَلَّ سَادِرًا،
وَبَاتَ سَاهِرًا، فِي عَمَرَاتِ الْآلَامِ، وَطَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ، بَيْنَ أَخِ
شَقِيقِ، وَوَالِدِ شَفِيقِ، وَدَاعِيَةِ الْوَيْلِ جَزَعًا، وَلَادِمَةِ الصَّدْرِ قَلَقًا، وَالْمَرْءِ فِي
سَكْرَةِ مُلْهَتِهِ، وَعَمْرَةٍ كَارِثَةٍ، وَأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ، وَجَذْبَةٍ مُكْرِئَةٍ، وَسَوْقَةٍ مُتَعَبَةٍ.

ثُمَّ أَدْرَجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِسًا، وَجَذَبَ مُنْقَادًا سَلِسًا.

ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الْأَعْوَادِ، رَجِيعَ وَصَبٍ، وَنَضْوَ سَقَمٍ، تَحْمِلُهُ حَفْدَةُ
الْوِلْدَانِ، وَحَشْدَةُ الْإِخْوَانِ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ، وَمُنْقَطَعِ زُورَتِهِ، وَمُفْرَدِ
وَحْشَتِهِ.

حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُشِيعُ، وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ، أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ، نَجِيًّا
لِبَهْتَةِ السُّوَالِ، وَعَثْرَةِ الْإِمْتِحَانِ.

وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةَ نُزُولِ الْحَمِيمِ، وَتَصْلِيَةِ الْجَحِيمِ، وَفَوْرَاتِ
السَّعِيرِ، وَسَوْرَاتِ الزَّفِيرِ، لَا فِتْرَةَ مُرِيحَةٍ، وَلَا دَعَةَ مُرِيحَةٍ، وَلَا قُوَّةَ

حَاجِزَةً، وَلَا مَوْتَةً نَاجِزَةً، وَلَا سِنَّةً مُسَلِّيَةً، بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ، وَعَذَابِ السَّاعَاتِ، إِنَّا بِاللَّهِ عَائِدُونَ.

احذروا الذنوب

عِبَادَ اللَّهِ، أَيُّنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَتَعَمُّوا، وَعُلِّمُوا فَفَهَّمُوا، وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا، وَسَلَّمُوا فَتَنَسَّوْا، أُمَهِّلُوا طَوِيلًا، وَمُنِحُوا جَمِيلًا، وَحَذَرُوا أَلِيمًا، وَوَعَدُوا جَسِيمًا؟ احذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُورِّطَةَ، وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ.

أُولِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ، وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ، هَلْ مِنْ مَنَاصِرٍ أَوْ خَلَاصٍ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ، أَمْ لَا؟ فَأَنَّى تُؤَفِّكُونَ، أَمْ أَيْنَ تُضَرِّفُونَ؟ أَمْ بِمَاذَا تَعْتَرُونَ؟

وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ، قِيدُ قَدِّهِ، مُتَعَفِّرًا عَلَى خَدِّهِ.

الآنَ عِبَادَ اللَّهِ، وَالْجِنَاقُ مُهْمَلٌ، وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ، فِي فَيِّئَةِ الْإِرْشَادِ، وَرَاحَةِ الْأَجْسَادِ، وَبَاحَةِ الْإِحْتِشَادِ، وَمَهَلِ الْبَقِيَّةِ، وَأَنْفِ الْمَشِيَّةِ، وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ، وَأَنْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ، قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمَضْيِقِ، وَالرُّوْعِ وَالزُّهُوقِ، وَقَبْلَ قُدُومِ الْعَايِبِ الْمُتَنَتِّظِرِ، وَإِخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ^(١).

(٢) اتَّعْظُوا بِالْعَمْرِ

ومن خطبة له (عليه السلام) :

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ،

(١) قال الشريف الرضي: وفي الخبر أنه لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود، وبكت

العيون، ورجفت القلوب، ومن الناس من يسمي هذه الخطبة (الغراء).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٨٥)، وبحار الأنوار: ج ٤ ص ٣١٩ ب ٤ ح ٤٥.

وَالْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ، لَا تَقْعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ، وَلَا تُعْقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ، وَلَا تَنَالُهُ التَّجَرُّبَةُ وَالتَّبَعِيضُ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ.

انتفعوا بالمواعظ

فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْآيِ السَّوَاطِعِ، وَازْدَجِرُوا بِالنُّذْرِ الْبَوَالِغِ، وَانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ، فَكَأَنَّ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ الْأُمْنِيَّةِ، وَدَهَمَتْكُمْ مُفْطَعَاتُ الْأُمُورِ، وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوَرْدِ الْمَوْزُودِ، ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾^(١)، سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا، وَشَهِيدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا.

لا يهرم خالدها

ومنها في صفة الجنة:

دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَاتٌ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ، لَا يَنْقُطِعُ نَعِيمُهَا، وَلَا يَظْعَنُ مَقِيمُهَا، وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا، وَلَا يَبْأَسُ سَاكِنُهَا.

أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا^(٢)

ومن خطبة له عليه السلام:

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَذْيَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَبْدَانِ.

عِبَادَ اللَّهِ، أَوْصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ، وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا

(١) سورة ق، الآية: ٢١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٩٩)، ومن لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٤٢٨ - ٤٢٩ باب وجوب الجمعة وفضلها ح ١٢٦٣.

تَرْكَهَا، وَالْمُبْلِيَّةَ لِأَجْسَامِكُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسْفَرٍ سَلَكُوا سَبِيلًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وَأُمُوا عَلَمًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوهُ، وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي إِلَى الْعَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا؟ وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ، وَطَالِبٌ حَثِيثٌ مِنَ الْمَوْتِ يَحْدُوهُ، وَمُزْعِجٌ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا رَغْمًا.

فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا، وَلَا تَعَجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَائِهَا وَبُؤْسِهَا، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ، وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ، وَضَرَاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى انْتِهَاءٍ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ.

اذكروا هادم اللذات

أَوْ لَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌّ، وَفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ؟

أَوْ لَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ، وَإِلَى الْخَلْفِ الْبَاقِينَ لَا يَبْقَوْنَ؟

أَوْ لَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى؟ فَمَيِّتٌ يُبْكِي، وَآخِرُ يُعْزَى، وَصَرِيعٌ مُبْتَلَى، وَعَائِدٌ يَعُودُ، وَآخِرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ، وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي.

أَلَا فَادْكُرُوا هَازِمَ اللَّذَاتِ، وَمُنْعَصَ الشَّهَوَاتِ، وَقَاطِعَ الْأُمْنِيَّاتِ،

عِنْدَ الْمَسَاوِرَةِ لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ، وَاسْتَعِينُوا اللَّهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ،
وَمَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ.

اتَّقُوا يَوْمَ الْحِسَابِ^(١)

ومن كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة :

وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ، وَجَزَاءِ
الْأَعْمَالِ، خُضُوعاً قِيَاماً، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ،
فَأَحْسَنَهُمْ حَالاً، مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ وَضِعاً، وَلِنَفْسِهِ مُتْسَعاً.

ويل لك يا بصرة

فَتَنْ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ
مَرْمُومَةً مَرْحُولَةً، يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا، وَيَجْهَدُهَا رَاكِبُهَا.

أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلْبُهُمْ، قَلِيلٌ سَلْبُهُمْ، يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَوْمٌ
أَذَلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ، فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ.

فَوَيْلٌ لَكَ يَا بَصْرَةَ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللَّهِ، لَا رَهَجَ لَهُ وَلَا
حَسَّ، وَسَيَبْتَلِي أَهْلُكَ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ، وَالْجُوعِ الْأَغْبَرِ.

سرورها مشوب بالحزن^(٢)

ومن خطبة له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ، انْظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا، الصَّادِفِينَ عَنْهَا،

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٠٢)، وبحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢٤٨ ب ٤ ح ١٩٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٠٢)، والكافي: ج ٢ ص ١٧ صحيفة علي بن الحسين وكلامه

ح ٣، وتحف العقول: ص ٢٠٢ - ٢٠٣ وروي عنه في قصار هذه المعاني.

فَإِنَّهَا وَاللَّهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّأْوِيَّ السَّائِكِينَ، وَتَفْجَعُ الْمُشْرِفَ الْآمِينَ، لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَذْبَرَ، وَلَا يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرُ، سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ، وَجَلَدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ، فَلَا يَعْرِنْكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا، لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا.

رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا تَفَكَّرَ فَأَعْتَبَرَ، وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ.

أبْغَضَ الرِّجَالِ عِنْدَ اللَّهِ

الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ لَا يَعْرِفَ قَدْرَهُ، وَإِنْ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَعَبْدًا وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ، جَائِرًا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، سَائِرًا بِغَيْرِ دَلِيلٍ، إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الْآخِرَةِ كَسَلَ، كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، وَكَأَنَّ مَا وَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ.

الزَّمَانُ الْعَصِيبُ

وَذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُومَةٍ، إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرِفْ، وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى، وَأَعْلَامُ السُّرَى، لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ، وَلَا الْمَذَابِيعِ الْبُذْرِ، أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ، وَيَكْثِفُ عَنْهُمْ ضَرَاءَ نِقْمَتِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلَامُ، كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَادَكُم مِّنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ يُعَذِّبْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾^(١) (٢).

أحذركم الدنيا وما فيها^(٣)

ومن خطبة له عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَحذَرُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلُوهٌ خَصِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالْأَمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْعُرُورِ، لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا، وَلَا تُؤْمِنُ فَجَعَتُهَا.

عَرَّارَةُ ضَرَّارَةٍ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِذَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ، لَا تَعْدُو - إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا - أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَا أُنْزِلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا﴾^(٤).

لَمْ يَكُنْ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عِبْرَةٌ، وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَائِهَا بَطْنًا إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا، وَلَمْ تَطْلُغْ فِيهَا دِيمَةٌ رَخَاءٍ إِلَّا

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٣٠.

(٢) قال الشريف الرضي: أما قوله: كُلُّ مُؤْمِنٍ نُومَةٍ، فإنما أراد به الخامل الذكر، القليل الشر.

والمساييح جمع مسياح، وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم.
والمذاييع جمع مذياع، وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ونوّه بها.

والبُذُر جمع بذور، وهو الذي يكثر سفهه، ويلغو منطقته.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١١١)، وتحف العقول: ص ١٨٠ - ١٨٣ ومن كلامه في الزهد، وكشف الغمة: ج ١ ص ١٧٢ في وصف زهده في هذه الدنيا.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٤٥.

هَتَنْتُ عَلَيْهِ مُزْنَهُ بَلَاءٍ، وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً.

وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْدَوْذَبَ وَاحْلَوْلَى، أَمَرَ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى، لَا يَنَالُ أَمْرُؤُ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغْبًا إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَبًا، وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحٍ أَمْنٌ إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ.

الدنيا فانية

غَرَارَةٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا، فَايِنَةٌ فَإِنْ مَنْ عَلَيْهَا، لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى، مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ، وَمَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْبِقُهُ، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ.

كَمْ مِنْ وَائِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ، وَذِي أَبْهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيرًا، وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا؟

سُلْطَانُهَا دُؤْلٌ، وَعَيْشُهَا رَنْقٌ، وَعَذْبُهَا أَجَاجٌ، وَحُلُوهَا صَبِرٌ، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ، حَيْثُهَا بَعْرَضٍ مَوْتٌ، وَصَحِيحُهَا بَعْرَضٍ سُقْمٌ، مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا مَنكُوبٌ، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ.

أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِينِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا، وَأَبْقَى آثَارًا، وَأَبْعَدَ آمَالًا، وَأَعَدَّ عَدِيدًا، وَأَكْتَفَ جُنُودًا؟ تَعَبِدُوا لِلدُّنْيَا أَيْ تَعَبُدُ، وَآثَرُوهَا أَيْ إِيثَارُ، ثُمَّ طَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ، وَلَا ظَهَرَ قَاطِعٍ.

دأب الدنيا

فَهَلْ بَلَغْتُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِفِدْيَةٍ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ

أَحْسَنْتَ لَهُمْ صُحْبَةً؟ بَلْ أَرْهَقْتَهُمْ بِالْقَوَادِحِ، وَأَوْهَقْتَهُمْ بِالْقَوَارِعِ،
وَضَعُضَعْتَهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وَعَقَّرْتَهُمْ لِلْمَنَاخِرِ، وَوَطَّئْتَهُمْ بِالْمَنَاسِمِ، وَأَعَانَتْ
عَلَيْهِمْ رَبِّبَ الْمُنُونِ.

فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنْكُرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا، حِينَ طَعَنُوا عَنْهَا
لِفِرَاقِ الْأَبَدِ.

وَهَلْ زَوَّدْتَهُمْ إِلَّا السَّعَبَ، أَوْ أَحَلَّتَهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ، أَوْ نَوَّرْتَ لَهُمْ إِلَّا
الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعَقَّبْتَهُمْ إِلَّا الدَّامَةَ؟

أَفَهَذِهِ تُؤَثِّرُونَ؟ أَمْ إِلَيْهَا تَظْمِئُونَ؟ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟ فَبَيْسَتْ الدَّارُ
لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا.

فَاعْلَمُوا، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا، وَظَاعِنُونَ عَنْهَا، وَاتَّعِظُوا
فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً.

حال الموتى

حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا، وَأَنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ فَلَا يُدْعَوْنَ
صِيفَانًا، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانُ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانُ، وَمِنَ الرُّفَاتِ
جِيرَانُ، فَهُمْ حَيْرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا، وَلَا يَمْنَعُونَ صَيِّمًا، وَلَا يُبَالُونَ
مَنْدَبَةً، إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا.

جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ، وَحَيْرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادُ، مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ، وَقَرِيبُونَ
لَا يَتَقَارَبُونَ، حُلَمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْعَانُهُمْ، وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ، لَا
يُخْشَى فَجَعُهُمْ، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ.

اسْتَبَدَّلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا، وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً، فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا، حُفَاءَ عُرَاءَ، قَدْ طَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، وَالْدَّارِ الْبَاقِيَةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ تَعَالَى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(١).

من أسرار الموت^(٢)

ومن خطبة له عليه السلام ذكر فيها ملك الموت :

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا؟ أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَدًا؟ بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ؟ أَيْلُجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا؟ أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا؟

كَيْفَ يَصِفُ إِلَهُهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنِ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ؟.

أسمعوا دعوة الموت أذانكم^(٣)

ومن خطبة له عليه السلام :

وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نَجْعَةٍ، قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا.

دَارُهَا هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلَالُهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتُهَا بِمَوْتِهَا، وَخُلُوهَا بِمُرِّهَا.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١١٢)، وبحار الأنوار: ج ٦ ص ١٤٣ ب ٥ ح ٩، والبحار: ج ٧ ص ٤٣٢ - ٤٣٣ ب ١٥ ح ٤٥٥.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١١٢)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٢٢ و ١٢٣ ق ١ ب ٦ ف ١ الدنيا دار عبرة وموعظة.

لَمْ يُصَفِّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ.
خَيْرُهَا زَهِيدٌ، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ، وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ، وَعَامِرُهَا
يَخْرُبُ.

فَمَا خَيْرُ دَارٍ تَنْقُضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ، وَعُمُرٍ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ، وَمُدَّةٍ
تَنْقُطُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ.

اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلِبِكُمْ، وَاسْأَلُوهُ مِنْ آدَاءِ حَقِّهِ مَا
سَأَلَكُمْ، وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ.

من علامات الزاهدين

إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ
فَرَحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَإِنْ اغْتَبَطُوا بِمَا رَزَقُوا.

قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْأَجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الْأَمَالِ،
فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ.

وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْتُ السَّرَائِرِ،
وَسُوءُ الضَّمَائِرِ، فَلَا تَوَازَرُونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَادُلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ.

مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ، وَلَا يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ
الْآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ، وَيُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَقُوتُكُمُ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي
وُجُوهِكُمْ، وَقَلَّةَ صَبْرِكُمْ عَمَّا رُويَ مِنْهَا عَنْكُمْ، كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ، وَكَأَنَّ
مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ.

وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ، إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ

يَسْتَقْبِلُهُ بِمِثْلِهِ، قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفُضِ الْآجِلِ، وَحُبِّ الْعَاجِلِ، وَصَارَ دِينُ
أَحَدِكُمْ لُغْمَةً عَلَى لِسَانِهِ، صَنِيعٌ مَنْ قَدْ فَرَعَ مِنْ عَمَلِهِ، وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ.

تقوى الله هي الزاد^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ، وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى آيَاتِهِ
كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ،
السَّرَّاعِ إِلَى مَا نُهِيََتْ عَنْهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَأَخْصَاهُ كِتَابُهُ،
عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ، وَكِتَابٌ غَيْرُ مُعَادِرٍ، وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانٌ مِنْ عَايِنِ الْغُيُوبِ،
وَوَقَفَ عَلَى الْمُوْعُودِ، إِيْمَانًا نَفَى إِخْلَاصُهُ الشُّرْكَ، وَيَقِينُهُ الشَّكَّ.

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ، وَتُرْفَعَانِ الْعَمَلَ، لَا يَخْفُ مِيزَانُ
تَوْضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانُ تُرْفَعَانِ عَنْهُ.

أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الرَّادُّ، وَبِهَا الْمَعَادُ، زَادٌ مُبْلَغُ،
وَمَعَادٌ مُنْجِحُ، دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، وَوَعَاها خَيْرُ وَاعٍ، فَأَسْمَعَ دَاعِيَهَا،
وَفَازَ وَاعِيَهَا.

من علامات التقوى

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَحَارِمَهُ، وَأَلَزَمَتْ قُلُوبَهُمْ
مَخَافَتَهُ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ، فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ

بِالنَّصَبِ، وَالرَّيِّ بِالظَّمِّ، وَاسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ، فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا الْأَمَلَ، فَلَا حَظُّوا الْأَجَلَ.

ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ، وَغَيْرِ وَعَبْرٍ.

فَمِنْ الْفَنَاءِ: أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسُهُ، لَا تُحْطِئُ سِهَامُهُ، وَلَا تُؤَسَّى جِرَاحُهُ، يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ، وَالصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ، وَالنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ، أَكَلٌ لَا يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ.

وَمِنْ الْعَنَاءِ: أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ، وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا مَالاً حَمَلَ، وَلَا بِنَاءً نَقَلَ.

وَمِنْ غَيْرِهَا: أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطًا، وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُومًا، لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيمًا زَلَّ، وَبُؤْسًا نَزَلَ.

وَمِنْ غَيْرِهَا: أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ، فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ، فَلَا أَمَلٌ يُدْرِكُ، وَلَا مُؤَمِّلٌ يُتْرَكُ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَعَزَّ سُرُورَهَا، وَأَظْمَأَ رِيَّهَا، وَأَضْحَى فَيْئَهَا، لَا جَاءَ يُرَدُّ، وَلَا مَاضٍ يَرْتَدُّ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلْحَاقِ بِهِ، وَأَبْعَدَ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ.

شَرُّ مِنَ الشَّرِّ

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ، فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ، وَمَنِ الْغَيْبِ الْخَبَرُ.

وَاعْلَمُوا، أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الْآخِرَةِ، خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ

الْآخِرَةَ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا، فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَاحٍ، وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ.

إِنَّ الَّذِي أَمَرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نَهَيْتُمْ عَنْهُ، وَمَا أَجَلَ لَكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، فَذَرُّوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ، وَمَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ.

قَدْ تَكْفَلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ، وَأَمَرْتُمْ بِالْعَمَلِ، فَلَا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ، أَوْ لَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ وَاللَّهِ لَقَدْ اعْتَرَضَ الشُّكَّ، وَدَخَلَ الْيَقِينَ، حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي ضَمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَكَأَنَّ الَّذِي قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ.

فَبَادِرُوا الْعَمَلَ، وَخَافُوا بَعْتَةَ الْأَجَلِ، فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ، مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِي غَدًا زِيَادَتُهُ، وَمَا فَاتَ أَمْسٍ مِنَ الْعُمُرِ لَمْ يُرَجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ.

الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِي، وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ الْخَالِفِينَ﴾ (١).

نحمده على ما أخذ وأعطى (٢)

ومن خطبة له عليه السلام :

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَابْتَلَى، الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ، وَالْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ، الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ، وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٣٢).

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ نَجِيُّهُ وَبَعِيْثُهُ، شَهَادَةٌ يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانُ، وَالْقَلْبُ اللَّسَانُ.

إنه والله الجد لا اللعب

فَإِنَّهُ وَاللَّهِ الْجِدُّ لَا اللَّعِبُ، وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيِهِ، وَأَعْجَلَ حَادِيهِ، فَلَا يُغَرِّنُكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ، وَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ، وَحَذَرَ الْإِقْلَالَ، وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ - طُولَ أَمَلٍ وَاسْتِبْعَادَ أَجَلٍ - كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطْنِهِ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمِنِهِ، مَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا، يَتَعَاطَى بِهِ الرَّجَالُ الرَّجَالَ، حَمَلًا عَلَى الْمَنَاقِبِ، وَإِمْسَاكَ بِالْأَنَامِلِ.

أَمَّا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيدًا، وَيَبْنُونَ مَشِيدًا، وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا، كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُورًا، وَمَا جَمَعُوا بُورًا، وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ، لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ؟ فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّرَ مَهْلُهُ، وَفَارَزَ عَمَلُهُ، فَاهْتَبَلُوا هَبْلَهَا، وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مَقَامٍ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازًا، لِتَرْوُدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ، وَقَرَّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ.

انقادت له الدنيا والآخرة^(١)

ومن خطبة له ﷺ :

وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَرْزَمَتِهَا، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ

وَالْأَرْضُونَ مَقَالِيدَهَا، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاصِرَةُ،
وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النِّيرَانَ الْمُضِيئَةَ، وَآتَتْ أَكْلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثَّمَارَ
الْيَابِغَةَ.

الناطق الذي لا يعيا

وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُهُ، وَيَبْتَ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ،
وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ.

ختم به الوحي

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازَعَ مِنَ الْأَلْسُنِ فَقَقَى بِهِ الرُّسُلَ،
وَحَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَالْعَادِلِينَ بِهِ.

بين الأعمى والبصير

وَأِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى، لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئًا، وَالْبَصِيرُ
يُنْفِذُهَا بَصَرُهُ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا، فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ، وَالْأَعْمَى
إِلَيْهَا شَاخِصٌ، وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ، وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ.

لقد تاه بكم الغرور

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمْلُهُ إِلَّا
الْحَيَاةَ، فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً، وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ
حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ، وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمِيَاءِ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ الصَّمَاءِ، وَرِيٌّ
لِلظَّمَانِ، وَفِيهَا الْعِنَى كُلُّهُ وَالسَّلَامَةُ، كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ،

وَتَسْمَعُونَ بِهِ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ، وَلَا يَخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ.

قَدْ اضْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَنَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمْنِكُمْ، وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْأَمْالِ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ، لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكُمْ الْخَبِيثُ، وَتَاهَ بِكُمْ الْغُرُورُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ.

مضت أصول ونحن فروعها^(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا، مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ، لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا يَهْدِمُ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَلَا تُجَدِّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا يَنْفَادُ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ، وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ، وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلُقَ لَهُ جَدِيدٌ، وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ، وَقَدْ مَضَتْ أَصُولُ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ.

اتَّقُوا الْبِدْعَ

وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ، فَاتَّقُوا الْبِدْعَ وَالزُّمُوا الْمَهْيَعَ، إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا، وَإِنَّ مُحْدَثَاتِهَا شِرَارُهَا.

لا تضيّعوا سنة نبيكم^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) قبل شهادته :

أَيُّهَا النَّاسُ، كُلُّ امْرِئٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ، الْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ، وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ، كَمْ أَطْرَدَتِ الْأَيَّامُ أَبْحَثَهَا عَنْ مَكُونِ هَذَا الْأَمْرِ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ؟ هَيْهَاتَ، عِلْمٌ مَخْزُونٌ.

أَمَّا وَصِيَّتِي : فَاللَّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَمُحَمَّدًا ﷺ فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ، أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعُمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُمُ دَمٌ مَا لَمْ تُشْرُدُوا.

حُمِّلَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ، وَخُفِّفَ عَنِ الْجَهْلَةِ رَبُّ رَحِيمٍ، وَدِينٌ قَوِيمٌ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ.

أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَعَدَاً مُفَارِقُكُمْ، غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ.

بين الثبات والزلّة

إِنْ تَثَبَّتِ الْوُطَاةُ فِي هَذِهِ الْمَزَلَةِ فَذَاكَ، وَإِنْ تَدَحَّضَ الْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَقْبَاءِ أَعْصَانٍ، وَمَهَابٍ رِيَّاحٍ، وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ، اضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفُّهَا، وَعَفَا فِي الْأَرْضِ مَخْطُهَا.

وإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمُ بَدَنِي أَيَّاماً، وَسَتَعْقِبُونَ مِنِّي جُنَّةً خَلَاءً، سَاكِنةً بَعْدَ حَرَائِكِ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقِي، لِيَعِظْكُمْ هُدُوءِي، وَخُفُوتُ إِطْرَاقِي،

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤٩)، والكافي: ج ١ ص ٢٩٩ باب الإشارة والنص على الحسن ابن علي ح ٦.

وَسُكُونُ أَطْرَافِي، فَإِنَّهُ أَوْعَظَ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ، وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ.

وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعُ امْرِئٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلَاقِي، عَدَا تَرَوْنَ أَيَّامِي، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوءِ مَكَانِي، وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي.

الدهر يجري بالباقيين كجريه بالماضين^(١)

ومن خطبة له عليه السلام قبل شهادته:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحًا لِدُكْرِهِ، وَسَبَبًا لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلًا عَلَى آيَاتِهِ وَعَظَمَتِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرِّهِ بِالْمَاضِينَ، لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَدًا مَا فِيهِ، آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ، مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُهُ، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ.

فَكَلَّا نَكُنْ بِالسَّاعَةِ تَخْدُوكُمْ حَدُّو الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ، فَالَجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفْرِطِينَ.

اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلَا يُحَرِّزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ، أَلَا وَبِالتَّقْوَى تُقَطَّعُ حُمَةُ الْخَطَايَا، وَبِالْيَقِينِ تُدْرِكُ الْعَايَةُ الْقُصُوصُ.

تزودوا لأيام البقاء

عِبَادَ اللَّهِ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ! وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَنَارَ طُرُقَهُ، فَشِقْوَةٌ لَزِيمَةٌ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ، فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ.

قَدْ دُلَلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعَنِ، وَحُثِّيتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكِبٍ وَقُوفٍ، لَا يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ، أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالْدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ؟ وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسَلَبُهُ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ؟

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرُكٌ، وَلَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْعَبٌ.

عِبَادَ اللَّهِ، اخْذَرُوا يَوْمًا تُفَحَّصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الزَّلْزَالُ، وَتَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ.

إن عليكم رسداً وعيوناً

اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصْدًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَعُيُونًا مِنْ جَوَارِحِكُمْ، وَحِفَاطَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ، لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةٌ لَيْلٍ دَاجٍ، وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ، وَإِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ.

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لِأَحِقِّ بِهِ، فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ، فَيَا لَهُ مِنْ بَيْتٍ وَحْدَةٍ، وَمَنْزِلٍ وَحْشَةٍ، وَمُفْرَدٍ غُرْبَةٍ.

وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ، وَالسَّاعَةَ قَدْ عَشَيْتُكُمْ، وَبَرَزْتُمْ لِفَضْلِ
الْقَضَاءِ، قَدْ رَاحَتْ عَنْكُمْ الْأَبَاطِيلُ، وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمْ الْعِلَلُ، وَاسْتَحَقَّتْ
بِكُمْ الْحَقَائِقُ، وَصَدَرَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا، فَاتَّعَظُوا بِالْعِبَرِ، وَاعْتَبِرُوا
بِالْغَيْرِ، وَانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ.

لا يشغله شأن عن شأن^(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ، وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ،
لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ، وَلَا نُجُومُ السَّمَاءِ، وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي
الْهُوَاءِ، وَلَا دَيْبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا، وَلَا مَقِيلُ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ،
يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ، وَخَفِيِّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ، وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ، وَلَا
مَكْفُورٍ دِينُهُ، وَلَا مَجْجُودٍ تَكْوِينُهُ، شَهَادَةٌ مِنْ صَدَقَتْ نَيْتُهُ، وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ،
وَحَلَصَ يَقِينُهُ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْمَجْتَبَى مِنْ خَلَائِقِهِ، وَالْمُعْتَمَدُ
لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ، وَالْمُخْتَصَّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ، وَالْمُضْطَفَى لِكِرَائِمِ رِسَالَاتِهِ،
وَالْمُوضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى، وَالْمَجْلُوبُ بِهِ غَرْيَبُ الْعَمَى.

الدنيا تغر وتضر

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤْمِلَ لَهَا، وَالْمُخْلِدَ إِلَيْهَا، وَلَا تَنْفَسُ
بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا.

وَإِيْمُ اللّٰهِ، مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ، فَرَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا، لِأَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النَّقْمُ، وَتَزُولُ عَنْهُمْ النَّعْمُ، فَرَعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ، وَوَلَّهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ.

وَإِنِّي لِأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فِتْرَةٍ، وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِثْلُكُمْ فِيهَا مِثْلَةٌ، كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَلَكِنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعْدَاءُ، وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ، وَلَوْ أَشَاءَ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾^(١).

خلق الخلائق بقدرته^(٢)

ومن خطبة له عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ، خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ.

وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ، وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ، لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا، وَلِيَحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَائِهَا، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا، وَلِيُبَيِّنُوا لَهُمْ غُيُوبَهَا، وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِبِهَا وَأَسْقَامِهَا، وَحَلَالِهَا وَحَرَامِهَا، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعَصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ، وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ.

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٥.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٨٣).

أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحَمَدَ إِلَى خَلْقِهِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا،
وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلًا، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا.

القرآن أمر وزاجر

فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ، حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، أَخَذَ عَلَيْهِ
مِيثَاقَهُمْ، وَازْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ، أَتَمَّ نُورُهُ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ، وَقَبَضَ
نَبِيِّهِ ﷺ وَقَدْ فَرَعَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ.

فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُخَفِ عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ
دِينِهِ، وَلَمْ يَتْرِكْ شَيْئًا رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عِلْمًا بَادِيًّا، وَآيَةً مُحْكَمَةً
تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ، فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ، وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ.

اتقوا الله الذي أنتم بعينه

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخَطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَلَنْ
يَسَخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرِ بَيْنٍ،
وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلَكُمْ.

قَدْ كَفَاكُمْ مُؤَوَّنَةً دُنْيَاكُمْ، وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وَافْتَرَضَ مِنَ أَلْسِنَتِكُمْ
الذِّكْرَ، وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى، وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ، وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بَعِيْنِهِ، وَنَوَاصِيَكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَبَّلْكُمْ فِي قَبْضَتِهِ، إِنْ
أَسْرَرْتُمْ عِلْمَهُ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كِتْبَهُ، قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَةً كِرَامًا، لَا يُسْقِطُونَ
حَقًّا، وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا.

وَاعْلَمُوا، أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنَ الْفِتَنِ، وَنُورًا مِنْ

الظلم، ويُخلِّدُهُ فِيمَا اسْتَهْتَتْ نَفْسُهُ، وَيُنْزِلُهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ، فِي دَارٍ اضْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ، ظِلُّهَا عَرْشُهُ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ، وَزُورُهَا مَلَأَتْكَتُهُ، وَرَفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ.

بادروا المعاد

فَبَادِرُوا الْمَعَادَ، وَسَابِقُوا الْآجَالَ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطَعَ بِهِمُ الْأَمَلُ، وَيَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ، فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ، عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالْإِزْحَالِ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ.

وَاعْلَمُوا، أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَارْحَمُوا نَفُوسَكُمْ، فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا، أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشُّوْكَةِ تُصِيبُهُ، وَالْعَثْرَةَ تُدْمِيهِ، وَالرَّمْضَاءَ تُحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَائِفَيْنِ مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ، وَقَرِينِ شَيْطَانٍ؟

أَعْلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ، حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِعُضْبِهِ، وَإِذَا زَجَرَهَا، تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجَرَتِهِ؟

اسعوا في فكاك رقابكم

أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ، الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْفَقِيرُ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا التَّحَمَّتْ أَطْوَافُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ، وَنَشِبَتِ الْجَوَامِعُ حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ؟ فَاللَّهُ اللَّهُ مَعَشَرَ الْعِبَادِ! وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصَّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعُوا فِي فِكَائِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِئُهَا.

أَسْهَرُوا عُيُونَكُمْ، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ، وَاسْتَغْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَأَنْفِقُوا
أَمْوَالَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَبْخُلُوا بِهَا
عَنْهَا، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ
كَرِيمٌ﴾^(٢).

فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَسْتَفْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ، اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ
جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَاسْتَفَرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا؟

فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ حَيْرَانَ اللَّهِ فِي دَارِهِ، رَافِقَ بِهِمْ رَسُولُهُ،
وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتُهُ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَدًا، وَصَانَ
أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوبًا وَنَصَبًا ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٣)، أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي
وَأَنْفُسِكُمْ، وَهُوَ حَسْبُنَا، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

أوصيكم بذكر الموت^(٤)

ومن خطبة له ﷺ :

أَوْصِيَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آلَائِهِ إِلَيْكُمْ،

(١) سورة محمد، الآية: ٧.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١١.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٨، سورة الجمعة، الآية: ٤.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٨٨).

وَنَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ، وَبَلَايِهِ لَدَيْكُمْ، فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ،
أَعُوزْتُمْ لَهُ فَسَرَّكُمْ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ.

وَأَوْصِيَكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَإِفْلَالِ الْعُقَلَةِ عَنْهُ، وَكَيْفَ غَفَلْتُمْ عَمَّا لَيْسَ
يُغْفَلُكُمْ، وَطَمَعْتُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمَهِّلُكُمْ؟

فَكَفَى وَاعِظاً بِمَوْتِي عَايِنْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ،
وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ
تَزَلْ لَهُمْ دَاراً.

أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ، وَاشْتَغَلُوا بِمَا
فَارَقُوا، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا، لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالاً، وَلَا فِي
حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ارْتِدَاداً، أَسُوا بِالدُّنْيَا فَعَرَّيْتُمْ، وَوَنَقُوا بِهَا فَصَرَعْتُمْ.

ما أسرع السنين في العمر!

فَسَابِقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا، وَالَّتِي
رَغِبْتُمْ فِيهَا، وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَاسْتَمْتُمُوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ،
وَالْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ، فَإِنَّ عَدَاً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ.

مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ! وَأَسْرَعَ الْأَيَّامِ فِي الشَّهْرِ! وَأَسْرَعَ
الشُّهُورِ فِي السَّنَةِ! وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ!

اعدوا للموت قبل نزوله^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) :

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩٠)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٠ ح ٢٧٥٧ التأهب
والاستعداد وص ١٦٨ ح ٢٢٩٨ القيامة.

أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَطَائِفِ حُقُوقِهِ، عَزِيزَ الْجُنْدِ، عَظِيمَ الْمَجْدِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ، جَهَادًا عَنْ دِينِهِ، لَا يَتَّبِعُهُ عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَالتَّمَّاسُ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ.

فَاغْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا غُرُوثُهُ، وَمَعْقِلًا مَنِيعًا ذُرُوثُهُ.

وَيَاذِرُوا الْمَوْتَ وَغَمَرَاتِهِ، وَامْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نَزُولِهِ، فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةَ، وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ، وَمُعْتَبَرًا لِمَنْ جَهِلَ.

وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضَيْقِ الْأَرْمَاسِ، وَشِدَّةِ الْإِبْلَاسِ، وَهَوْلِ الْمُطْلَعِ، وَرَوْعَاتِ الْفَرْعِ، وَاخْتِلَافِ الْأَضْلَاعِ، وَاسْتِكَاكِ الْأَسْمَاعِ، وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ، وَخِيفَةِ الْوَعْدِ، وَغَمِّ الضَّرِيحِ، وَرَذَمِ الصَّفِيحِ.

انتم والساعة في قرن

فَاللَّهُ اللَّهُ، عِبَادَ اللَّهِ! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنِ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ، وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَسْرَاطِهَا، وَأَرِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا.

وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِرِزَالِزِلِهَا، وَأَنَاخَتْ بِكَلاَكِهَا، وَانْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا، فَكَانَتْ كَيَوْمِ مَضَى، أَوْ شَهْرٍ انْقَضَى، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَتًّا، وَسَمِينُهَا غَتًّا، فِي مَوْقِفِ ضَنْكِ الْمَقَامِ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ

عِظَامٍ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلْبُهَا، عَالٍ لَجْبُهَا، سَاطِعٍ لَهْبُهَا، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا، بَعِيدٍ خُمُودُهَا، ذَاكِ وَقُودُهَا، مَخُوفٍ وَعِيدُهَا، عَمٍ قَرَارُهَا، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا، فَطِيعَةٍ أُمُورُهَا.

مصير المتقين

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾^(١)، قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ، وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ، وَزُحِرُوا عَنِ النَّارِ، وَاطْمَأْنَنَتْ بِهِمُ الدَّارُ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ، الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيةً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَارًا، تَخَشُّعًا وَاسْتِعْفَارًا، وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا، تَوْخُّشًا وَانْقِطَاعًا، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَأْبَأً، وَالْجَزَاءَ ثَوَابًا، ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾^(٢)، فِي مُلْكٍ دَائِمٍ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ.

فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ، مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ، وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسِرُ مُبْطِلُكُمْ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، فَإِنَّكُمْ مُرْتَهِنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ، وَكَأَنَّ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ الْمَخُوفُ، فَلَا رَجْعَةَ تَنَالُونَ، وَلَا عَثْرَةَ تُقَالُونَ، اسْتَعْمَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ.

الموت على فراشه: شهادة

الزُّمُومَا الْأَرْضَ، وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ، وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللَّهُ لَكُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٢.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٦.

مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ، وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ، وَحَقِّ رَسُولِهِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ، مَاتَ شَهِيداً، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَاسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ النَّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاحِهِ لِسَيِّئِهِ، فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلاً.

(١) الدنيا دار شخوص

ومن خطبة له عليه السلام :

بَعَثَهُ حِينَ لَا عِلْمَ قَائِمٌ، وَلَا مَنَارٌ سَاطِعٌ، وَلَا مِنْهَجٌ وَاضِحٌ.

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ، وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ، سَاكِنُهَا ظَاِعِنٌ، وَقَاطِنُهَا بَائِسٌ، تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيْدَانَ السَّفِينَةِ، تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبَحَارِ، فَمِنْهُمْ الْعَرِقُ الْوَبِقُ، وَمِنْهُمْ النَّاجِي عَلَى بُطُونِ الْأَمْوَاجِ، تَحْفِزُهُ الرِّيَّاحُ بِأَذْيَالِهَا، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، فَمَا عَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرِكٍ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلِكٍ.

عِبَادَ اللَّهِ، الْآنَ فَاغْلَمُوا وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَالْأَعْضَاءُ لَدَنَّةٌ، وَالْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ، وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ، قَبْلَ إِرْهَاقِ الْقَوْتِ، وَحُلُولِ الْمَوْتِ، فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ، وَلَا تَتَّظَرُوا قُدُومَهُ.

(٢) تقوى الله دواء القلوب

ومن خطبة له عليه السلام :

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ، وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ،

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩٦)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٢٧ ق ١ ب ٦ ف ١ حقيقة

الدنيا ح ٢١٦٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩٨).

وَاخْتِلَافَ النَّيَّانِ فِي الْبَحَارِ الْعَامِرَاتِ، وَتَلَاظِمَ الْمَاءِ بِالرِّيَّاحِ الْعَاصِفَاتِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَحِيبُ اللَّهِ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ، وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَقْرَعِكُمْ.

فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءٌ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وَصَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وَطَهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وَجِلَاءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ، وَأَمْنٌ فَرَعَ جَأَشِكُمْ، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ.

فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللَّهِ شِعَاراً دُونَ دِنَارِكُمْ، وَدَخِيلاً دُونَ شِعَارِكُمْ، وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ، وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ، وَمَنْهَلاً لِحَيِّينَ وَرُودِكُمْ، وَشَفِيعاً لِدَرْكِ طَلِبَتِكُمْ، وَجَنَّةً لِيَوْمِ فَرَعِكُمْ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ، وَسَكناً لِبُطُولٍ وَحَشَتِكُمْ، وَنَفْساً لِكُرْبِ مَوَاطِنِكُمْ.

طاعة الله حرز وأمان

فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفِ مُكْتَنَفَةٍ، وَمَخَافَ مَتَوَقَّعَةٍ، وَأَوَارٍ نِيرَانِ مُوقَدَةٍ، فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوعِهَا، وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارِيهَا، وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا، وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصَّعَابُ بَعْدَ انْصَابِهَا، وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكِرَامَةُ بَعْدَ فُحُوطِهَا، وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا، وَوَبَلَّتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ بَعْدَ إِرْدَادِهَا.

فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَفْعَلُونَ بِمَوْعِظَتِهِ، وَوَعظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ، وَامْتَنَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ، فَعَبَدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَاخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ.

الإسلام دين الله الذي اصطفاه

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِسْلَامَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَاضْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ، وَأَصْفَاهُ خَيْرَةَ خَلْقِهِ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ، أَذَلَّ الْأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ، وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ، وَخَذَلَ مُحَادِيهِ بِنَصْرِهِ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ، وَسَقَى مَنْ عَطَشَ مِنْ حَيَاضِهِ، وَأَتَقَى الْحَيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ.

ثُمَّ جَعَلَهُ لَا انْقِصَامَ لِعُرْوَتِهِ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ، وَلَا انْهْدَامَ لِأَسَاسِهِ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ، وَلَا انْقِلَاعَ لَشَجَرَتِهِ، وَلَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ، وَلَا عَفَاءَ لَشَرَائِعِهِ، وَلَا جَذَّ لِفُرُوعِهِ، وَلَا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ، وَلَا وُغُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ، وَلَا سَوَادَ لَوُضْحِهِ، وَلَا عِوَجَ لَانْتِصَابِهِ، وَلَا عَصَلَ فِي عُودِهِ، وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ، وَلَا انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ، وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ.

فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاحٍ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا، وَثَبَّتَ لَهَا أَسَاسَهَا، وَيَنَابِيعُ غَزَّرَتْ عُيُونُهَا، وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا، وَمَنَارٌ اقْتَدَى بِهَا سَفَارُهَا، وَأَعْلَامٌ قَصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا، وَمَنَاهِلٌ رَوَى بِهَا وَرَادُهَا.

جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُتَنَهًى رِضْوَانِهِ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ، مُنِيرُ الْبُرْهَانِ، مُضِيءُ النَّيْرَانِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُعَوِذُ الْمَنَارِ، فَشَرُّوهُ وَاتَّبِعُوهُ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ.

بعث محمداً عليه السلام بالحق

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا عليه السلام بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا
الْإِنْقِطَاعُ، وَأَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَةِ الْإِطْلَاعُ، وَأَظْلَمَتْ بِهِجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقِ،
وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ، وَخَسُنَ مِنْهَا مَهَادٌ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ، فِي انْقِطَاعِ
مِنْ مُدَّتِهَا، وَاقْتِرَابِ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَتَصَرُّمِ مِنْ أَهْلِهَا، وَانْفِصَامِ مِنْ
حَلْقِهَا، وَانْتِشَارِ مِنْ سَبَبِهَا، وَعَفَاءِ مِنْ أَعْلَامِهَا، وَتَكْشُفِ مِنْ عَوْرَاتِهَا،
وَقَصْرِ مِنْ طُولِهَا.

جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ، وَكَرَامَةً لِأُمِّيَّتِهِ، وَرَبِيعًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ، وَرِفْعَةً
لِأَعْوَانِهِ، وَشَرَفًا لِأَنْصَارِهِ.

أنزل الكتاب نوراً ومنهاجاً

ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ نُورًا لَا تُظْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَسِرَاجًا لَا يَخْبُو
تَوَقُّدُهُ، وَبَحْرًا لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ، وَمِنْهَاجًا لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ، وَشُعَاعًا لَا يُظْلِمُ
ضَوْؤُهُ، وَفُرْقَانًا لَا يُخْمدُ بَرْهَانُهُ، وَتَبْيَانًا لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَشِفَاءً لَا تُخْشى
أَسْقَامُهُ، وَعِزًّا لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وَحَقًّا لَا تُحْذَلُ أَعْوَانُهُ.

فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ، وَنَبَاحُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ، وَرِيَاضُ الْعَدْلِ
وَعُدْرَانُهُ، وَأَثَافِي الْإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ، وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيْطَانُهُ، وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ
الْمُسْتَنْزِفُونَ، وَعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ، وَمَنَاهِلٌ لَا يَغِيْضُهَا الْوَارِدُونَ،
وَمَنَازِلٌ لَا يَضِلُّ نَهْجُهَا الْمُسَافِرُونَ، وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ،
وَأَكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ.

جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَظَمَى الْعُلَمَاءِ، وَرَبِيعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجَّ لَطُرُقِ الصُّلَحَاءِ، وَدَوَاءَ لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، وَنُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ، وَحَبْلًا وَثِيقًا عُرُوثُهُ، وَمَعْقِلًا مَنِيعًا ذُرُوثُهُ، وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ، وَسِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَهُدًى لِمَنْ اتَّخَذَهُ، وَعُذْرًا لِمَنْ انْتَحَلَهُ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَفَلَجًا لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وَحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ، وَمِطْيَةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّسَ، وَجَنَّةً لِمَنْ اسْتَلَامَ، وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَى، وَحَدِيثًا لِمَنْ رَوَى، وَحُكْمًا لِمَنْ قَضَى.

خذوا من ممرِّكم لمقرِّكم^(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ، وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا اخْتَبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ.

إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟

لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ، فَقَدِّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ قَرْضًا، وَلَا تُخْلِفُوا كُلًّا فَيَكُونَ قَرْضًا عَلَيْكُمْ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠٣)، والأمالى للصدوق: ص ١١٠ المجلس ٣٩ ح ٨، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٢١٨.

تجهزوا! فقد نودي فيكم بالرحيل^(١)

ومن كلام له (عليه السلام) كان كثيراً ينادي به أصحابه.

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأَقْلُوا العُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَانْقَبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الرَّادِّ، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كُوداً، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا.

وَأَعْلَمُوا، أَنَّ مَلَاحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةً، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْطَعَاتُ الْأُمُورِ، وَمُعْضِلَاتُ الْمَحْذُورِ، فَقَطِّعُوا عِلَاقَ الدُّنْيَا، وَاسْتَظْهِرُوا بِرَادِ التَّقْوَى.

للاعتبار لا للتفاخر^(٢)

ومن كلام له (عليه السلام) بعد تلاوته: ﴿أَلْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ^(٣):

يَا لَهُ مَرَاماً مَا أَبْعَدَهُ؟ وَزُوراً مَا أَغْفَلَهُ، وَخَطِراً مَا أَفْطَعَهُ، لَقَدْ اسْتَحْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مَذَكِّرٍ، وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ.

أَفِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ؟ أَمْ بِعِدِيدِ الْهَلَكَى يَتَكَاثَرُونَ؟! يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوْتُ، وَحَرَكَاتٍ سَكْنَتْ، وَلَأَنْ يَكُونُوا عِبْرَةً أَحَقُّ مِنْ أَنْ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠٤)، والأمالى للمفيد: ص ١٩٨ - ١٩٩ المجلس ٢٣ ح ٣٢، ومشكاة الأنوار: ص ٣٠٤ ب ٩ ف ٩.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٢١)، وبحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٤٣٤ - ٤٣٩ ب ١٥ ح ٤٧، والبحار: ج ٧٩ ص ١٥٦ - ١٥٨ ب ٢٠ ح ١.

(٣) سورة التكاثر، الآيتان: ١ - ٢.

يَكُونُوا مُفْتَحِرًا، وَلَآنَ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ أَحَجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ
مَقَامَ عِزَّةٍ!

لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ، وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي عَمْرَةِ جَهَالَةٍ، وَلَوْ
اسْتَنْظَفُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ، لَقَالَتْ:
ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضَلَالًا، وَدَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَالًا، تَطْوُونَ فِي
هَامِهِمْ، وَتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ، وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفْظُوا، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا
خَرَّبُوا، وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ.

سَلَّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِم

أُولَئِكَ سَلَفُ غَايَتِكُمْ، وَفَرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ، الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ
الْعِزِّ، وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ، مُلُوكًا وَسُوقًا، سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلًا،
سُلَّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ،
فَأَصْبَحُوا فِي فُجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جِمَادًا لَا يَنْمُونَ، وَضِمَارًا لَا يُوجِدُونَ، لَا
يُفْزِعُهُمْ وَرُودُ الْأَهْوَالِ، وَلَا يَحْزَنُهُمْ تَنْكُرُ الْأَحْوَالِ، وَلَا يَحْفَلُونَ
بِالرَّوَاغِفِ، وَلَا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ، غُيِّبًا لَا يُنْتَظَرُونَ، وَشُهُودًا لَا
يَحْضُرُونَ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعًا فَتَشَّتُوا، وَأَلَا فَا فَافْتَرَقُوا.

وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ، وَلَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ، عَمِيَّتْ أَخْبَارُهُمْ، وَصَمَّتْ
دِيَارُهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ سَفُؤًا كَأَسَا بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَسًا، وَبِالسَّمْعِ صَمَمًا،
وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُونًا، فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصَّفَةِ صَرَعَى سُبَاتٍ، جِيرَانٌ لَا
يَتَأَنُّونَ، وَأَجْبَاءٌ لَا يَتَزَاوَرُونَ، بَلِيَّتْ بَيْنَهُمْ عُرَا التَّعَارُفِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ

أَسْبَابُ الْإِحْيَاءِ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ، وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخْلَاءُ، لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَّيْلِ صَبَاحًا، وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً.

شاهدوا أعظم مما خافوا

أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ، كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَدًا، شَاهَدُوا مِنْ أخطارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا، فَكَلَّمْنَا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءَةٍ، فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا.

وَلَئِنْ عَمِيتْ آثَارُهُمْ، وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ، لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعَبْرِ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ، فَقَالُوا: كَلَحَتْ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ، وَخَوَتْ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ، وَلَيْسْنَا أَهْدَامَ الْبَلَى، وَتَكَاءَ دَنَا ضَيْقُ الْمَضْجَعِ، وَتَوَارَتْ الْوُخْشَةُ، وَتَهَكَّمتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الضُّمُوتُ، فَأَنَمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُورِنَا، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوُخْشَةِ إِقَامَتُنَا، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجًا، وَلَا مِنْ ضَيْقٍ مُسْعَاً.

لقد اكتحلت أبصارهم بالتراب

فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ، وَقَدْ ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ، وَاکْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَلْسَنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَالَتِهَا، وَهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقْظَتِهَا، وَعَاتَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدٌ بَلَى سَمَجَهَا،

وَسَهَّلَ طُرُقَ الْآفَةِ إِلَيْهَا، مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ، وَلَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ،
لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ، وَأَقْدَاءَ عُيُونٍ، لَهُمْ فِي كُلِّ فِظَاعَةٍ صِفَةٌ حَالٍ لَا
تَنْتَقِلُ، وَغَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِي.

فَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ، وَأَيْنِقِ لَوْنٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا غَدِيَّ
تَرْفٍ، وَرَبِيبِ شَرْفٍ، يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ
إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ، ضَنًّا بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ، وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ؟!

إن للموت لغمرات

فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ، فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ، إِذْ
وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ، وَنَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ
كُتُبٍ، فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ، وَنَجِيٌّ هَمٌّ مَا كَانَ يَجِدُهُ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فِتْرَاتٌ
عَلَلٍ، آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ.

فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ الْأَطْبَاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ، وَتَحْرِيكِ
الْبَارِدِ بِالْحَارِّ، فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوْرَ حَرَارَةٍ، وَلَا حَرَكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ
بُرُودَهُ، وَلَا اعْتَدَلَ بِمُمَازَجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتٍ دَاءً.

حَتَّى فَرَّ مُعَلِّلُهُ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ، وَخَرِسُوا عَنْ
جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ، وَتَنَارَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: هُوَ
لِمَا بِهِ، وَمَمَّنْ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ، يُذَكِّرُهُمْ أَسَى
الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ.

فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا وَتَرْكِ الْأَحِبَّةِ، إِذْ عَرَضَ لَهُ

عَارِضٌ مِنْ غُصْبِهِ، فَتَحَيَّرْتُ نَوَافِذَ فِطْنَتِهِ، وَبَسَّتْ رُطُوبُهُ لِسَانِهِ، فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ، وَدُعَاءِ مُؤَلِّمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَ عَنْهُ، مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعْظِمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحُمُهُ، وَإِنْ لِلْمَوْتِ لَعَمْرَاتٍ هِيَ أَفْطَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَعْرِقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَعْتَدَلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

ما أنسك بهلكة نفسك؟^(١)

ومن كلام له عليه السلام، قاله عند تلاوته: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^(٢):

أَذْخَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْدِرَةً، لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ.
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ؟ وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ؟ وَمَا أَنْسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ؟ أَمَّا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ؟ أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقْظَةٌ؟ أَمَّا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ؟ فَلَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَّ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَنُظِّلُهُ، أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِالْأَلَمِ يَمْضُ جَسَدُهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ، فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ، وَجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ، وَعَزَّاكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ، وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ؟

وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَّاتِ نِقْمَةٍ، وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ؟ فَتَدَاوٍ مِنْ دَاءِ الْفِتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ، وَمِنْ كَرَى الْغَفْلَةِ فِي نَازِرِكَ بِقَظَّةٍ، وَكُنْ لِلَّهِ مُطِيعًا، وَبِدُكْرِهِ أَنْسًا، وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلُّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهِ عَلَيْكَ، يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ، وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ، وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٢٣)، وبحار الأنوار: ج ٦٨ ص ١٩٢ - ١٩٣ ب ١٤ ح ٥٩.

(٢) سورة الانفطار، الآية: ٦.

ما أجراك على معصيته؟

فَتَعَالَىٰ مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ، وَتَوَاضَعَتْ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، وَأَنْتَ فِي كَنْفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلُهُ، وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ، بَلْ لَمْ تَخُلْ مِنْ لُطْفِهِ مَطَرَفَ عَيْنٍ، فِي نِعْمَةٍ يُحَدِّثُهَا لَكَ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ، فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطْعَمَهُ.

وَايُمُ اللَّهُ، لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَفَقِّينَ فِي الْقُوَّةِ، مُتَوَازِينَ فِي الْقُدْرَةِ، لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَىٰ نَفْسِكَ بِذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَسَاوِي الْأَعْمَالِ، وَحَقًّا أَقُولُ: مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ، وَلَكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ، وَلَقَدْ كَاشَفْنَاكَ الْعِظَاتِ، وَأَذْنَتِكَ عَلَىٰ سَوَاءٍ، وَلَهِيَ بِمَا تَعْدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ، وَالتَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ، أَصْدَقُ وَأَوْفَىٰ مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ.

وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ، وَلَئِنْ تَعَرَّفَتْهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ، لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذَكِيرِكَ، وَبَلَاحِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ، وَالشَّحِيحِ بِكَ، وَلَنِعْمَ دَارٌ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَارًا، وَمَحَلٌ مَنْ لَمْ يُوطَّنْهَا مَحَلًّا، وَإِنَّ السُّعْدَاءَ بِالدُّنْيَا غَدًا هُمْ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ.

إذا قامت القيامة

إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ، وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا الْقِيَامَةُ، وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عِبْدَتُهُ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ، فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرَقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ، وَلَا هَمْسٌ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ،

فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ، وَعَلَائِقُ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ، فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ، وَتَثَبَّتْ بِهِ حُجَّتُكَ، وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ، وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ، وَشِم بَرَقِ النَّجَاةِ، وَارْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ.

(١) دار بالغدر معروفة

ومن خطبة له (عليه السلام) :

دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَخْفُوفَةٌ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَا يَسْلَمُ نَزَالُهَا، أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ، تَرْمِيهِمْ بِسَهَامِهَا، وَتُقْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا.

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلٍ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا، وَأَعَمَرَ دِيَارًا، وَأَبْعَدَ آثَارًا، أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً، وَرِيَا حُهُم رَاكِدَةً، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً.

فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمَشِيدَةِ، وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ، الصُّخُورَ وَالْأَحْجَارَ الْمُسْتَدَّةَ، وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ، الَّتِي قَدْ بُنِيَ عَلَى الْخَرَابِ فِنَاؤُهَا، وَشِيدَ بِالتَّرَابِ بِنَاؤُهَا، فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ، وَسَاكِنُهَا مُعْتَرِبٌ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٢٦)، والمناقب للخوارزمي: ص ٣٧٠ - ٣٧١ ف ٢٤ ح ٣٨٩، وكنز العمال: ج ١٦ ص ٢٠١ - ٢٠٢ ح ٤٤٢٢٤ خطب الصحابة.

كيف بكم إذا بُعِثَتِ القبور؟

بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ، وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ، لَا يَسْتَأْنِسُونَ
بِالْأَوْطَانِ، وَلَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الْجِيرَانِ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ
الْجَوَارِ، وَدُنُو الدَّارِ، وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكُلِّكَلِهِ الْبَلَى،
وَأَكَلَتْهُمْ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَى؟

وَكَأَنَّ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ، وَارْتَهَنَكُمُ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ،
وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ، فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ، وَبُعِثَرِ
الْقُبُورُ، ﴿هُنَاكَ بَتَلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرَدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ
عَنَّهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (١).

خذ من حياتك لموتك (٢)

ومن خطبة له عليه السلام :

فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِ الْبَقَاءِ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ،
وَالْمُذْبِرُ يُدْعَى، وَالْمُسِيءُ يُرْجَى، قَبْلَ أَنْ يَخْمَدَ الْعَمَلُ، وَيَنْقَطِعَ الْمَهْلُ،
وَيَنْقَضِيَ الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ، وَتَضَعَدَ الْمَلَائِكَةُ.

فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَأَخَذَ مِنْ حَيِّ لِمَيِّتٍ، وَمِنْ فَاِنٍ لِبَاقٍ،
وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ، امْرُؤٌ خَافَ اللَّهَ وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٌ إِلَى
عَمَلِهِ، امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ
مَعَاصِي اللَّهِ، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ.

(١) سورة يونس، الآية: ٣٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٢٧)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ق ١ ب ٦ ف ٤ أهمية العمل

سيأتيك من يخرجك منها^(١)

ومن كتاب له (عليه السلام) لشريح بن الحارث قاضيه :

رُويَ أَنَّ شُرَيْحَ بْنَ الْحَارِثِ قَاضِيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) اشْتَرَى عَلَى عَهْدِهِ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَاسْتَدْعَى شُرَيْحاً وَقَالَ لَهُ :

بَلَّغْنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً، وَكَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً، وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُوداً؟ .

فَقَالَ لَهُ شُرَيْحٌ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ : فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :

يَا شُرَيْحُ، أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً، وَيُسَلِّمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً، فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لَا تَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْآخِرَةِ.

أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ، لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَى هَذِهِ النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَرْعَبْ فِي شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدِرْهِمٍ فَمَا فَوْقَ، وَالنُّسْخَةُ هَذِهِ :

هَذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُرْعِجَ لِلرَّحِيلِ، اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ، مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وَخِطَّةَ الْهَالِكِينَ.

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٣)، والأمالى للصدوق: ص ٣١١ - ٣١٢ المجلس ٥١ ح ١٠، وروضة الواعظين: ج ٢ ص ٤٤٦ - ٤٤٧ مجلس في ذكر الدنيا.

حدود الدار الواقعية

وَتَجْمَعُ هَذِهِ الدَّارَ حُدُودُ أَرْبَعَةٍ: الْحَدُّ الْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي
الْآفَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّلَاثُ يَنْتَهِي
إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي، وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي، وَفِيهِ يُشْرَعُ
بَابُ هَذِهِ الدَّارِ.

اشْتَرَى هَذَا الْمُعْتَرِّ بِالْأَمَلِ، مِنْ هَذَا الْمُزْعَجِ بِالْأَجَلِ، هَذِهِ الدَّارَ
بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ، وَالْدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالصَّرَاعَةِ، فَمَا أَدْرَكَ
هَذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ، فَعَلَى مُبْلِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ،
وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاغَةِ، مِثْلَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَتُبَّعٍ
وَحَمِيرٍ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَنَى وَشَيْدَ، وَزَخْرَفَ
وَنَجَّدَ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ.

إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ الْعَرَضِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ
وَالْعِقَابِ، إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَضْلِ الْقَضَاءِ ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(١).

شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى، وَسَلِمَ مِنْ عِلَاقِ
الدُّنْيَا.

ليكن همك فيما بعد الموت^(٢)

ومن كتاب له رحمه الله إلى عبد الله بن العباس وكان ابن عباس يقول:

(١) سورة غافر، الآية: ٧٨.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٢٢)، والكافي: ج ٨ ص ٢٤٠ حديث القباب ح ٣٢٧، وأنساب
الأشراف للبلاذري: ص ١١٦ - ١١٧ حكم قصار له ٦٧، وتاريخ اليعقوبي: ج ٢
ص ٢٠٥ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله ﷺ كانتفاعي بهذا الكلام:
 أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسْرُهُ دَرَكُ مَا لَمْ يَكُنْ لَيَقُوتُهُ، وَيَسُوؤُهُ قُوْتُ مَا
 لَمْ يَكُنْ لِيُذْرِكُهُ، فَلْيَكُنْ سُورُوكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى
 مَا فَاتَكَ مِنْهَا، وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحًا، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا
 تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

الموعظة للبر والفاجر^(١)

ومن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية:

فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ، وَانْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَارْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَا
 تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَامًا وَاضِحَةً، وَسُبُلًا نَيِّرَةً، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً،
 وَغَايَةً مُطْلَبَةً، يَرُدُّهَا الْأَكْيَاسُ، وَيُخَالِفُهَا الْأُنْكَاسُ، مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ
 عَنِ الْحَقِّ، وَخَبِطَ فِي التَّيِّهِ، وَغَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ، وَأَحْلَلَ بِهِ نِقْمَتَهُ.

فَنَفْسُكَ نَفْسُكَ! فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ،
 فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّةٍ كُفْرٍ، فَإِنْ نَفْسُكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرًّا،
 وَأَفْحَمَتْكَ غَيًّا، وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكَ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ.

النصيحة للصديق والعدو^(٢)

ومن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية أيضاً^(٣):

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٣٠)، وبحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٨٣ ب ١٦ ح ٣٩٨.
 (٢) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٤٩)، وتنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٣٦، والأخبار
 الطوال للدينوري: ص ١٩١.
 (٣) وفي الأخبار الطوال: أن هذا الكتاب موجه إلى عمرو بن العاص.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَسْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا، وَلَمْ يُصَبِّ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً
إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ جِرْصاً عَلَيْهَا، وَلَهَجاً بِهَا، وَلَنْ يَسْتَعْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا
عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا، وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ، وَنَقْضُ مَا أُبْرِمَ، وَلَوْ
اعْتَبَرْتُ بِمَا مَضَى، حَفِظْتُ مَا بَقِيَ، وَالسَّلَامُ.

لا تأمن الدنيا على حال^(١)

ومن وصية له عليه السلام وصى بها شريح بن هانئ لما جعله على مقدمته
إلى الشام:

اتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْغُرُورَ، وَلَا
تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرُدَّ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ
مَكْرُوهِهِ، سَمَتْ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ، فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعاً
رَادِعاً، وَلِنَزَوَاتِكَ عِنْدَ الْحَفِيطَةِ وَاقِماً قَامِعاً.

ضع عنك هموم الدنيا^(٢)

ومن وصية له عليه السلام إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه قبل أيام خلافته:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ، لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سَمُّهَا،
فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا، لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٥٦)، وتحف العقول: ص ١٩١ - ١٩٢ وصيته لزياد بن النضر
حين أنفذه على مقدمته إلى صفين، وكتاب وقعة صفين: ص ١٢١ - ١٢٢ نصيحة علي
لزياد بن النضر وشريح بن هانئ.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٦٨)، والكافي: ج ٢ ص ١٢٦ باب ذم الدنيا والزهد فيها ح ٢٢،
والإرشاد: ج ١ ص ٢٣٣ ومن كلامه في صفة الدنيا والتحذير منها.

أَتَقْنَتْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، وَتَصَرَّفَ حَالَاتِهَا، وَكُنْ أَنْسَ مَا تَكُونُ بِهَا، أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اِظْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ، أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ، أَوْ إِلَى إِيْنَاسٍ أَرَاَلَتْهُ عَنْهُ إِلَى إِيْحَاشٍ، وَالسَّلَامُ.

الدهر: يومان^(١)

ومن وصية له (عليه السلام) إلى عبد الله بن العباس :

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَكَ، وَلَا مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ، وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ.

وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُولٍ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ.

عظمت منّته، وسبغت نعمته^(٢)

خطبة خالية من الألف

ومن خطبة له (عليه السلام) تعرف (بالمونقة) خالية من حرف الألف، وقد ارتجلها من غير سابق فكر ولا تقدم روية :

حَمِدْتُ مِنْ عَظُمَتِ مَنْتِهِ، وَسَبَغْتَ نِعْمَتِهِ، وَسَبَقْتَ غَضَبَهُ رَحْمَتُهُ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ، وَنَفَذْتَ مَشِيئَتَهُ، وَبَلَغْتَ قَضِيَّتَهُ.

حَمِدْتَهُ حَمْدَ مُقَرَّرِ بَرُوبِيَّتِهِ، مُتَخَضِّعَ لِعِبُودِيَّتِهِ، مُتَنَصِّلَ مِنْ خَطِيئَتِهِ،

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٧٢)، والكافي: ج ٨ ص ٢١ خطبة لأمير المؤمنين وهي خطبة الوسيلة ح ٤، وتحف العقول: ص ٩٥ خطبته المعروفة بالوسيلة.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ٨٢ - ٩٤ الخطبة رقم (١٨) عن شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١٩ ص ١٤٠، ومطالب السؤل: ص ١٧٣، وكفاية الطالب: ص ٣٩٣.

مُعْتَرَفٌ بِتَوْحِيدِهِ، مُسْتَعِيزٌ مِنْ وَعِيدِهِ، مُؤَمِّلٌ مِنْهُ مَغْفَرَةً تُنْجِيهِ، يَوْمَ يُشْغَلُ عَنْ فَصِيلَتِهِ وَبَنِيهِ.

وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَرْشِدُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنُؤْمِنُ بِهِ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَشَهِدْتُ لَهُ شُهُودٌ مُخْلِصٌ مُوقِنٌ، وَقَرَدَتْهُ تَفْرِيدُ مُؤْمِنٍ مُتَيَقِّنٍ، وَوَحَّدَتْهُ تَوْحِيدُ عَبْدٍ مَذْعَنٍ، لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ فِي مُلْكِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ فِي صُنْعِهِ، جَلَّ عَنْ مَشِيرٍ وَوَزِيرٍ، وَعَنْ عَوْنٍ مُعِينٍ وَنَصِيرٍ وَنَظِيرٍ.

علم فستر، وبطن فخير

عَلِمَ فَسْتَرٌ، وَبَطْنُ فَخِيرٍ، وَمَلِكٌ فَقِيرٌ، وَعُصِي فَغْفَرٌ، وَعُبدُ فَشْكِرٍ، وَحَكَمَ فَعْدَلٌ، لَمْ يَزَلْ وَلَنْ يَزُولَ، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)، وَهُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ.

رَبُّ مُتَعَزِّزٌ بِعَزَّتِهِ، مَتَمَكِّنٌ بِقُوَّتِهِ، مُتَقَدِّسٌ بِعُلُوِّهِ، مُتَكَبِّرٌ بِسُمُوِّهِ، لَيْسَ يُدْرِكُهُ بَصَرٌ، وَلَمْ يَحِطْ بِهِ نَظَرٌ، قَوِيٌّ مُنِيعٌ، بَصِيرٌ سَمِيعٌ، رُؤُوفٌ رَحِيمٌ. عَجَزَ عَنْ وَصْفِهِ مَنْ يَصِفُهُ، وَضَلَّ عَنْ نَعْتِهِ مَنْ يَعْرِفُهُ.

قُرْبُ فَبْعُدُ، وَبَعْدُ فَقُرْبُ، يُجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ يَدْعُوهُ، وَيَرْزُقُهُ وَيَحْبُوهُ. ذُو لُطْفٍ خَفِيٍّ، وَبَطْشٍ قَوِيٍّ، وَرَحْمَةٌ مُوسِعَةٌ، وَعَقُوبَةٌ مُوَجِّعَةٌ، رَحْمَتُهُ جَنَّةٌ عَرِيضَةٌ مُوَبِّقَةٌ، وَعَقُوبَتُهُ جَحِيمٌ مَمْدُودَةٌ مُوَبِّقَةٌ.

شهدتُ ببعث محمد ﷺ رسوله

وَشَهِدْتُ بِبَعْثِ مُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولَهُ، وَعَبْدَهُ وَصَفِيَّهِ، وَنَبِيَّهِ وَنَجِيَّهِ، وَحَبِيبِهِ وَخَلِيلِهِ، بَعَثَهُ فِي خَيْرِ عَصْرِ، وَحِينَ فَتْرَةٍ وَكُفْرٍ، رَحْمَةً لِعَبِيدِهِ، وَمَنَّةً لِمُزِيدِهِ، خَتَمَ بِهِ نَبَوَّتَهُ، وَشَيَّدَ بِهِ حُجَّتَهُ، فَوَعِظَ وَنَصَحَ، وَبَلَّغَ وَكَدَحَ،

رؤوف بكل مؤمن، رحيم سخي، رضي ولي زكي، عليه رحمة وتسليم، وبركه وتكريم، من ربّ غفور رحيم، قريب مجيب.

ذَكَرْتُكُمْ بِسَنَةِ نَبِيِّكُمْ

وَصَيِّتُكُمْ مَعِشْرَ مَنْ حَضَرَنِي بِوَصِيَّةِ رَبِّكُمْ، وَذَكَرْتُكُمْ بِسَنَةِ نَبِيِّكُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِرَهْبَةٍ تَسْكُنُ قُلُوبَكُمْ، وَخَشْيَةٍ تُذَرِّي دُمُوعَكُمْ، وَتَقِيَّةٌ تُنْجِيكُمْ، قَبْلَ يَوْمِ يُبْلِيكُمْ وَيُذْهِلْكُمْ، يَوْمَ يَفُوزُ فِيهِ مَنْ ثَقُلَ وَزْنُ حَسَنَتِهِ، وَخَفَّ وَزْنُ سَيِّئَتِهِ.

وَلَتَكُنْ مَسْأَلَتُكُمْ وَتَمَلُّقُكُمْ مَسْأَلَةً ذَلٍّ وَخُضُوعٍ، وَشُكْرٍ وَخُشُوعٍ، بِتُوبَةٍ وَنُزُوعٍ، وَنَدَمٍ وَرُجُوعٍ، وَلِيَغْتَنِمَ كُلُّ مَغْتَنِمٍ مِنْكُمْ: صَحَّتُهُ قَبْلَ سَقَمِهِ، وَشَبِيبَتُهُ قَبْلَ هَرَمِهِ، وَسَعَتُهُ قَبْلَ فَقْرِهِ، وَفَرَّتُهُ قَبْلَ شُغْلِهِ، وَحَضَرُهُ قَبْلَ سَفَرِهِ، قَبْلَ تَكْبُرٍ وَتَهَرُّمٍ وَتَسَقُّمٍ، وَيُمْلَأُهُ طَبِيبُهُ، وَيُعْرَضُ عَنْهُ حَبِيبُهُ، وَيَنْقَطِعُ غِمْدُهُ^(١)، وَيَتَغَيَّرُ عَقْلُهُ.

نَحْوُ بَرَزَخٍ وَنَشُورٍ

ثُمَّ قِيلَ: هُوَ مَوْعُوكٌ، وَجَسَمُهُ مِنْهُوَكٌ، ثُمَّ جُدَّ فِي نَزْعٍ شَدِيدٍ، وَحَضَرَهُ كُلِّ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ، فَشَخَّصَ بَصَرَهُ، وَطَمَحَ نَظْرَهُ، وَرَشَّحَ جَبِينَهُ، وَعَظَفَ عَرِينَهُ، وَسَكَنَ حَايِنُهُ، وَحَزَنَتْهُ نَفْسُهُ، وَبَكَتْهُ عَرْسُهُ، وَخَفَرَ رَمْسُهُ، وَيَتَمَّ مِنْهُ وَلَدُهُ، وَتَفَرَّقَ مِنْهُ عَدَدُهُ، وَفُيِّسَ جَمْعُهُ، وَذَهَبَ بَصَرُهُ وَسَمْعُهُ، وَمُدَّدَ جُرْدٌ، وَغُرِّي وَغُسِّلَ، وَنُشِّفَ وَسُجِّيَ، وَبُسِطَ لَهُ وَهُيِّيَ، وَنُشِرَ عَلَيْهِ كَفْنُهُ، وَشُدَّ مِنْهُ ذَقْنُهُ، وَقُمَّصَ وَغَمَّمْ، وَوُدِّعَ وَسَلَّمْ، وَحُمِلَ فَوْقَ سَرِيرٍ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِتَكْبِيرٍ، بِغَيْرِ سَجُودٍ وَتَعْفِيرٍ.

وَنُقِلَ مِنْ دُورِ مَزْخَرَفَةٍ، وَقُصُورِ مَشِيدَةٍ، وَحُجُرِ مُنْجَدَةٍ، وَجُعِلَ فِي ضَرِيحٍ مَلْحُودٍ، وَضَيْقٍ مَرْصُودٍ، بِلَيْنٍ مَنْصُودٍ، مَسْقَفٍ بِجُلْمُودٍ، وَهَيْلٍ عَلَيْهِ حَقَرُهُ، وَحُثِي عَلَيْهِ مَدْرُهُ، وَتَحَقَّقَ حَذْرُهُ، وَنُسِيَ خَبْرُهُ، وَرَجَعَ عَنْهُ وَلِيَّةٌ وَصَفِيَّةٌ، وَنَدِيمَةٌ وَنَسِيبَةٌ، وَتَبَدَّلَ بِهِ قَرِينُهُ وَحَبِيبُهُ، فَهُوَ حَشَوُ قَبْرِ، وَرَهْنٍ قَفَرٍ، يَسْعَى بِجِسْمِهِ دُودُ قَبْرِهِ، وَيَسِيلُ صَدِيدُهُ مِنْ مَنَخرِهِ، يَسْحَقُ تُرْبُهُ لَحْمَهُ، وَيَنْشِفُ دَمَهُ، وَيَرْمُ عَظْمَهُ، حَتَّى يَوْمِ حَشْرِهِ، فَنُشِرَ مِنْ قَبْرِهِ حِينَ يُنْفَخُ فِي صُورٍ، وَيُدْعَى بِحَشْرِ وَنُشُورٍ.

ثَم بُعْثِرَتْ قُبُورٌ

فَثَمَ بُعْثِرَتْ قُبُورٌ، وَخُصِّلَتْ سَرِيرَةُ صُدُورٍ، وَجِيءَ بِكُلِّ نَبِيٍّ وَصَدِيقٍ، وَشَهِيدٍ وَنَاطِقٍ، وَتَوَحَّدَ لِلْفَصْلِ رَبُّ قَدِيرٍ، بَعْدَهُ خَبِيرٌ بِصِيرٍ.

فَكَمْ مِنْ زَفَرَةٍ تُضْنِيهِ، وَحَسْرَةٍ تُنْضِيهِ، فِي مَوْقِفٍ مَهُولٍ، وَمَشْهَدٍ جَلِيلٍ، بَيْنَ يَدَيِ مَلِكٍ عَظِيمٍ، وَبِكُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ عَلِيمٍ.

فَحِينَئِذٍ يُلْجِمُهُ عَرْقُهُ، وَيُحْصِرُهُ قَلْقُهُ، عَثْرَتُهُ غَيْرُ مَرْحُومَةٍ، وَصَرَخَتُهُ غَيْرُ مَسْمُوعَةٍ، وَحُجَّتُهُ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ، زَالَتْ جَرِيدَتُهُ، وَنَشَرَتْ صَحِيفَتُهُ، حَيْثُ نَظَرَ فِي سَوْءِ عَمَلِهِ، وَشَهِدَتْ عَلَيْهِ عَيْنُهُ بِنَظَرِهِ، وَيَدُهُ بِبَطْشِهِ، وَرِجْلُهُ بِخَطْوِهِ، وَفَرَجُهُ بِلَمْسِهِ، وَجِلْدُهُ بِمَسِّهِ، فَسُلْسِلَ جِيدُهُ، وَغُلَّتْ يَدُهُ، وَسِيقَ بِسَاحِبٍ وَحْدَهُ.

فَوَرَدَ جَهَنَّمَ بِكَرْبٍ وَشَدَّةٍ، فَظَلَّ يُعَذَّبُ فِي جَحِيمٍ، وَيُسْقَى شَرْبَةً مِنْ حَمِيمٍ، تَشْوِي وَجْهَهُ، وَتَسْلَخُ جِلْدَهُ، وَيُضْرِبُهُ مَلِكٌ بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَيَعُودُ جِلْدُهُ بَعْدَ نُضْجِهِ كَجِلْدٍ جَدِيدٍ، يَسْتَعِثُّ فَتُعَرِّضُ عَنْهُ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ، وَيَسْتَصْرِخُ فَلَيْلَتْ حَقَبَةً يَنْدَمُ.

نعوذ بربّ قدير

نعوذ بربّ قدير، من شرّ كلّ مَصِير، ونسأله عَفْوَ مَنْ رضي عنه، ومغفرة من قَبْله، فهو وَلِيّ مَسْأَلَتِي، ومُنْجَح طلبتي، فمن رُحِزَ عن تعذيب ربّه، جُعِلَ في جَنَّتِه بقره، وخلّد في قصور مشيّد، ومُلِك بحور عين وحفدة، وطيف عليه بكَوُوس، وسُكِنَ في حظيرة قُدّوس، وتقلّب في نعيم، وسُقِيَ من تسنيم، وشرب من عَيْن سلسيل، وقد مُزج له بزنجيل، مُخْتَم بمسك وعبير، مُسْتَدِيم للملْك، مُسْتَشْعِر للسرور، يَشْرَب من خمور في رَوْض مُعْدَق، ليس يُصَدِّع مَنْ شَرِبَه، وليس ينزف عقله.

مصير من خشي ومن جحد

هذه منزلة من خشي ربّه، وحذّر نفسه معصيته، وتلك عقوبة من جحد مُنْشِئَه، وسَوَّلَ له نفسه معصيته.

فهو قول فصل، وحُكْم عدل، وخير قَصَص قصّ، ووَعظ نصّ، تنزيل من حكيم حميد، نزل به رُوح قُدّس مُبِين، على قلب نبي مُهْتَد رشيد، صلّت عليه رُسُل سَفَرَة، مكرّمون بَرَرَة.

عُذت بربّ علیم، رحيم كريم، من شرّ كلّ عدوّ لعين رجيم، فليَتَضَرَّع متضرّعكم، وليتَهَلَّ مبتهلکم، وليستغفر كلّ مربوب منكم لي ولكم، وحسبي ربي وحده.

الإقبال على الدنيا يورث الندامة^(١)

ومن خطبة له عليه السلام خطب بها في فلول جيش البصرة بعد انتهاء قصة الجمل:

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ٣٤٩ - ٣٥١ الخطبة رقم (١١٦) عن روضة الكافي: ص ٢٥٦ ح ٣٦٨.

يا أيها الناس، إن الدنيا حُلوة خَصِرة، تُفَتِّن الناس بالشهوات، وتُزَيِّن لهم بعاجلها، وإيم الله إنها لتُغَرِّم أَمَلها، وتُخَلِّف من رجاها، وستُورِث أقواماً الندامة والحسرة بإقبالهم عليها، وتنافسهم فيها، وحسدكم وبغيهم على أهل الدين والفضل فيها ظُلماً، وعُدواناً وبغياً، وأشراً وبطراً، وبالله إنه ما عاش قوم قط في غضارة من كرامة نعم الله في معاش دنيا، ولا دائم تقوى في طاعة الله، والشكر لنعمه، فأزال ذلك عنهم، إلّا من بعد تغيير من أنفسهم، وتحويل عن طاعة الله، والحادث من ذنوبهم، وقلة محافظة، وترك مراقبة الله عزّ وجلّ، وتهاون بشكر نعمة الله، لأن الله عزّ وجلّ يقول في محكم كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾^(١).

استشعروا خوف الله

ولو أنّ أهل المعاصي وكسبة الذنوب، إذا هم حُذِّروا زوال نعم الله، وحلول نقمته، وتحويل عافيته، أيقنوا أن ذلك من الله جلّ ذكره، بما كسبت أيديهم، فأقلعوا وتابوا، وفزعوا إلى الله بصدق من نيّاتهم، وإقرار منهم بذنوبهم وإساءتهم، لصفح لهم عن كل ذنب، وإذا لأقالهم كل عثرة، ولرَدَّ عليهم كل كرامة نعمة، ثم أعاد لهم من صلاح أمرهم - ومما كان أنعم به عليهم - كل ما زال عنهم وأفسد عليهم.

فاتقوا الله أيها الناس حقّ تقاته، واستشعروا خوف الله جلّ ذكره، وأخلصوا اليقين [النفس (خ ل)]، وتوبوا إليه من قبيح ما استفزكم الشيطان - من قتال وليّ الأمر وأهل العلم بعد رسول الله ﷺ - وما

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٣٢٥

تعاونتم عليه من تفريق الجماعة، وتشئت الأمر، وفساد صلاح ذات البين، إن الله عز وجلّ يقبل التوبة، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون.

الدنيا متجر أولياء الله^(١)

ومن كلام له عليه السلام لما سمع جابر وقوم من أصحابه في حرب البصرة يذمون الدنيا :

أما بعد، فما بال أقوام يذمون الدنيا وقد انتحلوا الزهد فيها؟!، الدنيا منزل صدق لمن صدّقها، ومسكن عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزوّد منها، مسجد أنبياء الله، ومهبط وحيه، ومصلّى ملائكته، ومسكن أحبّائه، ومتجر أوليائه، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا منها الجنة.

فمن ذا يذم الدنيا - يا جابر - وقد آذنت بيّنها؟! ونادت بانقطاعها، ونعت نفسها بالزوال، ومثلت ببلائها البلاء، وشوّقت بسرورها إلى السرور، وراحت بفجيعة، وابتكرت بنعمة وعافية، ترهيباً وترغيباً، فذمّها قوم غداة الندامة، وحملوها آخرون، خدمتهم جميعاً فصدقتهم، وذكّرتهم فاذكّروا، ووعظتهم فاتعظوا، وخوّفتهم فخافوا، وشوقتهم فاشتاقوا.

أيّها الذامّ للدنيا!

فأيّها الذامّ للدنيا المغترّ بغرورها! متى استدّمت إليك؟ بل متى غرتك بنفسها؟ أ بمصارع آبائك من البلى؟! أم بمضاجع أمهاتك من الثرى؟

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ٣٥٢ - ٣٥٧ الخطبة رقم (١١٧) عن تحف العقول: ص ١٨٦ طبعة طهران، وقريب منه في أمالي الطوسي: ص ٢٦.

كم مرّضت بيدك، وعلّلت بكفّيك؟ تستوصف لهم الدواء، وتطلب لهم الأطباء، لم تُدرِك فيه طلبتك، ولم تُسعَف فيه بحاجتك.

بل مثّلت الدنيا به نفسك، وبحالِه حالك، غداة لا يَنفَعك أحباؤك، ولا يُغني عنك نداؤك، يشتد من الموت أعالين المرضى، وأليم لَوَعات المَضرّض، حين لا يَنفَع الأليل، ولا يدفع العويل، حين يُحفَز بها الحيزوم، ويُعَصّ بها الحلقوم، حين لا يُسمعه النداء، ولا يَروعه الدعاء، فيا طول الحَزَن عند انقطاع الأجل.

ثم يُراح به على شِرَجَع تُقلّه أكُفّ أربع، فيُضَجّع في قبره في لَبَث، وضيق جَدَث، فذهبت الجِدّة، وانقطعت المدة، ورفضته العَطفة، وقطعته اللَطفة، لا تُقاربه الإخلاء، ولا تَلُمّ به الزوّار، ولا اتّسقت به الدار.

انقطع دونه الأثر، واستعجم دونه الخبر، وبكّرت ورثته، فأقسمت تركته، ولحقه الحُوب، وأحاطت به الذنوب، فإن يكن قَدَم خيراً طاب مكسبه، وإن يكن قَدَم شَرّاً تَبّ منقلبه، وكيف يَنفَع نفساً قرارها، والموت قُصارها، والقبر مزارها؟ فكفى بهذا واعظاً كفى.

لو أذن للقوم في الكلام

ثم قال ﷺ : يا جابر، امض معي .

قال جابر: فمضيت معه حتى أتينا القبور.

فقال: يا أهل التُّربة، ويا أهل الغُربة، أما المنازل فقد سُكنت، وأما الموارِث فقد قُسمت، وأما الأزواج فقد نُكحت، هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم!

قال جابر: ثم أمسك عني ملياً، ثم رفع رأسه فقال: والذي أقل

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٣٢٧

السماء فَعَلَّتْ، وسطح الأرض فَدَحَّتْ، لو أذن للقوم في الكلام، لقالوا:
إنا وجدنا خير الزاد التقوى.

ثم قال عليه السلام: يا جابر، إذا شئت فارجع.

بأشروا الآجال بمحاسن الأعمال^(١)

ومن خطبة له عليه السلام في تزهيد الناس عن الدنيا:

تَرَصَّدُوا مواعيد الآجال، وبأشروها بمحاسن الأعمال، ولا تركنوا
إلى ذخائر الأموال، فَتُحْلِيَكُم خدائع الآمال.

إن الدنيا خداعة، صرّاعة مكّارة، غرّارة سحّارة، أنهارها لأمعة،
وثمراتها يانعة، ظاهرها سرور، وباطنها غرور، تأكلكم بأضراس المنايا،
وتبّيركم بإتلاف الرزايا.

لَهَمَّ بها أولاد الموت، وآثروا زينتها، وطلّبوا رُتبتها. جهل الرجل،
ومَن ذلك الرجل؟ المولع ببلدتها، والساكن إلى فرحتها، والآمن لغدرتها.
ألا وإن الدنيا دارت عليكم بضُروفها، ورمتمكم بسهام حُتُوفها، فهي
تنزع أرواحكم نزعاً، وأنتم تَجْمَعُونَ لها جمعاً!

للموت تولّدون، وإلى القبور تُنْقَلُونَ، وعلى التراب تتوسّدون، وإلى
الدود تُسَلَّمُونَ، وإلى الحساب تُبْعَثُونَ.

اذكروا مصارع الآباء

يا ذوي الجِئِل والآراء، والفقّه والأنبياء، اذكروا مصارع الآباء،
فكأنكم بالنفوس قد سُلبت، وبالأبدان قد عُريت، وبالموارِيث قد

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ٣٧ - ٤٣ عن أمالي الشيخ الطوسي: ص ٥٥

ح ٣، ورواه عنه تفسير البرهان: ج ٣ ص ٧٧.

قُيِّمَتْ، فتصير يا ذا الدَّلال، والهيئة والجمال، إلى منزلة شَعَثَاء، ومَحَلَّة عَبْرَاء، فتَنوِّم على حَدِّكَ في لحدِّكَ، في منزل قلَّ زوَّارُهُ، ومِلَّ عَمَّالُهُ، حتَّى يُشَقُّ عن القبور، وتُبَعَث إلى النشور.

فإن خُتِم لك بالسعادة، صرت إلى الجبور، وأنت مَلِك مطاع، وآمِن لا تُراع، يطوف عليكم ولدان، كأنهم الجُمان، بكأس من معين، بيضاء لَذَّة للشاربين.

أهل الجَنَّة فيها يتنعمون، وأهل النار فيها يُعَذَّبون، هؤلاء في السندس والحرير يتبخثرون، وهؤلاء في الجحيم والسعير يتقلبون، هؤلاء تُحشى جماجمهم بمسك الجنان، وهؤلاء يُضربون بمقامع النيران، هؤلاء يعانقون الحور في الحجال، وهؤلاء يُطَوَّقون أطواقاً في النار بالأغلال، فله فرع قد أعايا الأطباء، وبه داء لا يقبل الدواء.

القبر: بيت الأهوال والبلى

يا من يُسَلِّم إلى الدود ويُهدى إليه، اعتبر بما تسمع وترى، وقل لعينك: تَجفُو لذة الكرى، وتُفِيض الدموع بعد الدموع تترى، بيتك القبر بيت الأهوال والبلى، وغايتك الموت يا قليل الحياء.

اسمع يا ذا الغفلة والتصريف، من ذوي الوعظ والتعريف، جُعل يوم الحشر يوم العَرَض والسؤال، والحِباء والنكال، ويوم تُقَلَّب فيه أعمال الأنام، وتُحصى فيه جميع الآثام، يوم تذوب من النفوس أحداق عيونها، وتضع الحوامل ما في بطونها، ويُفَرِّق بين كل نفس وحبيبها، وَيَحَار في تلك الأهوال عقل لبيبها.

إذ تنكَّرت الأرض بعد حُسن عمارتها، وتبدلت بالخلْق بعد أنيق

زُهرتها، وأخرجت من معادن الغيب أثقالها، ونفضت إلى الله أحمالها، يوم لا ينفع الجُدُّ، إذا عاينوا الهول الشديد فاستكانوا، وعُرف المجرمون بسيماهم فاستبانوا.

فانشَقَّت القبور بعد طول انطباقها، واستسلمت النفوس إلى الله بأسبابها، وكُشف عن الآخرة غطاؤها، وظهر للخلق أنباؤها.

إذا دكت الأرض دكاً دكاً

فدُكَّت الأرض^(١) دكاً دكاً، ومُدَّت لأمر يراد بها مدّاً مدّاً، واشتد المثارون إلى الله شداً شداً، وتزاحفت الخلائق إلى المحشر زحفاً زحفاً، ورُدَّ المجرمون على الأعقاب ردّاً ردّاً، وجدَّ الأمر - ويحك يا إنسان - جدّاً جدّاً، وقُربوا للحساب فرداً فرداً، وجاء ربك والملك صفاً صفاً، ويسألهم عما عملوا حرفاً حرفاً.

وجيء بهم عُراة الأبدان، خُشعاً أبصارهم، أمامهم الحساب، ومن ورائهم جهنم، يسمعون زفيرها، ويرون سعيها^(٢)، فلم يجدوا ناصراً ولا ولياً يُجيرهم من الذل، فهم يَغدون سراعاً إلى مواقف الحشر، يُساقون سَوْقاً.

فالسماوات مطويات بيمينه كطيّ السجلّ للكتب، والعباد على الصراط وجلت قلوبهم، يظنون أنهم لا يُسلمون، ولا يؤذن لهم فيتكلمون، ولا يُقبل منهم فيعتذرون، قد خُتم على أفواههم، واستنطقت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، يا لها من ساعة! ما أشجا مواقعها من القلوب حين مُيز

(١) الجبال، خ ل.

(٢) زئيرها، خ ل.

بين الفريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير، من مثل هذا فليهرب الهاربون، وإذا كانت الدار مثل الآخرة، فلها يعمل العاملون.

أين التعب بالليل والنهار للدنيا؟^(١)

ومن خطبة له عليه السلام في الردع عن التنافس في الدنيا :

أوصيكم عباد الله - ونفسي - بتقوى الله ولزوم طاعته، وتقديم العمل، وترك الأمل، فإنه من فرط في عمله، لم ينفع بشيء من أمله. أين التعب بالليل والنهار؟ المقتحم للجحيم البحار، ومفاوز القفار، يسير من وراء الجبال، وعالج الرمال، يصل الغدو بالرواح، والمساء بالصباح، في طلب مُحَقَّرَات الأرباح!، هجمت عليه منيته، فعظمت بنفسه رزيته، فصار ما جمع بُوراً، وما اكتسب غُروراً، ووافى القيامة محسوراً!.

أيها اللاهي بنفسه، كأني بك وقد أتاك رسول ربك لا يقرع لك باباً، ولا يهاب بك حجاباً، ولا يقبل منك بديلاً، ولا يأخذ منك كفيلاً، ولا يرحم لك صغيراً، ولا يؤقر فيك كبيراً، حتى يؤدبك إلى قعر ملحودة، مظلمة أرجاؤها، موحشة أطلالها، كفعله بالأمم الخالية، والقرون الماضية!.

أين من قاد الجنود والعساكر؟

أين من سعى واجتهد؟ وجمع وعدد؟ وبنى وشيد؟ وزخرف ونجد؟ وأين من بالقليل لم يقنع؟ وبالكثير لم يمتنع؟

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٣ ص ١٣٤ - ١٣٧ الخطبة رقم (٣٨) عن كتاب فرش الخطب من العقد الفريد: ج ٤ ص ١٣٤ ورواها أيضاً كتاب جواهر المطالب: ص ٥٩ و ص ٧٠.

أين من قاد الجنود؟ ونشر البنود؟

أضحوا رُفَاتاً، تحت الثرى أمواتاً، وأنتم بكأسهم شاربون،
ولسبيلهم سالكون!.

عباد الله فاتقوا الله وراقبوه، واعملوا لليوم الذي تسير فيه الجبال،
وتشقق السماء بالغمام، وتطير الكتب عن الأيمان والشمائل، فأَيُّ رجل
يومئذ تراك؟! أقائل: هاؤم اقرؤوا كتابيه؟ أم قائل: يا ليتني لم أوت
كتابيه؟

نسأل من وعدنا - بإقامة الشرائع - جنته، أن يقيناً سخطه.

إن أحسن الحديث، وأبلغ الموعظة كتاب الله الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٤٢) (١).

هو الدائم بلا فناء (٢)

ومن خطبة له (عليه السلام) في تحميد الله تعالى وتزهيد الناس عن التعلق
بالدنيا:

الحمد لله الخافض الرافع، الضارّ النافع، الجواد الواسع، الجليل
ثناؤه، الصادقة أسماؤه، المحيط بالغيوب، وما يخطر على القلوب،
الذي جعل الموت بين خلقه عدلاً، وأنعم بالحياة عليهم فضلاً، فأحيا
وأ مات، وقدّر الأقوات، أحكمها بعلمه تقديرًا، وأتقنها بحكمته تدبيرًا،
إنه كان خبيراً بصيراً.

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٣ ص ١٩٢ - ١٩٨ الخطبة رقم (٥١) عن روضة
الكافي: ص ١٧٠ ح ١٩٣، وروى قريباً منه تنبيه الخواطر: ص ٤٥٩، ورواه جواهر
المطالب: ص ٤٨.

هو الدائم بلا فناء، والباقي إلى غير منتهى، يعلم ما في الأرض وما في السماء، وما بينهما وما تحت الثرى.

أحمدته بخالص حمده المخزون، بما حمده به الملائكة والنبئون، حمداً لا يُحصى له عدد، ولا يتقدّمه أمد، ولا يأتي بمثله أحد، أو من به وأتوكل عليه، وأستهديه وأستكفيه، وأستقصيه بخير وأسترضيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (صلى الله عليه وآله).

الدنيا ليست لكم بدار

أيها الناس، إن الدنيا ليست لكم بدار، ولا محلّ قرار، وإنما أنتم فيها كركب عرسوا فأناخوا، ثم استقلوا فغدّوا وراحوا.

دخلوا خِفافاً، وراحوا خِفافاً، لم يجدوا عن مضيّ نزوعاً، ولا إلى ما تركوا رجوعاً، جدّ بهم فجّدوا، وركنوا إلى الدنيا فما استعدّوا.

حتى إذا أخذوا بكظمهم، وخلصوا إلى دار قوم جَفَّتْ أقلامهم، ولم يَبْقَ من أكثرهم خبر ولا أثر، قلّ في الدنيا لبّثهم، وعجل إلى الآخرة بَعْثهم.

فأصبحتم حُلُولاً في ديارهم، ظاعنين على آثارهم، والمطايا بكم تسير، سيراً ما فيه أين ولا تفتير، نهاركم بأنفسكم دُؤوب، وليلكم بأرواحكم دُهوب، فأصبحتم تحكون من حالهم حالاً، وتحتذون من مسلّكم مثلاً!، فلا تغرّكم الحياة الدنيا، فإنما أنتم فيها سَفَر حُلُول،

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٣٣٣

والموت بكم نُزول، تنتَظِل فيكم منايه، وتمضي بأخباركم مطايه، إلى دار الثواب والعقاب، والجزاء والحساب.

رحم الله امرأً راقب ربّه

فرحم الله امرأً راقب ربّه، وتنكّب ذنبه، وكابر هواه، وكذب مناه، ورحم الله امرأً زَمَ نفسه من التقوى بزمَام، وألجمها من خشية ربها بلجام، فقادها إلى الطاعة بزمَامها، وقدها^(١) عن المعصية بلِجامها، رافعاً إلى المعاد طَرفه، متوقعاً في كل أوان حَتفه، دائم الفكر، طويل السهر، عَزُوفاً عن الدنيا سأمًا، كدوحاً لآخرته متحافظاً.

العاقبة للتقوى

ورحم الله امرأً جعل الصبر مطيّة نجاته، والتقوى عُدة وفاته، ودواء أجوائه، فاعتبر وقاس، وترك الدنيا والناس.

وهو يتعلّم للتفقّه والسداد، وقد وُقِر قلبه ذكر المعاد، وطوى مِهاده، وهجر وساده، منتصباً على أطرافه، داخلاً في أعطافه، خاشعاً لله عزّ وجلّ، يُراوح بين الوجه والكفين، خشوع في السر لربه.

لدমে صَييب، ولقلبه وَجيب، شديدة أسباله، ترتعد من خوف الله عزّ وجلّ أوصاله، قد عظمت فيما عند الله رغبته، واشتدّت منه رهبته، راضياً بالكفاف من أمره، وإن أحسن طول عمره، يُظهر دون ما يَكتُم، ويَكتفي بأقل مما يَعلم.

أولئك ودائع الله في بلاده، المدفوع بهم عن عبادته، لو أقسم

(١) وقرعها، خ ل.

أحدهم على الله جل ذكره لأبرّه، أو دعا على أحد نصره الله، يسمع الله مناجاته إذا ناجاه، ويستجيب له إذا دعاه

جعل الله العاقبة للتقوى، والجنة لأهلها مأوى، دعاؤهم فيها أحسن الدعاء: ﴿سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ﴾^(١) دعاؤهم المولى على ما آتاهم: ﴿وَعَايَرُوا دَعْوَتَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

الدهر ثلاثة أيام^(٣)

ومن كلام له عليه السلام في الحث على اغتنام الفرصة، وترك التسويف:

إنما الدهر ثلاثة أيام - أنت فيما بينهن -:

مضى أمس بما فيه فلا يرجع أبداً، فإن كنت عملت فيه خيراً لم تحزن لذهابه، وفرحت بما أسلفته فيه، وإن كنت قد فرطت فيه، فحسرتك شديدة لذهابه وتفريطك فيه.

وأنت في يومك الذي أصبحت فيه من غد في غيرة! ولا تدري ولعلك لا تبلغه؟ وإن بلغته لعل حظك فيه في التفريط مثل حظك في الأمل الماضي عنك!

فيوم من الثلاثة قد مضى وأنت فيه مفرط، ويوم تنتظره ولست أنت منه على يقين من ترك التفريط، وإنما لك من الثلاثة هو يومك الذي أصبحت فيه.

(١) سورة يونس، الآية: ١٠.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٠.

(٣) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٣ ص ٢٥٥ - ٢٥٦ الخطبة رقم (٦٦) عن أصول الكافي: ج ٢ ص ٤٥٢، ورواه عنه في بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٥٨.

ما ينبغي للعاقل!

وقد كان ينبغي لك - إن عَقِلْتَ وفَكَّرْتَ - فيما فَرَطْتَ في الأمس الماضي، مما فاتك فيه من حسنات، أن لا تكون اكتسبتها، ومن سيئات لا تكون أقصرت عنها، وأنت مع هذا من استقبال غد على غير ثقة من أن تبلغه، وعلى غير يقين من اكتساب حسنة، أو ارتداع عن سيئة مُحِبَّطَة.

فأنت من يومك الذي تَسْتَقْبِلُ، على مثل يومك الذي استدبرت! فاعمل عمل رجل ليس يأمل من الأيام إلا يومه الذي أصبح فيه وليته.

طريق الجنة وطريق النار^(١)

ومن كلام له عليه السلام في الحث على اتباع الحق واجتناب الباطل:

الحق طريق الجنة، والباطل طريق النار، وعلى كل طريق داع يدعو إلى طريقه، فمن أجاب داعي الحق أذاه إلى الجنة، ومن أجاب داعي الباطل ساقه إلى النار.

ألا وإن داعي الحق كتاب الله عز وجلّ، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، من عمل به أجر، ومن خالفه دحر.

ألا وإن الداعي إلى الباطل عدوكم الذي ﴿أَخْرَجَ أَبْوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ ثِيَابٍ إِنَّهُ يَرْنِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(٢).

ألا فاعصوا عدوكم، وأطيعوا ربكم، ومن أحق بكم من الله؟ خلقكم ثم رزقكم ثم يُميتكم ثم يُحييكم؟

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٣ ص ٢٩١ - ٢٩٢ الخطبة رقم (٧٧) عن تيسير المطالب: ص ١٨٤ ح ٧ من الباب ١٤.

(٢) سورة الأعراف: الآية: ٢٧.

ألا وإنه عز وجل قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

عباد الله فَ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^(٢).
ألا فإن لم تفعلوا فقد سلكتم سبيل من قد هلك.

من اتقى الله عز وقوي^(٣)

ومن كتاب له ﷺ إلى بعض أصحابه يعظه به:

أوصيك ونفسي بتقوى من لا تحل معصيته، ولا يرجى غيره، ولا الغنى إلا به، فإن من اتقى الله عز وجل عز وقوي، وشبع وروي، ورفع عقله عن أهل الدنيا، فبدنه مع أهل الدنيا، وقلبه وعقله مع أهل الآخرة. فأطفأ بضوء قلبه ما أبصرت عيناه من حب الدنيا، فقذر حرامها، وجانب شبهاتها، وأضرر والله بالحلال الصافي إلا ما لا بد له، من كسرة يشد بها ضلبه، وثوب يوارى به عورته، من أغلظ ما يجد وأخشنه. ولم يكن له فيما لا بد له منه ثقة ورجاء، ف وقعت ثقته ورجاؤه على خالق الأشياء، فجدد واجتهد، وأتعب بدنه، حتى بدت الأضلاع، وغارت العينان، فأبدل الله له من ذلك قوة في بدنه، وشدة في عقله، وما دخر له في الآخرة أكثر.

حب الدنيا يعمي ويصم

فأرخص الدنيا، فإن حب الدنيا يعمي ويصم ويُبكم، ويُذل الرقاب،

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢١.

(٣) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٤ ص ١٣١ - ١٣٤ الخطبة رقم (٥٥) عن أصول الكافي: ج ٢ ص ١٣٦، ورواه أيضاً تنبيه الخواطر: ج ٢ ص ٥٠٥.

فتدارك ما بقي من عمرك، ولا تقل: غداً أو بعد غد، فإنما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأماني والتسويق، حتى أتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون، فنقلوا على أعوادهم إلى قبورهم المظلمة الضيقة، وقد أسلمهم الأولاد والأهلون.

فانقطع إلى الله بقلب منيب من رَفَض الدنيا، وعَزَم ليس فيه انكسار ولا انخزال، أعاننا الله وإياك على طاعته، ووقفنا الله وإياك لمرضاته.

الدنيا ظلّ آفل^(١)

الدنيا دار غرور حائل، وزُخرف نائل، وظلّ آفل، وسند مائل، تُردي مستزيدها، وتضرّ مستفيدها.

فكم من واثق بها راكم إليها قد أرهقته إثاقها، وأعلقته أرباقها، وأشربته خناقها، وألزمته وثاقها.

احذروا هذه الدنيا^(٢)

وقال عليه السلام في ذم الدنيا:

احذروا هذه الدنيا الخدّاعة العرّارة، التي قد تزيّنت بحليّها، وفنتت بغرورها، وغرّت بآمالها، وتشوّقت لخطابها، فأصبحت كالعروس المجلّوة، العيون إليها ناظرة، والنفوس بها مشغوفة، والقلوب إليها تائقة، وهي لأزواجها كلهم قاتلة.

فلا الباقي بالماضي معتبر، ولا الآخر بسوء أثرها على الأوّل

(١) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم، للقاضي القضاعي: ص ٣٤ ب ٢.

(٢) دستور معالم الحكم: ص ٣٨ - ٤٧ ب ٢.

مزدجر، ولا اللبيب فيها بالتجارب منتفع، أبت القلوب لها إلا حباً،
والنفوس بها إلا ضناً.

فالناس لها طالبان: طالب ظفر بها، فاغترّ فيها، ونسي التزوّد منها
للظعن عنها، فقلّ فيها لبثه حتى خلت منها يده، وزلّت عنها قدمه،
وجاءته أسرّ ما كان بها منيته، فعظمت ندامته، وكثرت حسرته، وجلّت
مصيبته، فاجتمعت عليه سكرات الموت، فغير موصوف ما نزل به.

وآخر اختلج عنها قبل أن يظفر بحاجته، ففارقها بغرته وأسفه، ولم
يدرك ما طلب منها، ولم يظفر بما رجا فيها.

فارتحلا جميعاً من الدنيا بغير زاد، وقدا على غير مهاد.

مثل الدنيا مثل الحيّة

فاحذروا الدنيا الحذر كلّه، فإنما مثلها مثل الحيّة، لئن مسّها، قاتل
سمها.

فأعرض عما يُعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك ثقل
همومها، لما تيقّنت من وشك زوالها، وكن أسرّ ما تكون فيها أحذر ما
تكون لها.

فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصه عنها مكروه،
وكلما اغتبط منها بإقبال نَعَصه عنها إدبار، وكلما ثنى عليه منها رجلاً
طوّت عنه كشحاً، فالسارّ فيها غارّ، والنافع فيها ضارّ.

وُصِل رخاؤها بالبلاء، وجُعِل بقاؤها إلى الفناء، فَرَحها مشوب
بالحزن، وآخر غمومها إلى الوهن، فانظر إليها بعين الزاهد المفارق، ولا
تنظر إليها بعين الصاحب الوامق.

ابن آدم في الدنيا على خطر

اعلم يا هذا، أنها تُشخص الوداع الساكن، وتَفجع المغتبط الآمن، لا يرجع منها ما تولى فأدبر، ولا يُدرى ما هو آت فيُحذر، أمانيتها كاذبة، وآمالها باطلة، صَفوها كدر، وابن آدم فيها على خطر، إما نعمة زائلة، وإما بليّة نازلة، وإما مُعظّمة جائحة، وإما منيّة قاضية.

فلقد كدّرت عليه المعيشة إن عَقَلَ، وأخبرته عن نفسها إن وعى.

ولو كان خالقها جل وعز لم يُخبر عنها خبراً، ولم يضرب لها مثلاً، ولم يأمر بالزهد فيها، والرغبة عنها، لكانت وقائعها وفجائعها قد أنبّهت النائم، ووعظت الظالم، وبصّرت العالم، وكيف وقد جاء عنها من الله عز وجلّ زاجر، وأتت منه فيها البيّنات والبصائر؟

فما لها عند الله عز وجلّ قدر ولا وزن، ولا خَلَقَ فيما بلغنا خَلْقاً أبغض إليه منها، وما نظر إليها مذ خلقها.

ولقد عُرضت على نبينا ﷺ بمفاتيحها وخزائنها، لا ينقصه ذلك من حظّه من الآخرة، فأبى أن يقبلها، لعلمه أن الله جل ثناؤه أبغض شيئاً فأبغضه، وصغّر شيئاً فصغّره، وأن لا يرفع ما وضع الله جلّ ثناؤه، وأن لا يُكثّر ما أقلّ الله جلّ وعز.

ولو لم يُخبرك عن صِغَرها عند الله، إلّا أن الله جل وعز أصغرها عن أن يجعل خيرها ثواباً للمطيعين، وأن يجعل عقوبتها عقاباً للعاصين.

من أدلة دناءة الدنيا

ومما يدلّك على دَناءة الدنيا: أن الله جل ثناؤه زواها عن أوليائه وأحبابه نظراً واختياراً، وبسطها لأعدائه فتنة واختباراً، فأكرم عنها محمّداً ﷺ نبيه ﷺ حين عَصَب على بطنه من الجوع.

وحماها موسى ﷺ نَجَّيْهِ الْمَكْلَمَ، وكانت تُرى خُضرة البقل من صِفاق بطنه من الهُزال، وما سأل الله جل ثناؤه يوم أوى إلى الظل إلا طعاماً يأكله لما جَهِدَه من الجوع، ولقد جاءت الرواية عنه: أَنَّهُ كان أَوْحِي إليه إذا رَأَيْتَ الْغَنَى مَقْبَلاً فَقُلْ: ذَنْبٌ عَجَّلْتَ عِقوبَتَهُ، وإذا رَأَيْتَ الْفَقْرَ مَقْبَلاً فَقُلْ: مَرْحَباً بِشَعَارِ الصَّالِحِينَ.

وصاحب الرُّوح والكلمة عيسى ابن مريم ﷺ إذ قال: أَدْمِي الْجُوعَ، وشُعاري الخوف، ولباسي الصوف، ودَابَّتِي رَجُلَايَ، وسراجي بالليل القمر، وصِلَائِي فِي الشَّتَاءِ مِشَارِقَ الشَّمْسِ، وفاكَهْتِي مَا أَنْبَتِ الْأَرْضُ لِلْأَنْعَامِ، أَيْتَ وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْنَى مِنِّي.

أو سليمان بن داود ﷺ وما أوتِي مِنَ الْمَلِكِ، إذ كان يأكل خبز الشعير، وَيُطْعَمُ أَهْلَهُ الْحَنْطَةَ، وإذا جَنَّهُ اللَّيْلُ لِبَسِ الْمُسُوحَ، وَعَلَّ يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ، وَبَاتَ بَاكِئاً حَتَّى يُصْبِحَ، وَيُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي كَثِيراً ﴿وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرَحَّمْ عَلَيَّ أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١) ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

الدنيا وأولياء الله

فهؤلاء أنبياء الله، وأصفياءه وأولياؤه، تنزَّهوا عن الدنيا، وزهّدوا فيما زهّدهم الله جل ثناؤه فيه منها، وأبغضوا ما أبغض، وصغّروا ما صغّر. ثم اقتصّ الصالحون آثارهم، وسلکوا مناهجهم، وألطفوا الفِكرَ، وانتفعوا بالعِبرَ، وصبروا في هذا العمر القصير، عن متاع الغرور، الذي يعود إلى الفناء، ويصير إلى الحساب.

(١) سورة هود، الآية: ٤٧.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

نظروا بعقولهم إلى آخر الدنيا، ولم ينظروا إلى أولها، وإلى باطن الدنيا، ولم ينظروا إلى ظاهرها، وفكروا في مرارة عاقبتها، فلم تستهزهم حلاوة عاجلها.

ثم ألزموا أنفسهم الصبر، وأنزلوا الدنيا من أنفسهم كالميتة، التي لا يحل لأحد أن يشيع منها، إلّا في حال الضرورة إليها، وأكلوا منها بقدر ما أبقى لهم النَّفْس، وأمسك الروح، وجعلوها بمنزلة الجيفة التي اشتد نتنها، فكل من مرّ بها أمسك على أنفه منها، فهم يتبَلَّغون منها بأدنى البلاغ، ولا ينتهون إلى الشَّيع من النتن، ويتعجَّبون من الممتلئ منها شبعاً، والراضي بها نصيباً.

مثل الدنيا عند العاقل

إخواني، والله لهي في العاقبة والآجلة^(١) لمن ناصح نفسه في النظر، وأخلص له الفكر، أنتن من الجيفة، وأكره من الميتة، غير أن الذي نشأ في دِباغ الإهاب لا يجد نتنه، ولا يؤذيه من رائحته ما يؤذي المارّ به، والجالس عنده.

وقد يكفي العاقل من معرفتها علمه: فإن من مات وخلف سلطاناً عظيماً سره أنه عاش فيها سُوقة خاملاً، أو كان فيها معافى سليماً سره أنه كان فيها مبتلىً ضريراً، فكفى بهذا على عوراتها والرغبة عنها دليلاً.

والله لو أن الدنيا كانت من أراد منها شيئاً وجده حيث تنال يده، من غير طلب ولا تعب، ولا مؤونة ولا نصب، ولا ظعن ولا ذأب، غير أن ما أخذ منها من شيء لزمه حق الله فيه، والشكر عليه، وكان مسؤولاً عنه،

محاسباً عليه، لكان يحقُّ على العاقل أن لا يتناول منها إلّا قوته، وبُلغة يومه، حذر السؤال، وخوفاً من الحساب، وإشفافاً من العجز عن الشكر. فكيف بمن تجشَّم في طلبها؟ من خضوع رقبتَه، ووَضع خَدَه، وفَرط عَنائَه، والاغتراب عن أحبَّائِه، وعظيم خطاره، ثم لا يدري ما آخر ذلك، الظفر أم الخيبة؟

الدنيا ثلاثة أيّام

وإنّما الدنيا ثلاثة أيّام: يوم مضى بما فيه فليس بعائد، ويوم أنت فيه فحق عليك اغتنامه، ويوم لا تدري أمن أهله ولعلّك راحل فيه. فأما أمس فحكيم مؤدّب، وأما اليوم فصديق مودّع، فأما غد فإنّما في يديك منه الأمل، فإن يكن أمس سبقك بنفسه فقد أبقي في يديك حكمته، وإن يكن يومك هذا آنسك بمقدمه عليك فقد كان طويل الغيبة عنك، وهو سريع الرّحلة فتزوّد منه وأحسن وداعه.

جِدْ بالثقة في العمل، وإياك والاغترار بالأمل، ولا تدخل عليك اليوم همّ غد، يكفي اليوم همُّه، وغد داخل عليك بشغله، إنك إن حملت على اليوم همّ غد زدت في حزنك وتعبك، وتكفّلت أن تجمع ما يكفيك أياماً، فعظم الحُزن، وزاد الشغل، واشتد التعب، وضعف العمل للأمل، ولو أخلّيت قلبك من الأمل لجدد لك العمل، والأمل منك في اليوم قد ضرّك في وجهين: سوفت به العمل، وزدت به في الهمّ والحُزن.

ساعة بين ساعتين

أولاً ترى أن الدنيا ساعة بين ساعتين: ساعة مضت، وساعة بقيت، وساعة أنت فيها، فأما الماضية والباقية: فلست تجد لرخائهما لذّة، ولا

لشدّتهما ألماً، فأنزل الساعة الماضية والساعة التي أنت فيها منزلة الضيفين نزلاً بك، فظعن الراحل عنك بذمه إياك، وحل النازل بك بالتجربة لك، فأحسنك إلى الثاوي يمحو إساءتك إلى الماضي، فأدرك ما أضعت بإعتابك فيما استقبلت، واحذر أن تجمع عليك شهادتهما فيوبقاك.

لو خير المقبور بين أمرين

ولو أنّ مقبوراً من الأموات قيل له: هذه الدنيا أولها إلى آخرها تُخلّفها لولدك الذي لم يكن لك همٌّ غيرُهُم، أو يومٌ نردّه إليك فتعمل فيه لنفسك؟ لاختار يوماً يَسْتَعْتَب فيه من سيِّئ ما أسلف، على جميع الدنيا يورثها ولده خلفه.

فما يَمْنَعُك أيها المغترُّ، المضطرُّ المؤتلف، أن تعمل على مهل، قبل حلول الأجل، وما يجعل المقبور أشدَّ تعظيماً لما في يديك منك؟ ألا تسعى في تحرير رَقبتك، وفكّك رِقك، ووقاء نفسك من النار، التي عليها ملائكة غلاظ شداد؟

مثلكم ومثل الدنيا^(١)

أوصيكم عباد الله، بتقوى الله جل وعز، واغتنام ما استطعتم عملاً به من طاعة الله جل وعز، في هذه الأيام الخالية، لجليل ما يُشفي عليكم به الفُوت بعد الموت. وبالرفض لهذه الدنيا، التاركة لكم وإن لم تكونوا تحبّون تركها، والمبليّة لكم وإن كنتم تحبون تجديدها.

فإنما مثلكم ومثلها: كركب سلكوا سبيلاً فكأنهم قد قطعوه، وأمّوا

عَلَمَّا فَكَانَ قَد بَلَغُوهُ، وَكَمْ عَسَى الْجَارِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِي حَتَّى يَبْلُغَهَا؟ وَكَمْ عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعُدُّهُ وَمَنْ وَرَائِهِ طَالِبٌ حَثِيثٌ يَحْدُوهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَفَارِقَهَا؟

فَلَا تَتَنَافَسُوا فِي الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا، وَلَا تُعْجَبُوا بِزِينَتِهَا، وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَائِهَا وَبُؤْسِهَا، فَإِنَّ عِزَّ الدُّنْيَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ، وَإِنْ زِينَتُهَا وَنَعِيمُهَا إِلَى زَوَالٍ، وَإِنْ ضَرَائِهَا وَبُؤْسُهَا إِلَى نِفَادٍ، وَكُلُّ مَدَّةٍ فِيهَا إِلَى مَتْنَهِيٍّ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ.

آثار الأولين عبرة وتبصرة

أَوْ لَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ، وَفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ، مَعْتَبَرٌ وَتَبِصْرَةٌ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ؟

أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ، وَإِلَى الْخَلْفِ الْبَاقِي مِنْكُمْ لَا يَبْقُونَ؟

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَحَرِّمْنَا عَلَى قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ^(١) الْآيَةُ وَالَّتِي بَعْدَهَا ^(٢).

وَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِجَ عَنِ النَّكَارِ وَأَذْجَلَ الْجَنَّةِ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ ^(٣) ١٨٥.

أَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُمَسُّونَ وَيُصْبِحُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى: مَيِّتٌ

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٥.

(٢) قوله تعالى: ﴿حَقَّقْ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ بَيْنَ كُلِّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ﴾ ^(١١).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٣٤٥

يُبكي، وآخر يُعزّي، وصَريع مبتلى، وعائد يَعُود، وآخر بنفسه يجود، وطالب والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه؟

وعلى أثر الماضي منا يمضي الباقي، فله الحمد ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(١)، الذي يَبقى وَيَفنى ما سواه. وإليه مَوئل الحق ومَرَجع الأمور.

طوبى للزاهدين في الدنيا^(٢)

ومن كلام له عليه السلام لنوف البكالي في ليلة النصف من شعبان:

يا نوف، طوبى للزاهدين في الدنيا، والراغبين في الآخرة، فإن أولئك قوم اتخذوا أرض الله بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن شعاراً، والدعاء دثاراً، ثم قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح ابن مريم عليه السلام.

فإن الله عز وجل أوحى إلى عبده المسيح ابن مريم عليه السلام: أن مُر بني إسرائيل أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب طاهرة، وأبصار خاشعة، وأيد نقية، فإني لا استجيب لأحد منهم دعوة لأحد من خلقي قبّله مظلمة.

لا تكن أحد هؤلاء

يا نوف، لا تكوننّ شاعراً، ولا عشاراً، ولا شرطياً، ولا عريفاً، ولا صاحب كوبة، ولا صاحب عَرطبة، فإن نبي الله داود عليه السلام خرج في مثل هذه الليلة فقال: ما من عبد يدعو الله عز وجل إلا استجاب دعوته

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٨٦.

(٢) دستور معالم الحكم: ص ٩٠ - ٩٦ ب ٤.

في هذه الساعة، إلا أن يكون شاعراً، أو عشاراً، أو شرطياً، أو عريفاً،
أو صاحب كوبة، أو صاحب عَرْطَبَة.

اليوم العبوس

أوصيكم عباد الله، بتقوى الله، والتنافس في الحظ النفيس،
والإشفاق من اليوم العَبُوس، والجدَّ في خلاص النفوس، والسعي في
فكاكها قبل هلاكها، والأخذ لها قبل الأخذ منها.

اغتنموا أيام الصحة قبل السَّقم، والشبَّية قبل الهَرَم، وبادروا بالتوبة
قبل الندم، ولا تحملنكم المهلة على طول الغفلة، فإنَّ الأجل يهدم
الأمل، والأيام مُوَكَّلَة بتنقيص المَدَّة، وتفريق الأحبَّة، فبادروا رحمكم
الله بالتوبة قبل حضور النوبة، وبرّزوا للغيبة التي لا تنتظر معها الأوبة،
واستعينوا على بُعد المسافة بطول المخافة.

فكم من غافل وَثِقَ بغفلته، وتَعَلَّلَ بمُهلته، فأَمَلَّ بعيداً، وَبَنَى مَشيداً؟
فُغِصَ بِقُرب أَجله بُعد أمله، وفاجأه مَنِيَّتُه بانقطاع أُمْنِيَّتِه، فصار بعد العزِّ
والمَنَعَة، والشرف والرفعة، مُرْتَهَنًا بمواقات عمله، قد غاب فما رجع،
وندم فما انتفع، وشَقِيَ بما جمع في يومه، وسعد به غيره في غده، وبقي
مُرتَهَنًا بكسب يده، ذاهلاً عن أهله وولده، لا يُغْنِي عنه ما ترك فتيلًا، ولا
يجد إلى مناص سبيلاً.

الموت في الطلب

فعلام عباد الله، المنعرج والدَّلَج؟ وإلى أين المفرُّ والمهَرَب؟ وهذا
الموت في الطلب، يخترِم الأول فالأول، لا يتحَنَّن على ضعيف، ولا
يُعَرِّج على شريف، والجديدان يَحْثَّان الأجل تحثيثاً، ويسوقانه سَوْقاً

حَثِيثاً، وكل ما هو آت فقريب، ومن وراء ذلك العجب العجيب، فأعدوا الجواب ليوم الحساب، وأكثرُوا الزاد ليوم المعاد. عصمنا الله وإياكم بطاعته، وأعاننا وإياكم على ما يُقَرَّب إليه، ويُزَلَفُ لديه، فإنما نحن به وله.

بتقوى الله فاز الفائزون

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، فإن تقوى الله منجاة من كل هلكة، وعصمة من كل ضلالة، وبتقوى الله فاز الفائزون، وظفر الراغبون، ونجا الهاربون، وأدرك الطالبون، وبتركها خسر المبطلون ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١).

الله الله، عباد الله، قبل جُفُوف الأَقلام، وتصرَّم الأيام، ولزوم الآثام، وقبل الدعوة بالحسرة، والويل والشقوة، ونزول عذاب الله بغتة أو جهرة.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، الذي ضرب لكم الأمثال، ووقت لكم الآجال، وفتق لكم أسماعاً لتعي ما عناها، وأبصاراً لتجلو عن عشاها، وأفئدة لتفهم ما دهاها لم يخلقكم عبثاً، ولم يمهلكم سُدىً، ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً، بل أكرمكم بالنعم السوابغ، وقطع عذرکم بالحجج البوالغ، ورفدكم بأحسن الروافد، وأعم الزوائد، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجزاء في السراء والضراء.

احذروا هادم اللذات

فاتقوا الله عباد الله، وجِدُوا في الطلب، وبادروا بالعمل قبل حلول الأجل، اقطعوا التُّهَمات، واحذروا هادم اللذات.

تجهّزوا رحمكم الله، فقد نودي فيكم بالرحيل، واقلُّوا العُرْجة على الدنيا، وانقلّبوا بصلاح ما بحضرتكم من الزاد، فإن أمامكم عقبة كؤوداً، ومنازل مخوفة مجهولة لا بُدَّ من الممرِّ عليها، والوقوف عندها، فإما رحمة من الله جلّ وعزّ فَنَجُوتُمْ من فظاعتها، وشدّة مختبرها، وكراهة منظرها، وإما بهلكة ليس بعدها انجبار.

اهتماعيات

إذا رأى أحدكم لأخيه نعمة^(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطَرَاتِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ، بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ، فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً، فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ - فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ، وَيُغْرَى بِهَا لِئَامِ النَّاسِ - كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ، الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ، وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ الْمَغْرَمُ، وَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيُّ مِنَ الْخِيَانَةِ، يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ: إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ، وَإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ، وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ.

حرث الدنيا وحرث الآخرة

وَإِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الْآخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ، فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ،

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٣)، والكافي: ج ٥ ص ٥٧ - ٥٨ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ج ٦، وتفسير القمي: ج ٢ ص ٢٦ قصة أصحاب الكهف.

وَاحْشَوْهُ خَشِيَّةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ، وَاعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلُ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكَلُهُ اللَّهُ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ، نَسَأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَمُعَايِشَةَ السُّعَدَاءِ، وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ.

لا استغناء لأحد عن عشيرته

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عَشْرَتِهِ، وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ، وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ، وَأَلْمُهُمْ لِشَعْتِهِ، وَأَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ. وَلِسَانَ الصَّدَقِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يَرْتُهُ غَيْرُهُ.

لا تقبض يدك عن عشيرتك

أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخِصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ، وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ، وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ، فَإِنَّمَا تُقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وَتُقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ، وَمَنْ تَلَنْ حَاشِيَتَهُ يَسْتَدِمُ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ^(١).

(١) قال الشريف الرضي: أقول: الغفيرة ها هنا: الزيادة والكثرة، من قولهم للجمع الكثير: الجَمُّ الغفير، والجماء الغفير.

ويُروى: عَفْوَةٌ مِنْ أَهْلِ أَوْ مَالٍ، والعفوة: الخيار من الشيء، يقال: أكلت عفوة الطعام، أي: خياره.

وما أحسن المعنى الذي أراده بقوله: وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ... إلى تمام الكلام، فإن الممسك خيرُه عن عشيرته إِنَّمَا يمسك نفع يد واحدة، فإذا احتاج إلى نصرتهم، واضطرَّ إلى مرافقتهم، قعدوا عن نصره، وتناقلوا عن صوته، فمنع توافد الأيدي الكثيرة، وتناهض الأقدام الجمَّة.

المجتمع المتفكك^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) في ذكر المكايل :

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّكُمْ - وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا - أَثَوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ، وَمَدِينُونَ مُفْتَضَّوْنَ، أَجَلٌ مُنْقُوصٌ، وَعَمَلٌ مُحْفُوظٌ، فَرُبَّ دَائِبٍ مُضَيَّعٍ، وَرُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٍ، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنِ لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِذْبَارًا، وَلَا الشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالًا، وَلَا الشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعًا، فَهَذَا أَوَانُ قَوِيَّتِ عُدَّتُهُ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وَأُمَكَّتْ فَرِيستُهُ.

اضْرِبْ بِظَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ: فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا، أَوْ غَنِيًّا بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا، أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفِرًا، أَوْ مُمْتَرِدًا كَانَ بِأُذُنِهِ عَنِ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَفِرًا؟

أَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ؟

أَيْنَ أَخْيَارُكُمْ وَصَلَحَاؤُكُمْ؟

وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسَمَحَاؤُكُمْ؟

وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ؟ وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ؟

أَلَيْسَ قَدْ طَعَنُوا جَمِيعًا عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّيِّيَّةِ، وَالْعَاجِلَةِ الْمُنْعَصَةِ؟ وَهَلْ خُلِقْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالَةٍ لَا تَلْتَقِي إِلَّا بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ اسْتِصْغَارًا لِقُدْرِهِمْ، وَذَهَابًا عَنْ ذِكْرِهِمْ.

فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُنْكَرَ مُعِيرٍ، وَلَا زَاجِرٍ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٢٩)، وبحار الأنوار: ج ١٠٠ ص ١٠٨ ب ٢ ح ٨.

مُزْدَجِرٌ، أَفِيهِذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ؟ وَتَكُونُوا أَعَزَّ
أَوْلِيَاءِهِ عِنْدَهُ؟! هَيْهَاتَ! لَا يُخْدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ، وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا
بِطَاعَتِهِ.

لَعَنَ اللَّهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ الثَّارِكِينَ لَهُ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ
الْعَامِلِينَ بِهِ.

سفارة ووساطة^(١)

ومن كلام له ﷺ لما اجتمع الناس إليه وشكوا ما نقموه على عثمان،
وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم، فدخل عليه وقال له ما يلي:

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي، وَقَدْ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا
أَقُولُ لَكَ؟! مَا أَعْرِفُ شَيْئًا تَجْهَلُهُ، وَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ، إِنَّكَ
لَتَعْلَمَ مَا نَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَخَبِرَكَ عَنْهُ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ
فَنَبْلَغَكَهُ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ كَمَا صَحَبْنَا، وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلى بِعَمَلِ
الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشَيْجَةِ رَحِمٍ مِنْهُمَا، وَقَدْ
نَلْتُ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا.

الله، الله في نفسك!

فَاللَّهِ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ! فَإِنَّكَ - وَاللَّهِ - مَا تُبْصِرُ مِنْ عَمِيٍّ، وَلَا تُعْلَمُ مِنْ
جَهْلٍ، وَإِنَّ الطَّرِيقَ لَوَاضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ، فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٦٤)، والجمال للشيخ المفيد: ص ١٨٧ - ١٨٨ نصيحة أمير
المؤمنين لعثمان، وتاريخ الطبري: ج ٢ ص ٣٧٦ حوادث سنة ٣٤ هـ.

عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ، هُدًى وَهَدًى، فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ، وَأَمَاتَ
بِدَعَةٍ مَجْهُولَةٍ، وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَثِيرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ الْبِدَعَ لَطَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ،
وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ، ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةَ مَا خُوذَتْ،
وَأَحْيَا بِدَعَةَ مَثْرُوكَةٍ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ
الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ، وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ،
فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى، ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا».

لا تكونن لمروان منقاداً

وَإِنِّي أُنْشِدُكَ اللَّهَ أَلَّا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ:
يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَلْبَسُ
أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَيَبُثُّ الْفِتْنَ فِيهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، يَمْوَجُونَ
فِيهَا مَوْجاً، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً، فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً، يَسُوفُكَ حَيْثُ
شَاءَ، بَعْدَ جَلَالِ السَّنِّ، وَتَقْضَى الْعُمُرُ!!

فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: كَلَّمَ النَّاسَ فِي أَنْ يُوجِّلُونِي حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ مِنْ
مَظَالِمِهِمْ.

فَقَالَ ﷺ: مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وَصُورُ
أَمْرِكَ إِلَيْهِ.

يجمع الناس ويشركهم: الرضا والسخط^(١)

ومن كلام له ﷺ:

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠١)، والغيبة للنعماني: ص ٢٧ - ٢٨ المقدمة، والغارات: ج ٢
ص ٣٩٨ - ٣٩٩ ومنهم مكحول.

اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شَبَعَهَا قَصِيرٌ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ!

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثُمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوه بِالرِّضَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ (١٥٧)، فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ، خُوَارَ السَّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَّ الْمَاءَ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي النَّيِّهِ.

أَكْرَهَ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ (٢)

ومن كلام له (عليه السلام) وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام حربهم بصفين:

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَّرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصُوبَ فِي الْقَوْلِ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ: اللَّهُمَّ احْقِنِ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْ جَهْلِهِ، وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْعُيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهَجَ بِهِ.

ما تصنع بسعة هذه الدار؟ (٣)

ومن كلام له (عليه السلام) بالبصرة، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي -

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٥٧.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠٦)، ومستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٣٠٦ - ٣٠٧ ب ٣٤٦ ح ١٤١٥٩، وكتاب وقعة صفين: ص ١٠٣ نصيحة علي لحجر بن عدي وعمرو بن الحمق.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠٩)، والكافي: ج ١ ص ٤١٠ - ٤١١ باب سيرة الإمام في نفسه والمطعم ح ٣، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١١ ص ٢٢ الخطبة رقم (٢٠٢).

وهو من أصحابه - يعود، فلما رأى سعة داره قال :

مَا كُنْتُ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتُ
أَحْوَج؟ وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ: تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا
الرَّحِمَ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ.

فَقَالَ لَهُ الْعَلَاءُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِي عَاصِمَ بْنِ زِيَادٍ.

قَالَ: وَمَا لَهُ؟

قَالَ: لِبَسِ الْعِبَاءَةَ وَتَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا.

قَالَ: عَلَيَّ بِهِ.

أما رحمت أهلك وولدك؟

فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: يَا عُدَيَّ نَفْسِي، لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ، أَمَا رَحِمْتَ
أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ؟ أَتَرَى اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا؟ أَنْتَ
أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.

قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا أَنْتَ فِي خُسُونَةِ مَلْبَسِكَ، وَجُسُوبَةِ

مَا كَلَمَكَ؟

الواجب على أئمة العدل

قَالَ: وَيْحَكَ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أئِمَّةِ
الْعَدْلِ: أَنْ يَقْدُرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعْفَةِ النَّاسِ، كَيْلَا يَتَّبِعَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ.

اختلاف الأخبار لماذا؟^(١)

ومن كلام له عليه السلام قاله لمن سألَه عن أحاديث البدع، وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر:

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا، وَصِدْقًا وَكَذِبًا، وَنَاسِخًا وَمَنْسُوخًا، وَعَامًّا وَخَاصًّا، وَمُحْكَمًا وَمُتَشَابِهًا، وَحِفْظًا وَوَهْمًا، وَلَقَدْ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَهْدِهِ، حَتَّى قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

نقلة الأخبار أربعة أصناف

وإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةٌ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

الصنف الأول:

رَجُلٌ مُنَافِقٌ: مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ، مُتَّصِعٌ بِالإِسْلَامِ، لَا يَتَأَنَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَعَمِّدًا، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَأَاهُ وَسَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِفَ عَنْهُ، فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ (عليه وآله السلام)، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَيْمَةِ الضَّلَالَةِ، وَالِدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوْهُمْ الْأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، فَأَكَلُوا بِهِمْ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١٠)، وكتاب سليم بن قيس: ص ٦٢٠ - ٦٢١ ح ١٠، والخصال: ج ١ ص ٢٥٥ أتى الناس الحديث ح ١٣١.

الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالْدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهَ، فَهَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ.

الصنف الثاني:

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ: فَوَهِمَ فِيهِ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ، وَيُرْوَاهُ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ.

الصنف الثالث:

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ: سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

الصنف الرابع:

وَأَخْرُ رَابِعٌ: لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللَّهِ، وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَهَمْ بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ، لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، فَهُوَ حَفِظَ النَّاسِخَ فَعْمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ، وَالْمُحْكَمَ وَالْمُتَشَابِهَ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ.

قد يكون للكلام وجهان

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ: فَكَلَامٌ

خَاصٌّ، وَكَلَامٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِهِ، وَلَا مَا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ وَيُوجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قُصِدَ بِهِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيَجِبُونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ فَيَسْأَلُهُ ﷺ حَتَّى يَسْمَعُوا، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلَتْهُ عَنْهُ وَحَفِظَتْهُ، فَهَذِهِ وُجُوهٌ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ، وَعَلَيْهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ.

الحق: أوسع الأشياء وأضيقها^(١)

ومن خطبة له ﷺ خطبها بصفين:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ، وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ، لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ؛ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، وَلِكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفْضُلًا مِنْهُ، وَتَوَسُّعًا بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ.

الحقوق في الإسلام متقابلة

ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقًا افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ،

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١٦)، والكافي: ج ٨ ص ٣٥٢ - ٣٦٠ خطبة لأمير المؤمنين

فَجَعَلَهَا تَنَكَّافًا فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ.

وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ: حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَلَى كُلِّ، فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِأُلْفَتِهِمْ، وَعِزًّا لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ.

إذا عملت الرعية والولاة بحقوقها

فَإِذَا آدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَبْسُتَ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ.

عندما تنقض الرعية أو الولاة حقوقها

وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَهَا، أَوْ أَجَحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ؛ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الْإِذْعَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقِّ عَطْلٍ، وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلِ فِعْلٍ، فَهَنَالِكَ تَذِلُّ الْأَبْرَارُ، وَتَعِزُّ الْأَشْرَارُ، وَتَعْظُمُ تَبَعَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ.

عليكم بالتناصح وأداء الحقوق

فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ - وَإِنْ

اَسْتَدَّ عَلَى رِضَا اللّٰهِ حِرْصُهُ ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ - بِبَالِغِ حَقِيقَةِ مَا اللّٰهُ
سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ.

وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللّٰهِ عَلَى عِبَادِهِ: النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهِدِهِمْ ،
وَالْتَعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ ، وَلَيْسَ أَمْرٌ - وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ
مَنْزِلَتُهُ ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ - بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللّٰهُ مِنْ
حَقِّهِ ، وَلَا أَمْرٌ وَإِنْ صَغُرَتْ النُّفُوسُ ، وَاقْتَحَمَتِ الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى
ذَلِكَ ، أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ.

فَأَجَابَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ ، يُكَثِّرُ فِيهِ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ ، وَيَذْكُرُ
سَمْعَهُ وَطَاعَتَهُ لَهُ.

كَلَّمَا عَظُمَتِ النِّعْمَةُ عَظُمَ حَقُّ اللّٰهِ

فَقَالَ عليه السلام : إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ ، وَجَلَّ
مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ - لِعَظَمِ ذَلِكَ - كُلُّ مَا سِوَاهُ ، وَإِنْ أَحَقَّ مَنْ
كَانَ كَذَلِكَ لِمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللّٰهِ عَلَيْهِ ، وَلَطَفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمِ
نِعْمَةُ اللّٰهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَزْدَادَ حَقُّ اللّٰهِ عَلَيْهِ عِظْمًا.

من أسخف حالات الولاية

وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوِلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ : أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ
الْفَخْرِ ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْ يَكُونَ جَالٌ فِي ظَنِّكُمْ
أَنِّي أَحَبُّ الْإِطْرَاءِ ، وَاسْتِمَاعِ الثَّنَاءِ ، وَلَسْتُ - بِحَمْدِ اللّٰهِ - كَذَلِكَ ، وَلَوْ
كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ ، لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطًا لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ
أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعِظَمَةِ وَالْكَبِيرِيَاءِ.

وَرُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ، فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ،
لَا خَرَجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَإِلَيْكُمْ، مِنَ التَّيْبَةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ
أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا.

إنما أنا وأنتم عبيد مملوكون

فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَّارَةَ، وَلَا تَحْفَظُوا مِنِّي بِمَا يُحْفَظُ بِهِ
عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ، وَلَا تَطْنُوا بِي اسْتِثْقَالاً فِي
حَقِّ قِيلٍ لِي، وَلَا التِمَّاسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مِنَ اسْتِثْقَالِ الْحَقِّ أَنْ يُقَالَ
لَهُ، أَوْ الْعُدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ، فَلَا تَكْفُوا عَنْ
مَقَالَةٍ بِحَقِّ، أَوْ مَشُورَةٍ بَعْدِلٍ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقٍ أَنْ أُخْطِئَ، وَلَا
أَمَّنْ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَنِي اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، فَإِنَّمَا
أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ
أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ
بِالْهُدَى، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى.

مع عباد الله المكرمين^(١)

ومن كلام له (عليه السلام) قاله عند تلاوته: ﴿...يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ
رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ هَيْجَرَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٢):

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جِلَاءً لِلْقُلُوبِ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٢٢)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٨٩ ق ٢ ب ٢ ف ٢ الذكر
نور وهداية ح ٣٦٣٦.
(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٦ - ٣٧.

الْوَقْرَةَ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ، وَمَا بَرِحَ لِلَّهِ عَزَّتْ
 الْآوَةُ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ، وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ، عِبَادُ نَاجَاهُمْ فِي
 فِكْرِهِمْ، وَكَلَمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَضَبُّوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ
 وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ، يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدَلَّةِ
 فِي الْقُلُوبِ، مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ، حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ، وَمَنْ
 أَخَذَ يَمِينًا وَشِمَالًا، دُمُوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَكَانُوا كَذَلِكَ
 مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ.

أهل الذكر: قلب المجتمع النابض

وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لِأَهْلًا، أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ
 عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوْاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ
 الْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتِمِرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ
 عَنْهُ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ،
 فَكَأَنَّمَا اظْلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ
 عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَانَتْهُمْ يَرُونَ مَا لَا
 يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ.

من مواصفات أهل الذكر

فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ،
 وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَّغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ
 وَكَبِيرَةٍ، أَمَرُوا بِهَا فَقَصَرُوا عَنْهَا، أَوْ نُهِوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا، وَحَمَلُوا ثِقَلَ

أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الْإِسْتِقْلَالِ بِهَا، فَنَشَجُوا نَشِيجًا، وَتَجَاوَبُوا نَحِيبًا، يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامٍ نَدَمَ وَاعْتِرَافٍ، لَرَأَيْتَ أَغْلَامَ هُدًى، وَمَصَابِيحَ دُجَى، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ، فِي مَقْعَدٍ أَطْلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَرَضِي سَعِيَهُمْ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ، يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ، رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ، وَأُسَارَى ذَلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طَوْلُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ، وَطَوْلُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ، لِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٍ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاعِبُونَ، فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ.

وقد خلقكم أطواراً^(١)

ومن كلام له (عليه السلام) قاله عندما ذكروا عنده اختلاف الناس، وَذَلِكَ عَلَى مَا رَوَاهُ ذُعْلَبُ الْيَمَانِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ قُتَيْبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ مَالِكِ بْنِ دِحْيَةَ:

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِي طِينِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فَلَقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا، وَحَزْنِ ثُرْيَةٍ وَسَهْلِهَا، فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ، فَتَأْمُ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ، وَمَادُ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ، وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ، وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيلَةِ، وَتَائِهَةُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللَّبِّ، وَطَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ.

المحاجة بما هو أقطع للعدر^(١)

ومن وصية له عليه السلام لعبد الله بن العباس ، لما بعثه للاحتجاج على الخوارج :

لَا تُخَاصِمُهُمْ بِالْقُرْآنِ ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ حِمَالٌ ذُو وُجُوهِ ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ ، وَلَكِنْ حَاجِبُهُمْ بِالسُّنَّةِ ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصًا .

في خطبة زواج^(٢)

ومن خطبة له عليه السلام خطبها بمحضر النبي صلى الله عليه وآله والمهاجرين والأنصار ، لما خطب من النبي صلى الله عليه وآله ابنته سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام ، وذلك بعد أن جمع النبي صلى الله عليه وآله المسلمين وخطب فيهم ، ثم قال لعلي عليه السلام : قم واخطب لنفسك :

الحمد لله الذي ألهم بفَوَاتِحِ علمه الناطقين ، وأَنَارَ بِثَوَاقِبِ عَظَمَتِهِ قُلُوبَ الْمُتَّقِينَ ، وَأَوْضَحَ بِدَلَائِلِ أَحْكَامِهِ طُرُقَ السَّالِكِينَ ، وَأَبْهَجَ بِأَبْنِ عَمِّي الْمُصْطَفَى الْعَالَمِينَ ، حَتَّى عَلَتْ دَعْوَتُهُ دَوَاعِيَ الْمُلْحِدِينَ ، وَاسْتَظْهَرَتْ كَلِمَتُهُ عَلَى بَوَاطِنِ الْمُبْطِلِينَ ، وَجَعَلَهُ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، وَسَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ ، فَبَلَغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ ، وَصَدَعَ بِأَمْرِهِ ، وَأَنَارَ مِنَ اللَّهِ آيَاتِهِ .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْعِبَادَ بِقُدْرَتِهِ ، وَأَعَزَّهُمْ بِدِينِهِ ، وَأَكْرَمَهُمْ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَرَحَّمَهُمْ وَكَرَّمَهُمْ وَشَرَّفَهُمْ وَعَظَّمَهُمْ .

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٧٧)، والنهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٤٢٧ باب الحاء مع اللام.
(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ١٧ - ٢٢ الخطبة رقم (١)، عن كتاب دلائل الإمامة: ص ١٥ ح ٢٥٠.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / ج ١ ٣٦٥

والحمد لله على نعمائه وأياديه، وأشهد أن لا إله إلا الله، شهادة إخلاص تُرضيه، وأُصلي على نبيّه محمّد (صلى الله عليه وآله) صلاةً تُزلفه وتُحظيه.

زوّجني النبي (صلى الله عليه وآله) فاطمة (عليها السلام)

وبعد، فإنّ النّكاح ممّا أمر الله تعالى به، وأذن فيه، ومجلسنا هذا ممّا قضاه الله تعالى ورَضِيه، وهذا محمّد بن عبد الله رسول الله زوّجني ابنته فاطمة، على صِداق أربعمئة درهم، وقد رضيت بذلك، فاسألوه واشهدوا.

فقال المسلمون: زوّجته يا رسول الله؟

قال: نعم.

قال المسلمون: بارك الله لهما وعليهما، وجمع شملهما.

لا عَدِمْتُ إِشْفَاكَ وَتَحَنُّكَ^(١)

ومن كلام له (عليه السلام) أجاب به عمه العباس بن عبد المطلب، وقد أراد عيادة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ف قيل له: إنّها ثقيلة، فانصرف وأرسل إلى علي (عليه السلام) من يبلغه سلامه، ويظهر له أسفه على شكاة فاطمة (عليها السلام)، ويستأذنه في أن يجمع المهاجرين والأنصار لحضورها والصلاة عليها إذا توفيت:

أبلغ عمّي السلام وقل له: لا عَدِمْتُ إِشْفَاكَ وَتَحَنُّكَ، وقد عَرَفْتُ مَشُورَتَكَ، ولرأيك فضله.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ٦٧ - ٦٩ الخطبة رقم (١٥)، عن أمالي الشيخ الطوسي: ج ٦ ص ٩٦ ح ١٠.

إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ لم تزل مظلومةً، ومن حقها محرومة، وعن ميراثها مدفوعة، لم تحفظ فيها وصية رسول الله، ولا روعي فيها حقّه ولا حق الله عزّ وجل، وكفى بالله حاكماً، ومن الظالمين منتقماً.

اسمح لي يا عمّ بترك ما أشرت به

وإنّي أسالك يا عمّ أن تسمع لي بترك ما أشرت به، فإنّها وصّتني بسّتر أمرها.

فلما أتى العباسَ رسولُه بما قال عليّ عليه السلام، قال: إنّ رأي ابن أخي لا يُطعن فيه، إنّّه لم يولد لعبد المطلب مولود أعظم بركة من عليّ عليه السلام إلاّ النبي ﷺ. إنّ علياً عليه السلام لم يزل أسبقهم إلى كلّ مكرمة، وأعلمهم بكلّ قضية، وأشجعهم في الكريهة، وأشدّهم جهاداً للأعداء في نصره الحنيفة، وأول من آمن بالله ورسوله ﷺ.

ما أراد الله لخلقه^(١)

ومن كلام له عليه السلام قاله في حكمة تشريع القوانين الإلهية، وضمان تطبيقها بعد أن خاض قوم من أصحابه في ذلك:

إنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق خلقه أراد أن يكونوا على آداب رفيعة، وأخلاق شريفة.

فعلم أنّهم لم يكونوا كذلك إلّا بأن يعرفهم ما لهم، وما عليهم.

والتعريف لا يكون إلّا بالأمر والنهي.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٣ ص ١١٣ - ١١٤ الخطبة رقم (٢٨)، عن الاحتجاج للطبرسي: ج ١ ص ٣٠٩.

والأمر والنهي لا يجتمعان إلا بالوعد والوعيد.

والوعد لا يكون إلا بالترغيب .

والوعيد لا يكون إلا بالترهيب.

والترغيب لا يكون إلا بما تشتهي أنفسهم وتلذّ به أعينهم ، والترهيب لا يكون إلا بضدّ ذلك!

ثم خلقهم في دار وأراهم طرفاً من اللذات ، ليستدلّوا به على ما وراءهم من اللذات الخالصة التي لا يشوبها ألم ، ألا وهي الجنة .

وأراهم طرفاً من الآلام ليستدلّوا به على ما وراءهم من الآلام الخالصة التي لا يشوبها لذة ، ألا وهي النار .

فمن أجل ذلك ترون نعيم الدنيا مخلوطاً بمحنها ، وسرورها ممزوجاً بكدرها وهمومها .

تعزية مصاب^(١)

ومن كتاب له (عليه السلام) يعزّي به سلمان على موت زوجته :

بسم الله الرحمن الرحيم

قد بلغني يا أبا عبد الله سلمان ، مصيبتك بأهلك ، وأوجعني بعض ما أوجعك ، ولعمري لمصيبة تقدّم أجرها ، خير من نعمة يُسأل عن شكرها ، ولعلّك لا تقوم بها ، والسلام عليك .

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٤ ص ١٠ الكتاب رقم (٣)، عن كتاب تاريخ دمشق: ج ٢١ ص ١٩٢ ترجمة سلمان.

إلى أهل المدينة^(١)

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل المدينة بعدما افتتحت البصرة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى أهل المدينة.

سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، فإن الله بمنه وفضله وحسن بلائه عندي وعندكم، حَكَمَ عدل، وقد قال سبحانه في كتابه - وقوله الحق -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ^(٢).

وإني مخبركم عنا وعمّن سرنا إليه

وإني مخبركم عنا وعمّن سرنا إليه من جموع أهل البصرة، ومن سار إليهم من قريش وغيرهم مع طلحة والزبير، ونكثهما علي ما قد علمتم من بيعتي وهما طائعان غير مكرهين، فخرجت من عندكم بمن خرجت ممن سارع إلى بيعتي وإلى الحق، حتى نزلت ذا قار، فنفر معي من نفر من أهل الكوفة، وقدم طلحة والزبير البصرة، وصنعا بعاملي عثمان بن حنيف ما صنعا، فقدمت إليهم الرسل، وأعذرت كل الإعذار.

أعذرت بالدعاء فأبوا إلا قتالي

ثم نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدعاء، وقدمت الحجة، وأقلت العثرة والزلة، واستعبتتهما ومن معهما ممن نكث بيعتي ونقض عهدي،

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٤ ص ٦٩ - ٧٠ الكتاب رقم (٣١)، عن كتاب الجمل

للشيخ المفيد: ص ٢١١.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١١.

فأبوا إلّا قتالي وقاتل من معي، والتمادي في الغي، فلم أجد بداً في مناصفتهم بالجهاد، فقتل الله من قتل منهم ناكثاً، وولّى من ولّى منهم، فأغمدت السيوف عنهم، وأخذت بالعفو فيهم، وأجريت الحقّ والسنة في حكمهم، واخترت لهم عاملاً، واستعملته عليهم، وهو عبد الله بن عباس، وإنّي سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى.

وكتب عبيد الله بن أبي رافع في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين من الهجرة.

رسالة وبشارة^(١)

ومن كتاب له عليه السلام إلى أخته أم هاني:

سلام عليك، أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، فإنّا التقينا مع البُغاة والظلمة في البصرة، فأعطانا الله تعالى النصر عليهم بحوله وقوّته، وأعطاهم سنة الظالمين، فقتل كلّ من: طلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عتاب، وجمع لا يُحصى، وقتل منا: بنو مخدوع، وابنا صُوحان، وعلباء، وهند، فيمن يُعدّ من المسلمين رحمهم الله، والسلام.

إلى أهل الكوفة^(٢)

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة يخبرهم عن الفتح ويشكرهم على مؤازرتهم له:

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٤ ص ٧١ الكتاب رقم (٣٢)، عن كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٢١٢.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٤ ص ٧٣ - ٧٥ الكتاب رقم (٣٤)، عن كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٢١٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

من علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة.

سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، فإن الله حكم عدل ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَغَيِّرُ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾^(١).

وإني أخبركم عنا وعمّن سرنا إليه من جموع أهل البصرة، ومن سار إليه من قريش وغيرهم مع طلحة والزبير، بعد نكثهما صفقة أيمانهما.

نهضت من المدينة

فنهضت من المدينة حين انتهى إليّ خبرهم وما صنعوه بعاملي عثمان بن حنيف، حتى قدمت ذا قار، فبعثت إليكم ابني الحسن، وعمّاراً، وقيساً، فاستنفروكم لحقّ الله وحقّ رسوله وحقّنا، فأجابني إخوانكم سراعاً، حتى قدموا عليّ بهم، وبالمسارعة إلى طاعة الله.

نزلت ظهر البصرة

حتى نزلت ظهر البصرة، فأعذرت بالدعاء، وأقمت الحجّة، وأقلت العثرة والزلة من أهل الرّدة من قريش وغيرهم، واستعبتهم عن نكثهم بيعتي وعهد الله لي عليهم، فأبوا إلا قتالي وقاتل من معي، والتمادي في البغي. فناهضتهم بالجهاد، وقُتل من قُتل منهم، وولّى إلى مصرهم من ولّى، فسألوني ما دَعَوْتُهُمْ إليه من كفّ القتال، فقبلت منهم وعمدت السيوف عنهم، وأخذت بالعفو فيهم، وأجريت الحقّ والسنة بينهم، واستعملت عبد الله بن عباس على البصرة، وأنا سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٣٧١

بعثت إليكم ابن قيس

وقد بعثت إليكم زَجر بن قيس الجُعفي لتسألونه، يخبركم عنا وعنهم، وردّهم الحقّ علينا، وردّهم الله وهم كارهون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب عبيد الله بن أبي رافع في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين.

بشارة إلى العمّال والولاة^(١)

ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى عمّاله في الآفاق يخبرهم فيه بفتح البصرة:

وكتب عليه السلام بالفتح إلى عمّاله في الآفاق في كلام طويل وكان فيه:
إنّ الله تعالى قتل طلحة والزبير على بغيهما، وشقاقهما، ونكثهما، وهزم جمعها، وردّ عائشة خاسرةً.

إلى ابن كعب ومن قبله من المسلمين^(٢)

ومن كتاب له عليه السلام كتبه بعد فتح البصرة إلى أهل الكوفة وأرسله مع عمر بن سلمة الأرحبي:

من عبد الله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، إلى قرظة بن كعب، ومن قبله من المسلمين.

سلام عليكم، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٤ ص ٧٥ الكتاب رقم (٣٥)، عن كتاب الفصول المختارة: ج ١ ص ٩٤ ف ٥٨.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٤ ص ٧٦ - ٧٧ الكتاب رقم (٣٦)، عن كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٢١٥.

أما بعد، فإننا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا، المفرّقين لجماعتنا، الباغين علينا من أمّتنا، فحاججناهم إلى الله، فنصرنا الله عليهم، وقُتل طلحة والزبير، وقد تقدّمتُ إليهما بالأنذر، وأشهدت عليهما صلحاء الأُمّة، ومكّنتهما في البيعة، فما أطاعا المرشدين، ولا أجابا الناصحين.

عندما استعرت نار الحرب

ولاذ أهل البغي بعائشة، فقتل حولها جمع لا يُحصى عددهم إلا الله، ثم ضرب الله وجه بقيّتهم فأدبروا، فما كانت ناقة الحَجَر بأشأم منها على ذلك المصر، مع ما جاءت به من الحُوب الكبير في معصيتها لرَبّها ونبيّها من الحرب، واغترار من اغترَب بها، وما صنعته من التفرقة بين المؤمنين، وسفك دماء المسلمين، ولا بيّنة ولا معذرة ولا حجة لها.

لَمَّا هَزَمَهُمُ اللَّهُ

فلَمَّا هَزَمَهُمُ اللَّهُ أَمَرْتُ أَنْ لَا يُقْتَلَ مُدْبِرٌ، وَلَا يُجْهَزَ عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا يُهْتَكَ سِتْرٌ، وَلَا يُدْخَلَ دَارٌ إِلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا، وَقَدْ آمَنْتُ النَّاسَ، وَاسْتَشْهَدْنَا رِجَالَ صَالِحُونَ، ضَاعَفَ اللَّهُ لَهُمُ الْحَسَنَاتِ، وَرَفَعَ دَرَجَاتِهِمْ، وَأَثَابَهُمْ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ، وَجَزَاهُمْ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ، فَنَعَمْ الْإِخْوَانُ وَالْأَعْوَانُ عَلَى الْحَقِّ أَنْتُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

كتب عبيد الله بن أبي رافع في رجب سنة ست وثلاثين.

طبقات الناس وأصنافهم^(١)

ومن كلام له (عليه السلام) في بيان طبقات الناس :

ألا وإنّ الناس سبع طبقات:

فالطبقة الأولى: الفراعنة يدعون الناس إلى عبادتهم، أما إنهم لا يأمرونهم أن يُصلُّوا لهم، ولا يصوموا، ولكنما يأمرونهم بطاعتهم فيطيعونهم، فبطاعتهم لهم في معصية الله جل ثناؤه، قد اتخذوهم أرباباً من دون الله جلّ ثناؤه.

والطبقة الثانية: جابرة أكلهم الرِّبَا، وبيعهم السُّحت.

والطبقة الثالثة: فساق قد تشرّدوا من الدِّين، كما يتشرّد الشّارد من الإبل.

والطبقة الرابعة: أصحاب الرِّياء ليس يعبدون إلّا الدينار والدرهم.

والطبقة الخامسة: قُراء مخادعون يطلبون الدنيا بزيّ الصالحين.

والطبقة السادسة: قُراء إنّما هم أحدهم أن يشبع شُبعة من الطعام، لا يُبالي أحلّالاً أخذها أم حراماً.

والطبقة السابعة: الذين أثنى الله جلّ وعزّ عليهم فقال: ﴿وَعَبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٢).

الطبقة السابعة: ورثة الفردوس

(١) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم، للقاضي القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ هجرية: ص ١٤٦ - ١٤٨ ب ٧ تقسيمه الخلق إلى سبع طبقات.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

ثم قال: والذي فَلَقَ الحَبَّةَ، وبرأ النسمة، إنهم للذين ﴿يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١).

ثم التفت إلى كميل بن زياد، فقال: يا كميل بن زياد، اطلبهم.

قال كميل: وأين اطلبهم يا أمير المؤمنين؟.

قال: في أطراف الأرض، تجدهم قد اتخذوا الأرض فراشاً، والماء
طيباً، والقرآن شعاراً، والدعاء دثاراً، باكين العيون، دنسين الثياب،
يَقْرِضُونَ العيش قرضاً، إن غابوا لم يُفْتَقَدُوا، وإن شهدوا لم يُعْرِفُوا، وإن
خطبوا لم يُزَوَّجُوا، وإن قالوا لم يُنصت لقولهم، يدفع الله عز وجل بهم
العاهات والآفات والبلايا عن الناس، وبهم يَسْقِي الله عز وجل العباد
الغيث من السماء، ويُنْزِلُ القطر من السحاب، أولئك عباد الله حقاً حقاً.

حق المسلم على المسلم^(٢)

حق المسلم على المسلم سبع خصال:

يُسَلِّمُ عليه إذا لَقِيَهُ.

وَيُجِيبُهُ إذا دَعَاهُ.

وَيَعُودُهُ إذا مَرَضَ.

وَيَتَّبِعُ جَنَازَتَهُ إذا مَاتَ.

وَيُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ.

وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُ لَهَا.

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١.

(٢) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم: ص ١٥١ ب ٧ قوله في حق المسلم على المسلم.

والمواساة في ماله.

أصناف المجتمع^(١)

الناس ثلاثة أصناف: زاهد معتزم، وصابر على مجاهدة هواه، وراغب منقاد لشهواته.

فالزاهد: لا يعظم ما آتاه الله فرحاً به، ولا يُكثر على ما فاته أسفاً.
والصابر: نازعته إلى الدنيا نفسه فَقَدَعَهَا، وَتَطَلَّعت إلى لذاتها فمَنَعَهَا.

والراغب: دعته إلى الدنيا نفسه فأجابها، وأمرته بإيثارها فأطاعها، فدَنَسَ بها عِرْضه، ووضع لها شرفه، وضيّع لها آخرته.

المكارة الدنيوية وما ينبغي للعاقل فيها^(٢)

إنّ للمكروه غاياتٍ لا بدّ أن يَنْتَهي إليها، فينبغي للعاقل أن ينام لها، إلى حين انقضائها، فإنّ إعمال الحيلة فيها قبل تَصَرُّمها زيادة في مكروهاها.

من حقوق المؤمن^(٣)

دارئ عن المؤمن ما استطعت، فإنّ ظهره جِمي الله عزّ وجل، ونفسه كريمة على الله تعالى، وله يكون ثواب الله سبحانه.
فظالمه خصم الله فلا يكن خصمك.

(١) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم: ص ١٥١ - ١٥٢ ب ٧ تقسيمه الناس إلى ثلاثة أصناف.

(٢) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم: ص ١٥٥ ب ٧.

(٣) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم: ص ١٥٥ - ١٥٦ ب ٧.

هو المصوّر لكل مولود^(١)

الخطبة الخالية من النقط

ومن خطبة له عليه السلام خالية من النقط، خطب بها في خطبة نكاح له :

الحمد لله الملك المحمود، المالك الودود، مصوّر كلّ مولود،
ومآل كل مطرود، ساطح المهّاد، ومُوَطّد الأطواد، ومرسل الأمطار،
ومسهّل الأوطار، عالم الأسرار ومدركها، ومدمّر الأملاك ومهلكها،
ومكّور الدهور ومكرّرها، وموَرّد الأمور ومُصدّرها.

عمّ سماحه، وكُمّل ركامه وهمل، وطاوَع السّؤال والأمل، وأوسع
الرمل وأرمل.

أحمدّه حمداً ممدوداً، وأوحدّه كما وحد الأوّاه، وهو الله لا إله
سواه، ولا صادع لما عدّله وسوّاه.

رحم الله محمّداً وآله الكرام

أرسل محمّداً علماً للإسلام، وإماماً للحكّام، مُسدّداً للرّعا،
ومعظّل أحكام وُدّ وسُواع.

أعلّم وعَلّم، وحكّم وأحكّم، وأصلّ الأصول ومهّد، وأكّد الموعود
وأوعد.

أوصل الله له الإكرام، وأودّع رُوحه السلام، ورجم آله وأهله
الكرام، ما لمع رائل، وملع دالّ، وطلع هلال، وسُمع إهلال.

(١) القطرة من بحار مناقب النبي والعترة: ج ٢ ص ١٧٩، وفضائل آل الرسول: ص ٦.

اعملوا أصلح الأعمال

اعملوا رعاكم الله أصلح الأعمال، واسلُّكوا مسالك الحلال،
واطرِّحوا الحرام ودعوه، واسمعوا أمر الله وعوه، وصلُّوا الأرحام
وراعوها، وعاصوا الأهواء وادَّعوها، وصاهروا أهل الصلاح والورع،
وصارموا رهط اللّهُو والطمع.

مُصَاهِرُكُمْ أَطْهَرُ الْأَحْرَارِ

ومصاهركم أطهر الأحرار مَولِداً، وأسراهم سُودداً، وأحلاهم
مَورِداً، وها هو أمَّكم، وحَلَّ حَرَمكم، مملَكاً عَروسكم المكرَّمة، وماهراً
لها كما مهر رسول الله أمَّ سلمه، وهو أكرم صَهرٍ أودَعَ الأولاد، ومَلَك
ما أراد، وماسها مملكه ولا وَهَم، ولا وَكَس ملاحمه ولا وَصَم.

أسأل الله لكم أحقادٍ وصاله، ودوام إسعاده، وألهم كلاً إصلاح
حاله، والإعداد لمآله ومعاده، وله الحمد السَّرمَد، والمدح لرسوله
أحمد عليه السلام.

أدعية

هو أهل الوصف الجميل^(١)

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ، وَالتَّعْدَادِ الْكَثِيرِ، إِنْ تُؤَمِّلَ فَخَيْرُ مَأْمُولٍ، وَإِنْ تُرْجَ فَخَيْرُ مَرْجُوٍّ، اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا أُمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلَا أَثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلَا أَوْجَّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَبِيَةِ، وَمَوَاضِعِ الرِّبَةِ، وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْآدَمِيِّينَ، وَالثَّنَاءِ عَلَى الْمُرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ.

اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ مِنْ جَزَاءٍ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلًا عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ، وَكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ.

اللَّهُمَّ وَهَذَا مَقَامٌ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ، الَّذِي هُوَ لَكَ، وَلَمْ يَرِ مُسْتَحَقًّا لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَمَادِحِ غَيْرَكَ، وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ، لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ، وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتْهَا إِلَّا مَنُّكَ وَجُودُكَ، فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

سبحانك ما أعظم شأنك^(١)

سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنُكَ، سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ،
وَمَا أَصْغَرَ كُلَّ عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ، وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ،
وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ، وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا،
وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَةِ؟.

دعاء للرسول ﷺ^(٢)

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَه ﷺ مَقْسَمًا مِنْ عَذْلِكَ، وَاجْزِهِ مُضَعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ
فَضْلِكَ.

اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمِ لَدَيْكَ نُزْلَهُ، وَشَرِّفْ عِنْدَكَ
مَنْزِلَهُ، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ، وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، غَيْرَ
خَزَايَا وَلَا نَادِمِينَ، وَلَا نَاكِبِينَ وَلَا نَاكِثِينَ، وَلَا ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ، وَلَا
مَفْتُونِينَ.

أنت صاحب في السفر^(٣)

ومن دعاء له ﷺ عند عزمه على المسير إلى الشام:
اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَسُوءِ الْمُنْظَرِ
فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ.

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم ١٠٩.

(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم ١٠٦.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٤٦)، ورياض الصالحين للنوري: ص ٤٣٨ ب ٥ ح ٩٧٢،
ومستدرک الوسائل: ج ٨ ص ١٣٥ - ١٣٦ ب ١٧ ح ٩٢٣٨، وكتاب وقعة صفين:
ص ١٢٢ دعاء علي.

اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، وَلَا
يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ، لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَضْحَبًا، وَالْمُسْتَضْحَبُ لَا
يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا.

اجمع بيننا وبين رسولك^(١)

ومن خطبة له ﷺ عَلمَ فيها الناس الصلاة على النبي ﷺ :
اللَّهُمَّ دَاجِيَ الْمَذْحُوتِ، وَدَاعِمِ الْمَسْمُوكَاتِ، وَجَابِلِ الْقُلُوبِ عَلَى
فِطْرَتِهَا، شَقِيَّهَا وَسَعِيدِهَا.

اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ، عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ عَبْدِكَ
وَرَسُولِكَ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ،
وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ، وَالْدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَصَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ
فَاضْطَلَعَ، قَائِمًا بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِرًا فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدْمٍ، وَلَا
وَإِهِ فِي عَزْمٍ، وَاعِيًا لَوْحِيكَ، حَافِظًا لِعَهْدِكَ، مَاضِيًا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ، حَتَّى
أُورَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وَأَصْأَاءَ الطَّرِيقِ لِلْحَابِطِ، وَهُدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبَ بَعْدَ
خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالْآثَامِ، وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ، وَنِيرَاتِ الْأَحْكَامِ.
فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ،
وَبَعِثْكَ بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ.

اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحًا فِي ظِلِّكَ، وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ
فَضْلِكَ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٧٢)، وبحار الأنوار: ج ٩١ ص ٨٣ - ٨٤ ب ٣٠ ح ٣، والغارات:
ج ١ ص ٩٤ - ٩٦ خطبة لأمير المؤمنين علي.

اللَّهُمَّ وَأَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمِ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وَأَتِمِّمْ لَهُ نُورَهُ، وَاجْزِهِ مِنْ ابْتِغَائِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ، مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وَخُطْبَةٍ فَضْلٍ.

اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ، وَفَرَارِ النِّعَمَةِ، وَمُنَى الشَّهَوَاتِ، وَأَهْوَاءِ اللَّذَاتِ، وَرَخَاءِ الدَّعَةِ، وَمُنْتَهَى الطَّمَأْنِينَةِ، وَتَحْفِ الْكِرَامَةِ.

فان عدتُ فعد عليّ^(١)

ومن كلمات كان يدعو بها :

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي، وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاطِ، وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاطِ، وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ، وَهَفَوَاتِ اللِّسَانِ.

ارحم أنين الآنة^(٢)

ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء :

اللَّهُمَّ قَدْ انْصَاحَتْ جِبَالُنَا، وَاعْبَرَتْ أَرْضُنَا، وَهَامَتْ دَوَابُّنَا،

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٧٨)، والمناقب للخوارزمي: ص ٣٧٦ ف ٢٤.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١١٥)، ومستدرک الوسائل: ج ٦ ص ١٩٩ - ٢٠١ ب ١١

ح ٦٧٥١، وبحار الأنوار: ج ٨٨ ص ٣١٨ - ٣١٩ ب ١ ح ٧.

وَتَحَيَّرْتُ فِي مَرَابِضِهَا، وَعَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى عَلَى أَوْلَادِهَا، وَمَلَّتِ
التَّرَدُّدُ فِي مَرَاتِعِهَا، وَالْحَيْنَ إِلَى مَوَارِدِهَا.

اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَيْنَ الْآتَةِ، وَحَيْنَ الْحَائَةِ.

اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا، وَأَيْنَهَا فِي مَوَالِجِهَا.

اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ اعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ السِّنِينَ، وَأَخْلَفْتَنَا
مَخَايِلُ الْجُودِ، فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَسِسِ، وَالْبَلَغَ لِلْمُلْتَمِسِ.

نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الْأَنَامُ، وَمُنِعَ الْغَمَامُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ، أَنْ لَا
تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، وَلَا تَأْخِذَنَا بِذُنُوبِنَا، وَأَنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ
الْمُنْبَعِقِ، وَالرَّبِيعِ الْمُعْدِقِ، وَالنَّبَاتِ الْمُونِقِ، سَحًّا وَابِلًا تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ
مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ.

اللَّهُمَّ سُقِيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً

اللَّهُمَّ سُقِيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً، تَامَةً عَامَةً، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، هَيِّئْهُ مَرِيعةً،
زَاكِيًا نَبُتًا، ثَامِرًا فَرْعُهَا، نَاضِرًا وَرَقُهَا، تُنْعَشُ بِهَا الضَّعِيفُ مِنْ عِبَادِكَ،
وَتُحْيِي بِهَا الْمَيِّتَ مِنْ بِلَادِكَ.

اللَّهُمَّ سُقِيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا، وَتَجْرِي بِهَا وَهَادُنَا، وَيُخْصِبُ
بِهَا جَنَابُنَا، وَتَقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا، وَتَنْدِي بِهَا أَقَاصِينَا،
وَتُسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا، مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ، وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ، عَلَى
بَرِيَّتِكَ الْمُرْمَلَةِ، وَوَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ.

وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً، مِدْرَارًا هَاطِلَةً، يُدَافِعُ الْوَدُوقُ مِنْهَا الْوَدُوقَ،

وَيَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ، غَيْرَ خُلْبٍ بَرَقُهَا، وَلَا جَهَامٍ عَارِضُهَا، وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا، وَلَا شَقَانٍ ذَهَابُهَا، حَتَّى يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا الْمُجْدِبُونَ، وَيَحْيَا بِبَرَكَتِهَا الْمُسْتَنُونَ، فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ، وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ^(١).

سَدَّدْنَا لِلْحَقِّ^(٢)

ومن خطبة له عليه السلام لما عزم على لقاء القوم بصفين :
 اللَّهُمَّ رَبَّ السَّفْفِ الْمَرْفُوعِ، وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ، الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً
 لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَجْرَى لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَمُخْتَلِفاً لِلْجُومِ السَّيَّارَةِ،
 وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلَائِكَتِكَ، لَا يَسْأُمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ.
 وَرَبَّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْأَنَامِ، وَمَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ
 وَالْأَنْعَامِ، وَمَا لَا يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَمَا لَا يُرَى.
 وَرَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي، الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَاداً، وَلِلْخَلْقِ
 اعْتِمَاداً.

(١) قال السيد الشريف: قوله: انْصَاحَتْ جِبَالُنَا، أي: تشققت من المحول، يقال: انصاح الثوب، إذا انشق، ويقال أيضاً: انصاح النبات وصاح وصوح، إذا جف وبيس.
 وقوله: وَهَامَتْ دَوَابُّنَا، أي: عطشت، والهيام: العطش.
 وقوله: حَدَابِيرُ السَّيْنِ جَمْعُ جَدْبَارٍ، وهي: الناقة التي أنصاها السير، فشبه بها السنة التي فشا فيها الجذب، قال ذو الرمة:

على الخسف أو نرمي بها بلداً قفرا حَدَابِيرُ مَا تَنْفَكُ إِلَّا مُنَاخَةً

وقوله: وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا، القزع: القطع الصغار المتفرقة من السحاب.
 وقوله: وَلَا شَقَانٍ ذَهَابُهَا، فإن تقديره: ولا ذات شَقَانٍ ذهابها، والشَقَان: الريح الباردة، والذهاب: الأمطار اللينة، فحذف ذات لعلم السامع به.
 (٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٧١)، وكتاب وقعة صفين: ص ٢٣٢ من دعاء علي، وتاريخ الطبري: ج ٤ ص ١٠ حوادث سنة ٣٧ هـ.

إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَبَّيْنَا الْبَغْيَ، وَسَدَدْنَا لِلْحَقِّ، وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ، وَاعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ.

الحث على النزال

أَيُّنَ الْمَانِعِ لِلذَّمَارِ، وَالْعَائِرِ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاطِ؟
الْعَارُ وَرَاءَكُمْ، وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ.

اللهم يا أكبر الشاهدين^(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَاتِنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ،
وَالْمُضْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا
النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ، وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْهَدُكَ عَلَيْهِ يَا
أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، وَنَسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ
وَسَمَاوَاتِكَ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِي عَنْ نُصْرِهِ، وَالْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ.

أعوذ بك أن أضلّ في هداك^(٢)

ومن دعاء له عليه السلام كان يدعو به كثيراً :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُضَيِّحْ بِي مَيْتًا وَلَا سَقِيمًا، وَلَا مَضْرُوبًا عَلَى
عُرُوقِي بِسُوءٍ، وَلَا مَأْخُودًا بِأَسْوَأَ عَمَلِي، وَلَا مَقْطُوعًا ذَابِرِي، وَلَا مُرْتَدًّا

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١٢).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١٥)، وبحار الأنوار: ج ٩١ ص ٢٢٦ ب ٣٩ ضمن ح ١،
والبحار: ج ٩١ ص ٢٣٠ ب ٤٠ ح ٤.

عَنْ دِينِي، وَلَا مُنْكَرًا لِرَبِّي، وَلَا مُسْتَوْحِشًا مِنْ إِيْمَانِي، وَلَا مُلْتَبِسًا عَقْلِي،
وَلَا مُعَذَّبًا بِعَذَابِ الْأَمَمِ مِنْ قَبْلِي.

أَصْبَحْتُ عَبْدًا مَمْلُوكًا ظَالِمًا لِنَفْسِي، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي،
وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخَذَ إِلَّا مَا أُعْطِيتَنِي، وَلَا أَتَّقِي إِلَّا مَا وَفَّيْتَنِي.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقَرَ فِي غِنَاكَ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ، أَوْ أَضَامَ
فِي سُلْطَانِكَ، أَوْ أَضْطَهَّدَ وَالْأَمْرُ لَكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيْمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي، وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ
تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعْمِكَ عِنْدِي.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ أَنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِكَ، أَوْ
تَتَابَعَنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ.

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ^(١)

ومن دعاء له (عليه السلام) :

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالْإِفْتَارِ، فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي
رِزْقِكَ، وَأَسْتَغْفِطَ شِرَارَ خَلْقِكَ، وَأُبْتَغِي بِحَمْدِكَ مِنْ أَعْطَانِي، وَأُفْتَتِنَ بِذَمِّ
مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ﴾^(٢).

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٢٥)، والدعوات: ص ١٢٣ فصل في فنون شتى من حالات
العافية والشكر عليها ح ٣٣٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٦، سورة التحريم، الآية: ٨.

احملني على عفوك^(١)

ومن دعائه عليه السلام :

اللَّهُمَّ إِنَّكَ آتَسُ الْآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ، وَأَخْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمَتَوَكِّلِينَ
عَلَيْكَ، تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ، وَتَطْلُعُ عَلَيْهِمْ فِي صَمَائِرِهِمْ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ
بَصَائِرِهِمْ.

فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ، إِنْ أَوْحَشَتْهُمْ الْغُرْبَةُ
آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ، وَإِنْ صَبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجُّوا إِلَى الْإِسْتِجَارَةِ بِكَ،
عِلْمًا بِأَنَّ أَرَمَةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ.

اللَّهُمَّ إِنْ فَهِمْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي، أَوْ عَمِيتُ عَنْ طَلْبَتِي، فَذَلَّنِي عَلَى
مَصَالِحِي، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَأَشِدِي، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ، وَلَا
يَبْدَعُ مِنْ كِفَايَاتِكَ.

اللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَذْلِكَ.

نشكو إليك كثرة عدونا^(٢)

وكان عليه السلام يقول إذا لقي العدو محارباً :

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ، وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ، وَشَخَصَتِ الْأَبْصَارُ،
وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ، وَأَنْضِيتِ الْأَبْدَانُ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٢٧)، ومصباح المتعبد: ص ٣٥٥ - ٣٥٦ صلاة أخرى
للحاجة يوم الجمعة، والمصباح: ص ٣٧٨ - ٣٧٩ صلاة في طلب الولد.

(٢) نهج البلاغة، قسم الرسائل: رقم (٢٢٧)، ومستدرک الوسائل: ج ١١ ص ١٠٨ ب ٤٦
ح ١٢٥٥١، وبحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٤١ ب ٣ ح ٤٩٦.

اللَّهُمَّ قَدْ صَرَحَ مَكُونُ الشَّانِ، وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْعَانِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِينَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَتَشَتَّتْ أَهْوَانُنَا، ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾^(١).

يا واحد يا أحد^(٢)

ومن كلام له (عليه السلام) في يوم الهرير، وهو يدعو الله تعالى ويتضرع إليه :

يا الله يا رحمن يا رحيم، يا واحد يا أحد يا صمد، يا الله، يا إله محمد.

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ نَقَلْتُ الْأَقْدَامَ، وَأَفْضَتِ الْقُلُوبَ، وَرُفِعَتِ الْأَيْدِي، وَامْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ، وَشَخَصَتِ الْأَبْصَارُ، وَطُلِبَتِ الْحَوَائِجُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِينَا (عليه السلام)، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَتَشَتَّتْ أَهْوَانُنَا، ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾^(٣).

يا ولي المؤمنين^(٤)

ومن دعاء له (عليه السلام) حين توجه إلى اليمن :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوجِّهُ إِلَيْكَ بِلا ثِقَةٍ مِنِّي بِغَيْرِكَ، وَلا رَجَاءَ يَا أَوْيَ بِي إِلَّا إِلَيْكَ، وَلا قُوَّةَ أَتَكَلِّ عَلَيْهَا، وَلا حِيلَةَ أُلْجَأُ إِلَيْهَا، إِلَّا طَلَبَ فَضْلِكَ،

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ٢٤٢ - ٢٤٣، عن كتاب صفين: ص ٤٧٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.

(٤) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ١٩ - ٢٠ الدعاء رقم (٢)، عن الصحيفة العلوية الأولى: ص ١٨٤.

والتعرض لرحمتك، والسكون إلى أحسن عادتك، وأنت أعلم بما سبق لي في وجهي هذا مما أحب وأكره، وإنما أوقعت عليّ فيه قدرتك، فمحمود فيه بلاؤك، منتصح فيه قضاؤك، فأنت تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أمّ الكتاب.

اللهم فاصرف عني مقادير كلّ بلاء، ومقاصد كلّ لأواء، وابسط عليّ كَفْفاً من رحمتك، وسعة من فضلك، ولطفاً من عفوك، حتى لا أحبّ تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت.

وذلك مع ما أسألك أن تحفظني في أهلي ووُلدي، وضُرُوف حُزّاني، بأفضل ما خلّفت به غائباً من المؤمنين، في تحصين كلّ غُورة، وسِتْر كلّ سيئة، وحَظّ كلّ معصية، وكفاية كلّ مكروه، وارزقني شكركَ وذكرك على ذلك، وحُسن عبادتك، والرضا بقضائك يا وليّ المؤمنين.

اجعلنا في حماك

واجعلني ووُلدي وما خَوَلّتني ورزقتني من المؤمنين والمؤمنات في حماك الذي لا يستباح، وذمّتك التي لا تُخفر، وجوارك الذي لا يُرام، وأمانك الذي لا يُنقض، وسِتْرِكَ الذي لا يُهتَك، فإنه من كان في حماك وذمّتك وجوارك وأمانك وسِتْرِكَ كان آمناً محفوظاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم آتِ مُحَمَّدًا ﷺ الوسيلة^(١)

ومن دعاء له ﷺ في الصلاة على النبي ﷺ :

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٢١ - ٢٤ الدعاء رقم (٣)، عن كتاب تهذيب الأحكام: ج ٣ ص ٨٢ طبع النجف الأشرف.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أطيب المرسلين، محمد بن عبد الله المنتجب، الفاتق الراقق.

اللهم فخصّ محمدًا ﷺ بالذكر المحمود، والحوض المورود.

اللهم آت محمدًا صلواتك عليه وآله الوسيلة، والرّفعة والفضيلة، واجعل في المصطفّين محبته، وفي العلّيين درجته، وفي المقرّبين كرامته.

اللهم أعط محمدًا صلواتك عليه وآله من كلّ كرامة أفضل تلك الكرامة، ومن كلّ نعيم أوسع ذلك النعيم، ومن كلّ عطاء أجزل ذلك العطاء، ومن كلّ يُسر أنضر ذلك اليُسْر، ومن كلّ قسم أوفر ذلك القسم، حتى لا يكون أحد من خلقك أقرب منه مجلساً، ولا أرفع منه عندك ذكراً ومنزلة، ولا أعظم عليك حقاً، ولا أقرب وسيلة من محمد صلواتك عليه وآله، إمام الخير وقائده، والداعي إليه، والبركة على جميع العباد والبلاد، ورحمة للعالمين.

اجمع بيننا وبين محمد ﷺ

اللهم اجمع بيننا وبين محمد صلواتك عليه وآله في برد العيش، وتروّج الرّوح، وقرار النعمة، وشهوة الأنفس، ومُنَى الشهوات، ونعم اللذات، ورجاء الفضيلة، وشهود الطمأنينة، وسُودد الكرامة، وقُرة العين، ونَصرة النعيم، وبَهجة لا تُشبه بَهجات الدنيا.

نشهد أنه قد بلغ الرسالة، وأدى النصيحة، واجتهد للأمة، وأُوذي في جنبك، وجاهد في سبيلك، وعبدك حتى أتاه اليقين، فصلّى الله عليه وآله الطيّبين.

اللَّهُمَّ رَبَّ الْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَالرَّكْنَ وَالْمَقَامَ، وَرَبَّ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ،
وَرَبَّ الْحِلِّ وَالْحَرَامِ، بَلِّغْ رُوحَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنَّا السَّلَامَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وَعَلَى أَنْبِيَائِكَ وَرَسَلِكَ أَجْمَعِينَ،
وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى الْحَفَظَةِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ، وَعَلَى أَهْلِ طَاعَتِكَ مِنْ أَهْلِ
السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَأَهْلِ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَجْمَعِينَ.

اجعله هلال بركة^(١)

ومن دعاء له ﷺ إذا نظر إلى الهلال :

أَيُّهَا الْخَلْقُ الْمَطِيعُ لِلَّهِ، الدَّائِرُ^(٢) السَّرِيعُ، الْمَتَرَدِّدُ فِي مَنَازِلِ التَّقْدِيرِ،
الْمُتَصَرِّفُ فِي فَلَكَ التَّدْبِيرِ.

أَمَنْتُ بِمَنْ نَوَّرَ بِكَ الظُّلَمَ، وَأَوْضَحَ بِكَ الْبُهْمَ، وَجَعَلَكَ آيَةً مِنْ آيَاتِ
مُلْكِهِ، وَعَلَامَةً مِنْ عِلَامَاتِ سُلْطَانِهِ.

فَامْتَهِنِكَ بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ، وَالطُّلُوعِ وَالْأَفُولِ، وَالْإِنَارَةِ وَالْكَسُوفِ،
فِي كُلِّ ذَلِكَ أَنْتَ لَهُ مَطِيعٌ، وَإِلَى إِرَادَتِهِ سَرِيعٌ.

سَبِّحَانَهُ فَمَا أَعْجَبَ مَا دَبَّرَ فِي أَمْرِكَ، وَأَلْطَفَ مَا صَنَعَ فِي شَأْنِكَ،
جَعَلَكَ مِفْتَاحَ شَهْرٍ لِأَمْرِ حَادِثٍ.

جَعَلَكَ اللَّهُ هِلَالَ بَرَكَةٍ لَا تَمَحُقُهُ الْأَيَّامُ، وَطَهَارَةٍ لَا تُدْنَسُهُ الْأَعْوَامُ.

هَلَالٌ أَمِنَةٌ مِنَ الْآفَاتِ، وَسَلَامَةٌ مِنَ السَّيِّئَاتِ.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٢٥ - ٢٧ الدعاء رقم (٤)، عن کتاب دستور
معالم الحكم للقساعي: ص ١٣٠، ورواه معنعناً الشيخ الطوسي في الأمالي: ص ٣١٦.

(٢) الدائب، خ ل.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٣٩١

هلال سَعد لا نَحس فيه، ويُمن لا نكد فيه، ويُسر لا يُمازجه عُسر،
وخير لا يشوبه شرّ.

هلال أمن وإيمان، ونعمة وإحسان، وسلامة وإسلام.

أوزعنا شكر النعمة

اللّهم اجعلنا من أرضى مَنْ طلع عليه، وأزكى مَنْ نظر إليه، وأسعد
مَنْ تعبّد لك فيه.

اللّهم وفقنا للتوبة، واعصمنا من الحوبة، وأوزعنا شكر النعمة،
وألبسنا خير العافية، وأتمم علينا باستكمال طاعتك فيه المنة لك، إنك
المنان الحميد.

سبحان من لا تدرك العقول وصفه^(١)

ومن دعاء له عليه السلام في تسبيح الله وتمجيده:

سبحان من إذا تناهت العقول في وصفه كانت حائرة عن درك السبيل
إليه، وتبارك من إذا غرقت الفِطْن في تكييفه لم يكن لها طريق إليه غير
الدلالة عليه.

أنت خير الفاتحين^(٢)

ومن دعاء له عليه السلام كان يقرؤه في القنوت:

اللّهم إليك شُخصت الأبصار، ونُقلت الأقدام، ورُفعت الأيدي،
ومُدّت الأعناق، وأنت دُعيت بالألسن، وإليك سرّهم ونجواهم في

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٢٨ الدعاء رقم (٦)، عن كنز الفوائد: ص ٢٣٩.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٤٠ الدعاء رقم (٨).

الأعمال، ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾^(١).
اللَّهُمَّ إنا نشكو إليك غيبة نبينا، وقلة عددنا، وكثرة عدونا، وتظاهر
الأعداء علينا، ووقوع الفتن بنا، ففرج ذلك اللَّهُمَّ بعدل تظهره، وإمام
حق تُعرفه، آمين رب العالمين.

يا جزيل العطايا^(٢)

ومن دعاء له ﷺ كان يدعو به بعد الركعة الثامنة من نافلة الليل:
اللَّهُمَّ إني أسألك بحرمة من عاذ بك منك، ولجأ إلى عزتك،
واستظل بفيئتك، واعتصم بحبلك، ولم يثق إلا بك.
يا جزيل العطايا، يا مطلق الأسارى، يا من سمى نفسه من جوده
وهاباً، أدعوك رهباً ورغباً، وخوفاً وطمعاً، وإلحاحاً وإلحافاً، وتضرعاً
وتملقاً، وقائماً وقاعداً، وراكعاً وساجداً، وراكباً وماشياً، وذاهباً
وجائياً، وفي كلّ حالاتي.
وأسألك أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تفعل بي كذا وكذا.

مَنْ عَلِيٍّ بِالتَّوَكَّلِ عَلَيْكَ^(٣)

ومن دعاء له ﷺ في التسليم لأمر الله تعالى:
اللَّهُمَّ مَنْ عَلِيٍّ بِالتَّوَكَّلِ عَلَيْكَ، والتفويض إليك، والرضا بقُدرتك،
والتسليم لأمرك، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت،
يا رب العالمين.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٤١ - ٤٢ الدعاء رقم (٩)، عن البلد الأمين.

(٣) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٦٩ - ٧٠ الدعاء رقم (١٢)، عن الكافي: ج ٦

أَتَوَجَّهْ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأَهْلِ بَيْتِهِ (١)

ومن دعاء له (عليه السلام) مقدّمة لطلب الحوائج:

اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ، الْأَجَلَ الْأَكْرَمِ، الْمَخْزُونِ الْمَكْنُونِ، النُّورِ الْحَقِّ، الْبَرْهَانَ الْمُبِينِ، الَّذِي هُوَ نُورٌ مَعَ نُورٍ، وَنُورٌ مِنْ نُورٍ، وَنُورٌ فِي نُورٍ، وَنُورٌ عَلَى نُورٍ، وَنُورٌ فَوْقَ كُلِّ نُورٍ، وَنُورٌ يُضِيءُ بِهِ كُلُّ ظُلْمَةٍ، وَيُكَسِّرُ بِهِ كُلُّ شِدَّةٍ، وَكُلُّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ، وَكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ.

وَلَا تَقَرُّ بِهِ أَرْضٌ، وَلَا تَقُومُ بِهِ سَمَاءٌ.

وَيَأْمَنُ كُلَّ خَائِفٍ، وَيَبْطُلُ بِهِ سِحْرُ كُلِّ سَاحِرٍ، وَبُغْيُ كُلِّ بَاغٍ، وَحَسَدُ كُلِّ حَاسِدٍ، وَيَتَصَدَّعُ لِعَظَمَتِهِ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَيَسْتَقِلُّ بِهِ الْفَلَكَ حِينَ يَتَكَلَّمُ بِهِ الْمَلِكُ، فَلَا يَكُونُ لِلْمَوْجِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ.

وَهُوَ اسْمُكَ الْأَعْظَمُ الْأَعْظَمِ، الْأَجَلَ الْأَجَلَ، النُّورِ الْأَكْبَرِ، الَّذِي سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، وَاسْتَوَيْتَ بِهِ عَلَى عَرْشِكَ.

وَأَتَوَجَّهْ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَأَسْأَلُكَ بِكَ وَبِهِمْ أَنْ تَصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَفْعَلَ بِي كَذَا وَكَذَا.

أَسْأَلُكَ سَلَوًا عَنِ الدُّنْيَا (٢)

ومن دعاء له (عليه السلام) :

اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ سَلَوًا عَنِ الدُّنْيَا، وَمَقْتًا لَهَا، فَإِنْ خَيْرُهَا زَهِيدٌ،

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٧٢ - ٧٣ الدعاء رقم (١٥)، عن كتاب الدعاء من الكافي: ج ٢ ص ٥٨٢.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٧٤ الدعاء رقم (١٦)، عن إرشاد القلوب: ص ٣٦.

وشرَّها عتيد، وصَفَوْها يَتَكَدَّر، وجديدها يخلُق، وما فات فيها لم يَرَجِع،
وما نيل فيها فتنة، إلَّا من أصابته منك عصمة، وشملته منك رحمة.
فلا تجعلني ممن رضي بها، واطمأن إليها، ووثق بها، فإن من
اطمأن إليها خائته، ومن وثق بها غرَّته.

من صَلَّيت عليه فصلواتنا عليه^(١)

ومن دعاء له ﷺ يستعِذ به من معاداة أولياء الله:
اللَّهِمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَعَادِيَ لَكَ وَلِيًّا، أَوْ أُوَالِيَ لَكَ عَدُوًّا، أَوْ
أَرْضَى لَكَ سَخَطًا أَبَدًا.

اللَّهِمَّ مِنْ صَلَّيْتَ عَلَيْهِ فَصَلِّواتنا عليه، وَمِنْ لَعَنْتَهُ فَلَعَنَّتْنا عليه.
اللَّهِمَّ مَنْ كَانَ فِي مَوْتِهِ فَرج لنا ولجميع المسلمين فأرحنا منه، وأبدِلْ
لنا مَنْ هُوَ خَيْرُ لنا، حَتَّى تُرِينَا مِنْ عِلْمِ الإِجابة ما نَتَعَرَّفُهُ فِي أَدِياننا
ومعايشنا، يا أرحم الراحمين.

يا ذا المنن السابغة^(٢)

ومن دعاء له ﷺ في أيام رجب:
اللَّهِمَّ يا ذا المنن السابغة، والآلاء الوازعة، والرحمة الواسعة،
والقدرة الجامعة، والنعم الجسيمة، والمواهب العظيمة، والأَيادي
الجميلة، والعطايا الجزيلة.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٧٥ - ٧٦ الدعاء رقم (١٨)، عن أمالي الشيخ
المفيد في الحديث الأخير من المجلس ٢٠، ورواه عنه كتاب (المجتنى): ص ٩ مخطوط.
(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ١٠٣ - ١٠٥ الدعاء رقم (٢١)، عن الصحيفة
العلوية الثانية: ص ٢٢٨.

يا من لا يُنعت بتمثيل، ولا يُمثل بنظير، ولا يُغلب بظهير.

يا من خَلَقَ فرزق، وألهم فأنطق، وابتدع فشرع، وعلا فارتفع، وقدَّر فأحسن، وصوَّر فأتقن، واحتجَّ فأبلغ، وأنعم فأسبغ، وأعطى فأجزل، ومنح فأفضل.

يا من سما في العزِّ ففات خواطر الأبصار، ودنا في اللطف فجاز هواجس الأفكار.

يا من تَوَخَّذَ بالملك فلا ندَّ له في ملكوت سلطانه، وتفرَّد بالكبرياء والآلاء فلا ضدَّ له في جبروت شأنه.

يا من حارت في كبرياء هيئته دقائق لطائف الأوهام، وانحسرت دون إدراك عظمتها خطائف أبصار الأنام.

يا من عَنَت الوجوه لهيئته، وخضعت الرقاب لعظمته، ووجلَّت القلوب من خيفته.

أحيني ما أحييتني موفوراً

أسألك بهذه المدحة التي لا تنبغي إلا لك، وبما وأيت به على نفسك لداعيك من المؤمنين، وبما ضمنت فيه على نفسك للداعين.

يا أسمع السامعين، يا أبصر المبصرين، يا أنظر الناظرين، يا أسرع الحاسبين، يا أحكم الحاكمين، يا أرحم الراحمين.

صلِّ على محمّد وآل محمّد خاتم النبيّين، وعلى أهل بيته الطاهرين الأخيار.

وأن تقسيم لي في شهرنا هذا خير ما قسمت، وأن تختم لي في قضائك خير ما ختمت، وتختم لي بالسعادة فيمن ختمت، وأحيني ما

أُخِيَّتَنِي مَوْفُوراً، وَأَمْتَنِي مَسْرُوراً وَمَغْفُوراً، وَتَوَلَّ أَنْتَ نَجَاتِي مِنْ مَسْأَلَةِ
الْبِرْزَخِ، وَادْرَأْ عَنِّي مُنْكَراً وَنَكِيراً، وَأَرْ عَيْنِي مَبْشَراً وَبَشِيراً، وَاجْعَلْ لِي
إِلَى رِضْوَانِكَ وَجَنَانِكَ مَصِيراً، وَعَيْشاً قَرِيراً، وَمُلْكَاً كَبِيراً، وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ بُكْرَةً وَأَصِلاً، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

أَعْطِنِي جَمِيعَ مَا أَحِبُّ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِعَقْدِ^(١) عَزِّكَ عَلَى أَرْكَانِ عَرْشِكَ، وَمُنْتَهَى رَحْمَتِكَ
مِنْ كِتَابِكَ، وَاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ، وَذِكْرِكَ الْأَعْلَى الْأَعْلَى، وَكَلِمَاتِكَ
الْثَامَاتِ كُلِّهَا، أَنْ تَصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

وَأَسْأَلُكَ مَا كَانَ أَوْفَى بِعَهْدِكَ، وَأَقْضَى لِحَقِّكَ، وَأَرْضَى لِنَفْسِكَ،
وْخَيْراً فِي الْمَعَادِ عِنْدَكَ، وَالْمَعَادِ إِلَيْكَ، وَأَنْ تُعْطِنِي جَمِيعَ مَا أَحْبَبْتُ،
وَتَصْرِفَ عَنِّي جَمِيعَ مَا أَكْرَهْتُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ.

أَسْأَلُكَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَصْلِحُنِي^(٢)

وَمِنْ دَعَاءٍ لَهُ ﷺ فِي التَّزَوُّدِ لِلْآخِرَةِ:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا:

مَا أَسَدَّدَ بِهِ لِسَانِي، وَأُحْصِنَ بِهِ فَرْجِي، وَأُوَدِّي بِهِ أَمَانَتِي، وَأَصِلَ بِهِ
رَحْمِي، وَأَتَجَرَّ بِهِ لِآخِرَتِي.

(١) بمعاقد، خ ل..

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ١٠٦ الدعاء رقم (٢٢)، عن درر السمطين:
ص ١٥١، ورواه أيضاً الطبرسي في كنوز النجاح كما في الدعاء (١٤) من الصحيفة
العلوية الثانية.

اللَّهُمَّ اشرح بالقرآن صدري^(١)

ومن دعاء له (عليه السلام) عند ختم القرآن الكريم:

اللَّهُمَّ اشرح بالقرآن صدري.

واستعمل بالقرآن بدني.

ونور بالقرآن بصري.

وأطلق بالقرآن لساني.

وأعني عليه ما أبقيتني، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك.

يا من دلّ بذاته على ذاته^(٢)

ومن دعاء له (عليه السلام) معروف بدعاء الصباح:

اللَّهُمَّ يا من دلّ على لسان الصباح بِنُطق تَبَلُّجه، وسرّح قطع الليل المظلم^(٣) بغياهب تلجلّجه، وأتقن صنْع الفلّك الدوّار في مقادير تبرّجه، وشعّشع ضياء الشمس بنور تأجّجه.

يا من دلّ على ذاته بذاته، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته، وجلّ عن ملائمة كيفيّاته.

يا من قرّب من خطرات الظنون، وبُعّد عن لحظات العيون، وعِلِم بما كان قبل أن يكون.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ١٠٦ - ١٠٧ الدعاء رقم (٢٣)، عن مصباح المتّجهّد، ورواه عنه بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٥٣ من الطبعة القديمة.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ١٢٧ - ١٢٦ الدعاء رقم (٢٨)، عن بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٦٥٦ من الطبعة القديمة.

(٣) المدلّهم، خ ل.

يا من أرقدني في مهاد أمنه وأمانه، وأيقظني إلى ما منحني به من منته وإحسانه، وكفّ أكفّ السوء عني بيده وسلطانه.

صلّ اللهم على محمد وآله

صلّ اللهم على الدليل إليك في الليل الأليل، والماسك من أسبابك بحبل الشرف الأطول، والناصر الحسب في ذروة الكاهل الأعل، والثابت القدم على زحاليها في الزمن الأول، وعلى آله الأخيار المصطفين الأبرار.

وافتح اللهم لنا مصاريع الصباح بمفاتيح الرحمة والفلاح.
وألبسنني اللهم من أفضل خلج الهداية والصلاح.
واغرس^(١) اللهم بعظمتك في شرب جناني ينابيع الخشوع.
وأجر اللهم لهيبك من آماقي زفّرات الدموع.
وأدب اللهم نزق الخرق مني بأزمة القنوع.

أسألك حسن التوفيق

إلهي، إن لم تبتدئني الرحمة منك بحسن التوفيق، فمن السالك بي إليك في واضح الطريق؟
وإن أسلمتني أناتك لقائد الأمل والمنى، فمن المقيّل عثراتي من كبوات الهوى؟

وإن خذلني نصرك عند محاربة النفس والشیطان، فقد وكلني خذلانك إلى حيث النصب والجحيمان.

إلهي، أتراني ما أتيتك إلا من حيث الآمال، أم علقت بأطراف جبالك إلا حين باعدتني ذنوبي عن دار الوصال، فبئس المطية التي امتطت نفسي من هواها، فوهاً لها لما سؤلت لها ظنونها ومناها، وتباً لها لجرأتها على سيدها ومولاها.

فَرَعْتُ بِابِ رَحْمَتِكَ

إلهي، فَرَعْتُ بِابِ رَحْمَتِكَ بيد رجائي، وَهَرَبْتُ إِلَيْكَ لاجئاً من قَرط أهوائي، وَعَلَّقْتُ بِأَطْرَافِ جِبَالِكَ أَنَامِلَ وَلَائِي، فَاصْفَحِ اللَّهُمَّ عما كنت أجرمته من زَلَلِي وَخَطَائِي، وَأَقْلِنِي مِنْ صَرَعَةِ رَدَائِي، فَإِنَّكَ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَمَعْتَمِدِي وَرَجَائِي، وَأَنْتَ غَايَةُ مَطْلُوبِي وَمُنَايَ، فِي مَنْقَلَبِي وَمُثْوَايَ.

إلهي، كَيْفَ تُطْرِدُ مَسْكِيناً التَّجأَ إِلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ هَارِباً؟ أَمْ كَيْفَ تُخَيِّبُ مُسْتَرَشِداً قَصِدَ إِلَى جَنَابِكَ سَاعِياً؟ أَمْ كَيْفَ تَرُدُّ ظَمآنَ وَرَدَ إِلَى حِيَاضِكَ شَارِباً؟ كَلَّا وَحِيَاضُكَ مُتَرَعَّةٌ فِي ضَنْكَ الْمُحُولِ، وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِلطَّلَبِ وَالْوُغُولِ، وَأَنْتَ غَايَةُ الْمَسْئُولِ، وَنَهَايَةُ الْمَأْمُولِ.

إلهي، هَذِهِ أَرْمَةُ نَفْسِي عَقَلْتُهَا بِعِقَالِ مَشِيَّتِكَ، وَهَذِهِ أَعْبَاءُ ذُنُوبِي دَرَأَتْهَا بِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ، وَهَذِهِ أَهْوَاؤِي الْمُضِلَّةُ وَكَلَّتْهَا إِلَى جَنَابِ لَطْفِكَ وَرَأْفَتِكَ.

ارزقني السلامة في الدين والدنيا

فاجعل اللهم صباحي هذا نازلاً عليّ بضياء الهدى، وبالسلامة في الدين والدنيا، ومسائي جنةً من كيد العدى، ووقاية من مرديات الهوى، إِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى مَا تَشَاءُ، ﴿...تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾

وَيُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴿١﴾.

فَلَقْتَ بِلُطْفِكَ الْفَلَقَ

لا إله إلا أنت، سبحانه اللهم وبحمدك، مَنْ ذا يَعْرِفُ قَدْرَكَ فلا يَخَافُكَ؟ وَمَنْ ذا يَعْلَمُ مَا أَنْتَ فلا يَهَابُكَ؟

أَلَفْتَ بِقُدْرَتِكَ الْفِرْقَ، وَفَلَقْتَ بِلُطْفِكَ الْفَلَقَ، وَأَنْزَلْتَ بِكَرَمِكَ دِيَاغِي الْعَسَقَ، وَأَنْهَرْتَ الْمِيَاهَ مِنَ الصُّمِّ الصَّيَاخِيدِ عَذْباً وَأُجَاجاً، وَأَنْزَلْتَ مِنَ الْمَعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً، وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِلْبَرِّيَّةِ سَرَاجاً وَهَاجاً، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُمَارِسَ فِيمَا ابْتَدَأْتَ بِهِ لَغُوباً وَلَا عِلَاجاً.

فِيَا مَنْ تَوَحَّدَ بِالْعَزِّ وَالْبَقَاءِ، وَقَهَرَ عِبَادَهُ بِالْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْأَتْقِيَاءِ، وَاسْمَعْ نِدَائِي، وَاسْتَجِبْ دُعَائِي، وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ أَمْلِي وَرَجَائِي، يَا خَيْرَ مَنْ دُعِيَ لِكَشْفِ الضَّرِّ، وَالْمَأْمُولِ لِكُلِّ عُسْرٍ وَيُسْرٍ، بِكَ أَنْزَلْتَ حَاجَتِي، فَلَا تَرُدَّنِي مِنْ سَنِيٍّ (٣) مَوَاهِبِكَ خَائِباً، يَا كَرِيمَ يَا كَرِيمَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ.

يَا كَاشِفَ الْكَرُوبِ

ثُمَّ يَسْجُدُ وَيَقُولُ:

إِلَهِي قَلْبِي مُحْجُوبٌ، وَنَفْسِي مَعْيُوبٌ، وَعَقْلِي مَغْلُوبٌ، وَهَوَائِي

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٢٦ - ٢٧.

(٢) في كل، خ ل.

(٣) باب، خ ل.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٤٠١

غالب، وطاعتي قليلة، ومعصيتي كثيرة، ولساني مقرّ ومعترف بالذنوب، فكيف حيلتي يا ستار العيوب، ويا علّام الغيوب، ويا كاشف الكروب؟ اغفر ذنوبي كلّها بحرمة محمّد وآل محمّد، يا غفار يا غفار، برحمتك يا أرحم الراحمين .

أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ^(١)

ومن دعاء له عليه السلام معروف بدعاء (كميل)، علّمه كميل بن زياد النخعي ليدعوه به ليالي الجمعة، وكان عليه السلام يدعو به - أيضاً - ليلة النصف من شعبان، ويقول: ما من عبد يحييها ويدعو بهذا الدعاء فيها إلّا أُجيب له.

اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَبِقُوَّتِكَ الَّتِي قَهَرَتْ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ، وَخَضَعَ لَهَا كُلَّ شَيْءٍ، وَذَلَّ لَهَا كُلَّ شَيْءٍ، وَبِجَبَرُوتِكَ الَّتِي غَلَبَتْ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ، وَبِعِزَّتِكَ الَّتِي لَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ، وَبِعِظَمَتِكَ الَّتِي مَلَأَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَبِسُلْطَانِكَ الَّتِي عَمَلَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَبِوَجْهِكَ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِأَسْمَائِكَ الَّتِي مَلَأَتْ^(٢) أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِعِلْمِكَ الَّتِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّتِي أَضَاءَ لَهَا كُلَّ شَيْءٍ.

يا نور يا قدوس، يا أوّل الأوّلين، ويا آخر الآخِرِينَ.

اللّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذَّنُوبَ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَمَ.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ١٤٨ - ١٦١ الدعاء رقم (٣٠)، عن الإقبال للسيد ابن طاووس.

(٢) غلبت، خ ل.

اللَّهُمَّ اغفر لي الذنوب التي تُنزل النَّعْمَ.
 اللَّهُمَّ اغفر لي الذنوب التي تُغَيِّرُ النِّعَمَ.
 اللَّهُمَّ اغفر لي الذنوب التي تَحْبِسُ الدُّعَاءَ.
 اللَّهُمَّ اغفر لي الذنوب التي تُنزلُ البلاءَ.
 اللَّهُمَّ اغفر لي كلَّ ذنبٍ أَذْنِبْتُهُ، وكلَّ خطيئةٍ أَخطأتُهَا.

ادنني من قربك

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِذِكْرِكَ، وَأَسْتَشْفَعُ بِكَ إِلَى نَفْسِكَ، وَأَسْأَلُكَ
 بِجُودِكَ أَنْ تُدْنِيَنِي مِنْ قُرْبِكَ، وَأَنْ تُوزِعَنِي شُكْرَكَ، وَأَنْ تُلْهِمَنِي ذِكْرَكَ.
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ سُؤَالَ خَاضِعٍ مُتَذَلِّلٍ خَاشِعٍ، أَنْ تُسَامِحَنِي
 وَتَرْحَمَنِي، وَتَجْعَلَنِي بِقَسْمِكَ رَاضِيًا قَانِعًا، وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ مُتَوَاضِعًا.
 اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ سُؤَالَ مَنْ اشْتَدَّتْ فَاقَتُهُ، وَأَنْزَلَكَ بِكَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ
 حَاجَتَهُ، وَعَظَّمُ فِيمَا عِنْدَكَ رَغْبَتَهُ.
 اللَّهُمَّ عَظِّمْ سُلْطَانَكَ، وَعَلَا مَكَانَكَ، وَخَفِيْ مَكْرَكَ، وَظَهَرِ أَمْرَكَ،
 وَغَلْبِ قَهْرَكَ، وَجَرَتْ قُدْرَتُكَ، وَلَا يُمْكِنُ الْفِرَارُ مِنْ حُكُومَتِكَ.
 اللَّهُمَّ لَا أَجِدُ لِدُنُوبِي غَافِرًا، وَلَا لِقَبَائِحِي سَاتِرًا، وَلَا لَشَيْءٍ مِنْ
 عَمَلِي الْقَبِيحِ بِالْحَسَنِ مَبْدَلًا غَيْرَكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ،
 ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَتَجَرَّأْتُ بِجَهْلِي، وَسَكَنْتُ إِلَى قَدِيمِ ذِكْرِكَ لِي، وَمَنْكَ
 عَلَيَّ.

اللَّهُمَّ مَوْلَايَ، كَمْ مِنْ قَبِيحٍ سَتَرْتَهُ، وَكَمْ مِنْ فَادِحٍ مِنَ الْبَلَاءِ أَقْلَتَهُ،

وكم من عثار وَقَيْتَه، وكم من مكروه دفعته، وكم من ثناء جميل لست أهلاً له نشرته.

كن عليّ عطوفاً

اللّهُمَّ عَظُمْ بِلَائِي، وَأَفْرُطْ بِي سَوْءَ حَالِي، وَقَصِّرْ بِي أَعْمَالِي، وَقَعِدْ بِي أَغْلَالِي، وَحَبْسِنِي عَنْ نَفْعِي بَعْدَ أَمَلِي^(١)، وَخَدَعْتَنِي الدُّنْيَا بِغُرُورِهَا، وَنَفْسِي بِجَنَائِثِهَا^(٢)، وَمِطَالِي يَا سَيِّدِي، فَأَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ أَلَّا يَحْجِبَ عَنْكَ دَعَائِي سَوْءُ عَمَلِي وَفَعَالِي، وَلَا تَفْضَحْنِي بِخَفِيِّ مَا أَظْلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ سَرِّي، وَلَا تَعَاوِجْنِي بِالْعُقُوبَةِ عَلَى مَا عَمَلْتُهُ فِي خُلُواتِي، مِنْ سَوْءٍ فَعَلِي وَإِسَاءَتِي، وَدَوَامِ تَفْرِيطِي وَجَهَالَتِي، وَكَثْرَةِ شَهَوَاتِي وَغَفْلَتِي، وَكُنِ اللّهُمَّ بِعِزَّتِكَ لِي فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ رَءُوفًا، وَعَلَيَّ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ عَطُوفًا.

مَنْ لِي غَيْرُكَ

إِلَهِي وَرَبِّي، مَنْ لِي غَيْرُكَ أَسْأَلُهُ كَشْفَ ضَرِي، وَالنَّظَرَ فِي أَمْرِي؟.

إِلَهِي وَمَوْلَايَ، أَجْرَيْتَ عَلَيَّ حُكْمًا اتَّبَعْتُ فِيهِ هَوَى نَفْسِي، وَلَمْ أَحْتَرَسْ فِيهِ مِنْ تَزْيِينِ عَدُوِّي، فَغَرَّنِي بِمَا أَهْوَى، وَأَسْعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ الْقَضَاءُ، فَتَجَاوَزْتُ بِمَا جَرَى عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ بَعْضَ حَدُودِكَ، وَخَالَفْتُ بَعْضَ أَوَامِرِكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ^(٣) عَلَيَّ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ، وَلَا حُجَّةَ لِي فِيهَا جَرَى عَلَيَّ فِيهِ قِصَاؤُكَ، وَأَلْزَمَنِي حُكْمُكَ وَبِلَاؤُكَ.

وَقَدْ أَتَيْتُكَ يَا إِلَهِي، بَعْدَ تَقْصِيرِي وَإِسْرَافِي عَلَى نَفْسِي، مُعْتَذِرًا،

(١) آمالي، خ ل.

(٢) بخيانتها، خ ل.

(٣) الحجة، خ ل.

نادماً، منكسراً، مستقيلاً، مستغفراً، منيباً، مقراً، مدعناً، معترفاً، لا أجد مفرّاً مما كان مني، ولا مفرّعا أتوجّه إليه في أمري، غير قبولك عذري، وإدخالك إليّ في سعة رحمتك.

اللهم فاقبل عذري، وارحم شدة ضريّ، وفكّني من شدّ وثاقي.

يا ربّ ارحم ضعف بدني، ورقّة جلدي، ودقّة عظمي، يا من بدأ خلقي، وذكري وتربيتي، وبرّي وتغذيتي، هبني لابتداء كرمك وسالف برّك بي.

أترك معذّبي بنارك؟

يا إلهي وسيدي وربّي، أترك معذّبي بنارك بعد توحيدك، وبعد ما انطوى عليه قلبي من معرفتك، ولهج به لساني من ذكرك، واعتقده ضميري من حبّك، وبعد صدق اعترافي ودعائي خاضعاً لربوبيتك؟

هيهات، أنت أكرم من أن تُضَيّع من ربّيته، أو تُبعد من أدنّيته، أو تُسرّد من آويته، أو تُسلّم إلى البلاء من كفّيته ورحمته.

وليت شعري يا سيدي وإلهي ومولاي، أئسّلت النار على وجوه خرّت لعظمتك ساجدة، وعلى ألسن نطقّت بتوحيدك صادقة، وبشكرك مادحة، وعلى قلوب اعترفت بإلهيتك محقّقة، وعلى ضمائر حوت من العلم بك حتّى صارت خاشعة، وعلى جوارح سعت إلى أوطان تعبّدك طائعة، وأشارت باستغفارك مُدعّنة، ما هكذا الظنّ بك، ولا أخبرنا بفضلك عنك يا كريم.

يا ربّ، وأنت تعلم ضعفني عن قليل من بلاء الدنيا وعقوباتها، وما يجري فيها من المكاره على أهلها، على أن ذلك بلاءٌ ومكروهٌ قليل

مَكْثُهُ، يَسِيرُ بَقَاؤُهُ، قَصِيرَ مَدَّتِهِ، فَكَيْفَ احْتِمَالِي لِبَلَاءِ الْآخِرَةِ، وَجَلِيلِ
وُقُوعِ الْمَكَارِهِ فِيهَا؟ وَهُوَ بَلَاءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ، وَيَدُومُ مَقَامُهُ، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْ
أَهْلِهِ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ غَضَبِكَ وَانْتِقَامِكَ وَسَخَطِكَ، وَهَذَا مَا لَا تَقُومُ
لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، يَا سَيِّدِي، فَكَيْفَ لِي^(١) وَأَنَا عَبْدُكَ الضَّعِيفُ،
الذَّلِيلُ الْحَقِيرُ، الْمَسْكِينُ الْمُسْتَكِينُ.

يَا إِلَهِي وَرَبِّي، وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، لِأَيِّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَشْكُو، وَلَمْ مِنْهَا
أُضَجَّ وَأَبْكِي؟ لِأَلِيمِ الْعَذَابِ وَشِدَّتِهِ، أَمْ لَطُولِ الْبَلَاءِ وَمُدَّتِهِ؟
فَلَنْ صَيَّرْتَنِي لِلْعُقُوبَاتِ مَعَ أَعْدَائِكَ، وَجَمَعْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَهْلِ
بَلَائِكَ، وَفَرَّقْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّائِكَ وَأَوْلِيَائِكَ، فَهَبْنِي يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي،
وَمَوْلَايَ وَرَبِّي، صَبْرْتُ عَلَى عَذَابِكَ، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلَى فِرَاقِكَ؟
وَهَبْنِي يَا إِلَهِي صَبْرْتُ عَلَى حَرِّ نَارِكَ، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ النَّظَرِ إِلَى
كَرَامَتِكَ؟

أَمْ كَيْفَ أَسْكُنُ فِي النَّارِ وَرَجَائِي عَفُوكَ؟
فَبَعَزْتُكَ يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أَقْسَمُ صَادِقاً، لَنْ تَرَكْتَنِي نَاطِقاً، لِأُضِجَّ
إِلَيْكَ بَيْنَ أَهْلِهَا ضَجِيجَ الْآمِلِينَ، وَلَأُصْرُخَنَّ إِلَيْكَ صُرَاخَ الْمُسْتَصْرِخِينَ،
وَلَأُبْكِيَنَّ إِلَيْكَ بَكَاءَ الْفَاقِدِينَ، وَلَأُنَادِيَنَّكَ أَيْنَ كُنْتَ يَا وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ، يَا
غَايَةَ آمَالِ الْعَارِفِينَ، يَا غَايَةَ الْمُسْتَغِيثِينَ، يَا حَبِيبَ قُلُوبِ الصَّادِقِينَ، وَيَا
إِلَهَ الْعَالَمِينَ؟

تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ

أَفْتَرَاكَ سُبْحَانَكَ يَا إِلَهِي وَبِحَمْدِكَ، تَسْمَعُ فِيهَا صَوْتَ عَبْدٍ مُسْلِمٍ

سُجِنَ فِيهَا بِمُخَالَفَتِهِ، وَذَاقَ طَعْمَ عَذَابِهَا بِمَعْصِيَتِهِ، وَحُبِسَ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا بِجُرْمِهِ وَجَرِيرَتِهِ، وَهُوَ يَصْخَرُ إِلَيْكَ ضَجِيجَ مَوْءَلٍ لِرَحْمَتِكَ، وَيُنَادِيكَ بِلِسَانِ أَهْلِ تَوْحِيدِكَ، وَيَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِرَبُوبِيَّتِكَ، يَا مُوَلَايَ، فَكَيْفَ يَبْقَى فِي الْعَذَابِ وَهُوَ يَرْجُو مَا سَلَفَ مِنْ حَلْمِكَ؟

أَمْ كَيْفَ تَوَلَّمَهُ النَّارُ وَهُوَ يَأْمَلُ فَضْلَكَ وَرَحْمَتَكَ؟
أَمْ كَيْفَ يُحْرِقُهُ لَهَبُهَا وَأَنْتَ تَسْمَعُ صَوْتَهُ وَتَرَى مَكَانَهُ؟
أَمْ كَيْفَ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ زَفِيرُهَا وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفَهُ؟
أَمْ كَيْفَ يَتَقَلَّقِلُ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا وَأَنْتَ تَعْلَمُ صَدَقَهُ؟
أَمْ كَيْفَ تَزْجِرُهُ زَبَانِيَّتُهَا وَهُوَ يُنَادِيكَ: يَا رَبِّهِ؟
أَمْ كَيْفَ يَرْجُو فَضْلَكَ فِي عَتَقِهِ مِنْهَا فَتَتْرَكَهُ فِيهَا؟
هِيَاهُنَّ مَا ذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ، وَلَا الْمَعْرُوفُ مِنْ فَضْلِكَ، وَلَا مُشَبِّهِ لِمَا عَامَلْتَ بِهِ الْمُوَحِّدِينَ مِنْ بَرِّكَ وَإِحْسَانِكَ.

فَبِالْيَقِينِ أَقْطَعُ، لَوْلَا مَا حَكَمْتَ بِهِ مِنْ تَعْذِيبِ جَا حِدِيكَ، وَقَضَيْتَ بِهِ مِنْ إِخْلَادِ مَعَانِدِيكَ، لَجَعَلْتَ النَّارَ كُلَّهَا بَرْدًا وَسَلَامًا، وَمَا كَانَ لِأَحَدٍ فِيهَا مَقَرًّا وَلَا مُقَامًا.

لَكِنَّكَ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ، أَقْسَمْتَ أَنْ تَمْلَأَهَا مِنَ الْكَافِرِينَ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَأَنْ تُخَلِّدَ فِيهَا الْمَعَانِدِينَ، وَأَنْتَ جَلَّ ثَنَاؤُكَ قُلْتَ مَبْتَدَأًا وَتَطَوَّلْتَ بِالْإِنْعَامِ مُتَكَرِّمًا: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(١).

وَقَرَّ حَظِّي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ

إِلَهِي وَسَيِّدِي، فَأَسْأَلُكَ - بِالْقُدْرَةِ الَّتِي قَدَّرْتَهَا، وَبِالْقَضِيَّةِ الَّتِي حَتَمْتَهَا

وَحَكَمَتَهَا ، وَغَلَبَتْ مِنْ عَلَيْهِ أَجْرِيَتَهَا - أَنْ تَهَبَ لِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، وَفِي هَذِهِ السَّاعَةِ ، كُلَّ جُرْمٍ أَجْرَمْتُهُ ، وَكُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ ، وَكُلَّ قَبِيحٍ أَسْرَرْتُهُ ، وَكُلَّ جَهْلٍ عَمِلْتُهُ ، كَتَمْتُهُ أَوْ أَعْلَنْتُهُ ، أَخْفَيْتُهُ أَوْ أَظْهَرْتُهُ ، وَكُلَّ سَيِّئَةٍ أَمَرْتُ بِإِثْبَاتِهَا الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ ، الَّذِينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ مَا يَكُونُ مِنِّي ، وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَيَّ مَعَ جَوَارِحِي ، وَكُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيَّ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَالشَّاهِدُ لِمَا خَفَيْ عَنْهُمْ ، وَبِرَحْمَتِكَ أَخْفَيْتُهُ ، وَبِفَضْلِكَ سَتَرْتُهُ .

وَأَنْ تُؤَفِّرَ حَظِّي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَنْزَلْتَهُ ، أَوْ إِحْسَانٍ فَضَّلْتَهُ ، أَوْ بَرٍّ نَشَرْتَهُ ، أَوْ رِزْقٍ بَسَطْتَهُ ، أَوْ ذَنْبٍ تَغْفِرُهُ ، أَوْ خَطَأٍ تَسْتَرُهُ .

يا من بيده ناصيتي

يا رَبِّ يا رَبِّ يا رَبِّ ، يا إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَمَالِكِ رِقِّي ، يا مَنْ بِيَدِهِ نَاصِيَتِي ، يا عَلِيماً بِضَرِّي وَمَسْكِنَتِي ، يا خَبيراً بِفَقْرِي وَفَاقَتِي .

يا من عليه معولي

يا رَبِّ يا رَبِّ يا رَبِّ ، أَسْأَلُكَ - بِحَقِّكَ وَقُدْسِكَ ، وَأَعْظَمِ صِفَاتِكَ وَأَسْمَائِكَ - أَنْ تَجْعَلَ أَوقَاتِي مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِذِكْرِكَ مَعْمُورَةً ، وَبِخِدْمَتِكَ مَوْصُولَةً ، وَأَعْمَالِي عِنْدَكَ مَقْبُولَةً ، حَتَّى تَكُونَ أَعْمَالِي وَأَوْرَادِي كُلُّهَا وَرِداً وَاحِداً ، وَحَالِي فِي خِدْمَتِكَ سَرْمَداً ، يا سَيِّدِي ، يا مَنْ عَلَيْهِ مُعَوْلِي ، يا مَنْ إِلَيْهِ شَكْوَتُ أَحْوَالي .

قَوِّ على خدمتك جوارحي

يا رَبِّ يا رَبِّ يا رَبِّ ، قَوِّ على خدمتك جوارحي ، واشْدُدْ على العَزِيْمَةِ جِوَانِحِي ، وَهَبْ لِي الْجِدَّ فِي خَشْيَتِكَ ، وَالِدَوَامَ فِي الْإِتِّصَالِ

بخدمتك، حتَّى أَسْرَحَ إليك في ميادين السابقين، وأسرع إليك في البارزين، وأشتاق إلى قربك في المشتاقين، وأدُنُوْ منك دُنُوْ المخلصين، وأخافك مخافة الموقنين، وأجتمع في جِوارك مع المؤمنين.

مُنَّ عَلَيَّ بِحُسْنِ إِجَابَتِكَ

اللَّهُمَّ ومن أَرادني بسوء فأرده، ومن كادني فكدّه، واجعلني من أحسن عبيدك نصيباً عندك، وأقربهم منزلة منك، وأخصّهم زُلفه لديك، فإنه لا يُنال ذلك إلّا بفضلِكَ.

وجُد لي بجودك، واعطف عليّ بمجدك، واحفظني برحمتك، واجعل لساني بذكرك لهجاً، وقلبي بحبك متيمّاً.

ومُنَّ عليّ بحسن إجابتك، وأقلني عثرتي، واغفر زلّتي، فإنّك قضيت على عبادك بعبادتك، وأمرتهم بدعائك، وضمنت لهم الإجابة.

فإليك يا ربّ نصبتُ وجهي، وإليك يا ربّ مددتُ يدي، فبعزّتكَ استجب لي دعائي، وبلّغني مُنّاي، ولا تقطع من فضلك رجائي، واكفني شرّ الجنّ والإنس من أعدائي.

يا سريع الرضا

يا سريع الرضا، اغفر لمن لا يملك إلّا الدعاء، فإنّك فعّال لما تشاء. يا من اسمه دَواء، وذكره شِفَاء، وطاعته غنى، ارحم من رأس ماله الرجاء، وسلاحه البكاء.

يا سابغ النعم، يا دافع النقم، يا نور المستوحشين في الظلم، يا عالماً لا يُعلّم، صلّ على محمّد وآل محمّد، وافعل بي ما أنت أهله، ولا

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٤٠٩

تفعل بي ما أنا أهله، وصلى الله على رسوله والأئمة الميامين من آله وسلم تسليماً كثيراً.

كن أنيسي في وحدتي^(١)

ومن دعاء له عليه السلام :

إلهي تَوَعَّرْتُ الطرُق، وقلَّ السالكون، فكن أنيسي في وَحْدَتِي،
وجَلِيسِي فِي خَلَوَاتِي، فَإِلَيْكَ أَشْكُو فَقْرِي وَفَاقَتِي، وَبِكَ أَنْزَلْتُ ضُرِّي
وَمُسْكَنَتِي، لَأَنَّكَ غَايَةُ أُمْنِيَّتِي، وَمُنْتَهَى بُلُوغِ طَلِبَتِي.

فيا فَرَحَ لِقُلُوبِ الْوَاصِلِينَ، وَيَا حَيَاةَ لِنَفُوسِ الْعَارِفِينَ، وَيَا نَهَايَةَ
شَوْقِ الْمُحِبِّينَ، أَنْتَ الَّذِي بَفَنَائِكَ حَطَّتِ الرِّحَالُ، وَإِلَيْكَ قَصَّدَتِ الْآمَالُ،
وَعَلَيْكَ كَانَ صِدْقُ الْإِتِّكَالِ.

فيا من تَفَرَّدَ بِالْكَمَالِ، وَتَسَرَّبَلَ بِالْجَمَالِ، وَتَعَزَّزَ بِالْجَلَالِ، وَجَادَ
بِالْأَفْضَالِ، لَا تَحْرَمْنَا مِنْكَ النَّوَالِ.

إلهي بك لاذت القلوب، لأنك غاية كلِّ محبوب، وبك استجارت
فِرَاقاً مِنَ الْعُيُوبِ، وَأَنْتَ الَّذِي عَلِمْتَ فَحْلُمْتَ، وَنَظَرْتَ فَرَحِمْتَ، وَخَبَرْتَ
فَسَتَرْتَ، وَغَضِبْتَ فَغَفَرْتَ.

يا سرور الأرواح

فهل مؤمِّل غيرك فيُرجى؟ أم هل ربُّ سواك فيُخشى؟ أم هل معبود
سواك فيُدعى؟ أم هل قَدَمٌ عند الشدائد إلَّا وهي إليك تسعى؟

فوعزتك يا سُرُورَ الْأَرْوَاحِ، وَيَا مُنْتَهَى غَايَةِ الْأَفْرَاحِ، إِنِّي لَا أَمْلِكُ
غَيْرَ ذُلِّي وَمُسْكَنَتِي لَدَيْكَ، وَفَقْرِي وَصِدْقَ تَوَكُّلِي عَلَيْكَ.

فأنا الهارب منك إليك، وأنا الطالب منك ما لا يخفى عليك، فإن

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٢٠١ - ٢٠٣ الدعاء رقم (٣٤).

عَفَوْتَ فبفضلِكَ، وإن عاقبتَ فبِعَدْلِكَ، وإن مَنَنْتَ فبجودِكَ، وإن تَجَاوَزْتَ فبدوامِ خُلُودِكَ.

إلهي بجلالِ كبريائك أَقْسَمْتُ، وبدوامِ خُلُودِ بقائك آليتُ، أني لا برحمتَ مقيماً ببابك، حتى تؤمنني من سطواتِ عذابك، ولا أقنع بالصفح عن سطواتِ عذابك، حتى أروح بجزيلِ ثوابك.

جد عليّ بما أنتَ أولى به

إلهي عجباً لقلوبِ سكنتِ إلى الدنيا، وتَرَوَّحتِ بِرُوحِ المنى، وقد عَلِمْتُ أن ملكها زائل، ونعيمها راحل، وظلُّها آفل، وسندها مائل، وحسنُ نَصارةٍ بَهْجتها حائل، وحقيقتها باطل، كيف لا يشتاقي إلى رُوحِ ملكوتِ السماء، وأنتَ لهم ذلك، وقد شَغَلَهُم حُبُّ الممالك، وأضَلَّهُم الهوى عن سبيلِ المسالك.

إلهي اجعلنا ممَّنْ هامَ بِذِكْرِكَ لَبَّه، وطارَ من شَوْقه إليك قلبه، فاحتَوَتْهُ عليه دَواعي محبتك، فَحَصَلَ أسيراً في قبضتك.

إلهي كيف أنثي - وبَدَأَ الثناء منك - عليك، وأنتَ الذي لا يعْبُرُ عن ذاته نُطق، ولا يَعْيه سَمع، ولا يَحويه قلب، ولا يُدرِكه وَهم، ولا يَصْغبه عَزم، ولا يَخْطُرُ على بال، فأَوْزَعَنِي شُكْرُكَ، ولا تُؤْمِنِّي مَكْرُكَ، ولا تُنْسِنِي ذِكْرُكَ، وَجُدْ بما أنتَ أولى أن تجود به، يا أرحمَ الراحمين.

أَتُوجِّهُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ^(١)

ومن دعاء له ﷺ قبل استفتاح الصلاة وبعدها، من واطب عليه كان مع مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ^(١).

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ الدعاء رقم (٢٧)، عن كتاب الدعاء من الكافي: ج ٢ ص ٥٤٤.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٤١١

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأُقَدِّمُهُمْ بَيْنَ يَدَي صَلَواتِي، وَأَتَقَرَّبُ بِهِمْ إِلَيْكَ، فَاجْعَلْنِي بِهِمْ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

اللَّهُمَّ فَكَمَا مَنَنْتَ عَلَيَّ بِمَعْرِفَتِهِمْ، فَاخْتِمْ لِي بِطَاعَتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ وَوَلَايَتِهِمْ، فَإِنَّهَا السَّعَادَةُ وَاخْتِمْ لِي بِهَا، فَإِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ مُحْيَايَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام

ثم تصلي فإذا انصرفت قلت :

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مَعَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فِي كُلِّ عَافِيَةٍ وَبَلَاءٍ، وَاجْعَلْنِي مَعَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فِي كُلِّ مَثْوًى وَمَنْقَلَبٍ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ مُحْيَايَ مُحْيَاهُمْ، وَمَمَاتِي مَمَاتِهِمْ، وَاجْعَلْنِي مَعَهُمْ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا، وَلَا تُفَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أنت الغني وأنا الفقير^(١)

ومن دعاء له عليه السلام إذا فرغ من صلاة الزوال :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، وَأَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِمَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنْبِيَائِكَ الْمُرْسَلِينَ وَبِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ الْغَنِيُّ عَنِّي وَبِي الْفَاقَةُ إِلَيْكَ، أَنْتَ الْغَنِيُّ وَأَنَا الْفَقِيرُ إِلَيْكَ، أَفَلَتَنِي عَثْرَتِي، وَسَتَرْتَ عَلَيَّ ذُنُوبِي، فَاقْضِ الْيَوْمَ حَاجَتِي، وَلَا تُعَذِّبْنِي

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٢٣٠ - ٢٣١ الدعاء رقم (٢٨)، عن كتاب الدعاء من الكافي: ج ٢ ص ٥٤٥.

بقبح ما تعلم مني، بل عفوك^(١) وجودك يسعني.

يا برّ يا رحيم

ثم يخّر ساجداً ويقول:

يا أهل التقوى، ويا أهل المغفرة، يا برّ، يا رحيم، أنت أبرّ بي من أبي وأمي، ومن جميع الخلائق، أқلبني بقضاء حاجتي، مجاباً دعائي، مرحوماً صوتي، قد كُشِفَت أنواع البلاء عني.

أُنَاجِيكَ يَا سَيِّدِي^(٢)

ومن دعاء له ﷺ كان يدعو به في سجوده:

أُنَاجِيكَ يَا سَيِّدِي كما يُناجي العبد الذليل مولاه.

وأطلب إليك طلب من يعلم أنك تُعطي ولا ينقص مما عندك شيء.

وأستغفرك استغفار من يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

وأَتَوَكَّلُ عليك توَكَّل من يعلم أنك على كل شيء قدير.

يا من أمر بالدعاء وتكفل بالإجابة^(٣)

ومن دعاء له ﷺ كان يدعو به بعد كلّ صلاة فريضة:

إليك رُفِعَت الأصوات، ودُعِيَت الدعوة، ولك عَنَت الوجوه، ولك

(١) فإن عفوك، خ ل.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٢٤٤ الدعاء رقم (٤٦)، عن أمالي الصدوق: المجلس ٤٤ ح ٧.

(٣) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ الدعاء رقم (٤٨)، عن إكمال الدين، ومصباح الشيخ، والبلد الأمين، وجنة المأوى.

خضعت الرقاب، وإليك التحاكم في الأعمال.

يا خير من سُئل، يا خير من أعطى، يا صادق يا باري، يا من لا يُخلف الميعاد.

يا من أمر بالدعاء، وتكفل الإجابة.

يا من قال: ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١).

يا من قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٢).

ويا من قال: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٣).

لبَّيك وسعديك، ها أنا ذا بين يديك، المسرف على نفسي، وأنت القائل: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾^(٤).

هَبْ لِي مَا سَأَلْتُكَ^(٥)

ومن دعاء له (عليه السلام) في التزويج، مَنْ دعا به بعد أن يصلِّي ركعتين بالفاتحة ويأسين أعطاه الله ما سأل:

اللهم ارزقني زوجة صالحة، ودوداً، ولوداً، شكوراً، قنوعاً، غيوراً.

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٥) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ الدعاء رقم (٤٩)، عن نوادر السيد فضل الله الراوندي.

إِنْ أَحْسَنْتُ شَكَرْتُ، وَإِنْ أَسَأْتُ غَفَرْتُ، وَإِنْ ذَكَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى
أَعَانَتْ، وَإِنْ نَسِيتُ ذَكَّرْتُ، وَإِنْ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدَهَا حَفِظْتُ، وَإِنْ دَخَلْتُ
عَلَيْهَا سَرَّتْنِي، وَإِنْ أَمَرْتُهَا أَطَاعَتْنِي، وَإِنْ أَقْسَمْتُ عَلَيْهَا أَبْرَّتْ قَسَمِي، وَإِنْ
غَضِبْتُ عَلَيْهَا أَرْضَتْني.

يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، هَبْ لِي ذَلِكَ، فَإِنَّمَا أَسْأَلُكَه وَلَا أَجِدُ إِلَّا مَا
مَنْتَ وَأَعْطَيْتَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَوَلِيَّكَ^(١)

ومن دعاء له عليه السلام في الإقرار لله تعالى بالعبودية، والتحدث بما أنعم
الله عليه:

اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَوَلِيَّكَ، اخْتَرْتَنِي وَارْتَضَيْتَنِي، وَرَفَعْتَنِي وَكَرَّمْتَنِي،
بِمَا أَوْثَقْتَنِي مِنْ مَقَامِ أَصْفِيَائِكَ، وَخِلَافَةِ أَوْلِيَائِكَ، وَأَغْنَيْتَنِي وَأَفْقَرْتِ
النَّاسَ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ إِلَيَّ، وَأَعَزَّزْتَنِي وَأَذَلَّكَ الْعِبَادَ إِلَيَّ.
وَأَسَكَنْتَ قَلْبِي نورك، وَلَمْ تُحَوِّجْنِي إِلَى غَيْرِكَ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ
وَأَنْعَمْتَ بِي، وَلَمْ تَجْعَلْ مَنَّةً عَلَيَّ لِأَحَدٍ سِوَاكَ، وَأَقَمْتَنِي لِأَحْيَاءِ حَقِّكَ،
وَالشَّهَادَةِ عَلَى خَلْقِكَ، وَلَا أَرْضَى وَلَا أَسْخَطُ إِلَّا لِرِضَاكَ وَسَخِطِكَ، وَلَا
أَقُولُ إِلَّا حَقًّا، وَلَا أَنْطِقُ إِلَّا صِدْقًا.

يَا خَيْرَ الْهَادِيينَ^(٢)

ومن دعاء له عليه السلام في يوم الجمل حين التقى الصفان:

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٢٩٠ - ٢٩١ الدعاء رقم (٦٩)، عن مناقب آل
أبي طالب لابن شهر آشوب: ج ١ ص ٣٢٠.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٢٩٤ الدعاء رقم (٧٣)، عن كتاب شرح الأخبار
للقاضي نعمان، ورواه مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٢٦٤.

يا خير من أفضت إليه القلوب، ودُعِيَ بالألسن.

يا حسن البلاء.

يا جزيل العطاء.

احكم بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الحاكمين.

إنك أنت عصمتي^(١)

ومن دعاء له (عليه السلام) إذا لقي العدو:

اللهم إنك أنت عصمتي، وناصري، ومعيني، اللهم بك أصول، وبك أقاتل.

اكفنا المهم^(٢)

ومن دعاء له (عليه السلام) إذا خرج للسفر:

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله عبده ورسوله.

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس.

﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾^(٣).

اللهم إني أعوذ بك من وَعْثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٢٩٥ الدعاء رقم (٧٤)، عن دعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٧١ ح ١٦.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٣٠١ الدعاء رقم (٨٠)، عن دعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٤٧ ح ٧.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ١٣.

اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، وَالْمُسْتَعَانُ فِي الْأَمْرِ، اطْوِ لَنَا الْبُعْدَ، وَسَهِّلْ لَنَا الْحُزُونَ، وَاكْفِنَا الْمُهِمَّ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

سبحان الذي سَخَّرَ لَنَا هَذَا^(١)

ومن دعاء له ﷺ إذا وضع رجله في الغرز واستوى على الدابة، قال:

بسم الله، الحمد لله الذي أكرمنا، وحملنا في البرّ والبحر، ورزقنا من الطّيبات، وَفَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا.

﴿...سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾^(٢).

رب اغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

اكفنا مهمّات السفر^(٣)

ومن دعاء له ﷺ كان يدعو به في السفر كلّ يوم:

اللَّهُمَّ أَسْعِدْنَا بِهَذِهِ الْحَرَكَةِ، وَاْمُدُّدْنَا بِالْيُمْنِ وَالْبِرْكَه، وَقِنَا سُوءَ الْقَدَرِ، وَاكْفِنَا مَهْمَّاتِ السَّفَرِ، وَقَرِّبْ لَنَا الْبُعْدَ وَالنَّأْيَ، وَسَهِّلْ عَلَيْنَا السَّيْرَ

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٣٠٢ - ٣٠٣ الدعاء رقم (٨١)، عن (الشهيد الأول معنعناً)، وقريب منه ما رواه في دعائم الإسلام مرسلًا: ج ١ ص ٣٤٦.

(٢) سورة الزخرف، الآيتان: ١٣ - ١٤.

(٣) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٣٠٤ الدعاء رقم (٨٢)، عن حاشية جنة الأمان للكفعمي.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٤١٧

والسرى، ووفقنا لطَيِّ المراحل، وأنزلنا خير المنازل، واحفظ مخلفينا، واجمع بيننا وبينهم بأحسن آمالنا وأمانينا، سالمين غانمين تائبين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

أعوذ بك من زوال نعمتك^(١)

ومن دعاء له عليه السلام إذا عثرت دابته :

اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، ومن تحويل عافيتك، ومن فجأة نقمتك.

أصلح ذات بيننا وبينهم^(٢)

ومن دعاء له عليه السلام علّمه أصحابه حين التقوا بأهل صفين ليدعوا به لهم بدل إعلان بعضهم البراءة منهم :

اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به.

أعوذ بك أن أُغلب^(٣)

ومن دعاء له عليه السلام علّمه ابن عباس في ليلة الهيرير لتسكن روعته :

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٣٠٥ الدعاء رقم (٨٣)، عن قرب الإسناد معنعناً.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٣١٨ الدعاء رقم (٩٢)، عن كتاب صفين: ص ١٠٢، ورواه في تذكرة الخواص: ص ١٦٣.

(٣) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٣٢٠ - ٣٢١ الدعاء رقم (٩٤)، ورواه في الصحيفة العلوية الأولى: ص ١٥٤.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَضَامَ فِي سُلْطَانِكَ.
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ.
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ.
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضَيِّعَ فِي سَلَامَتِكَ.
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَغْلِبَ وَالْأَمْرَ لَكَ وَإِيْلَيْكَ.
اللَّهُمَّ الْحَقْنِي بِنَبِيِّكَ ﷺ ^(١)

ومن دعاء له عليه السلام كان يردده حين حضرته الوفاة صلوات الله وسلامه عليه:

اللَّهُمَّ اكْفِنَا عَدُوَّكَ الرَّجِيمَ.
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ: أَنْكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَأَنْكَ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ، وَلَمْ تَلِدْ وَلَمْ تُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفْوًا أَحَدٌ.
 فَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ نَعْمَائِكَ لَدَيَّ، وَإِحْسَانِكَ عِنْدِي، فَاغْفِرْ لِي
 وَارْحَمْنِي، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ.
 ولم يزل يقول:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ،
 عُذَّةٌ لِهَذَا الْمَوْقِفِ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْمَوَاقِفِ.
 اللَّهُمَّ اجْزِ مُحَمَّدًا عَنَّا خَيْرًا، وَاجْزِ مُحَمَّدًا عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَبَلِّغْهُ مِنَّا
 أَفْضَلَ السَّلَامِ.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٦ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ الدعاء رقم (١٠٥)، عن دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٥٤.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٤١٩

اللَّهُمَّ أَلْحِقْنِي بِهِ، وَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، رُؤُوفٌ
غَفُورٌ رَحِيمٌ.

ثم نظر عليه السلام إلى أهل بيته فقال:

حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم، وأستودعكم الله،
وأقرأ عليكم السلام.

ثم لم يزل يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، حتى قبض
صلوات الله وسلامه عليه شهيداً سعيداً.

إلى مَنْ يَفْزَعُ الْمُقْصِرُونَ؟^(١)

ومن دعاء له عليه السلام كان يناجي به ربه:

إلهي لولا ما جهلتُ من أمري ما شكَّوتُ عثراتي، ولولا ما ذكرتُ
من الإفراط ما سفحتُ عبراتي.

إلهي فامحْ مُثَبِّتَاتِ الْعَثَرَاتِ بِمُرْسَلَاتِ الْعَبَرَاتِ، وَهَبْ كَثِيرَ السَّيِّئَاتِ
لِقَلِيلِ الْحَسَنَاتِ.

إلهي إِنْ كُنْتَ لَا تَرْحَمُ إِلَّا الْمَجْدِّينَ فِي طَاعَتِكَ، فَإِلَى مَنْ يَفْزَعُ
الْمُقْصِرُونَ؟

وإن كنتَ لَا تَقْبَلُ إِلَّا مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ، فَإِلَى مَنْ يَلْتَجِئُ الْمُخْطِئُونَ؟

وإن كنتَ لَا تُكْرِمُ إِلَّا أَهْلَ الْإِحْسَانِ، فَكَيْفَ يَصْنَعُ الْمُسِيئُونَ؟

(١) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم، للقاضي القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ هجرية:

وإن كان لا يفوز يوم الحشر إلا المَتَّقون، فبمن يستغيث المذنبون؟
إلهي إن كان لا يجوز على الصراط إلا من أجازته براءة عمله، فأنتي
بالجواز لمن لم يَتَّب قبل حلول أجله؟.

إلهي إن حُجِب عن موَحِّدك نظر تعمَّد لجناياتهم، أوقعهم غضبك
بين المشركين في كُرباتهم.

إلهي فأوجب لنا بالإسلام مذخور هباتك، واستصِف لنا ما كدَّرتَه
الجرائم بصفح صلاتك.

ارحم غُربتنا

إلهي ارحم غُربتنا إذا تَضَمَّنتنا بطون لُحودنا، وعُمِّيت علينا باللبِّين
سقف بيوتنا، وأُضجِعنا على الأيمان في قبورنا، وخُلِفنا فرادى في
أضيق المضاجع، وصَرعنا المنايا في أنكر المصارع، وصرنا في ديار
قوم كأنها مأهولة وهي منهم بلاقع.

إلهي فإذا جنَّناك عُراة مُغبرة من ثرى الأحداث رؤوسنا، وشاحبة من
تراب الملاحد وجوهنا، وخاشعة من أهوال القيامة أبصارنا، وجائعة من
طول القيام بطوننا، وبادية هنالك للعيون سَوَاتنا، ومُثقلة من أعباء الأوزار
ظهورنا، ومشغولين بما قد دهانا عن أهلينا وأولادنا، فلا تضاعف علينا
المصائب بإعراض وجهك الكريم عَنَّا، وسلب عائدة ما مثله الرجاء مِنَّا.

إلهي ما حنَّت هذه العيون إلى بُكائها، ولا جادت مُتسرِّبة بمائها،
ولا شَهَرَت بنحيب المثلكلات فقَد عزائنها، إلا لما سلف من نُفورها
وإبائنها، وما دعاها إليه عواقب بلائها، وأنت القادر يا كريم على كشف
عَمَائها.

إلهي أمرتَ بالمعروف وأنتَ أولى به

إلهي ثَبَّتْ حلاوة ما يَسْتَعِذُّ به لساني من النُّطق في بلاغته، بزهادة ما يرفعه قلبي من النصح في دلالته.

إلهي أمرتَ بالمعروف وأنتَ أولى به من المأمورين، وأمرتَ بصلة السؤال وأنتَ خير المسؤولين.

إلهي كيف يُقبل بنا اليأس عن الإمساك كما لهجنا بطلابه، وقد ادَّرَعنا من تَأْمِيلنا إِيَّاكَ أَسْبَغَ أثوابه؟.

إلهي إذا تَلَوْنَا من صفاتك شديد العقاب أَشْفَقْنَا، وإذا تَلَوْنَا منها الغفور الرحيم فرحنا، فنحن بين أمرين: لا يُؤْمِنُنا سَخَطُكَ، ولا تُؤَيِّسُنَا رَحْمَتُكَ.

إلهي إن قَصَّرت بنا مساعيْنَا عن استحقاق نظرك، فما قَصَّرت رَحْمَتُكَ بنا عن دفاعِ نَقْمَتِكَ.

إلهي كيف تفرح بِصُحْبَةِ الدنيا صُدورنا؟ وكيف تلتئم في عُمرانها أُمُورنا؟ وكيف يَخْلُصُ فيها سرورنا؟ وكيف يَمْلِكُنَا بِاللَّهِو واللَّعِبِ غرورنا، وقد دَعَتْنَا باقتراب آجالنا قبورنا؟.

إلهي كيف نَبْتَهِجُ بدار حفرتْ لَنَا فيها حفائر صَبْرَعتها، وَقَلَّبَتْنَا بِأَيْدِي المَنايَا حَبَائِلَ غَدَرَتِهَا، وَجَرَّعَتْنَا مَكْرَهَيْنِ جُرْعَ مَرَايَئِهَا، وَدَلَّتْنَا الْعِبرَ على انقطاع عِيشَتِهَا؟.

إليك نلتجئ من مكائد الدنيا

إلهي فإليك نلتجئ من مكائد خَدَعَتِهَا، وبك نستعين على عبور فَنَظَرَتِهَا، وبك نَسْتَعَصِمُ الجوارح على خلاف شَهَوَتِهَا، وبك نَسْتَكْشِفُ جَلَابِيبَ حَيْرَتِهَا، وبك يُقَوِّمُ من القلوب استصعاب جهالَتِهَا.

إلهي كيف للدُّور أن تمنع مَنْ فيها من طَوارق الرزايا، وقد أُصيب في كلِّ دار سَهْم من أَسْهُم المنايا؟.

إلهي ما نَفَجَع بأنفسنا عن الديار، إن لم تُوحِشنا هناك من مرافقة الأبرار.

إلهي ما تَضَرَّنا فُرقة الإخوان والقربات، إذا قَرَّبَتنا منك يا ذا العطيَّات.

ارحمني إذا انقطع أثري

إلهي ارحمني إذا انقطع من الدنيا أثري، وانمحي من المخلوقين ذكرى، وصرْتُ في المنسيِّين كمن قد نسي.

إلهي كُبرت سِنِّي، ودقَّ عظمي، ورقَّ جلدي، ونال الدهر مِنِّي، واقترب أجلي، ونَفِدَت أيامي، وزهبت شَهَوَتِي، وبقيت تبعتي، وانمحت محاسني، وبليَّ جسمي، وتقطَّعت أوصالي، وتفرَّقت أعضائي، إلهي فارحمني.

إلهي أفحمتني ذنوبي، وانقطعت مقالتي، فلا حجة لي ولا عذر، فأنا المقرَّبُ جُرْمي، والمعرِّفُ بإساءتي، والأسير بذنبي، والمرتهن بعلمي، المتهوِّر في خطيئتي، المتحيِّر عن قصدي، المنقطع بي.

إلهي فصلّ على محمّد وآل محمّد، وارحمني برحمتك، وتجاوز عني بمغفرتك.

إلهي إن كان صغُر في جنب طاعتك عملي، فقد كُبر في جنب رجائك أُملي.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / ج ١ ٤٢٣

إلهي كيف أنقلب بالخَيِّبة من عندك محروماً، وكان ظنِّي بجودك أن
تَقْلِبَنِي بالنجاة مرحوماً؟ كلا إني لم أسلِّط على حسن ظنِّي بك قُنُوط ظنِّ
الآيسين، فلا تُبْطِل صدق رجائي لك بين الآملين.

إلهي إن كنا مرحومين فإنَّا نبكي على ما ضَيَّعناه في طاعتك ما
تَسْتَوْجِبُه، وإن كنا محرومين فإنَّا نبكي إذا فاتنا من جِوارك ما نطلبه.

إلهي عَظُم جُرمي إذ كنت المَبَارَز به، وكَبُر ذنبي إذ كنتَ المَطالِب به،
إلَّا أَنِي إذا ذَكَرْتُ كَثْرَةَ ذُنُوبِي وعَظِيمَ غَفْرانِكَ، وجدتَ الحاصل لي بينهما
عَفْوَ رضوانك.

آنَسني اليقين بمكارم عطفك

إلهي إن أوحشتني الخطايا من محاسن لطفك، فقد آنَسني اليقين
بمكارم عطفك.

إلهي إن أنامَنتي الغفلة عن الاستعداد للقائك، فقد أنبَهَنتي المعرفة
بكريم آلائك.

إلهي إن عَزَبَ لُبِّي عن تقويم ما يُصلِحني، فما عَزَبَ إيقاني بنظرك
فيما يَنفَعني.

إلهي جئتُك ملهواً قد أُلِيسْتُ عُدمي وفاقتي، وأقامني مقام الأذَلِّين
بين يديك ذُلُّ حاجتي.

إلهي كَرُمْتَ فأكرمَني إن كنتُ من سُؤالِكَ، وَجُدَ بمعروفك فأخلِطَني
بأهل نِوالِكَ.

إلهي أَصْبَحْتُ على باب من أبواب مَنَحِكَ سائلاً، وعن التعرُّض

لغيرك بالمسألة عادلاً، وليس من جميل امتنانك أن تردَّ سائلاً ملهوفاً، ومضطرباً لانتظار أمرك مألوفاً.

إلهي أقمتُ على قنطرة الأخطار، مبلُوءاً بالأعمال وبالاعتبار، فأنا الهالك إن لم تُعنِ عليها بتخفيف الآصار.

إلهي أمن أهل الشقاء خلقتني فأطيل بكائي؟ أم من أهل السعادة فأبشِّر رجائي؟.

إلهي لو لم تهديني إلى الإسلام ما اهتديتُ، ولو لم تُطلق لساني بدعائك ما دَعَوْتُ، ولو لم تَرزقني الإيمان بك ما آمنتُ، ولو لم تُعرِّفني حلاوة نعمتك ما عرفتُ، ولو لم تُبين شديد عقابك ما استجرتُ.

إلهي إن أفعَدني التخلف عن السبق مع الأبرار، فقد أقامتنِي الثقة بك على مدارج الأخيار.

إلهي نفساً أعزَّزتها بتأييد إيمانك، كيف تُذلها بين أطباق نيرانك؟.

إلهي لساناً كَسَوته من وحدانيَّتكَ أنقى أثوابها، كيف تهوى إليه من النار سُعلات التهابها؟.

إليك يَلْتَجئ كل مكروب

إلهي كل مكروب فإليك يَلْتَجئ، وكلّ محزون فإياك يَرْتَجئ.

إلهي سَمِع العابدون بجزيل ثوابك فخشعوا، وسمع المذنبون بسعة رحمتك فقعنوا، وسمع المولَّون عن القصد بجودك فرجعوا، وسمع المجرمون بسعة غفرانك فطمعوا، حتَّى ازدحمت عصائب العصاة من عبادك باباك، وعجَّ منهم إليك عجيج الضجيج بالدعاء في بلادك، ولكلّ

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / ج ١ ٤٢٥

أمل ساق صاحبه إليك محتاجاً، ولكلّ قلب تركه يا ربّ وجيف الخوف
منك مهتاجاً، فأنت المسؤول الذي لا تسوّدّ لديه وجوه المطالب، ولا
يرُدُّ نائله قاطعات المعاطب.

إلهي إذا أخطأت طريق النظر لنفسي بما فيه كرامتها، فقد أصبتُ
طريق الفزع إليك بما فيه سلامتها.

إلهي إن كانت نفسي استسعدتني متمردة على ما يُرديها، فقد
استسعدتها الآن بدعائك على ما يُنجيها.

إلهي إن قسّطت في الحكم على نفسي بما فيه حسرتها، فقد أقسّطتُ
في تعريفي إياها من رحمتك أسباب رأفتها.

إلهي إن قَطَعَنِي قَلَّةُ الزاد في المسير إليك، فقد وصلته بذخائر ما
أعددتُه من فضل تعويلي عليك.

إلهي إذا ذكرتُ رحمتك ضحكّت لها عيون وسائلي، وإذا ذكرتُ
سَخَطَكَ بكّت له عيون مسائلي.

ادعوك دعاء من لم يرج غيرك

إلهي ادعوك دعاء من لم يرج غيرك في دعائه، وأرجوك رجاء من لم
يقصد غيرك في رجائه.

إلهي كيف أُسَكِّتُ بالإفحام لسان ضراعتي، وقد أقلّقتني ما أبهم عليّ
من مصير عاقبتَي؟.

إلهي قد علِمْتَ حاجة جسمي إلى ما تكفّلتَ له من الرزق في
حياتي، وعَرَفْتَ قَلَّةَ استغنائي عنه في الجنّة بعد وفاتي، فيا مَنْ سَمَحَ لي

به متفضلاً في العاجل ، لا تمنعني يوم فاقتي إليه في الآجل .

إلهي إن عَذَّبْتَنِي فَعَبْدٌ خَلَقْتَهُ لِمَا أَرَدْتَ فَعَذَّبْتَهُ ، وَإِنْ رَحِمْتَنِي فَعَبْدُ
أَلْفَيْتَهُ مَسِيئاً فَأَنْجِيْتَهُ .

إلهي لا احتِرَّاسَ مِنَ الذَّنْبِ إِلَّا بِعَصْمَتِكَ ، وَلَا وُصُولَ إِلَى عَمَلِ
الْخَيْرَاتِ إِلَّا بِمَشِيئَتِكَ ، كَيْفَ لِي بِإِفَادَةِ مَا سَلَبْتَنِي فِيهِ مَشِيئَتُكَ ؟ وَكَيْفَ لِي
بِاحْتِرَّاسِ مِنَ الذَّنْبِ مَا لَمْ تُدْرِكْنِي فِيهِ عَصْمَتُكَ ؟ .

إلهي أَنْتَ دَلَّلْتَنِي عَلَى سُؤَالِ الْجَنَّةِ قَبْلَ مَعْرِفَتِهَا ، فَأَقْبَلْتَ النَّفْسَ بَعْدَ
الْعِرْفَانِ عَلَى مَسْأَلَتِهَا ، أَفْتَدِلُّ عَلَى خَيْرِكَ السُّؤَالُ ثُمَّ تَمْنَعُهُ ، وَأَنْتَ الْكَرِيمُ
الْمَحْمُودُ فِي كُلِّ مَا تَصْنَعُهُ ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ؟ .

أَنْتَ أَهْلُ أَنْ تَجُودَ عَلَيَّ

إلهي إِنْ كُنْتُ غَيْرَ مُسْتَأْهِلٍ لِمَا أَرْجُو مِنْ رَحْمَتِكَ ، فَأَنْتَ أَهْلُ أَنْ
تَجُودَ عَلَى الْمَذْنُبِينَ بِفَضْلِ سَعَتِكَ .

إلهي نَفْسِي قَائِمَةٌ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَقَدْ أَظْلَمَهَا حَسَنُ تَوَكُّلِهَا عَلَيْكَ ، فَاصْنَعْ
بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ ، وَتَعَمَّدَنِي بِرَحْمَتِكَ .

إلهي إِنْ كَانَ دُنَا أَجْلِي ، وَلَمْ يُقَرِّبْنِي مِنْكَ عَمَلِي ، فَقَدْ جَعَلْتَ
الْاعْتِرَافَ بِالذَّنْبِ وَسَائِلَ عِلَّايَ ، فَإِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ أَوْلَى مِنْكَ بِذَلِكَ ، وَإِنْ
عَذَّبْتَ فَمَنْ أَعْدَلَ مِنْكَ فِي الْحُكْمِ هُنَالِكَ .

إلهي إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ بَارَأً بِي أَيَّامَ حَيَاتِي ، فَلَا تَقْطَعْ بِرِّكَ بِي بَعْدَ وَفَاتِي .

إلهي كَيْفَ أَيَّاسٍ مِنْ حَسَنِ نَظْرِكَ بَعْدَ مِمَاتِي وَأَنْتَ لَمْ تَوَلِّني إِلَّا
الْجَمِيلَ فِي حَيَاتِي .

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / ج ١ ٤٢٧

إلهي إن ذنوبي قد أخافتني ، ومحبتني لك قد أجارتني ، فتولّ في أمري ما أنت أهله ، وعُد بفضلك على من غمره جهله ، يا من لا تخفى عليه خافية ، صلّ على محمّد وعلى آل محمّد ، واغفر لي ما خفي عن الناس من أمري.

إلهي ليس اعتذارِي إليك اعتذار مَنْ يَسْتَغْنِي عن قبول عذره ، فاقبل عذري ، يا خير من اعتذر إليه المسيئون.

لو أردت إهانتني لم تهديني

إلهي إنك لو أردت إهانتني لم تهديني ، ولو أردت فضيحتي لم تُعافني ، فمتّعني بما له هديتي ، وأدّم لي ما به سترتي.

إلهي لولا ما اقترفتُ من الذنوب ما خفتُ عقابك ، ولولا ما عرفتُ من كرمك ما رجوتُ ثوابك ، وأنت أكرم الأكرمين بتحقيق آمال الآملين ، وارحم من استرحم في تجاوزه عن المذنبين.

إلهي نفسي تُمنيّني بأنك تغفر لي ، فأكرم بها أمنيّتي ، فقد بشرتُ بعفوك وصدق كرمك مبشراتُ تمنّيها ، وهب لي بجودك مقصّراتِ تجنّيها.

إلهي ألقتني الحسنات بين جودك وكرمك ، وألقتني السيئات بين عفوك ومغفرتك ، وقد رجوت أن لا يضيع بين ذين وذَيْنِ مسيءٍ ومحسن.

إلهي إذا شهد لي الإيمان بتوحيدك ، وانطلق لساني بتمجيدك ، ودلّني القرآن على فضائل جودك ، فكيف لا يبتهج رجائي بحسن موعدك؟.

إلهي تتابع إحسانك يُدلّني على حسن نظرك ، فكيف يشقى امرؤ أوليّته منك حسن النظر؟.

إلهي إن نظرتُ إليَّ بالهلكة عيون سخطك، فما نامتُ عن استنقاذي
منه عيون رحمتك؟.

إلهي إن عَرَّضَني ذنبي لعقابك، فقد أدناني رجائي من ثوابك.

يا من لا يُخاف إلا عدله

إلهي إن غفرتَ فبفضلك، وإن عَذِبتَ فبعدلك، فيا من لا يُرجى إلا
فضله، ولا يُخاف إلا عدله، صلّ على محمّد وآل محمّد، وامنن عليّ
بفضلك، ولا تَسَقِّصْ عليّ عدلك.

إلهي خلقتَ لي جسماً، وجعلتَ لي فيه آلات، أطيعك بها
وأعصيك، وأغضبك بها وأرضيك، وجعلتَ لي من نفسي داعياً إلى
الشهوات، وأسكتنني داراً مُلئت من الآفات، وقلتَ لي: ازدجر، فبك
أعتصم، وبك أحترز، وأستوفقك لما يُرضيك، وأسألك فإن سؤالي لا
يُحفيك.

إلهي لو عرفتُ اعتذاراً وتنصلاً هو أبلغ من الاعتراف به لأتيته، فهب
لي ذنبي بالاعتراف، ولا تردّني في طلبي بالخيبة عند الانصراف.

إلهي كأنني بنفسي قد أضجعت في حفرتها، وانصرف عنها المشيعون
من عشيرتها، وناداهما من شفير القبر ذوو مَوَدَّتِها ورحمها، المعادي لها
في الحياة عند صرعتها، ولم يخف على الناظرين إليها ذلّ فاقتها، ولا
على من قد رآها تَوَسَّدت الثرى عجز حيلتها، فقلتُ: ملائكتي فريد نأى
عنه الأقربون، ووحيد جفاه الأهلون، وخذله المؤمنون، نزل بي قريباً،
وأصبح في اللحد غريباً، وقد كان لي في دار الدنيا راعياً، ولنظري إليه
في هذا اليوم راجياً، فتُحسِّن عند ذلك ضيافتي، وتكون أشفق عليّ من
أهلي وقرابتي.

لا تفضحني يوم ألقاك

إلهي سَتَرْتَ عَلَيَّ فِي الدُّنْيَا ذُنُوباً وَلَمْ تَظْهَرَهَا، فَلَا تَفْضَحْنِي يَوْمَ أَلْقَاكَ عَلَيَّ رُؤُوسَ الْعَالَمِينَ، وَاسْتَرَهَا عَلَيَّ هُنَاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

إلهي لَوْ طَبَّقْتَ ذُنُوبِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَخَرَقْتَ النُّجُومَ، وَبَلَغْتَ أَسْفَلَ الثَّرَى، مَا رَدَّنِي الْيَأْسَ عَنْ تَوَقُّعِ غَفْرَانِكَ، وَلَا صَرَفَنِي الْقَنُوطَ عَنْ أَنْتَظَارِ رِضْوَانِكَ.

إلهي سَعَتْ نَفْسِي إِلَيْكَ لِنَفْسِي تَسْتَوْهِبَهَا، وَفَتَحْتُ أَفْوَاهَ أَمَلِهَا تَسْتَوْجِبَهَا، فَهَبْ لَهَا مَا سَأَلْتُ، وَجِدْ لَهَا بِمَا طَلَبْتُ، فَإِنَّكَ أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ، بِتَحْقِيقِ أَمَلِ الْآمِلِينَ.

إلهي قَدْ أَصَبْتُ مِنَ الذُّنُوبِ مَا عَرَفْتُ، وَأَسْرَفْتُ عَلَى نَفْسِي بِمَا قَدْ عَلِمْتُ، فَاجْعَلْنِي عَبْدًا لَكَ إِمَّا طَائِعًا فَأَكْرَمْتَهُ، وَإِمَّا عَاصِيًا فَرَحِمْتَهُ.

إلهي دَعَوْتُكَ بِالْدَّعَاءِ الَّذِي عَلَّمْتَنِي، فَلَا تَحْرِمْنِي مِنْ حَبَائِكَ الَّذِي عَرَفْتَنِي، فَمِنْ النِّعْمَةِ أَنْ هَدَيْتَنِي لِحَسَنِ دَعَائِكَ، وَمِنْ تَمَامِهَا أَنْ تَوْجِبَ لِي مَحْمُودَ جَزَائِكَ.

إلهي أَنْتَظَرْتُ عَفْوَكَ كَمَا يَنْتَظِرُ الْمُسِيئُونَ، وَلَسْتُ أَيَّاسُ مِنْ رَحْمَتِكَ الَّتِي يَتَوَقَّعُهَا الْمُحْسِنُونَ.

جودك بسط أُملي

إلهي جُودُكَ بَسَطَ أُمْلِي، وَشَكَرُكَ قَبْلَ عَمَلِي، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَبَشِّرْنِي بِلِقَائِكَ، وَأَعْظِمْ رَجَائِي لَجَزَائِكَ.

إلهي أَنْتَ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا يَخِيبُ لَدَيْكَ أَمَلُ الْآمِلِينَ، وَلَا يَبْطُلُ عِنْدَكَ سَبَقُ السَّابِقِينَ.

إلهي إن كنتُ لم أستحقَّ معروفك ولم أستوجهه، فكن أنتَ أهل
التفضل به عليّ، فالكريم لم يضع معروفه عند كلِّ من يستوجهه.

إلهي مسكنتي لا يجبرُها إلّا عطاؤك، وأمنيّتي لا يُغنيها إلّا نعمائك.

إلهي استوفك لما يُدنيني منك، وأعوذ بك مما يصرفني عنك.

إلهي أحبّ الأمور إلى نفسي، وأعوذُها عليّ منفعة، ما أرشدتها
بهدايتك إليه، ودللتها برحمتك عليه، فاستعملها بذلك عنيّ، إذ أنتَ
أرحم بها مني.

إلهي أرجوك رجاء من يخافك، وأخافك خوف من يرجو ثوابك،
فقني بالخوف شرّ ما أحذر، واعطني بالرجاء خير ما أحاذر.

إلهي انتظرتُ عفوك كما ينتظر المذنبون، ولستُ آيساً من رحمتك
التي يتوقّعها المحسنون.

حقيق لمن دعاك أن تُجيبه

إلهي مددتُ إليك يداً بالذنوب مأسورة، وعيناً بالرجاء مذرورة.
وحقيق لمن دعاك بالندم تذلاًّ، أن تُجيب له بالكرم تفضلاًّ.

إلهي إن عرّضتني ذنوبي لعقابك، فقد أدانني رجائي من ثوابك.

إلهي لم أسلّط على حُسن ظنيّ بك قنوط الآيسين، فلا تُبطل صدق
رجائي بك بين الآملين.

إلهي إن انقضتْ بغير ما أحببتُ من السعيّ أيّامي، فبالإيمان أمضتها
الماضيات من أعوامي.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / ج ١ ٤٣١

إلهي إن أخطأتُ طريق النظر لنفسي بما فيه كرامتها، فقد أصبتُ طريق الفَرْع إليك بما فيه سلامتها.

إلهي ما أضيق الطريق على من لم تكن أنت دليله، وما أوحش المسلك على من لم تكن أنت أنيسه.

إلهي انهملتُ عَبراتي حين ذكرتُ خطيئاتي، وما لها لا تنهمل ولا أدري ما يكون إليه مصيري؟ أو ماذا يَهْجُم عليه عند البلاغ مَسيري؟ وأرى نفسي تُخاتلني، وأيامي تخادعني، وقد خَفَقْتُ فوق رأسي أجنحة الموت، ورمتني من قريب أعين الفوت، فما عُذري وقد أوجس في مسامعي رافع الصوت، لقد رجوتُ ممن ألبسني بين الأحياء ثوب عافيته، أن لا يُعْرِينِي منه بين الأموات بجلود رأفته، ولقد رجوتُ حين تَوَلَّاني باقي حياتي بإحسانه، أن يُسَعِّفني عند وفاتي بْغفرانه.

يا أنيس كلَّ غريب

يا أنيس كلَّ غريب آئس في القبر وحشتي، ويا ثاني كلَّ وحيد ارحم في القبر وَحَدَّتِي.

يا عالم السرِّ وأخفى، ويا كاشف الضرِّ والبلوى، كيف نظرتُ لي من بين ساكني الثرى؟ وكيف صنعك بي في دار الوحشة والبلَى؟ قد كنت بي لطيفاً أيام حياة الدنيا.

يا أفضل المنعمين في آلائه، وأنعم المفضلين في نعمائه، كُثرتُ عندي أياديكَ فعجزتُ عن إحصائها، وضيقتُ ذرعاً في شُكري لك بجزائها، فلك الحمد على ما أوليتَ، ولك الشكر على ما أبلّيتَ.

يا أفضل من رجاء راج

يا خير من دعاه داع، وأفضل من رجاء راج، بدمّة الإسلام أقبلتُ إليك، وبحرمة القرآن أعتد عليك، وبمحمد ﷺ أتقرب إليك.

فصلّ على محمد وعلى آل محمد، واغرف لي ذمتي التي بها رجوتُ قضاء حاجتي، واستعملني بطاعتك، واختم لي بخير، وأعتقني من النار، وأسكنني الجنة، ولا تفضحني بسريري حيّاً ولا ميتاً، وهب لي الذنوب التي فيما بيني وبينك، وأرض عبادك عني في مظالمهم قبلي، واجعلني ممن رضيته عنه فحرّمته على النار والعذاب، وأصلح لي كلّ أموري، التي دعوتك فيها في الآخرة والدنيا.

يا حنان يا منان، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيّ يا قيوم، يا من له الخلق والأمر، تباركت يا أحسن الخالقين، يا رحيم، يا كريم، يا قدير، صلّ على محمد وعلى آلّه الطيّبين، وعليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته، إنّه حميد مجيد.

مناقضات

ضعوا تيجان المفاخرة^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة.

أَيُّهَا النَّاسُ، شُقُّوا أُمُوجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تَيْجَانَ الْمُفَاخَرَةِ، أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوْ اسْتَسَلَّمَ فَأَرَاخَ، هَذَا مَاءُ آجِنٍ، وَلُقْمَةٌ يَعْصُ بِهَا أَكْلُهَا، وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِعَيْرِ وَقْتِ إِنِّبَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ.

الإنسان بين مناوئيه

فَإِنْ أَقْلُ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتَ يَقُولُوا: جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ، هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي، وَاللَّهِ لَا بُنْ أَبِي طَالِبٍ آتَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَا ضَطَّرْتُكُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْضِيَّةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٥)، وبحار الأنوار: ج ٢٨ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ب ٤ ح ٢٠.

أضرب بالسامع المطيع، العاصي المريب^(١)

ومن خطبة له عليه السلام لما أشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير، ولا يرصد لهما القتال :

وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ الدَّمِّ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَائِفُهَا، وَيَخْتَلِهَا رَاصِدُهَا، وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرِ عَنْهُ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيِ الْمُرِيبِ أَبَدًا، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي. فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَرًا عَلَيَّ، مُنْذُ قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عليه السلام حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا.

باض الشيطان وفرّخ في صدورهم^(٢)

ومن خطبة له عليه السلام :

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَكَاً، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَظَرَ بِالسِّنْتِهِمْ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ، فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ، وَنَظَرَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ.

لقد أقرّ بالبيعة^(٣)

ومن كلام له عليه السلام يعني به الزبير في حالٍ اقتضت ذلك :

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٦)، والأمالى للطوسي: ج ١ ص ٥٢ المجلس ٢ ح ٦٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٧)، وبحار الأنوار: ج ٣٤ ص ٢١١ ب ٣٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٨)، والجمل للشيخ المفيد: ص ٣٢٧ خطبة الحسن.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٤٣٥

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ، وَادَّعَى
الْوَلِيئَةَ، فَلَيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرِفُ، وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ.

أصحاب الشعارات البرّاقة^(١)

ومن كلام له عليه السلام :

وَقَدْ أَرَعَدُوا وَأَبْرَقُوا، وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفُشْلُ، وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى
نُوقِعَ، وَلَا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطَرَ.

الشیطان قد جمع حزبه^(٢)

ومن خطبة له عليه السلام :

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، وَاسْتَجَلَبَ خَيْلَهُ وَرَجِلَهُ، وَإِنَّ مَعِيَ
لُبْصِيرَتِي، مَا لَبَسْتُ عَلَى نَفْسِي وَلَا لُبْسَ عَلَيَّ، وَإِيمَ اللَّهِ لِأَفْرِطَنَ لَهُمْ
حَوْضًا أَنَا مَاتِحُهُ، لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

كنتم جند المرأة^(٣)

ومن كلام له عليه السلام في ذم أهل البصرة :

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ، رَعَا فَأَجَبْتُمْ، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ،
أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ، وَالْمُقِيمُ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٩)، والجمال للشيخ المفيد: ص ٣٣١ خطبة أمير المؤمنين.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٠)، والإرشاد: ج ١ ص ٢٥١ ومن كلامه حين نهض متوجهاً
من ذي قار إلى البصرة.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٢)، والجمال للشيخ المفيد: ص ٤٠٧ خطبة أمير المؤمنين في
ذم أهل البصرة، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٥١ الخطبة رقم (١٢).

بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّاحِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارِكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ، كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجَوْجُو سَفِينَةٍ، قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا، وَغَرِقَ مَنْ فِي ضَمَنِهَا.

وفي رواية: وَائِمُ اللَّهُ لَتَغْرَقَنَّ بِلَدَّتْكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجَوْجُو سَفِينَةٍ، أَوْ نَعَامَةٍ جَائِمَةٍ.

وفي رواية: كَجَوْجُو طَيْرٍ فِي لُجَّةٍ بَحْرٍ.

وفي رواية أخرى: بِلَادُكُمْ أُنْتُنُ بِلَادِ اللَّهِ تُرْبَةً، أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَاءِ، وَأَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ، وَبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ، الْمُحْتَبَسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ، وَالْخَارِجُ بَعْفُو اللَّهِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَرَيْتِكُمْ هَذِهِ قَدْ طَبَّقَهَا الْمَاءُ، حَتَّى مَا يَرَى مِنْهَا إِلَّا شُرْفَ الْمَسْجِدِ، كَأَنَّهُ جَوْجُو طَيْرٍ فِي لُجَّةٍ بَحْرٍ.

خَفَّتْ عَقُولُكُمْ^(١)

ومن كلام له عليه السلام في مثل ذلك:

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ، وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ، فَانْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ، وَأُكْلَةٌ لِأَكِلٍ، وَفَرِيَسَةٌ لِصَائِلٍ.

مَا يَدْرِيكَ يَا عَلِيٍّ مِمَّا لِي^(٢)

ومن كلام له عليه السلام قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤)، والجمال للشيخ المفيد: ص ٤٠٧ خطبة أمير المؤمنين في ندم أهل البصرة، وقرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٢٣ ق ١ ب ٥ ف ٢ ندم زمانه وأهل زمانه ٢١٣٥هـ.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩)، وبحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٤٣١ ب ٢٦ ح ٦٤٠.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ج ١ ٤٣٧

يخطب، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه عليك لا لك. فحفض (عليه السلام) إليه بصره وقال ما يلي:

مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي، عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ، حَائِكُ ابْنِ حَائِكٍ، مُنَافِقُ ابْنِ كَافِرٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَسْرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَالْإِسْلَامُ أُخْرَى، فَمَا فِدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلَا حَسْبُكَ، وَإِنَّ أَمْرًا دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفُ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتَفُ، لَحَرِيٍّ أَنْ يَمُقَّتَهُ الْأَقْرَبُ، وَلَا يَأْمَنُهُ الْأَبْعَدُ.

مع أصحاب الجمل^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام):

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَرَ حِزْبَهُ، وَاسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ، لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ.

وَاللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصِيفًا، وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ، فَلَيْتَ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَلَيْتَ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ، وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتَهُمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ، يَرْتَضِعُونَ أَمَّا قَدْ فَطَمْتُ، وَيُحْيُونَ بِدَعَاةٍ قَدْ أُمِيتَتْ.

يا خيبة الداعي

يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي مَنْ دَعَا؟ وَإِلَامَ أُجِيبَ؟ وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَعِلْمِهِ فِيهِمْ، فَإِنْ أَبَوْا أُعْطِيَتْهُمْ حَدَّ السَّيْفِ، وَكَفَى بِهِ شَافِيًا مِنْ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٢)، والجمل للشيخ المفيد: ص ٢٦٧ - ٢٦٨ خطبة أخرى لأمير المؤمنين بذي قار.

الْبَاطِلِ، وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ، وَمِنْ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُرَ لِلطَّعَانِ، وَأَنْ أَضِرَّ لِلْجَلَادِ، هَبَلَتْهُمْ الْهَبُولُ، لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدُدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أَرْهَبُ بِالضَّرْبِ، وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي.

العرب قبل البعثة^(١)

ومن خطبة له ﷺ :

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ، وَحَيَاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالْأَتَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ.

الناس بعد ارتحال الرسول ﷺ

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ، وَعَلَى أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ الْعَلَقَمِ.

بين معاوية وعمر بن العاص

وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا، فَلَا ظَفِيرَتْ يَدُ الْبَايِعِ، وَخَزِيرَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٦)، وكشف المحجة للسيد ابن طاوس: ١٧٣ - ١٧٤ عندما سأل الناس عما لا يعينهم بعد انصرافه من صفين، والغارات: ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٠ رسالة أمير المؤمنين إلى أصحابه.

فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أَهْبَتَهَا، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، فَقَدْ شَبَّ لَهَا، وَعَلَا سَنَاها، وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ، فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ.

عندما أغار الضحاك على أطراف البلاد^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) :

أَيُّهَا النَّاسُ، الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلَامُكُمْ يُوهِي الصُّمَّ الصَّلَابَ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمْ الْأَعْدَاءَ، تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حَيْدِي حَيْدِ، مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ، وَلَا اسْتَرَاخَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ، أَعَالِيلُ بِأَصَالِيلَ، وَسَأَلْتُمُونِي التَّطْوِيلَ، دِفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمُطْوِلِ، لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ، وَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ، أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ؟ وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟

المغرور من غررتموه

الْمَغْرُورُ وَاللَّهُ مَنْ غَرَّرْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَاللَّهُ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ، أَصْبَحْتُ وَاللَّهُ لَا أَصْدَقُ قَوْلُكُمْ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلَا أُوْعِدُ الْعُدُوَّ بِكُمْ، مَا بَالُكُمْ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ؟ مَا طِبُّكُمْ؟ الْقَوْمُ رَجَالٌ أَمْثَالُكُمْ! أَقُولُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَعَفْلَةٍ مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ؟ وَطَمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ؟!

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٩)، والاختصاص: ص ١٥٣ من كتاب ابن دأب في فضل أمير المؤمنين، وأنساب الأشراف: ص ٢٨٠ - ٢٨١ خطبته في توبيخ أصحابه على تفرقهم عنه.

الحكّام إذا استأثروا^(١)

ومن كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان.

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا، غَيْرَ أَنَّ مَنْ
نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، وَمَنْ خَذَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ
أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي.

وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرُهُ: اسْتَأَثَرَ فَاسَاءَ الْأَثَرَةُ، وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمْ الْجَزَعَ،
وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَقَعَ فِي الْمُسْتَأَثِرِ وَالْجَازِعِ.

لا تلقين طلحة^(٢)

ومن كلام له عليه السلام لابن العباس لما أرسله إلى الزبير يستفيئه إلى
طاعته قبل حرب الجمل:

لَا تَلْقَيْنِ طَلْحَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقَّاهُ تَجِدُهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنَهُ، يَرْكَبُ
الصَّعْبَ، وَيَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ، وَلَكِنَّ الْقِيَامَ الزُّبَيْرَ، فَإِنَّهُ أَلَيْنُ عَرِيكَةً، فَقُلْ لَهُ:
يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ؟ فَمَا عَدَا مِمَّا
بَدَأَ؟^(٣)

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٣٠)، والمسترشد للطبري الإمامي: ص ٤١٨ ومن كتاب له إلى
من قرأ من المؤمنين والمسلمين، وبحار الأنوار: ج ٣١ ص ٤٩٩ ب ٣٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٣١)، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ١٦٢ الخطبة رقم
(٣١).

(٣) قال الشريف الرضي: وهو أوّل من سُمعت منه هذه الكلمة، أعني: «فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ».

منيت بمن لا يطيع^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) :

مُنِيْتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ، وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لَا أَبَا لَكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ؟ أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ، وَلَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ، أَفُومُ فِيكُمْ مُسْتَضْرِحًا، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثًا، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا، حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورَ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ، فَمَا يُدْرِكُ بِكُمْ ثَارًا، وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامًا، دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرَجَرْتُمْ جَرَجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرَى، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النَّضْوِ الْأَذْبَرِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ^(٢) ضَعِيفٌ ﴿كَأَنَّمَا يَسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾^(٣).

المارقون وشعارهم^(٤)

ومن خطبة له (عليه السلام) قالها في الخوارج لما سمع قولهم: (لا حكم إلا لله):

كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ!

نَعَمْ، إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلَّهِ، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٣٩)، وبحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٣٢ - ٣٣ ب ٣١.

(٢) قال الشريف الرضي: أقول: قوله: مُتَذَائِبٌ، أي: مضطرب من قولهم: تذاءبت الريح أي: اضطرب هبوبها، ومنه سمي الذئب ذئبًا، لاضطراب مشيته.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٤٠)، وكتاب وقعة صفين لابن مزاحم: ص ٤٨٩ خطبة علي في التحكيم.

الْكَافِرُ، وَيَبْلَغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيُّ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ،
وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ،
وَيُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ.

وفي رواية أخرى أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال :

حُكِمَ اللَّهُ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ.

وقال: أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ، وَأَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ
فِيهَا الشَّقِيُّ، إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مَدَّتُهُ، وَتُدْرِكُهُ مَيِّتُهُ.

الغدر: سياسة الفجرة^(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ، وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْفَى مِنْهُ، وَمَا
يَعْدُرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعِ، وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدْ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ
الْغَدْرَ كَيْسًا، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ، مَا لَهُمْ؟ قَاتَلَهُمُ
اللَّهُ! قَدْ يَرَى الْحَوُلُ الْقَلْبُ وَجَهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ،
فَيَدْعُهَا رَأْيٍ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِرُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيَجَةَ لَهُ فِي
الدِّينِ.

قَبَّحَ اللَّهُ مَصْقَلَةَ^(٢)

ومن كلام له عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية،

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٤١) ومستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٤٧ ب ١٩ ح ١٢٣٩٧،
وخصائص الاثمة: ص ٩٧ ومن كلامه القصير في فنون البلاغة.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٤٤) والغارات: ج ٢ ص ٢٤٦ خبر بني ناجية.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٤٤٣

وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقهم، فلما طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام:

قَبَّحَ اللَّهُ مَصْفَلَهُ، فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ، فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَنَتْهُ، وَلَا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتْهُ، وَلَوْ أَقَامَ لَأَخَذْنَا مِيسُورَهُ وَانْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وَفُورَهُ.

مع الخوارج المارقين^(١)

ومن كلام له عليه السلام كَلَّمَ به الخوارج :

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آثِرٌ^(٢)، أَبْعَدَ إِيْمَانِي بِاللَّهِ وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ؟ لَمْ يَكُنْ ضَلَكْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ^(٣).

فَأُوبُوا شَرَّ مَا بٍ، وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا، وَسَيْفًا قَاطِعًا، وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً.

إنما أنتم كالمرأة الحامل حملت فأملست^(٤)

ومن كلام له عليه السلام في ذم أهل العراق :

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٥٨) والمسترشد للطبري الإمامي: ص ٦٧٢ ح ٣٤٢، وأنساب الأشراف: ص ٢٨١ خطبته في توبيخ أصحابه على تفرقهم عنه.

(٢) قال الشريف الرضي: قوله: وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آثِرٌ، يروى على ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون كما ذكرناه (أبر) بالراء، من قولهم للذي يأبر النخل أي يصلحه. ويروى: آثر وهو الذي يآثر الحديث ويرويه أي: يحكيه، وهو أصح الوجوه عندي، كأنه قال: لا بقي منكم مخبر.

ويروى: آبر بالزاي المعجمة، وهو الواثب والهالك أيضاً يقال له: آبر.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٦.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٧١)، وبحار الأنوار: ج ٣٤ ص ١٠٣ - ١٠٤ ب ٣١.

أَمَّا بَعْدُ، يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ، وَمَاتَ فَيَمُّهَا، وَطَالَ تَأْيُمُهَا، وَوَرِنَهَا أَبْعَدُهَا.
أَمَّا وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُكُمْ اخْتِيَارًا، وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْفًا، وَلَقَدْ بَلَّغَنِي أَنْكُمْ تَقُولُونَ: عَلَيَّ يَكْذِبُ!.

فَاتْلُكُمُ اللَّهَ تَعَالَى فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ؟

أَعَلَى اللَّهِ فَإِنَّا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ؟

أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ فَإِنَّا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ؟

كَلَّا وَاللَّهِ لَكِنَّهَا لَهُجَّةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا، وَيُلُ أُمُّهُ كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنِ، لَوْ كَانَ لَهُ وَعَاءٌ ﴿وَلَعَلَّنَ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ (١).

مع أصحاب الشورى (٢)

ومن كلام له ﷺ لما عزموا على بيعه عثمان:

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَوَاللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً، التَّمَاسًا لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرَفِهِ وَزِيرِجِهِ.

بنو أمية وتهمة الأبرياء (٣)

ومن كلام له ﷺ لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم

عثمان:

(١) سورة ص، الآية: ٨٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٧٤)، وبحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٦١٢ ب ١٥ بيان.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٧٥)، والنهاية لابن الأثير: ج ٤ ص ٤٦ حرف القاف باب القاف

مع الرءاء.

أَوَلَمْ يَنْهَ بَنِي أُمِّيَّةَ عُلْمَهَا بِي عَنْ قَرْفِي؟ أَوْ مَا وَزَعَ الْجُهَالِ سَابِقَتِي عَنْ
تُهْمَتِي؟ وَلَمَّا وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغَ مِنْ لِسَانِي.

أَنَا حَاجِجُ الْمَارِقِينَ، وَخَصِيمُ النَّاكِثِينَ الْمُرتَابِينَ، وَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ
تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ، وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَارَى الْعِبَادُ.

مع بني أُمِّيَّة^(١)

ومن كلام له (عليه السلام) :

إِنَّ بَنِي أُمِّيَّةَ لَيُفَوِّقُونِي ثَرَاتَ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) تَفْوِيقًا، وَاللَّهِ لَئِنْ بَقِيَتْ لَهُمْ
لَأَنْفَضْنَهُمْ نَفْضَ اللَّحَامِ الْوِذَامِ التَّرَبَّةَ^(٢).

مطايا الخطيئات^(٣)

فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، إِلَّا وَأَدْخَلَهُ الظُّلْمَةُ تَرْحَةً،
وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً، فَيَوْمِئِذٍ لَا يَبْقَى لَهُمْ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ، وَلَا فِي الْأَرْضِ
نَاصِرٌ.

أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مُورِدِهِ، وَسَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْ
ظَلَمٍ، مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ، وَمَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلَقَمِ، وَمَشَارِبِ
الصَّبْرِ وَالْمَقِيرِ، وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ، وَدَنَارِ السَّيْفِ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٧٧)، والنهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ٤٨٠ حرف الفاء باب الفاء
مع الواو.

(٢) قال الشريف الرضي: ويروى: التراب الزومة، وهو على القلب، وقوله: لَيُفَوِّقُونِي، أي:
يعطونني من المال قليلاً كفوق الناقة، وهو الحلبة الواحدة من لبنها. والوذام جمع
وذمة، وهي: الحُذَّة من الكَرش أو الكبد تقع في التراب فتُنفض.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٥٨)، والكافي: ج ٨ ص ١٧٣ - ١٧٦ خطبة لأمير المؤمنين
ح ١٩٣.

وَأِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِئَاتِ، وَزَوَامِلُ الْآثَامِ، فَأُقْسِمُ، ثُمَّ أُقْسِمُ،
لَتَنْحَمَنَهَا أُمِّيَّةٌ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفِظُ النُّحَامَةُ، ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا وَلَا تَطْعَمُ
بَطْعِمَهَا، أَبَدًا مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ.

عَجَبًا لِابْنِ النَّابِغَةِ^(١)

ومن كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص :

عَجَبًا لِابْنِ النَّابِغَةِ! يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنْ فِيَّ دُعَابَةً، وَأَنِّي امْرُؤٌ
تَلْعَابَةٌ، أَعَافِسُ وَأُمَارِسُ.

لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا وَنَطَقَ آثِمًا، أَمَا وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ، إِنَّهُ لَيَقُولُ
فَيُكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَيَسْأَلُ فَيَبْخُلُ، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ،
وَيَقْطَعُ الْإِلَّ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ؟! مَا لَمْ تَأْخُذِ
السُّيُوفَ مَأْخِذَهَا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَرَمَ سَبْتَهُ.

أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ
الْحَقِّ نَسْيَانُ الْآخِرَةِ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَيْتَةً، وَيَرْضَخَ
لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيحَةً.

جَبَّارُ الدَّهْرِ وَطَغَاتِهِ^(٢)

ومن كلام له عليه السلام :

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ، إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ،

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٨٤)، والأُمالي للطوسي: ص ١٣١ - ١٣٢ المجلس ٥ ح ٢٠٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٨٨)، والكافي: ج ٨ ص ٦٣ - ٦٤ خطبة لأمير المؤمنين ح ٢٢،

والنهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٤٩ حرف الهمزة باب الهمزة مع السين.

وَلَمْ يَجْبُرْ عَظَمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ، إِلَّا بَعْدَ أَرْزُلٍ وَبَلَاءٍ، وَفِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتَبٍ، وَمَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٍ، وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَيْبٍ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ، وَلَا كُلُّ ذِي نَاطِرٍ بِبَصِيرٍ.

العجب من الأحزاب والفرق المتناحرة

فَيَا عَجَبًا! وَمَا لِي لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَأِ هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا! لَا يَقْتَضُونَ أَثَرَ نَبِيِّ، وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيِّ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِعَيْبٍ، وَلَا يَعْفُونَ عَنْ عَيْبٍ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا، وَالْمُنْكَرُ عَنْدهُمْ مَا أَنْكَرُوا، مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضَلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهَمَّاتِ عَلَى آرَائِهِمْ، كَأَنَّ كُلَّ أَمْرٍ مِنْهُمْ إِمَامٌ نَفْسِهِ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعَرَى ثِقَاتٍ، وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ.

عصر ما قبل البعثة^(١)

ومن كلام له (عليه السلام) :

أَرْسَلَهُ ﷺ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَاعْتِزَامِ مِنَ الْفِتَنِ، وَانْتِشَارِ مِنَ الْأُمُورِ، وَتَلَطُّ مِنَ الْحُرُوبِ، وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ، ظَاهِرَةُ الْعُرُورِ، عَلَى حِينِ اضْغَرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَإِيَّاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٨٩)، والكافي: ج ١ ص ٦٠ - ٦١ باب الرد إلى الكتاب والسنة ٧، وتفسير القمي: ج ١ ص ٢ - ٣ مقدمة المصنف.

الرَدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا، ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ، وَدِتَارُهَا السَّيْفُ.

فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ، وَادْكُرُوا تِيكَ الَّتِي أَبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ، وَعَلَيْهَا مُحَاسِبُونَ، وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا يَهُمُّ الْعُهُودُ، وَلَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْأَحْقَابُ وَالْقُرُونُ، وَمَا أَنْتُمْ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمٍ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ.

لقد نزلت بكم البلية

وَاللَّهِ مَا أَسْمَعَكُمْ الرَّسُولَ ﷺ شَيْئاً إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا مُسْمِعُكُمْوهُ، وَمَا أَسْمَاعُكُمْ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُمْ بِالْأَمْسِ، وَلَا شَقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصَارُ، وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْنِدَةُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِنْهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَوَاللَّهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهْلُوهُ، وَلَا أَصْفَيْتُمْ بِهِ وَحُرْمُوهُ، وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمْ الْبَلِيَّةُ جَائِلاً خِطَامُهَا، رِخَوا بِطَانُهَا، فَلَا يَغُرَّتْكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ، إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ.

(١) البشير النذير

ومن كلام له ﷺ :

حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ شَهِيداً وَبَشِيراً وَنَذِيراً، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً، وَأَظْهَرَ الْمُظْهِرِينَ شَيْمَةً، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيَمَةً.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٠٥)، وتفسير القمي: ج ١ ص ٣٨٤ سورة النحل، والإرشاد: ج ١ ص ٢٧٦ ومن كلامه في مقام آخر.

بنو أمية ومصادرة أنعاب الرسول ﷺ

فَمَا اخْلَوْلْتُ لَكُمْ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ اخْلَافِهَا،
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامُهَا، قَلِيقًا وَضِينُهَا، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا
عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ، وَحَلَالُهَا بَعِيدًا غَيْرَ مَوْجُودِ،
وَصَادَفْتُمُوهَا وَاللَّهُ ظَلًّا مَمْدُودًا إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودِ، فَلَا رِضَ لَكُمْ شَاغِرَةً،
وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ، وَأَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ
مُسَلَّطَةٌ، وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ.

الدماء والحقوق التي أهدرها بنو أمية

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ دَمٍ نَائِرًا، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِبًا، وَإِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا
كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ، وَلَا يَفُوتُهُ مَنْ
هَرَبَ، فَأَقْسِمُ بِاللَّهِ يَا بَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفَنَهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ، وَفِي
دَارِ عَدُوِّكُمْ.

أبصر الأبصار

أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ، أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ
مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبْلَهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعْظُوا مَتَّعِظَ، وَامْتَحُوا مِنْ
صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدَرِ.

عِبَادَ اللَّهِ، لَا تَرْكُنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ، وَلَا تَنْقَادُوا لِأَهْوَائِكُمْ، فَإِنَّ
النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشِفَا جُرْفٍ هَارٍ، يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ

مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يَلْتَصِقُ، وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ.

قَالَ اللَّهُ اللَّهُ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَا يُشْكِي شَجَوَكُمْ، وَلَا يَنْقُضُ بَرَأْيَهُ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ.

من وظائف الإمام العادل

إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ: الْإِنْبِلَاحُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَالْاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالْإِحْيَاءُ لِلْسُّنَةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحَقِّهَا، وَإِصْدَارُ السُّهُمَانِ عَلَى أَهْلِهَا، فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبِيِّهِ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أَمْرُكُمْ بِالتَّهْيِي بَعْدَ التَّنَاهِي.

البخلاء بالنفس والمال^(١)

ومن كلام له عليه السلام :

فَلَا أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا، وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا، تَكْرُمُونَ بِاللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَا تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِي عِبَادِهِ، فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصِلِ إِخْوَانِكُمْ.

مع المستهترين والمتكبرين^(٢)

ومن كلام له عليه السلام : قاله للمغيرة بن الأخنس حين قال لعثمان - يتهدد الإمام عليه السلام - : أنا أكفيكه :

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١١٧).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٣٥)، وبحار الأنوار: ج ٣١ ص ٤٧٢ ب ٢٨.

يَا ابْنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ، وَالشَّجَرَةَ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ، أَنْتَ تَكْفِينِي؟ فَوَاللَّهِ مَا أَعَزَّ اللَّهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهَضُهُ، أَخْرُجْ عَنَّا، أَبْعَدَ اللَّهُ نَوَاكٍ، ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَكَ، فَلَا أَبْقَى اللَّهَ عَلَيْكَ إِنْ أَبَقَيْتَ.

الرقيبان المتنافسان على الدنيا^(١)

ومن خطبة له (عليه السلام) يصف فيها الناكثين وعلى رأسهم طلحة والزبير:

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ، لَا يَمْتَنَانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلٍ، وَلَا يَمْدَانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبِّ لِصَاحِبِهِ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ.

وَاللَّهُ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا، وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا، قَدْ قَامَتِ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ؟ فَقَدْ سَنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ، وَقُدِّمَ لَهُمُ الْحَبْرُ، وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ.

وَاللَّهُ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ الدَّمِ، يَسْمَعُ النَّاعِي، وَيَحْضُرُ الْبَاكِي، ثُمَّ لَا يَغْتَبِرُ.

إنها كانت أثره^(٢)

ومن كلام له (عليه السلام) قاله لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به؟:

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤٨)، والإرشاد: ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧.
 (٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٦٢)، وعلل الشرائع: ج ١ ص ١٤٥ - ١٤٦ ب ١٢١ ح ٢، والفصول المختارة: ص ٧٧.

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ، إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينَ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدِيدٍ، وَلَكَ بَعْدَ
 ذِمَامَةِ الصُّهْرِ، وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ، وَقَدْ اسْتَعْلَمْتَ فَأَعْلَمْ: أَمَّا الْإِسْتِبدَادُ عَلَيْنَا
 بِهَذَا الْمَقَامِ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَبًا، وَالْأَشْدُونَ بِالرُّسُولِ ﷺ نَوْطًا، فَإِنَّهَا
 كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَّتْ عَنْهَا نَفُوسُ آخَرِينَ، وَالْحَكْمُ
 اللَّهُ، وَالْمَعُودُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ.

وَدَعُ عَنْكَ نَهْبًا صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ وَلَكِنْ حَدِيثًا مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

حاول القوم إطفاء نور الله

وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ،
 وَلَا عَرُوْ وَاللَّهِ، فَيَا لَهُ خَطْبًا! يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ، وَيُكْثِرُ الْأَوْدَ، حَاوَلَ الْقَوْمُ
 إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ، وَسَدَّ قَوَارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ، وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
 شِرْبًا وَبَيْثًا، فَإِنْ تَرْتَفِعَ عَنَّا وَعَنْهُمْ مَحْنُ الْبَلَوَى أَحْمِلُهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى
 مَحْضِهِ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى ﴿فَلَا نَذْهَبَ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا
 يَصْنَعُونَ﴾ (١).

الحمد لله الذي لا يحجبه شيء (٢)

ومن خطبة له ﷺ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً، وَلَا أَرْضٌ أَرْضًا.

(١) سورة فاطر، الآية: ٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٧٢)، والمسترشد للطبري الإمامي: ص ٤١٦ ومن كتاب له
 إلى من قرأ من المؤمنين والمسلمين، والإمامة والسياسة: ص ١٧٦ ما كتب علي لأهل
 العراق.

أنتم تحولون بيني وبين حقي

وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحْرِيصٌ!

فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لِأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَحْصُ وَأَقْرَبُ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي، وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ، فَلَمَّا فَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَأِ الْحَاضِرِينَ، هَبَّ كَأَنَّهُ بُهِتَ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ! اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِيدُكَ عَلَى فُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَعَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْرًا هُوَ لِي، ثُمَّ قَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ.

خرجوا يَجْرُونَ حُرمة الرسول ﷺ

منها في ذكر أصحاب الجمل:

فَخَرَجُوا يَجْرُونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَمَا تُجْرُ الْأُمَةُ عِنْدَ شَرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبُصْرَةِ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا، فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ.

فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا، وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا، فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْرًا، وَطَائِفَةً غَدْرًا، فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ، إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا بِيَدٍ، دَعَا مَا أَنْتَهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ.

أراد أن يُغالط ليُلبس الأمر^(١)

ومن كلام له عليه السلام في طلحة بن عبيد الله :

قَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدَدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أَرْهَبُ بِالضَّرْبِ، وَأَنَا عَلَى مَا قَدْ
وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ، وَاللَّهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّدًا لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ، إِلَّا
خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ لِأَنَّهُ مَظْنُتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ،
فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْتَسِسَ الْأَمْرُ، وَيَقَعَ الشُّكُّ.

لماذا لم يفعل إحدى ثلاث؟

وَوَاللَّهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ :

لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِمًا كَمَا كَانَ يُزْعَمُ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَارِزَ
قَاتِلِيهِ، وَأَنْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ.

وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُومًا، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنْهَبِهِينَ عَنْهُ،
وَالْمُعَذِّرِينَ فِيهِ.

وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخِصْلَتَيْنِ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُذَ
جَانِبًا، وَيَدْعَ النَّاسَ مَعَهُ.

فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرِفْ بَابَهُ، وَلَمْ تَسْلَمْ
مَعَاذِيرُهُ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٧٤)، والأمالى للطوسي: ص ١٦٩ - ١٧٤ المجلس ٦ ح ٢٨٤،
والغدير: ج ٩ ص ٩١ حديث طلحة بن عبيد الله.

أَيَّتْهَا الْفِرْقَةُ الْمُتَخَذَلَةُ^(١)

ومن خطبة له عليه السلام في ذم المتبطلين من أصحابه :

أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وَعَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ.
أَيَّتْهَا الْفِرْقَةُ، الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِيعْ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ، إِنْ
أُمِّهَلْتُمْ خُسُفْتُمْ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرُتُمْ، وَإِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ،
وَأِنْ أَجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَضْتُمْ، لَا أَبَا لِعَيْرِكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ،
وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ؟.

الْمَوْتُ أَوْ الذَّلُّ لَكُمْ! فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي - وَلَيَأْتِيَنِي - لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ، وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ.

أما دين يجمعكم؟

لِلَّهِ أَنْتُمْ! أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ؟ وَلَا حِمِيَّةَ تَسْحَدُكُمْ، أَوْ لَيْسَ عَجَباً أَنْ
مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاءَ الطَّعَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ، وَأَنَا
أَدْعُوكُمْ - وَأَنْتُمْ تَرِيكُهُ الْإِسْلَامَ، وَبَقِيَّةَ النَّاسِ - إِلَى الْمَعُونَةِ، أَوْ طَائِفَةٍ مِنَ
الْعَطَاءِ، فَتَفَرِّقُونَ عَنِّي، وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ؟!

إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضاً فَتَرْضَوْنَهُ، وَلَا سُخْطاً فَتَجْتَمِعُونِ
عَلَيْهِ، وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لِأَقِ إِلَى الْمَوْتِ، قَدْ دَارَسْتُكُمْ الْكِتَابَ، وَفَاتَحْتُكُمْ
الْحِجَابَ، وَعَرَفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَّجْتُمْ، لَوْ كَانَ الْأَعْمَى

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٨٠)، والنهاية لابن الأثير: ج ١ ص ١٨٤ حرف التاء باب التاء مع الراء.

يَلْحَظُ، أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ!! وَأَقْرَبُ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ، وَمُؤَدَّبُهُمْ ابْنُ النَّابِغَةِ.

مع الملتحقين بالخوارج^(١)

ومن كلام له عليه السلام وَقَدْ أَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْلَمُ لَهُ عِلْمٌ أَحْوَالِ قَوْمٍ مِنْ جُنْدِ الْكُوفَةِ، قَدْ هَمُّوا بِاللِّحَاقِ بِالْخَوَارِجِ، وَكَانُوا عَلَى خَوْفٍ مِنْهُ عليه السلام، فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ قَالَ لَهُ: أَأَمِنُوا فَقَطَّنُوا، أَمْ جَبَنُوا فَطَعَنُوا؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: بَلْ طَعَنُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ مَا يَلِي:

بُعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودُ، أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ، وَصَبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ! لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَفْلَحَهُمْ، وَهُوَ غَدًا مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ، وَمَتَخَلَّ عَنْهُمْ، فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى، وَارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَى، وَصَدَّهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَجَمَاعِهِمْ فِي التَّيِّهِ.

قَبِّحَكَ اللَّهُ يَا أَثْرَمَ!^(٢)

ومن كلام له عليه السلام قاله للبرج بن مسهر الطائي، وقد قال له بحيث يسمعه: «لا حكم إلا لله»، وكان من الخوارج:

اسْكُتْ، قَبِّحَكَ اللَّهُ يَا أَثْرَمَ! فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَيَّالًا شَخْصُكَ، خَفِيًّا صَوْتُكَ، حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٨١)، والغارات: ج ١ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ خبر بني ناجية.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٨٤).

لكنّه يغدر ويفجر^(١)

ومن كلام له عليه السلام :

وَاللّٰهُ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَذَى مِنِّي، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ
لَكُنْتُ مِنْ أَذَى النَّاسِ، وَلَكِنْ كُلُّ غُدْرَةٍ فُجْرَةٌ، وَكُلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ، وَلِكُلِّ
غَادِرٍ لِّوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللّٰهُ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ، وَلَا أُسْتَعْمَرُ
بِالشَّدِيدَةِ.

لقد أظهرتما يسيراً وأخفيتما كثيراً^(٢)

ومن كلام له عليه السلام : كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة، وقد عتابا
عليه من ترك مشورتهم، والاستعانة في الأمور بهما :

لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيراً، وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيراً، أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمَا
فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُمَا عَنْهُ؟ أَمْ أَيُّ قَسَمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيَّكُمَا بِهِ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ
إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ، أَمْ جَهْلُهُ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ؟.

وَاللّٰهُ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ، وَلَا فِي الْوِلَايَةِ إِزْبَةٌ، وَلَكِنَّكُمْ
دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ
اللّٰهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرْنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، وَمَا اسْتَنَّ النَّبِيُّ ﷺ
فَأَتْتَدَيْتُهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا، وَلَا وَقَعَ
حُكْمٌ جَهْلُهُ فَأَسْتَشِيرُكُمْ وَإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْعَبْ
عَنْكُمَا وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠٠)، والكافي: ج ٢ ص ٣٣٨ باب المكر والغدر والخديعة ح ٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠٥)، ونقض العثمانية للإسكافي على ما في شرح النهج لابن

أبي الحديد: ج ١١ ص ١٤ من أخبار طلحة والزبير.

التفضيل في العطاء: بدعة

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأُسُوءَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكَمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَلَا وَلِيَّتُهُ هَوَى مَنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللَّهُ مِنْ قَسْمِهِ، وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمَا - وَاللَّهِ عِنْدِي وَلَا لِعَيْرِكُمَا - فِي هَذَا عُتْبَى، أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَالْهَمْنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ.

ثم قال ﷺ: رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ، وَكَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ.

إن قريشاً قطعوا رحمي^(١)

ومن كلام له ﷺ:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَأَكْفَرُوا إِنَائِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَارَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَاصْبِرْ مَعْمُومًا، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفًا.

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ، وَلَا ذَابٌّ، وَلَا مُسَاعِدٌ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي، فَصَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَجَرَعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَى، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظَمِ الْعَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلَقَمِ، وَالْمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشَّفَارِ.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١٧)، والجمال للشيخ المفيد: ص ١٢٣ و ١٧٠.

لقد عاثوا في الأرض الفساد^(١)

ومن كلام له (عليه السلام) في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه (عليه السلام) :

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَالِي، وَخُزَّانِ بَيْتِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي، فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ، وَوَثَبُوا عَلَى شِيعَتِي، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا، وَطَائِفَةً عَصُوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ.

ليسوا من المهاجرين والأنصار^(٢)

ومن كلام له (عليه السلام) في شأن الحكمين، وذم أهل الشام :

جُفَاءَ طَعَامٍ، وَعَبِيدُ أَقْرَامٍ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أُوْبٍ، وَتُلْقَطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ، وَيُعَلَّمَ وَيُدْرَبَ، وَيُؤَلَّى عَلَيْهِ، وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ.

شتان ما بين الاختيارين

أَلَا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تُحِبُّونَ، وَإِنَّكُمْ اخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ، وَإِنَّمَا عَاهَدَكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١٨)، والمسترشد للطبري الإمامي: ص ٤٢٠ ومن كتاب له إلى من قرأ من المؤمنين والمسلمين، والإمامة والسياسة: ص ١٧٦ ما كتب علي لأهل العراق.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٣٨)، والمسترشد للطبري الإمامي: ص ٤٢٦ ومن كتاب له إلى من قرأ من المؤمنين والمسلمين.

فَيَسِّ بِالْأَمْسِ يَقُولُ: «إِنَّهَا فِتْنَةٌ، فَقَطُّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ»، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرِهِ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهْمَةُ، فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَخُذُوا مَهْلَ الْأَيَّامِ، وَخُوطُوا قَوَاصِيَ الْإِسْلَامِ.

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى، وَإِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى.

كتاب امرئ ليس له بصر^(١)

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضاً:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ، نَمَقَّتْهَا بِضَلَالِكَ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ، وَكِتَابُ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لَاغِطًا، وَضَلَّ خَابِطًا.

الخارج من البيعة بعد تمامها

لَأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ، لَا يُتَنَّى فِيهَا النَّظَرُ، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ، الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالْمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ.

ليس المهاجر كالطليق^(٢)

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً عن كتاب منه إليه:

وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ: فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَعْنُكَ أَمْسٍ.

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٧)، وكتاب وقعة صفين لابن مزاحم: ص ٥٧ - ٥٨ كتاب علي إلى معاوية.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ،
أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ.

وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرَّجَالِ: فَلَسْتُ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى
الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ.
وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدٍ مَنَافٍ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِّيَّةٌ
كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلَا
الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ، وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلَا
الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ، وَلَيْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتَّبِعُ سَلَفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

لا تجعل للشيطان فيك نصيباً

وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ، الَّتِي أَذَلَّلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، وَنَعَشْنَا بِهَا
الدَّلِيلَ، وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ
طَوْعًا وَكَرْهًا، كُتِّمَ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ: إِمَّا رَغْبَةً، وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَى حِينِ
فَارَ أَهْلِ السَّبْتِ سَبَقَهُمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ، فَلَا تَجْعَلَنَّ
لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيبًا، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا، وَالسَّلَامُ.

ما أنت والفاضل والمفضول؟^(١)

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً وهو من محاسن الكتب:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ فِيهِ اضْطِفَاءُ اللَّهِ مُحَمَّدًا عليه السلام لِدِينِهِ،
وَتَأْيِيدُهُ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيْدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا، إِذْ

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٢٨)، وكتاب وقعة صفين لابن مزاحم: ص ٨٨ - ٩١ كتاب علي
إلى معاوية، وأنساب الأشراف: ص ٢٧٩ - ٢٨٢ جواب أمير المؤمنين لكتاب معاوية.

طَفِيفَتْ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِينَا، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ.

وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ اغْتِرَازُكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلَمُهُ، وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمُفْضُولَ، وَالسَّائِسَ وَالْمُسُوسَ، وَمَا لِلطُّلُقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلُقَاءِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبِ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفِ طَبَقَاتِهِمْ؟.

إِنَّكَ يَا معاوية لذهاب في التيه

هَيْهَاتَ، لَقَدْ حَنَّ قَدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا، أَلَا تَرُبُّعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظُلْعِكَ؟ وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذُرْعِكَ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخْرَكَ الْقَدَرُ! فَمَا عَلَيْكَ غَلْبَةُ الْمَغْلُوبِ، وَلَا ظَفَرُ الطَّافِرِ، وَإِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي التَّيِّهِ، رَوَّاعٌ عَنِ الْقَصْدِ.

بنعمة الله أُحَدِّثُ

أَلَا تَرَى - غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ، وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ - أَنَّ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَلِكُلِّ فَضْلٍ! حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِيدُنَا قِيلَ: «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ»، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ؟.

أَوْ لَا تَرَى أَنَّ قَوْمًا قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِكُلِّ فَضْلٍ! حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ: «الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ، وَدُودُ الْجَنَاحِينَ»، وَلَوْ لَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَرْكِيبَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ.

إِنَّا صَنَائِعُ رَبَّنَا

فَدَعُ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبَّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا، لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزَّنَا، وَلَا عَادِي طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ، أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا، فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا فِعْلَ الْأَكْفَاءِ، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ وَأَنْتَى يَكُونُ ذَلِكَ، وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمْ الْمُكَذِّبُ، وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صَبِيَّةُ النَّارِ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَمِنْكُمْ حَمَالَةُ الْحَطَبِ، فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ، فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ وَجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ^(١)، وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَدَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^(٢)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)، فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ.

الحقُّ لنا دونكم

وَلَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَجُّوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بغيرِهِ فَلَا أَنْصَارَ عَلَى دَعْوَاهُمْ!.

من مزاعم القاسطين

وَرَزَعَمَتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتٌ، فَإِنْ يَكُنْ

(١) أي: شرفنا في الجاهلية لا ينكره أحد.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.

ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلَيْسَتْ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ فَيَكُونُ الْعُذْرُ إِلَيْكَ.

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنْكَ عَارُهَا

أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ

وَقُلْتُ: إِنِّي كُنْتُ أَقَادُ كَمَا يَقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أَتَابِعَ، وَلَعَمْرُ
اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَاقْتَضَحْتَ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ
مِنْ غَضَاظَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مُلُومًا مَا لَمْ يَكُنْ شَاكًّا فِي دِينِهِ، وَلَا مُرْتَابًا
بِيقِينِهِ، وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا
سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا.

أَيُّنَا كَانَ أَعْدَى؟

ثُمَّ ذَكَرْتُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ
لِرَحِمِكَ مِنْهُ، فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ؟ أَمِنْ بَدَلٍ لَهُ نُصْرَتُهُ
فَاسْتَعْدَّهُ وَاسْتَكَفَّهُ، أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاحَى عَنْهُ، وَبَثَّ الْمَنُونِ إِلَيْهِ، حَتَّى
أَتَى قَدْرُهُ عَلَيْهِ؟! كَلَّا وَاللَّهِ لَ ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ
إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١).

وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَدِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثًا، فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ
إِرْشَادِي وَهَدَايَتِي لَهُ، فَرُبَّ مُلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ.

وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الطَّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ

وَمَا أَرَدْتُ ﴿إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

أُنِيبُ﴾ (٢).

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٨.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٨.

لقد أضحكت بعد استعبار

وَذَكَرْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلَا صَحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ! فَلَقَدْ أَضْحَكْتُ
بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ! مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ، وَبِالسَّيْفِ
مُخَوِّفِينَ؟

فَلَبَّثْتُ قَلِيلًا يَلْحَقِي الْهَيْجَا حَمَلٌ

فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ، فِي
جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، شَدِيدِ
زِحَامُهُمْ، سَاطِعِ قَتَامُهُمْ، مُتَسَرِّبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ، أَحَبُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ
لِقَاءُ رَبِّهِمْ، وَقَدْ صَحِبْتَهُمْ ذُرِيَّةً بِذُرِيَّةٍ، وَسُيُوفَ هَاشِمِيَّةٍ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ
نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ، وَجَدَّكَ وَأَهْلِكَ، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ
بَبَعِيدٍ﴾^(١).

أرديت يا معاوية جيلاً من الناس كثيراً^(٢)

ومن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية:

وَأَرَدَيْتَ جِيلاً مِنَ النَّاسِ كَثِيراً، خَدَعْتَهُمْ بِغَيْكِ، وَأَلْفَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ
بَحْرِكَ، تَغَشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ، وَتَتَلَاظِمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ، فَجَازَوْا عَنْ وَجْهِتِهِمْ،
وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلَوْا عَلَى أَحْسَابِهِمْ، إِلَّا
مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ؛ فَإِنَّهُمْ فَارُقُواكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ

(١) سورة هود، الآية: ٨٣.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٣٢)، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٣٢ الكتاب رقم

مَوَازَرَتِكَ، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ.
فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةَ فِي نَفْسِكَ، وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا
مُنْقَطَعَةٌ عَنْكَ، وَالْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، وَالسَّلَامُ.

دع عنك قريشاً^(١)

ومن كتاب له عليه السلام إلى أخيه عقيل بن أبي طالب، في ذكر جيش
أنفذه إلى بعض الأعداء، وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل:

فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِبًا،
وَنَكَصَ نَادِمًا، فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَقَدْ طَفَلَتِ الشَّمْسُ لِلإِيَابِ فَاقْتَتَلُوا
شَيْئًا، كَلَّا وَلَا فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضًا، بَعْدَ مَا أُخِذَ
مِنْهُ بِالْمُخْتِقِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ الرَّمَقِ، فَلَأْيَا بِلَأْيٍ مَا نَجَا.

فَدَعُ عَنْكَ قُرَيْشًا وَتَرَكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ، وَتَجَوَّالَهُمْ فِي الشَّقَاقِ،
وَجَمَّاحَهُمْ فِي التَّيِّهِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي، كِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلِي، فَجَزَتْ قُرَيْشًا عَنِّي الْجَوَازِي، فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي،
وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي.

مع شاهري السلاح ومستحلي القتال

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْقِتَالِ، فَإِنَّ رَأْيِي: قِتَالُ الْمُحْلِلِينَ
حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ، لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي
وَحُشَّةً، وَلَا تَحْسِبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ - وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ - مُتَضَرِّعًا مُتَحَشِّعًا، وَلَا

مُقِرّاً لِلضَّيْمِ وَاهِنًا، وَلَا سَلَسَ الزَّمَانِ لِلْقَائِدِ، وَلَا وَطِئَ الظَّهْرَ لِلرَّاكِبِ
الْمُتَقَعِّدِ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سَلِيمِ:

فَإِنْ تَسْأَلِينِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنِّي صُبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَابَةٌ فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

ما أشد لزومك للأهواء؟^(١)

ومن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية:

فُسْبِحَانَ اللَّهِ! مَا أَشَدَّ لَزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبَعَةِ، مَعَ
تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ، وَاطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ، الَّتِي هِيَ لِلَّهِ طَلَبَةٌ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ،
فَأَمَّا إِكْثَارُكَ الْحِجَاجَ عَلَى عُثْمَانَ وَقَتْلَتِهِ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ
كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ، وَالسَّلَامُ.

أذهبت دنياك وأخرتك^(٢)

ومن كتاب له (عليه السلام) إلى عمرو بن العاص:

فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعًا لِدُنْيَا امْرِئٍ ظَاهِرٍ غَيْهٌ، مَهْتُولٍ سِثْرُهُ، يَشِينُ
الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخُلُطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ،
اتَّبَاعَ الْكَلْبِ لِلصَّرْعَامِ، يَلُودُ بِمَخَالِبِهِ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ
فَرِيْسَتِهِ، فَأَذْهَبَتْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ، وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكَتْ مَا طَلَبْتَ،

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٣٧)، والاحتجاج: ج ١ ص ١٨٠ احتجاجه على معاوية في جواب كتاب كتبه إليه.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٣٩)، والاحتجاج: ج ١ ص ١٨٢ احتجاجه على معاوية في جواب كتاب كتبه إليه.

فَإِنْ يُمَكِّنِي اللَّهُ مِنْكَ وَمِنْ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبَقَّيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا، وَالسَّلَامُ.

احذر معاوية فإنما هو شيطان^(١)

ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد ابن أبيه وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه :

وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لَبَّكَ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ، فَاحْذَرُهُ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ، يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ، وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلَتَّةٌ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَنَزْعَةٌ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ لَا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ، وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدْفَعِ، وَالنَّوْطُ الْمُدْبَذِبِ.

فَلَمَّا قَرَأَ زِيَادُ الْكِتَابِ قَالَ: شَهِدَ بِهَا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، وَلَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِهِ حَتَّى ادَّعَاهُ مُعَاوِيَةُ^(٢).

مع القاسطين^(٣)

ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين :

-
- (١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٤٤)، وأسد الغابة: ج ٢ ص ٢١٥ - ٢١٦ ب ع س زياد.
 (٢) قال الشريف الرضي: قوله: الْوَاغِلُ، هو الذي يهجم على الشُّرْبِ ليشرب معهم وليس منهم، فلا يزال مدْفَعاً محَاَجَراً.
 وَالنَّوْطُ الْمُدْبَذِبُ، هو ما يناط برجل الرَّاكِبِ من قُعب أو قَدح أو ما أشبه ذلك، فهو أبداً يتقلقل إذا حَتَّ ظهره، واستعجل سيره.
 (٣) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٥٨)، وبحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٣٠٦ - ٣٠٧ ب ٢١ ح ٥٥٧.

وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا التَّمَيَّنَا وَالْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا
وَاحِدٌ، وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ، وَدَعْوَتَنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ، وَلَا نَسْتَزِيدُهُمْ فِي
الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَالتَّصَدِيقِ بِرَسُولِهِ وَلَا يَسْتَزِيدُونَنَا.

الْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ، فَقُلْنَا:
تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لَا يَذْرُكُ الْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وَتَسْكِينِ الْعَامَةِ حَتَّى يَشْتَدَّ
الْأَمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ، فَنَقْوَى عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ مَوَاضِعَهُ، فَقَالُوا: بَلْ نُدَاوِيهِ
بِالْمَكَابِرَةِ.

فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَرَكَدَتِ، وَوَقَدَتْ نِيرَانَهَا وَحِمِشَتْ، فَلَمَّا
ضَرَسَتْهَا وَإِيَاهُمْ، وَوَضَعَتْ مَخَالِيهَا فِينَا وَفِيهِمْ، أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي
دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا، وَسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا، حَتَّى
اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ الْمَعْذِرَةُ، فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ
فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّائِسُ الَّذِي رَانَ
اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ السَّوْءِ عَلَى رَأْسِهِ.

فَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ: كَفَرَكُمْ وَفَتَنَتْكُمْ^(١)

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْأَلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ،
فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسٍ، أَنَا آمَنَّا وَكَفَرْتُمْ، وَالْيَوْمَ أَنَا اسْتَقَمْنَا وَفُتِنْتُمْ، وَمَا

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٦٤)، والإمامة والسياسة: ج ١ ص ١٠٠ - ١٠١ رد الإمام علي
على معاوية.

أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كَرْهًا، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ الْإِسْلَامِ كُلُّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِزْبًا.

من مزاعم معاوية

وَذَكَرْتُ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَشَرَدْتُ بَعَائِشَةَ، وَنَزَلْتُ بَيْنَ الْمِصْرَيْنِ، وَذَلِكَ أَمْرٌ غَبَتْ عَنْهُ، فَلَا عَلَيْكَ وَلَا الْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ.

وَذَكَرْتُ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَدْ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهِ، فَإِنِّي إِنْ أَزْرَكَ فَذَلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلنَّفَمَةِ مِنْكَ، وَإِنْ تَزُرْنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسَدٍ:

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَّاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَجُلُودٍ وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ.

إِنَّكَ يَا معاوية الأغلف القلب

وَإِنَّكَ - وَاللَّهِ - مَا عَلِمْتُ الْأَغْلَفُ الْقَلْبَ، الْمُقَارِبُ الْعَقْلَ، وَالْأَوَّلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ: إِنَّكَ رَقِيتَ سَلْمًا أَظْلَعَكَ مَطْلَعُ سُوءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ، وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ، وَطَلَبْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَا فِي مَعْدِنِهِ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ!! وَقَرِيبَ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَامٍ وَأَحْوَالٍ، حَمَلَتْهُمْ الشَّقَاوَةُ وَتَمَنَّى الْبَاطِلُ عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَضَرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ، لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيمًا، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيمًا، بِوَفْعِ سُيُوفٍ مَا خَلَا مِنْهَا الْوَعَى، وَلَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَا.

لقد أكثرت في قتل عثمان

وَقَدْ أَكْثَرْتُ فِي قَتْلَةِ عُثْمَانَ، فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ، أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّيِّ عَنِ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ.

سلكت يا معاوية مدارج أسلافك! (١)

ومن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية أيضاً.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَتَنَفَّعَ بِاللَّمَحِ الْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ الْأُمُورِ، فَقَدْ سَلَكَتَ مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ بِادِّعَائِكَ الْأَبَاطِيلَ، وَاقْتِحَامِكَ غُرُورَ الْمَيْنِ وَالْأَكَاذِبِ، وَبَانِيْحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ، وَابْتِزَازِكَ لِمَا قَدْ اخْتَزَنَ دُونُكَ، فِرَاراً مِنَ الْحَقِّ، وَجُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ، مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ، وَمُلِئَ بِهِ صَدْرُكَ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ الْمُبِينُ، وَبَعْدَ الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْسُ، فَاحْذَرِ الشُّبْهَةَ وَاشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ جَلَابِيْبَهَا، وَأَغْشَتْ الْأَبْصَارَ ظَلَمَتُهَا.

أصبحت كالخابط في ظلام

وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانَيْنِ مِنَ الْقَوْلِ، ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السَّلَمِ، وَأَسَاطِيرَ لَمْ يَحْكُمَهَا مِنْكَ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ، أَصْبَحْتَ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ، وَالْخَاطِبِ فِي الدِّيْمَاسِ، وَتَرَقَّيْتَ إِلَى مَرْقَبَةٍ بَعِيدَةِ الْمَرَامِ، نَازِحَةٍ الْأَعْلَامِ، تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَنْوُقُ، وَيُحَادِثُ بِهَا الْعَيُوقُ.

وَحَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَلِيَّ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدْرًا أَوْ وَرْدًا، أَوْ أُجْرِي لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْدًا أَوْ عَهْدًا، فَمِنَ الْآنَ فَتَدَارِكُ نَفْسَكَ وَانْظُرْ لَهَا، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ اللَّهِ، أُرِيحَتْ عَلَيْكَ الْأُمُورُ، وَمُنِعْتَ أَمْرًا هُوَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَقْبُولٌ، وَالسَّلَامُ.

مصادرة الخلافة ومداولتها^(١)

ومن كلام له عليه السلام في بث الشكوى والتظلم من قريش لما قيل له :
لم لا تدعُ الناس إلى نفسك كي تستنقذ بهم ما غلبوك عليه من الخلافة :
إن الناس ينظرون إلى قريش ، وقريش تنظر إلى بيتها فتقول : إن وليّ
عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً ، وما كانت في غيرهم من قريش
تداولتموها !.

عثمان ودم الهرمزان^(٢)

ومن كلام له عليه السلام قاله لعثمان لما تمحل في درء الحدّ عن عبيد الله
ابن عمر قاتل الهرمزان :
أما أنت فمطالب بدم الهرمزان ، يوم يعرض الله الخلق للحساب ،
وأما أنا فأقسم بالله لئن وقعت عيني على عبيد الله بن عمر لأخذتُ حقّ
الله منه ، وإن رَغِمَ أنف من رَغِمَ .

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ١٤٥ الخطبة رقم (٣١)، عن تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٢٩٨.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ١٤٦ الخطبة رقم (٣٢)، عن كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ٩٥.

تفسير الصلحاء من الصحابة^(١)

ومن كلام له (عليه السلام) قاله لعثمان لما أراد أن يسفر عمار بن ياسر إلى الربذة بعد موت أبي ذر بها :

يا عثمان ، اتق الله فإنك صيرت رجلاً صالحاً من المسلمين ، فهلك في تسييرك ، ثم أنت الآن تريد أن تنفي نظيره ؟.

تولية السفهاء من بني أمية^(٢)

ومن كلام له (عليه السلام) قاله لعثمان في حوار جرى بينهما :

فارجع إلى الله أبا عمرو ، وانظر هل بقي من عمرك إلا كظماً الحمار ؟ فحتى متى وإلى متى ؟.

ألا تنهى سفهاء بني أمية عن أعراض المسلمين وأبشارهم وأموالهم ؟.

والله لو ظلم عامل من عمالك حيث تغرب الشمس ، لكان إثمه مشتركاً بينه وبينك .

من أسباب غضب الناس^(٣)

ومن كلام له (عليه السلام) قاله لعثمان حين اضطرب أمره :

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ١٦١ الخطبة رقم (٣٨)، عن كتاب أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٥٤ .

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ١٦٤ الخطبة رقم (٤٠)، عن شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ٩ ص ١٥ .

(٣) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ١٦٥ الخطبة رقم (٤١)، عن كتاب أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٤٤ .

يا عثمان، إن الحق ثقيل مريء، وإن الباطل خفيف وبيء، وإنك متى تُصدّق تُسخط، ومتى تُكذّب تُرض.

ما مروان بذى رأي في دينه^(١)

ومن كلام له عليه السلام قاله لعثمان لما صرفه مروان عما قاله على المنبر، من التوبة وإحقاق الحقوق التي طالبه بها الثائرون:

يا عثمان، أما رضيت من مروان، ولا رضي منك، إلّا بتحرفك عن دينك، وبخدعك عن عقلك، مثل جمل الطعينة، يقاد حيث يُسار به!

والله ما مروان بذى رأي في دينه، ولا في نفسه، وأيم الله إني لأراه سيُوردك ثم لا يُصدرك، وما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت والله شرفك، وغلبت على أمرك!

السفهاء يرون المصلح مفسداً^(٢)

ومن كلام له عليه السلام كلّم به بني أميّة لمّا صاحوا به وقالوا: يا علي، أفست علينا أمرنا:

يا سفهاء، إنكم لتعلمون أنّه لا ناقة لي في هذا ولا جمل، وإنني رددت أهل مصر عن عثمان، ثم أصلحتُ أمره مرّة بعد أخرى، فما حيلتي؟!

فانصرف عليه السلام من دار عثمان، وهو يقول: اللّهم إني بريء مما يقولون، ومن دمه إن حدّث به حدث.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ١٧٢ الخطبة رقم (٤٦)، عن كتاب الجمل للمفيد: ص ١٠٣.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ١٧٤ الخطبة رقم (٤٨)، عن كتاب أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٦٦.

مع بني أمية وتذرّعهم بدم عثمان^(١)

ومن كلام له (عليه السلام) في البراءة عن دم عثمان والممالة عليه :

لو أعلم أن بني أمية يذهب ما في أنفسهم أن أحلف لها ، لحلفتُ
خمسین يميناَ مردّدة بين الركن والمقام : أني لم أقتل عثمان ، ولم أمالئ
على قتله .

تأليف القلوب: مهمة الأنبياء^(٢)

ومن كلام له (عليه السلام) قاله عند نكت طلحة والزبير بيعته في مسيرهما إلى
مكة للاجتماع مع عائشة في التأليب عليه :

أما بعد ، فإن الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) للناس كافة ، وجعله رحمة
للعالمين ، فصدع بأمره ، وبلغ رسالات ربه ، فلم به الصدع ، ورتق به
الفتق ، وآمن به السبل ، وحقن به الدماء ، وألف به بين ذوي الإحن
والعداوة الواغرة في الصدور ، والضغائن الراسخة في القلوب ، ثم قبضه
الله إليه حميداً ، لم يقصّر في الغاية التي إليها أدى الرسالة ، ولا بلغ شيئاً
كان في التقصير عنه الفضل .

المتنازعون في الخلافة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

وكان من بعده ما كان من التنازع في الأمر ، فتولى أبو بكر وبعده عمر ،
ثم تولى عثمان ، فلما كان من أمره ما عرفتموه أتيتموني فقلت : بايعنا .

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ٢١٥ الخطبة رقم (٦١)، عن كتاب أنساب
الأشراف: ج ٥ ص ٨١.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ٢٣٢ - ٢٣٥ الخطبة رقم (٦٩)، عن كتاب
الإرشاد للشيخ المفيد: ص ١٣٠.

فقلت : لا أفعل.

فقلتُم : بلى.

فقلت : لا ، وقبضت يدي فبسطتموها ، ونازعتكم فجذبتموها ،
وتدّاكتم عليّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها ، حتّى ظننت
أنكم قاتلي ، وأنّ بعضكم قاتل بعضاً لديّ ، فبسطتُ يدي فبايعتموني
مختارين ، وبايعني في أولكم طلحة والزبير طائعين غير مكرهين.

طلحة والزبير ينكثان

ثم لم يلبثا أن استأذناني في العمرة ، والله يعلم أنهما أرادا العُدرة ،
فجدّدت عليهما العهد في الطاعة ، وأن لا يبغيّا الأُمة الغوائل ، فعاهداني
ثم لم يقيّا لي ، ونكثا بيعتي ونقضا عهدي ، فعجباً لهما من انقيادهما لأبي
بكر وعمر ، وخلافهما لي ولست بدون أحد الرجلين !

ولو شئت أن أقول لقلت.

اللهم احكم عليهما بما صنعا في حقّي ، وصغّرا من أمري ، وظفّرني
بهما .

ما أنصفك الذين أخرجوك^(١)

ومن كلام له عليه السلام قاله لعائشة لما وقف عليها بعد سقوط جملها
ووقوع هودجها على الأرض :

يا حميراء ، أرسول الله صلى الله عليه وآله أمرك بهذا؟

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ٣١٩ الخطبة رقم (١٠٤)، عن مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٦٧.

ألم يأمرك أن تقرّي في بيتك؟

والله ما أنصفك الذين أخرجوك، إذ صانوا عقائلهم وأبرزوك.

لماذا التظاهر على أمير المؤمنين عليه السلام؟^(١)

ومن كلام له عليه السلام قاله بعد فتح البصرة لمن سأله عن سبب مظاهره عائشة عليه وانحرافها عنه :

سأذكر أشياء حَقَّقْتُهَا عَلَيَّ، وليس لي في واحد منها ذنب إليها، ولكنها تَجَرَّمَتْ بها عَلَيَّ.

الشيء الأول

أحدها: تفضيل رسول الله صلى الله عليه وآله لي على أبيها، وتقديمه إليّ في مواطن الخير عليه، فكانت تَضْطَعْنَ ذلك وَيَصْعب عليها، وتَعْرِفه منه وتَتَّبِعْ رأيه فيه.

الشيء الثاني

وثانيها: لما آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه، آخى بين أبيها وعمر بن الخطاب، واختصني بأخوتّه، غَلْظَ ذلك عليها وحسدتني لسعدي منه.

الشيء الثالث

وثالثها: إنه أوصى (صلوات الله عليه) بسدّ أبواب كانت في المسجد لجميع أصحابه إلّا بابي، فلما سدّ باب أبيها وصاحبه وترك بابي مفتوحاً

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ٣٩٨ - ٤٠٤ الخطبة رقم (١٢١)، عن كتاب الجمل للشيخ المفيد.

في المسجد تكلم في ذلك بعض أهله، فقال (صلوات الله عليه): ما أنا سدّدت أبوابكم وفتحت باب عليّ، بل الله عزّ وجل سدّ أبوابكم وفتح بابيه، فغضب لذلك أبو بكر وعظم عليه، وتكلم في أهله بشيء سمعته منه ابنته فاضطعته عليّ!.

الشيء الرابع

وكان رسول الله ﷺ أعطى أباه الراية يوم خيبر، وأمره أن لا يرجع حتّى يفتح أو يقتل، فلم يلبث لذلك وانهزم، فأعطاه في الغد عمر بن الخطّاب وأمره بمثل ما أمر صاحبه، فانهزم ولم يلبث، فساء رسول الله ﷺ ذلك، وقال لهم ظاهراً معلناً: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرازاً غير فرّار، لا يرجع حتّى يفتح الله على يده، فأعطاني الراية فصبرت حتّى فتح الله على يدي، فغمّ ذلك أباه وأحزنه، فاضطعنه عليّ، وما لي إليه ذنب في ذلك، فحقّدت لحقد أبيها.

الشيء الخامس

وبعث رسول الله ﷺ أباه ليؤدّي سورة براءة، وأمره أن يُنبذ العهد للمشرّكين، فمضى حتّى الجرف، فأوحى الله إلى نبيّه أن يرُدّه ويأخذ منه الآيات فيسلّمها إليّ، فعرف أباه بأذن الله عزّ وجلّ، وكان فيما أوحى الله عزّ وجلّ إليه: أنّه لا يؤدّي عنك إلّا رجل منك - وكنتُ من رسول الله ﷺ وكان مني - فاضطغن لذلك عليّ أيضاً وأتبعته عائشة في رأيه.

الشيء السادس

وكانت عائشة تمقّت خديجة بنت خويلد وتشنّوها شنّان الضرائر،

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٤٧٩

وكانت تعرف مكانها من رسول الله ﷺ فيثقل ذلك عليها ، وتعدّي مقتها إلى ابنتها فاطمة ، فتمقّنتي وتمقّت فاطمة وخديجة!! وهذا معروف في الضرائر.

الشيء السابع

ولقد دخلت على رسول الله ﷺ ذات يوم قبل أن يضرب الحجاب على أزواجه ، وكانت عائشة بقرب من رسول الله ﷺ ، فلما رأيته رحت بي ، وقال : أدن مني يا علي ، ولم يزل يُدنيني حتّى أجلسني بينه وبينها ، فغلظ ذلك عليها ، فأقبلت إليّ وقالت - بسوء رأي النساء وتسرعهن إلى الخطاب - : ما وجدت لإستك يا علي موضعاً غير موضعي هذا؟!

فزبرها النبي ﷺ وقال لها : أَلعليّ تقولين هذا؟

إنه والله أوّل من آمن بي وصدّقني ، وأوّل الخلق وُروداً عليّ الحوض ، وهو آخر الناس بي عهداً ، لا يبغضه أحد إلا أكبه الله على منخره في النار ، فازدادت غيظاً عليّ!.

الشيء الثامن

ولما رُميت بما رُميت اشتدّ ذلك على النبي ﷺ ، فاستشارني في أمرها ، فقلت : يا رسول الله سل جاريتها بُريرة واستبرئ الحال منها ، فإن وجدت عليها شيئاً فخلّ سبيلها فالنساء كثيرة ، فأمرني أن أتولى مسألة بُريرة ، وأن أستبرئ الحال منها ، ففعلت ذلك ، فحققت عليّ ، والله ما أردت بها سوءاً ، لكنني نصحتُ لله ولرسوله ﷺ.

وإن شئتم فاسألوها

وأمثال ما ذكرت كثيرة ، فإن شئتم فاسألوها ما الذي نقمت عليّ حتّى

خرجت مع الناكثين لبيعتي؟! وسفكت دماء شيعتي، وتظاهرت بين المسلمين بعداوتي، هل حملها على ذلك شيء إلا البغي والشقاق، والمقت لي بغير سبب يوجب ذلك في الدين؟!، والله المستعان.

أَوَّلُ مَنْ أَبْطَلَ حَقَّ ذِي الْقُرْبَى فِي الْخُمْسِ^(١)

ومن كلام له عليه السلام أجاب به عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه عندما قال له: إِنَّا كُنَّا نَقُولُ: لَوْ رَجَعْتُ إِلَيْكُمْ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَنَازِعْكُمْ فِيهَا أَحَدٌ، وَمَا أَدْرِي إِذَا سُلِّتُ مَاذَا أَقُولُ؟ أَأَزْعِمُ أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا أَوْلَى بِمَا كَانُوا فِيهِ مِنْكَ؟ فَإِنْ قُلْتُ ذَلِكَ فَعَلَامَ نَصَبِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ حِجَّةِ الْوُدَّاعِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِي مَوْلَاهُ؟ وَإِنْ كُنْتُ أَوْلَى مِنْهُمْ بِمَا كَانُوا فِيهِ فَعَلَامَ نَتَوَلَّاهُمْ؟! فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مَا يَلِي: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَبَضَ نَبِيَّهَ ﷺ وَأَنَا يَوْمَ قَبْضِهِ كُنْتُ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ مِنِّي بِقَمِيصِي هَذَا! وَقَدْ كَانَ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ إِلَيَّ عَهْدًا لَوْ خَرَّ مَتَمُونِي بِأَنْفِي لِأَقْرَرْتُ سَمْعًا لِلَّهِ وَطَاعَةً، وَإِنْ أَوَّلَ مَا انْتَقَضَاهُ: إِبْطَالُ حَقِّنَا فِي الْخُمْسِ، فَلَمَّا رَقَّ أَمْرُنَا طَمَعَتْ رُعيَانُ الْبُهَمِ مِنْ قَرِيشٍ فِينَا.

لِي عَلَى النَّاسِ حَقٌّ

وقد كان لي على الناس حقٌّ لو رَدَّوه إِلَيَّ عَفْوَاً قَبْلَتَهُ وَقَمْتُ بِهِ، وَكُنْتُ كَرَجُلٍ لَهُ عَلَى النَّاسِ حَقٌّ إِلَى أَجَلٍ، فَإِنْ عَجَّلُوا لَهُ مَالَهُ أَخَذَهُ وَحَمْدَهُمْ عَلَيْهِ، وَإِنْ أَتَّخَرُوهُ أَخَذَهُ غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَكُنْتُ كَرَجُلٍ يَأْخُذُ السَّهْوَةَ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مُحْزُونٌ.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ١ ص ٤٨٥ - ٤٨٧ الخطبة رقم (١٤٦)، عن أمالي الشيخ المفيد: ص ١٣٩.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٤٨١

وإنما يُعرف الهدى بقلّة من يأخذه من الناس، فإذا سكّثُ فأعفوني،
فإنّه لو جاء أمر تحتاجون فيه إلى الجواب أجبتكم، فكُفُّوا عني ما كفت
عنكم.

فقال عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين، فأنت لعمرِكَ كما قال الأول:
لعمري لقد أيقظت من كان نائماً وأسمعت من كانت له أذنان

قديمًا عاداني الفاسقون^(١)

ومن كلام له عليه السلام لما مرَّ على الوليد بن عقبة وجماعة من أهل الشام
وهم يشتمونه:

انهدوا إليهم وعليكم السكينة، وسيما الصالحين، ووقار الإسلام،
والله لأقرب قوم من الجهل بالله عزّ وجل، قوم قائدهم ومؤدبهم معاوية،
وابن النابغة، وأبو الأعور السُلَميّ، وابن أبي معيط شارب الحرام،
والمجلود حدّاً في الإسلام، وهم أولاء يقومون فيقصبوني، وقبل اليوم
ما قاتلوني وشتموني، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام، وهم يدعونني
إلى عبادة الأصنام؟ فالحمد لله ولا إله إلا الله، وقديمًا ما عاداني
الفاسقون.

خدعوا شطر هذه الأمة

إنّ هذا هو الخطب الجليل، إن فسّاقاً كانوا عندنا غير مرضيين،
وعلى الإسلام وأهله مُتَحَوِّفِينَ، أصبحوا وقد خدعوا شطر هذه الأمة،
فأشربوا قلوبهم حبّ الفتنة، فاستمالوا أهواءهم بالإفك والبهتان، وقد

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ٢١٢ - ٢١٤، عن كتاب صفين: ص ٣٩١، ومثله
في تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣١، ورواه قبلهما سليم بن قيس في كتابه: ص ١٩٥.

نصبوا لنا الحرب، وَجَدُوا فِي إِطْفَاءِ نَوْرِ اللَّهِ ﴿وَاللَّهُ مُنِمْ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

اللَّهُمَّ فَإِنَّهُمْ قَدْ رَدَّوْا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمْعَهُمْ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ، وَابْسُلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ، فَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعْزُّ مَنْ عَادَيْتَ.

معاوية يجدد موقف سهيل بن عمرو^(٢)

ومن كلام له عليه السلام: أَجَابَ بِهِ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عِنْدَ كِتَابَةِ وَثِيقَةِ التَّحْكِيمِ، وَقَدْ كَتَبَ الْكَاتِبُ: هَذَا مَا تَقَاضَى عَلَيْهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: بئس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته، وَأَصْرَ عَلَى مَحْوِ كَلِمَةٍ: (أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ) مِنَ الْوَثِيقَةِ، فَأَشْبَهَتْ مُحَنَّتَهُ عَلَيْهِ السلامَ مُحَنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السلامَ مَا يَلِي:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، سُنَّةٌ بَسُنَّةٌ، أَمَا وَاللَّهِ لَعَلَى يَدَيِ دَارِ هَذَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، حِينَ كَتَبْتُ الْكِتَابَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (هَذَا مَا تَصَالَحَا عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو)، فَقَالَ سُهَيْلٌ: لَا أَجِيبُكَ إِلَى كِتَابِ تُسَمَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ أَقَاتِلْكَ، أَنِّي إِذَا ظَلَمْتُكَ إِنْ مَنَعْتُكَ أَنْ تَطُوفَ بَبَيْتِ اللَّهِ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَكْتُبُ: (مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) أَجِيبُكَ.

فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ: يَا عَلِيُّ، إِنِّي لِرَسُولِ اللَّهِ، وَإِنِّي لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَلَنْ يَمْحُو عَنِّي الرِّسَالَةَ كِتَابِي إِلَيْهِمْ: مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَأَكْتُبُ

(١) سورة الصف، الآية: ٨.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٥، عن كتاب صفين: ص ٥٠٨، وتاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٧.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٤٨٣

محمد بن عبد الله، فراجعتني المشركون في هذا إلى مدة، فاليوم أكتبها إلى أبنائهم كما كتبها رسول الله ﷺ إلى آبائهم سنة ومثلاً.

مع ابن النابغة

فقال عمرو بن العاص: سبحان الله، ومثل هذا شبّهتنا بالكفار ونحن مؤمنون؟.

فقال علي عليه السلام: يا ابن النابغة، ومتى لم تكن للكافرين ولياً وللمسلمين عدواً؟! وهل تُشبه إلا أمك التي وضعت بك؟

فقام عمرو فقال: والله لا يجمع بيني وبينك مجلس أبداً بعد هذا اليوم.

فقال علي عليه السلام: والله إنني لأرجو أن يُظهر الله عزّ وجل مجلسي منك ومن أشباهك.

إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن^(١)

ومن كلام له عليه السلام مع الخوارج حين رجع إلى الكوفة وهو بعد بظاهاها:

هذا مقام من فلج فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة، ومن نطف فيه أو عنت فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً.

نشدتكم بالله، أتعلمون أنهم حين رفعوا المصاحف فقلتم: نُجيهم إلى كتاب الله، قلت لكم: إنني أعلم بالقوم منكم، إنهم ليسوا بأصحاب

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ٢٨٩ - ٢٩١، عن كتاب الإرشاد للشيخ المفيد: ص ١٤٤، وقريب منه العقد الفريد: ج ١ ص ٣٤١.

دين ولا قرآن، إني صَحِبْتُهُمْ وعرفتهم أطفالاً ورجالاً، وكانوا شرَّ رجال وشرَّ أطفال، امضوا على حَقِّكم وصدقكم، إنما رفع القوم لكم هذه المصاحف خديعة ووهناً ومكيدة.

رددتم عليَّ رأيي

فرددتم عليَّ رأيي وقلتم: لا بل نقبل منهم، فقلت لكم: اذكروا قولي لكم ومعصيتكم إياي.

فلما أبينتم إلَّا الكتاب اشترطتُ على الحَكَمَين أن يُحييا ما أحياه القرآن، وأن يُميِّتا ما أماته القرآن، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حُكْم من حَكَم بما في الكتاب، وإن أبيا فنحن من حُكْمهما براء. فقال له بعض الخوارج: فخبِّرنا أترأه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟

فقال ﷺ: إنا لم نُحَكِّم الرجال، إنما حَكَمْنَا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خطٌّ مسطور بين دَفَّتَيْن لا ينطق، وإنما يتكلم به الرجال. قالوا له: فخبِّرنا عن الأجل الذي قرَّرت فيما بينك وبينهم؟ فقال ﷺ: ليتعلَّم الجاهل، ويتثبت العالم، ولعل الله أن يُصلح في هذه الهدنة هذه الأمة، أدخلوا مصركم رحمكم الله. فرحلوا من عند آخرهم.

لكنَّكم وهنتم وتفرَّقتم عليَّ^(١)

ومن خطبة له ﷺ، خطب بها على المارقين بعدما خاصموه ستة

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٢ ص ٣٣٥ - ٣٣٨، عن أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٥٣ ح ٤٢٤.

أشهر، وقالوا: شككت في أمرك، وحكمت عدوك ووهنت في الجهاد، وتأولوا عليه القرآن فقالوا: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾^(١):

أما بعد، فإني لم أكن أحرصكم على هذه القضية وعلى التحكيم، ولكنكم وهنتم وتفرقتم علي، وخاصمني القوم بالقرآن ودعونا إليه، فخشيت إن أبيت الذي دعوا إليه من القرآن والحكم أن تتأولوا علي قول الله:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٢).

وتأولوا علي قوله:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾^(٣).

وأن تتأولوا علي قوله:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾^(٤).

خفت وهنكم وتفرقتكم

فلم آب عليهم التحاكم، وخشيت أن تقولوا: فرض الله في كتابه

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٥.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

الحكومة في أصغر الأمور، فكيف بالأمر الذي فيه سفك الدماء، وقطع الأرحام، وانتهاك الحريم؟ وخفت وهنكم وتفريقكم.

ثم قام خطباء الحرية وأخذوا يكررون كلامهم الأول ويقولون: نحن على الأمر الذي تركت، وأنت اليوم على غيره، فلسنا منه منك إلا أن تتوب منه، وتشهد على نفسك بالضلالة.

بنا هداكم الله من الضلالة

فقال ﷺ: أما أن أشهد على نفسي بالضلالة، فمعاذ الله أن أكون ارتببت منذ أسلمت، أو ضللت منذ اهتديت، بل بنا هداكم الله من الضلالة، واستنقذكم من الكفر، وعصمكم من الجهالة، وإنما حكمت الحكمين بكتاب الله، والستة الجامعة غير المفارقة، فإن حكما بكتاب الله كنت أولى بالأمر من حكمهما، وإن حكما بغير ذلك لم يكن لهما عليّ وعليكم حكم.

ما للنساء وقود العساكر؟^(١)

ومن كتاب له ﷺ إلى عائشة يؤبّخها على خروجها:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فإنك خرجت من بيتك عاصية لله عزّ وجل ولرسوله محمد ﷺ، تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين المسلمين، فخبّريني ما للنساء وقود العساكر، والإصلاح بين الناس؟.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٤ ص ٦٥ - ٦٦ الكتاب رقم (٢٨)، عن تاريخ أئمة الكوفي: ص ١٧٤، ورواه عنه في مناقب الخوارزمي: ص ١١٧.

ارجعي إلى منزلك

وطلبت كما زعمت بدم عثمان، وعثمان رجل من بني أمية وأنت امرأة من بني تيم بن مرة.

ولعمري إن الذي عرّضك للبلاء، وحملك على العصبيّة لأعظم إليك ذنباً من قَتَلَة عثمان.

وما غضبت حتّى أغضبت، ولا هجّيت حتّى هُيّجت، فاتّقي الله يا عائشة، وارجعي إلى منزلِك واسلمي عليك سترك.

بلاغ وإنذار^(١)

ومن رسالة له (عليه السلام) إلى عائشة وطلحة والزبير:

فقد أرسل (عليه السلام) إليهم رسولاً، وقال له: قل لها:

ما أطعت الله ولا رسوله، حيث أمرك الله بلزوم بيتك، فخرجت تُردّد العساكر.

ثم قال: وقل لهما:

ما أطعتم الله ولا رسوله، حيث خلّفتن خلائلكن في بيوتكن، وأخرجتم حليّة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

إِنَّكَ كُنْتَ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى عِثْمَانَ^(٢)

ومن رسالة له (عليه السلام) مع ابن عباس إلى عائشة، وذلك بعد مفاوضات أيس ابن عباس فيها من رجوع الناكثين إلى الحق، فلمّا أخبر الإمام بذلك قال:

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٤ ص ٦٧ الكتاب رقم (٢٩)، عن بصائر الدرجات: ص ٦٧.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٤ ص ٦٧ - ٦٨ الكتاب رقم (٣٠)، عن كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص ١٦٨.

اللهم افتح بيننا بالحق وأنت خير الفاتحين.

ثم قال له : ارجع إلى عائشة وقل لها :

إن هذه الأمور لا تُصلحها النساء ، وإنكِ لم تؤمري بذلك ، فلم تَرْضِي بالخروج عن أمر الله في تبرّجكِ وخروجكِ من بيتكِ الذي أمركِ النبي ﷺ بالمقام فيه ، حتّى سرتِ إلى البصرة ، فقتلتِ المسلمين ، وعمدتِ إلى عمّالي فأخرجتهم ، وفتحتِ بيت المال ، وأمرتِ بالتنكيل بالمسلمين ، وأبحتِ دماء الصالحين ، فارعي وراقبي الله عزّ وجلّ ، فقد تعلمين أنك كنتِ أشدّ الناس على عثمان ، فما عدا مما بدا؟.

ادخل يا معاوية فيما دخل الناس فيه^(١)

ومن رسالة له ﷺ إلى معاوية بعد وقعة الجمل ، وذلك بعد أن بايعه القوم جميعاً ، وبايعه أهل العراق ، واستقام له الأمر :

أما بعد ، فإنّ القضاء السابق والقدر النافذ ، ينزل من السماء كقطر المطر ، فتَمْضي أحكامه عزّ وجلّ ، وتنفذ مشيئته بغير تحابّ المخلوقين ، ولا رضاء الأدمين ، وقد بلغك ما كان من قتل عثمان ، وبيعة الناس عامّة إيتي ومصارع الناكثين لي.

فادخل في ما دخل الناس فيه ، وإلا فأنا الذي عرفت ، وحولي من تعلمه ، والسلام.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٤ ص ٧٨ الكتاب رقم (٣٧)، عن كتاب الإمامة والسياسة: ج ١ ص ٨٢.

في جواب معاوية^(١)

ومن كتاب له (عليه السلام) أجاب به معاوية لما كتب إليه بما لفظه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله وابن عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب. أما بعد، فقد أتت ما يضرّك، وتركت ما ينفعك، وخالفت كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله)، وقد انتهى إليّ ما فعلت بحواري رسول الله (صلى الله عليه وآله) طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة، فوالله لأرminك بشهاب لا تطفئه المياه، ولا تزعزعه الرياح، إذا وقع وقب، وإذا وقب ثقب، وإذا ثقب نقب، وإذا نقب التهب، فلا تغرنك الجيوش، واستعد للحرب، فإنني ملائكتك بجنود لا قبل لك بها، والسلام.

فلما وصل الكتاب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) قرأه دعا بدواة وقرطاس وكتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله وابن عبده، علي بن أبي طالب، أخي رسول الله، وابن عمّه ووصيّّه، ومغسله ومكفّنه، وقاضي دينه، وزوج ابنته البتول، وأبي سبطيه الحسن والحسين، إلى معاوية بن أبي سفيان.

أفنيّت قومك يوم بدر

أما بعد، فإنني أفنيّت قومك يوم بدر، وقتلت عمّك وخالك وجدّك،

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٤ ص ٨١ - ٨٢ الكتاب رقم (٤٠)، عن بحار الأنوار: ج ٨ ص ٥٨٨ من الطبعة القديمة.

والسيف الذي قَتَلْتَهُمْ به معي، يحمله ساعدي بثبات من صدري، وقوة من بدني، ونُصرة من ربي كما جعله النبي ﷺ في كَفِّي، فوالله ما اخترتُ على الله رباً، ولا على الإسلام ديناً، ولا على محمد ﷺ نبياً، ولا على السيف بدلاً، فبالغ من رأيك فاجتهد ولا تُقصر، فقد استحوذ عليك الشيطان، واستفرك الجهل والطغيان ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(١)، والسلام على من اتبع الهدى، وخشي عواقب الردى.

له الخلق وله الأمر^(٢)

ومن كتاب له ﷺ إلى معاوية بن أبي سفيان:

من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد، فإنّ تبارك وتعالى ذا الجلال والإكرام، خلق الخلق واختار خيرة من خلقه، واصطفى صفوة من عباده، يخلق ما يشاء ويختار ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٣).

فأمر الأمر وشرع الدين، وقسم القسم على ذلك، وهو فاعله وجاعله، وهو الخالق وهو المصطفى، وهو المشرع وهو الفاعل لما يشاء، له الخلق وله الأمر، وله الخيرة والمشية، والإرادة والقدرة، والملك والسلطان.

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٤ ص ١٤٨ - ١٥٦ الكتاب رقم (٦٣)، عن بحار الأنوار: ج ٨ ص ٥٥٣ من الطبعة القديمة نقلاً عن الغارات، وإثبات الهداة: ج ٣ ص ٩٥.

(٣) سورة القصص، الآية: ٦٨.

أرسل رسوله وأنزل عليه كتابه

أرسل رسوله وخيرته وصفوته بالهدى ودين الحق، وأنزل عليه كتابه فيه تبيان كل شيء من شرائع دينه، فبينه لقوم يعلمون، وفيه فرض الفرائض، وقسم فيه سهاماً أحل بعضها لبعض وحرّم بعضها لبعض، بينها يا معاوية إن كنت تعلم الحجة؟

وضرب أمثلاً لا يعلمها إلا العالمون، فأنا سائلك عنها أو بعضها إن كنت تعلم؟

واتخذ الحجة بأربعة أشياء، فما هي يا معاوية؟ ولمن هي؟

واعلم أنهم حجة لنا أهل البيت على من خالفنا ونازعنا وفارقنا وبغى علينا، والمستعان الله ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾^(١)، وكان جملة تبليغه رسالة ربه فيما أمره وشرع، وفرض وقسم، جملة الدين، يقول الله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢)، هي لنا أهل البيت ليست لكم.

نهى الله عن المنازعة والفرقة

ثم نهى عن المنازعة والفرقة، وأمر بالتسليم والجماعة، فكنتم أنتم القوم الذين أقررتم لله ولرسوله وبدا لكم، فأخبركم الله أن محمداً ﷺ لم يك ﴿أَبَا أَحَدٍ مِنْ رَجَائِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(٣)، وقال عز وجل: ﴿أَفَايُنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(٤).

(١) سورة يوسف، الآية: ٦٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

المنقلبون على أعقابهم

فأنت وشركاؤك يا معاوية القوم الذين انقلبوا على أعقابهم، وارتدّوا ونقضوا الأمر والعهد فيما عاهدوا الله، ونكثوا البيعة، ولم يضرّوا الله شيئاً.

ألم تعلم يا معاوية أن الأئمة منا وليست منكم، وقد أخبركم الله أن أولي الأمر هم المستنبطون للعلم، فمن أوفى بما عاهد عليه يجد الله موفياً بعهده، يقول الله :

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحُبُكُمْ﴾^(١).

نحن المحسودون وأنت يا معاوية الحاسد

وقال عز وجل: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٢)، وقال للناس بعدهم: ﴿فَإِنَّهُمْ مِّنْ ءَامِنٍ بِهِءٍ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ﴾^(٣)، فتبوأ مقعدك من جهنم ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾^(٤). نحن آل إبراهيم المحسودون وأنت الحاسد لنا.

من قصص الحاسدين والمحسودين

خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة، وعلمّه الأسماء كلها، واصطفاه على العالمين، فحسده الشيطان فكان من الغاوين.

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٥.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٤٩٣

ونوحاً حسده قومه إذ قالوا: ﴿...مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (١) قالوا ذلك حسداً أن يُفضل الله من يشاء، ويختص برحمته من يشاء.

ومن قبل ذلك ابن آدم قابيل، قتل أخاه هابيل حسداً فكان من الخاسرين.

وطائفة من بني إسرائيل ﴿إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ آلِهِمْ أَعْثَ لَنَا مَلِكًا نُنْقِذَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٢)، فلما بعث الله لهم طالوت ملكاً حسدوا وقالوا: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ (٣)، وزعموا أنهم أحق بالملك منه.

حسد القوم نبينا عليه السلام

كل ذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق، وعندنا تفسيره، وعندنا تأويله، وقد خاب من افترى.

ونعرف فيكم شبهه وأمثاله ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤) فكان نبينا عليه السلام، فلما جاءهم كفروا به حسداً من عند أنفسهم أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، حسداً من القوم على تفضيل بعضنا على بعض.

حسدنا كما حسد آبؤنا

ألا ونحن أهل البيت آل إبراهيم المحسودون، حسدنا كما حسد

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٣٣ - ٣٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

(٤) سورة يونس، الآية: ١٠١.

آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلِ^(١) سَنَةٍ وَمِثْلًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَلَّ إِبْرَاهِيمَ^(٢)﴾ ﴿وَأَلَّ^(٣) لُوطٍ﴾ ﴿وَأَلَّ عِمْرَانَ^(٤)﴾ ﴿وَأَلَّ يَعْقُوبَ^(٥)﴾ ﴿وَأَلَّ مُوسَى وَآلَ هَارُونَ^(٦)﴾ ﴿وَأَلَّ دَاوُدَ^(٧)﴾.

فَنَحْنُ آلَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مَعَاوِيَةَ: ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا^(٨)﴾؟

وَنَحْنُ أَوْلُو الْأَرْحَامِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ مِنْ بَعْضِهِمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ^(٩)﴾.

وَيْلَكَ يَا مَعَاوِيَةَ! فَالْمَلِكُ لَنَا

نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ اخْتَارَنَا اللَّهُ وَاصْطَفَانَا، وَجَعَلَ النُّبُوَّةَ فِينَا، وَالْكِتَابَ لَنَا، وَالْحِكْمَةَ وَالْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ، وَبَيْتَ اللَّهِ، وَمَسْكَنَ إِسْمَاعِيلَ، وَمَقَامَ إِبْرَاهِيمَ.

فَالْمَلِكُ لَنَا - وَيْلَكَ - يَا مَعَاوِيَةَ، وَنَحْنُ أَوْلَى بِإِبْرَاهِيمَ وَنَحْنُ آلُهُ، وَآلُ عِمْرَانَ وَأَوْلَى بِعِمْرَانَ، وَآلُ لُوطٍ وَأَوْلَى بِلُوطٍ، وَآلُ يَعْقُوبَ وَنَحْنُ أَوْلَى بِيَعْقُوبَ، وَآلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ وَآلُ دَاوُدَ وَأَوْلَى بِهِمْ، وَآلُ مُحَمَّدٍ وَأَوْلَى بِهِ.

(١) مِنْ قَبْلُنَا، خ ل.

(٢) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، الْآيَةُ: ٣٣.

(٣) سُورَةُ الْقَمَرِ، الْآيَةُ: ٣٤.

(٤) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، الْآيَةُ: ٣٣.

(٥) سُورَةُ يُوسُفَ، الْآيَةُ: ٦.

(٦) سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الْآيَةُ: ٢٤٨.

(٧) سُورَةُ سَبَأٍ، الْآيَةُ: ١٣.

(٨) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، الْآيَةُ: ٦٨.

(٩) سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الْآيَةُ: ٦.

ونحن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ولكل نبي دعوة في خاصّة نفسه، وذريته وأهله، ولكل نبي وصيّة في آله.

الوصيّة إلى الآل: سنّة النبيّين

ألم تعلم أنّ إبراهيم أوصى ابنه يعقوب، ويعقوب أوصى بنيه إذ حضره الموت، وإن محمّداً أوصى إلى آله، سنّة إبراهيم والنبيّين، إقتداءً بهم كما أمره الله، ليس لك منهم ولا منه سنّة النبيّين، وفي هذه الذريّة التي بعضها من بعض.

قال الله لإبراهيم وإسماعيل وهما يرفعان القواعد من البيت: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾^(١)، فنحن الأمة المسلمة.

وقالا: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾^(٢)، فنحن أهل هذه الدعوة.

ورسول الله ﷺ منا ونحن منه، وبعضنا من بعض، وبعضنا أولى ببعض في الولاية والميراث، ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

وعليّنا نزل الكتاب، وفينا بُعث الرسول ﷺ، وعليّنا تُليت الآيات، ونحن المنتحلون للكتاب، والشهداء عليه، والدعاة إليه، والقوام به ﴿فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

أغير الله يا معاوية تبغي رباً؟

أغير الله يا معاوية تبغي رباً؟

أم غير كتابه تبغي كتاباً؟

أم غير الكعبة - بيت الله، ومسكن إسماعيل، ومقام أبينا إبراهيم -

تبغي قبلة؟

أم غير ملته تبغي ديناً؟

أم غير الله تبغي ملكاً؟

فقد جعل الله ذلك فينا.

فقد أبديت عداوتك لنا، وحسبك وبغضك، ونقضك عهد الله،

وتحريفك آيات الله، وتبديلك قول الله، قال الله لإبراهيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ

أَصْطَفَىٰ لَكُمْ آلَ دَاوُدَ﴾^(١).

أفترغب عن ملته وقد اصطفاه الله في الدنيا وهو في الآخرة من

الصالحين؟

أم غير الله تبغي حكماً؟

أم غير المستحفظ منا تبغي إماماً؟

الإمامة لإبراهيم وذريته، والمؤمنون تبع لهم لا يرغبون عن ملته،

قال الله تعالى عن إبراهيم: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾^(٢).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٦.

أدعوك يا معاوية إلى الله ورسوله

أدعوك يا معاوية إلى الله ورسوله، وكتابه وولِّي أمره، والحكيم من آل إبراهيم، وإلى الذي أقررت به - زعمت - إلى الله، والوفاء بعهده، وميثاقه الذي واثقكم به، إذ قلتُم سمعنا وأطعنا.

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَضَتْ غَرْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾^(١)، فنحن الأمة الأربى.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^(٢).

اتبعنا واقتد بنا فإن ذلك لنا آل إبراهيم مفترض، فإن الأفئدة من المؤمنين والمسلمين تهوي إلينا، وذلك دعوة المرء المسلم، فهل تنقم منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا، واقتدينا واتبعنا ملّة إبراهيم صلوات الله عليه وعلى محمّد وآله؟.

حبّك أبائك يا معاوية كفر^(٣)

ومن كتاب له (عليه السلام) أجاب به معاوية لما كتب إليه يعيره بإكثاره ذكر الأنبياء، وتكريره نعت إبراهيم وكونه من آبائه، وينكر عليه فضل قرابته وحقه، وأنه أين وجد إمامته وفضله في كتاب الله؟.

أما الذي عيّرتني به يا معاوية من كتابي، وكثرة ذكر آبائي إبراهيم

(١) سورة النحل، الآية: ٩٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢١.

(٣) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٤ ص ١٥٧ - ١٥٩ الكتاب رقم (٦٤).

وإسماعيل والنبیین، فإنه من أحب آباءه أكثر ذكرهم، فذكرهم حب الله ورسوله، وأنا أعيرك ببغضهم، فإن بغضهم بغض الله ورسوله، وأعيرك بحبك آبائك وكثرة ذكرهم فإن حبهم كفر.

لا يحبنا كافر، ولا يبغضنا مؤمن

أما الذي أنكرت من نسبي من إبراهيم وإسماعيل، وقرابتي من محمد ﷺ، وفضلي وحقي، ومُلُكي وإمامتي، فإنك لم تزل منكراً لذلك، لم يؤمن به قلبك، ألا وإنا أهل البيت كذلك، لا يحبنا كافر، ولا يبغضنا مؤمن.

القرآن يشهد بإمامتنا أهل البيت

والذي أنكرت من قول الله عز وجل: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَهُم مَّلَكًا عَظِيمًا﴾^(١)، فأنكرت أن تكون فينا فقد قال الله: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^(٢)، ونحن أولى به.

عرفناك يا معاوية قبل اليوم

والذي أنكرت من إمامة محمد ﷺ وزعمت أنه كان رسولاً ولم يكن إماماً. فإن إنكارك على جميع النبيين الأئمة، ولكنا نشهد أنه كان رسولاً نبياً إماماً ﷺ، ولسانك دليل على ما في قلبك، وقال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنْهُمْ﴾ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ

(١) سورة النساء، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٤٩٩

لَا زَيْنَكُمُ فَلَعَرَفْنَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿١﴾ ،
ألا وقد عرفناك قبل اليوم وعداوتك وحسدك وما في قلبك من المرض الذي
أخرجه الله.

أثبت الله سهما وأسقط سهمك

والذي أنكرت من قرابتي وحقّي فإن سهما وحقنا في كتاب الله
قَسَمَهُ لَنَا مَعَ نَبِيِّنَا ﷺ فقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ،
وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ ^(٣) ، أو
ليس وجدت سهما مع سهم الله ورسوله ، وسهمك مع الأبعدين؟ لا
سهم لك إذ فارقه ، فقد أثبت الله سهما وأسقط سهمك بفراقك.

إنكارك يا معاوية فضلنا إنكار لمحمد ﷺ

وأنكرت إمامتي ومُلُكي ، فهل تجد في كتاب الله قوله لآل إبراهيم :
(واصطفاهم على العالمين) ^(٤) ؟ فهو فضلنا على العالمين ، أو تزعم أنك
لست من العالمين؟ ، أو تزعم أنا لسنا من آل إبراهيم؟ فإن أنكرت ذلك
لنا فقد أنكرت محمداً ﷺ ، فهو منّا ونحن منه ، فإن استطعت أن تفرّق
بيننا وبين إبراهيم صلوات الله عليه وآله ، وإسماعيل ومحمد وآله في
كتاب الله ، فافعل.

(١) سورة محمد، الآيتان: ٢٩ - ٣٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٦.

(٤) اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

الويل لمن يلقي الله بظلمي^(١)

ومن كتاب له عليه السلام أجاب به معاوية لما كتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام زهواً وافتخاراً: إن لي فضائل كثيرة، كان أبي سيّداً في الجاهلية، وأنا صهر رسول الله، وكاتب الوحي.

محمد النبي أخي وصنوي	وحمزة سيّد الشهداء عمي
وجعفر الذي يُضحّي ويُمسي	يطير مع الملائكة ابن أُمي
وبنت محمد سكني وعرسي	منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ابناي منها	فأيّكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طُراً	على ما كان من فهمي وعلمي
فأوجب لي ولايته عليكم	رسول الله يوم غدير خُـم
فويلٌ ثم ويل ثم ويل	لمن يلقي الإله غداً بظلمي

فلَمّا وقف معاوية على الكتاب، قال لبطانته: اخفوا هذا الكتاب، وإياكم وأن يطلع عليه أحد من أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالب.

اخشَ يا معاوية فاحشَ فعلك^(٢)

ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى معاوية بن أبي سفيان.

غَرَضُكَ عِرْكَ، فصار قَصَارُ ذلك ذُلك، فَاخْشَ فاحشَ فِعْلِكَ، فَعَلَّكَ تَهْدأ بهذا.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٤ ص ١٦١ - ١٦٣ الكتاب رقم (٦٦)، عن مناقب ابن شهر آشوب: ج ٢ ص ١٧٠، والتذكرة لابن الجوزي: ص ١١٥.

(٢) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٤ ص ١٦٥ الكتاب رقم (٦٧)، عن المناقب: ج ٢ ص ٤٨.

ما دعاك يا زياد إلى التكبر؟^(١)

ومن كتاب له (عليه السلام) إلى زياد وهو خليفة عبد الله بن عباس بالبصرة، يستحثه بحمل مال مع مولاه سعد، فأتاه سعد فاستحثه، فأغلظ له زياد وشمته، فلما قدم سعد على علي (عليه السلام) شكاه إليه، فكتب إليه ما يلي:

إِنَّ سَعْدًا ذَكَرَ لِي أَنَّكَ شَتَمْتَهُ ظَالِمًا، وَجَبْهَتَهُ تَجَبَّرًا وَتَكَبَّرًا، فَمَا دَعَاكَ إِلَى التَّكَبُّرِ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْكِبْرِيَاءُ وَالْعِظْمَةُ لِلَّهِ، فَمَنْ تَكَبَّرَ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ؟.

وأخبرني أنك مستكثر من الألوان في الطعام، وأنت تُدَهِّنُ فِي كُلِّ يَوْمٍ، فَمَا عَلَيْكَ لَوْ صُمْتَ لِلَّهِ أَيَّامًا، وَتَصَدَّقْتَ بِبَعْضِ مَا عِنْدَكَ مُحْتَسِبًا، وَأَكَلْتَ طَعَامَكَ فِي مَرَّةٍ مَرَارًا، أَوْ أَطْعَمْتَهُ فَقِيرًا؟

تب إلى ربك وأصلح عملك

أَتَطْمَعُ وَأَنْتَ مُتَقَلِّبٌ فِي النِّعَمِ، تَسْتَأْثِرُ بِهِ عَلَى الْجَارِ الْمُسْكِينِ، وَالضَّعِيفِ وَالْفَقِيرِ، وَالْأَرْمَلَةِ وَالْيَتِيمِ، أَنْ يَجِبَ لَكَ أَجْرُ الصَّالِحِينَ الْمُتَصَدِّقِينَ؟.

وأخبرني أنك تتكلم بكلام الأبرار، وتعمل عمل الخاطئين، فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت، وعملك أحبطت، فتب إلى ربك، وأصلح عملك، واقتصد في أمرك، وقدم الفضل ليوم حاجتك إن كنت من المؤمنين، وادَّهِنْ غِبًّا وَلَا تَدَّهِنْ رِفْهًا، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «ادَّهِنُوا غِبًّا وَلَا تَدَّهِنُوا رِفْهًا»، والسلام.

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٥ ص ١٩٢ - ١٩٣ الكتاب رقم (١٥٥)، عن أنساب الأشراف: ص ٣٢٩.

عقدت يا معاوية التاج وافترشت الديباج^(١)

ومن كتاب له عليه السلام جواباً لرسالة أرسلها إليه معاوية كان قد تحدث فيها - مراوغة - عن التقوى والأخلاق والحكمة :

من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد ، فقد أتانا كتابك بتنويق المقال ، وضرب الأمثال ، وانتحال الأعمال ، تصف الحكمة ولست من أهلها ، وتذكر التقوى وأنت على ضدها ، قد اتبعت هواك فحاد بك عن طريق الحجة ، وألحج بك عن سواء السبيل .

فأنت تسحب أذيال لذات الفتن ، وتخط في زهرة الدنيا ، كأنك لست توقن بأوبة البعث ، ولا برجعة المنقلب ، قد عقدت التاج ، ولبست الخز ، وافترشت الديباج ، سنة هرقلية ، وملكاً فارسياً .

بلغني أنك تعقد الأمر من بعدك لغيرك

ثم لم يقنعك ذاك ، حتى يبلغني أنك تعقد الأمر من بعدك لغيرك ، فيملك دونك وتُحاسَب دونه ، ولعمري لئن فعلت ذلك ، فما ورثت الضلالة عن كلاله ، وإنك لابن من كان ينبغي على أهل الدين ، ويحسد المسلمين .

(١) مستدرک نهج البلاغة للمحمودي: ج ٥ ص ٢٩١ - ٢٩٥ الكتاب رقم (١٥٧)، عن كنز الفوائد: ص ٢٠٠.

الرحم عند معاوية والطفة

وذكرت رَحِمًا عطفتك عليّ، فأقسم بالله الأعز الأجل، أن لو نازعتك هذا الأمر في حياتك من أنت تُمهّده له بعد وفاتك لقطعَت حبله، وأبنت أسبابه.

ما أنت بأبي عذر عند القتال

وأما تهديدك لي بالمشارب الوبيّة، والموارد المهلكة، فأنا عبد الله علي بن أبي طالب، أبرز إليّ صفحتك، كلّا ورب البيت ما أنت بأبي عذر عند القتال، ولا عند مناطحة الأبطال.

وكأنني بك لو شهدت الحرب وقد قامت على ساق، وكشرت عن منظر كربه، والأرواح تُختطف اختطاف البازي زَغَب القطاة، لصرت كالمولّهة الحيرانة تُضربها العبرة بالصدمة، لا تُعرف أعلى الوادي من أسفله، فدع عنك ما لست من أهله، فإن وقع الحسام غير تشقيق الكلام.

فكم عسكر قد شهدته، وقرن نازلته، ورأيت اصطكاك قريش بين يدي رسول الله (ﷺ)، إذ أنت وأبوك ومن هو أعلى منكما لي تبّع وأنت اليوم تهدّدي.

لو تُبدي لي الأيام عن صفحتك؟

فأقسم بالله أن لو تُبدي الأيام عن صفحتك لنشب فيك مخلب ليث هصور لا يفوته فريسة^(١) بالمرأوخة، كيف وأنت لك بذلك، وأنت قعيدة بنت البكر المخدّرة^(٢) يفزعها صوت الرعد، وأنا علي بن أبي طالب الذي

(١) فريسته، خ ل.

(٢) المجدوة، خ ل.

لا أُهدد بالقتال، ولا أخوّف بالتزال، فإن شئت يا معاوية فابرز، والسلام.
فلما وصل الكتاب إلى معاوية، جمع حاشيته وفيهم عمرو بن
العاص، فقرأه عليهم، فقال له عمرو: قد أنصفك الرجل، كم رجل قُتل
بينكما، ابرز إليه، فقال له معاوية: أنا أبرز إليه، مع علمي أنه ما برز إليه
أحد قطّ إلّا وقتله، لا والله، ولكنني سأبرزك إليه .

الفهرس

٧	كلمة الناشر
٧	١: الكلمة
١١	٢: جامع الكلمة
١٤	٣: صاحب الكلمة
١٦	الأب
١٧	الأم
١٨	مولد النور
٢٢	النشأة والأوصاف
٢٥	ألقابه عليه السلام وكناه
٢٦	نقوش خواتيم الأمير عليه السلام
٢٦	الأولاد
٢٧	أنوار ولائية وإشعاعات حضارية
٣٥	الأمانة والخلافة
٣٦	محاورة ابن عباس وعمر
٤٣	قالوا عنه عليه السلام الكثير
٤٥	الشهادة المفجعة

إلهيات

٤٩	إليه مصائر الخلق، وعواقب الأمر
----	--------------------------------------

- ٥٠ السماوات بلا عمد
- ٥٠ الكائن قبل كل شيء
- ٥١ لا شيء أقرب من الله تعالى
- ٥٢ المعروف من غير رؤية
- ٥٣ أول الدين معرفته
- ٥٤ كيفية خلق العالم
- ٥٥ أطوار الملائكة
- ٥٥ كلمة التوحيد مرضاة الرحمن
- ٥٧ كل عزيز غيره ذليل
- ٥٨ المنان بفوائد النعم
- ٥٩ القرآن وصفات الله تعالى
- ٥٩ صفات الراسخين في العلم
- ٥٩ الخلق دليل الخالق
- ٦٠ لم يعرفك من شئك
- ٦١ أذعن كل شيء لطاعته
- ٦١ السماء وآياتها
- ٦٢ سكان السماوات
- ٦٣ أصناف الملائكة
- ٦٤ لم يختلفوا في ربهم
- ٦٥ ابتداء خلق الأرض
- ٦٦ حكمة الأمطار
- ٦٦ الأرزاق والآجال
- ٦٧ عالم السر والنجوى
- ٦٨ كل شيء قائم به
- ٦٩ الملائكة المقربون
- ٦٩ الأزلي الأبدى
- ٧٠ هو الملك الحق

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / ج ١ ٥٠٧

- ٧٠ من لطائف الصنعة
- ٧١ الطائر اللبون
- ٧١ مخلوقاته دلائل وحدانيته
- ٧٢ أعجب الطيور خلقاً
- ٧٣ قوائم الطاووس
- ٧٤ خالق المجرة والذرة
- ٧٥ دل حدوث خلقه على قدمه
- ٧٦ الرسول المصطفى (صلى الله عليه وآله)
- ٧٦ فاطر النملة والنخلة
- ٧٧ إله الأرض والسماء
- ٧٨ خلقة الجراد
- ٧٨ أمره قضاء وحكمة
- ٧٩ الرجاء الصادق
- ٨٠ قريب لا بالتصاق، وبعيد لا بافتراق
- ٨١ ابتدع الخلق ابتداءً
- ٨١ المحدود لا يتناول اللامحدود
- ٨٢ تدركه القلوب ولا تدركه الأبصار
- ٨٢ ما وحده من كيفه
- ٨٣ لا يجري عليه السكون والحركة
- ٨٤ لا يتغير بحال
- ٨٥ لا تجري عليه الصفات المحدثات
- ٨٦ فناء الدنيا بعد ابتدائها
- ٨٦ عندما تنتهي الدنيا
- ٨٧ إعادة الحياة بعد إفنائها
- ٨٧ من بدائع صنعته تعالى
- ٨٨ الواحد لا من عدد
- ٨٩ خضعت له الصعاب

٩٠	توحد بصنع الأشياء
٩١	أنت الفعال لما تشاء
٩٢	الإقرار بعظمة الله
٩٢	بصائر كشفت عنها الأغطية
٩٣	هو كائن بلا كينونة
٩٣	لا حول ولا قوة إلا بالله ومعناها
٩٤	هو السلام ودينه الإسلام
٩٤	الإسلام اصل الحق
٩٥	بين الإيمان والتقوى
٩٦	الإيمان وأركانه
٩٧	هو الأول والآخر
٩٧	هو الظاهر والباطن
٩٧	هو العلي عن شبه المخلوقين
٩٧	ما يحير مقل العقول
٩٨	أنه لم يخلقكم عبثاً

نبويات

٩٩	آدم عليه السلام بين الماء والطين
٩٩	امتحان الملائكة بالسجود
١٠٠	الأنبياء من ولد آدم عليه السلام
١٠١	النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم
١٠١	خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم: الكتاب والعترة
١٠٢	البدء بآدم والختم بالخاتم
١٠٢	النبي صلى الله عليه وسلم والدنيا
١٠٣	هدف البعثة
١٠٣	الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة
١٠٤	موسى الكليم عليه السلام

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٥٠٩

- ١٠٤ قارئ أهل الجنة
- ١٠٤ عيسى المسيح عليه السلام
- ١٠٤ أحب العباد إلى الله
- ١٠٥ هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله
- ١٠٥ التأسي وإلا فالهلكة
- ١٠٦ مع سليمان بن داود عليه السلام
- ١٠٧ إعلان الشهادتين
- ١٠٨ سنته صلى الله عليه وآله الرشد
- ١٠٨ فضل محمد صلى الله عليه وآله
- ١٠٩ عبر الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة
- ١٠٩ اصطفاء إدريس
- ١١٠ اتّخاذ إبراهيم خليلاً
- ١١٠ ألف عين لأجل عين
- ١١١ الاعتراف بما أنزل الله
- ١١١ هاشم من خيرة الآباء
- ١١٢ من هاشم إلى عبد المطلب
- ١١٢ عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله
- ١١٢ الله ينصر نبيّه بثلاثة
- ١١٣ الله يتوفّى نبيّه صلى الله عليه وآله
- ١١٣ بين موسى عليه السلام وفرعون
- ١١٤ لماذا الأنبياء عليهم السلام من ضعفة الناس؟
- ١١٥ في ظل الأنبياء والأوصياء
- ١١٥ مع الملائكة من قریش
- ١١٧ النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وعترته عليه السلام
- ١١٧ البعثة النبوية الشريفة
- ١١٨ النبي صلى الله عليه وآله مجمع الفضائل والمكارم

- ١١٨ في عصر البعثة
- ١١٩ لقد كنت من ساقطها
- ١١٩ الإسلام نور
- ١١٩ رسول الرحمة ﷺ
- ١٢٠ الأمة إذا لم تغضب لله
- ١٢٠ أرسله على حين فترة
- ١٢١ بعثه ﷺ النور المضيء
- ١٢١ أوصيكم بتقوى الله
- ١٢٢ أرسله ﷺ بالضياء
- ١٢٢ ألف به القلوب
- ١٢٣ في رثاء النبي ﷺ
- ١٢٣ أرحم الناس بالناس
- ١٢٤ لم يكن مثله ولا مثل أهل بيته
- ١٢٥ مدخل رسول الله ﷺ
- ١٢٦ مخرج رسول الله ﷺ
- ١٢٦ مجلس رسول الله ﷺ
- ١٢٧ سيرة النبي ﷺ في جلسائه
- ١٢٨ سكوت رسول الله ﷺ

ولائيات

- ١٢٩ النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ
- ١٢٩ لا يقاس بآل محمد ﷺ أحد
- ١٣٠ أهل البيت ﷺ
- ١٣٠ معرفة أهل البيت ﷺ
- ١٣١ المنكرين لأهل البيت ﷺ

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٥١١

- ١٣١ من أوصاف المهدي عجل الله فرجه
- ١٣١ بثت لكم المواعظ
- ١٣١ أين إخواني؟
- ١٣٣ وأما بنعمة ربك فحدث
- ١٣٣ عترة نبيكم عليه السلام: ألسنة الصدق
- ١٣٤ بنو أمية إلى زوال
- ١٣٤ أمرنا صعب مستصعب
- ١٣٥ موضعي من رسول الله عليه السلام
- ١٣٥ النبي عليه السلام قبل الرسالة
- ١٣٥ حين نزل الوحي
- ١٣٦ من مواصفات أئمة أهل البيت عليهم السلام
- ١٣٦ بنا اهتديتم في الظلماء
- ١٣٧ أهوى أخيك معنا؟
- ١٣٧ أول من صدق الرسول عليه السلام
- ١٣٨ كنا مع رسول الله عليه السلام
- ١٣٩ سبقت إلى الإيمان والهجرة
- ١٣٩ سلوني قبل أن تفقدوني
- ١٤٠ بلاء بني أمية وفتنتهم
- ١٤١ مثل آل محمد عليهم السلام
- ١٤٢ إني أولى الناس بالناس
- ١٤٢ عندنا أبواب الحكم
- ١٤٣ إنك غضبت لله
- ١٤٣ الأئمة من بطن هاشم
- ١٤٤ الذين غصبوا الأئمة حقهم
- ١٤٥ نحن أبواب الله
- ١٤٥ في آل محمد عليهم السلام كرائم القرآن

- العمل: نبات ١٤٦
- الأئمة وعلم ما كان وما يكون ١٤٦
- من ذا أحق بالنبي ﷺ ؟ ١٤٧
- بضعة الرسول ﷺ والشهادة المبكرة ١٤٨
- مع سبطي رسول الله ﷺ ١٤٩
- لله ما فعله الأشتر من خير! ١٤٩
- إنا أمراء الكلام ١٤٩
- أفصح من نطق بالضاد بعد الرسول ﷺ ١٥٠
- هم عيش العلم وموت الجهل ١٥٠
- له الفخر والمجد والثناء ١٥١
- استنقذنا الله بمحمد ﷺ ١٥٢
- لا فتى إلا علي عليه السلام ١٥٢
- ليس لأحد مثل منزلتنا ١٥٣
- أخو رسول الله ﷺ وخليفته ١٥٤
- أحب الناس إلى الله ورسوله ١٥٥
- نفس رسول الله ﷺ ١٥٦
- منا أسد الله وأسد رسوله ١٥٧
- هؤلاء شيعتنا ١٥٨
- إذا كان يوم القيامة ١٥٨
- مع شهداء كربلاء ١٥٩
- أرسله بالهدى ودين الحق ١٦٠
- النبي ﷺ أكرم الخلق ١٦٠
- ترك فيكم الكتاب والعتره / إني لعلى بيّنة من ربي ١٦١
- عمار مع الحق ١٦٢
- أنا أول من أجاب ١٦٣
- ليت فيكم مثل الأشتر ١٦٣

١٦٤ أنت أخي ووارثي
١٦٥ اعرف الحق، تعرف أهله
١٦٦ قسيم الجنة والنار
١٦٧ سلوني عن كتاب الله
١٦٧ محبتنا أهل البيت إيمان
١٦٨ إني أولاكم بالله ورسوله
١٦٨ مثل العلماء في الناس
١٦٩ إن ها هنا لعلماً جماً
١٧٠ كأتي بالقائم عليه السلام حين يظهر

أخلاقيات

١٧١ عند انقلاب الموازين
١٧١ أصناف الناس
١٧٢ من أخلاق النبلاء
١٧٢ الزهد: من قمم الأخلاق
١٧٢ له الإحاطة بكل شيء
١٧٢ من أخلاق العقلاء
١٧٤ لا تدهنوا
١٧٤ أنصح الناس لنفسه
١٧٥ من أحب العباد إلى الله
١٧٦ من أبغض الخلق إلى الله
١٧٦ ما ينبغي لأهل العصمة والتقوى
١٧٧ من آداب التأخي
١٧٨ المعروف إذا لم يوضع في أهله
١٧٨ ليرأف كبيركم بصغيركم
١٧٨ عاقبة الظالمين
١٧٩ التيه: نتيجة التخاذل

- ١٧٩ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .
- ١٨٠ المسؤولية: خلق إسلامي .
- ١٨٠ أقبلوا نصيحة الله .
- ١٨١ من أخلاق المؤمن .
- ١٨١ الناصح الذي لا يغش .
- ١٨٢ كونوا من أتباع القرآن .
- ١٨٢ استقيموا على الطريقة .
- ١٨٣ إياكم وتلون الأخلاق .
- ١٨٣ المؤمن بعيد عن البدع .
- ١٨٤ الناس رجالان .
- ١٨٤ الظلم ثلاثة .
- ١٨٥ طوبى لمن شغله عيبه .
- ١٨٥ الإيمان مستقرّ ومستودع .
- ١٨٦ عظم حلمه فعفى .
- ١٨٦ نعم الخلق: التقوى .
- ١٨٧ صونوا التقوى وتصونوا بها .
- ١٨٧ من دأب الدنيا .
- ١٨٨ اختار العزّ والكبرياء لنفسه .
- ١٨٩ إبليس: إمام المتعصبين .
- ١٨٩ لو أراد الله لفعل .
- ١٨٩ اعتبروا من فعل الله بإبليس .
- ١٩٠ لا يُعديكم إبليس بدائه .
- ١٩١ أجلب إبليس بخيله عليكم .
- ١٩١ إياكم وكبر الحمية .
- ١٩٢ لا تطيعوا الأدعياء .
- ١٩٣ اعتبروا بما أصاب المستكبرين .
- ١٩٣ بين موسى ﷺ وفرعون .

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٥١٥

- ١٩٤ لماذا الأنبياء من ضعفة الناس؟
- ١٩٤ من أسرار وجوب الحج
- ١٩٥ لو كانت الكعبة بين رياض ناضرة
- ١٩٦ الكبير: مَصِيدَة إبليس
- ١٩٧ التعصّب الأعمى
- ١٩٧ ليكن تعصّبكم للمكارم والمحاسن
- ١٩٧ احذروا ما نزل بالأمم قبلكم
- ١٩٨ تدبّروا أحوال المؤمنين الماضين
- ١٩٩ ثمرات الاتحاد والاختلاف
- ١٩٩ تحت وطأة الأكاسرة والقيصرة
- ٢٠٠ في ظل الأنبياء والأوصياء
- ٢٠٠ نفضتم أيديكم من حبل الطاعة
- ٢٠٠ صرتم بعد الهجرة أعرابا
- ٢٠١ لقد قطعتم قيد الإسلام
- ٢٠٢ من أخلاق المتّقين
- ٢٠٢ المتّقون هم أهل الفضائل
- ٢٠٣ ليل المتّقين ونهارهم
- ٢٠٤ من علامات المتّقين
- ٢٠٤ سمات المتّقين البارزة
- ٢٠٥ هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها
- ٢٠٥ خوض الغمار من رضوان الله
- ٢٠٦ احذروا النفاق والمنافقين
- ٢٠٦ من صفات المنافقين
- ٢٠٧ التقوى: زمام وقوام
- ٢٠٧ من آثار العقل والتعقل
- ٢٠٨ التقوى: عتق وتحرر
- ٢٠٨ الجد والاجتهاد: دأب العقلاء

- ٢٠٩ من علامات الزاهدين
- ٢٠٩ أفضل الأخلاق: إحياء الحق
- ٢١٠ الصفح مع الدولة
- ٢١١ أفضل المؤمنين
- ٢١١ اسكن الأمصار العظام
- ٢١٢ حجب العقول عن أن تتخيّل ذاته
- ٢١٢ الشهادتان: الكلمتان الطيّبتان
- ٢١٣ لا شرف أعلى من الإسلام
- ٢١٣ لا جمال أحسن من العقل
- ٢١٤ من حفر لأخيه بئراً وقع فيه
- ٢١٤ لا عبادة كالتفكّر
- ٢١٤ عشر خصال يظهرها اللسان
- ٢١٥ بين الصمت والكلام
- ٢١٥ القبر خير من الفقر
- ٢١٥ أعجب ما في الإنسان
- ٢١٦ من جاد ساد
- ٢١٦ إنّ للقلوب شواهد
- ٢١٧ أشرف الغنى: ترك المني
- ٢١٧ في خلاف النفس رُشدُها
- ٢١٨ من الكرم: لين الكلام
- ٢١٨ معيار الخير والشر
- ٢١٩ عليكم بالعدل على العدو والصدّيق
- ٢١٩ الحرّ: من ترك الشهوات
- ٢٢٠ رأس العلم: الرفق
- ٢٢٠ طوبى للمخلصين
- ٢٢٠ أحسن يحسن إليك
- ٢٢١ لا تكن أحد هؤلاء

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / ج ١ ٥١٧

٢٢١	حَسَنَ خَلْقِكَ يُخَفِّفُ حَسَابَكَ
٢٢٢	كونوا كأصحاب عيسى (عليه السلام)
٢٢٢	كونوا في الناس كالنحل في الطير
٢٢٣	موت الأخلاق: من علامات الظهور
٢٢٣	احذر الأحمق والحماقة
٢٢٤	مصائب أخلاقية عظيمة
٢٢٤	من موانع الدعاء
٢٢٥	موجبات الإجابة
٢٢٥	ثلاثة يجتنب مؤاخذتهم
٢٢٦	اجتنب الغضب
٢٢٦	أخلاق مذمومة
٢٢٧	صفات دانية
٢٢٧	عليك بخصال الخير
٢٢٨	احذر ثلاثاً
٢٢٨	خَفْ ثلاثاً
٢٢٨	ارْجُ ثلاثاً
٢٢٩	وافِقْ ثلاثاً
٢٢٩	استح من ثلاث
٢٢٩	افزَعْ إلى ثلاث
٢٢٩	شُحَّ على ثلاث
٢٣٠	تخلص إلى ثلاث
٢٣٠	أهْرُبْ من ثلاث
٢٣٠	جانب ثلاثاً
٢٣٠	احفظ عني أربعاً وأربعاً
٢٣١	من آداب السائل والمجيب
٢٣١	مواصفات أبغض خلق الله
٢٣٢	المؤمن وصفاته

٢٣٢ من آداب المتعلم
٢٣٣ كن شكوراً
٢٣٣ الخير: أن يعظم حلمك
٢٣٤ رجلان يبغضهما الله
٢٣٤ مثل الرجل الذي قمش جهلاً
٢٣٥ أحبّ الناس إلى الله
٢٣٦ مواصفات من أحبه الله تعالى

عبادات

٢٣٧ فريضة الحج
٢٣٧ من كمال الأضحى
٢٣٨ أفضل القربات إلى الله
٢٣٩ استنوا بسنة نبيكم
٢٣٩ بعد صلاة الاستسقاء
٢٤٠ اسقنا غيثك
٢٤١ الصلاة تحت الذنوب
٢٤٢ الزكاة مع الصلاة قربان
٢٤٢ أداء الأمانة
٢٤٢ لا تخفى عليه خافية
٢٤٣ صلوا بهم صلاة أضعفهم
٢٤٣ بعد صلاة العيد
٢٤٤ نستعينه ونستغفره
٢٤٤ اذكروا الله يذكركم
٢٤٤ أدوا زكاة فطرتكم
٢٤٥ استهدي الله الهدى
٢٤٦ التقوى جنة حصينة
٢٤٧ قبل صلاة الجمعة

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٥١٩

٢٤٧ خيرة الله من خلقه
٢٤٨ الكتاب كريم
٢٤٨ الوصية بالتقوى
٢٤٨ التزهيد في الدنيا
٢٤٩ القرآن أحسن القصص
٢٥٠ الصلاة على النبي وآله <small>عليهم السلام</small>
٢٥٠ أحقّ من خُشي وحُمد
٢٥١ أدنى ما للصائمين والصائمات
٢٥٢ طلب العلم عبادة
٢٥٣ صحبة العالم الربّاني
٢٥٣ العلم وفضائله
٢٥٣ العبادة بالعقل لا بالكثرة
٢٥٤ أقل مراتب الجهاد

مواعظ

٢٥٥ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا
٢٥٥ الدنيا وزخارفها
٢٥٦ الرحيل إلى الآخرة
٢٥٧ الإنسان إذا فارق الحياة
٢٥٧ عند قيام الساعة
٢٥٨ من عوامل الهلاك
٢٥٨ تعرف الأشياء بأضدادها
٢٥٩ أهل البيت <small>عليهم السلام</small> أهل الحق
٢٥٩ كما تزرع تحصد
٢٦٠ من موجبات الثواب والعقاب
٢٦٠ فوارق ومميزات
٢٦١ اعملوا رحمكم الله

- ٢٦١ قريب ما يطرح الحجاب
- ٢٦٢ تخففوا تلحقوا
- ٢٦٢ اليوم المضممار وغداً السباق
- ٢٦٤ أخوف ما أخاف عليكم
- ٢٦٤ تزودوا للآخرة
- ٢٦٥ الدنيا قد تصرمت
- ٢٦٥ كل شيء أمام ثواب الله قليل
- ٢٦٦ لا تكافئ أعمالكم نعم الله عليكم
- ٢٦٦ الدنيا مزرعة الآخرة
- ٢٦٦ لم يخلقكم الله عبثاً
- ٢٦٧ قدّموا توبتكم
- ٢٦٧ اغتتموا المهل
- ٢٦٨ دار أولها عناء وآخرها فناء
- ٢٦٩ دار اختبار واعتبار
- ٢٦٩ الدنيا: ظل زائل
- ٢٧٠ إذا أظف النشور
- ٢٧٠ تبعثون أفراداً
- ٢٧١ خلف لكم عبر الماضين
- ٢٧٢ يوم لا تدفع الأقارب ولا تنفع النواحب
- ٢٧٢ إن مجازكم على الصراط
- ٢٧٣ كفى بالجنة ثواباً
- ٢٧٣ أنشأه في ظلمات الأرحام
- ٢٧٤ فجعات المنيّة
- ٢٧٥ احذروا الذنوب
- ٢٧٥ اتّعظوا بالعمر
- ٢٧٦ انتفعوا بالمواعظ
- ٢٧٦ لا يهرم خالدها

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٥٢١

- أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا ٢٧٦
- اذكروا هادم اللذات ٢٧٧
- اتقوا يوم الحساب ٢٧٨
- ويل لك يا بصرة ٢٧٨
- سرورها مشوب بالحزن ٢٧٨
- أبغض الرجال عند الله ٢٧٩
- الزمان العصيب ٢٧٩
- أحذركم الدنيا وما فيها ٢٨٠
- الدنيا فانية ٢٨١
- دأب الدنيا ٢٨١
- حال الموتى ٢٨٢
- من أسرار الموت ٢٨٣
- اسمعوا دعوة الموت آذنكم ٢٨٣
- من علامات الزاهدين ٢٨٤
- تقوى الله هي الزاد ٢٨٥
- من علامات التقوى ٢٨٥
- شر من الشر ٢٨٦
- نحمده على ما أخذ وأعطى ٢٨٧
- إنه والله الجد لا اللعب ٢٨٨
- انقادت له الدنيا والآخرة ٢٨٨
- الناطق الذي لا يعيا ٢٨٩
- ختم به الوحي ٢٨٩
- بين الأعمى والبصير ٢٨٩
- لقد تاه بكم الغرور ٢٨٩
- مضت أصول ونحن فروعها ٢٩٠
- اتقوا البدع ٢٩٠
- لا تضيعوا سنة نبيكم ٢٩١

- ٢٩١ بين الثبات والزَلَّة
- ٢٩٢ الدهر يجري بالباقيين كجريه بالماضين
- ٢٩٣ تَزَوَّدُوا لأيام البقاء
- ٢٩٣ إِنَّ عَلَيْكُمْ رَصْداً وِعِونا
- ٢٩٤ لا يشغله شأن عن شأن
- ٢٩٤ الدنيا تغرّ وتضرّ
- ٢٩٥ خلق الخلائق بقدرته
- ٢٩٦ القرآن أمر وزاجر
- ٢٩٦ اتَّقُوا الله الذي أنتم بعينه
- ٢٩٧ بادروا المعاد
- ٢٩٧ اسعوا في فكاك رقابكم
- ٢٩٨ أوصِيكم بذكر الموت
- ٢٩٩ ما أسرع السنين في العمر!
- ٢٩٩ اعدّوا للموت قبل نزوله
- ٣٠٠ أنتم والساعة في قَرَن
- ٣٠١ مصير المتّقين
- ٣٠١ الموت على فراشه: شهادة
- ٣٠٢ الدنيا دار شخوص
- ٣٠٢ تقوى الله دواء القلوب
- ٣٠٣ طاعة الله حرز وأمان
- ٣٠٤ الإسلام دين الله الذي اصطفاه
- ٣٠٥ بعث محمداً ﷺ بالحق
- ٣٠٥ أنزل الكتاب نوراً ومنهاجاً
- ٣٠٦ خذوا من ممركم لممركم
- ٣٠٧ تجهزوا! فقد نودي فيكم بالرحيل
- ٣٠٧ للاعتبار لا للتفاخر
- ٣٠٨ سلّطت الأرض عليهم

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / ج ١ ٥٢٣

- ٣٠٩ شاهدوا أعظم مما خافوا
- ٣٠٩ لقد اكتحلت أبصارهم بالتراب
- ٣١٠ إن للموت لغمرات
- ٣١١ ما آنسك بهلكة نفسك؟
- ٣١٢ ما أجراك على معصيته؟
- ٣١٢ إذا قامت القيامة
- ٣١٣ دار بالغدر معروفة
- ٣١٤ كيف بكم إذا بُعثت القبور؟
- ٣١٤ خذ من حياتك لموتك
- ٣١٥ سيأتيك من يخرجك منها
- ٣١٦ حدود الدار الواقعية
- ٣١٦ ليكن همك فيما بعد الموت
- ٣١٧ الموعدة للبر والفاجر
- ٣١٧ النصيحة للصديق والعدو
- ٣١٨ لا تأمن الدنيا على حال
- ٣١٨ ضع عنك هموم الدنيا
- ٣١٩ الدهر: يومان
- ٣١٩ عظمت مَنته، وسبغت نعمته
- ٣١٩ خطبة خالية من الألف
- ٣٢٠ علم فستر، وبطن فخير
- ٣٢٠ شهدْتُ ببعث محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) رسوله
- ٣٢١ ذكَّرتكم بسنة نبيكم
- ٣٢١ نحو برزخ ونشور
- ٣٢٢ ثم بُعثت قبور
- ٣٢٣ نعوذ برَبِّ قدير
- ٣٢٣ مصير مَنْ خشيَ وَمَنْ جحد
- ٣٢٣ الإقبال على الدنيا يورث الندامة

- ٣٢٤ استشعروا خوف الله
- ٣٢٥ الدنيا متجر أولياء الله
- ٣٢٥ أيها الدائم للدنيا!
- ٣٢٦ لو أذن للقوم في الكلام
- ٣٢٧ باشروا الآجال بمحاسن الأعمال
- ٣٢٧ اذكروا مصارع الآباء
- ٣٢٨ القبر: بيت الأهوال والبلى
- ٣٢٩ إذا دكت الأرض دكاً دكاً
- ٣٣٠ أين التعب بالليل والنهار للدنيا؟
- ٣٣٠ أين من قاد الجنود والعساكر؟
- ٣٣١ أين من قاد الجنود؟ ونشر البنود؟
- ٣٣١ هو الدائم بلا فناء
- ٣٣٢ الدنيا ليست لكم بدار
- ٣٣٣ رحم الله امرأً راقب ربّه
- ٣٣٣ العاقبة للتعوى
- ٣٣٤ الدهر ثلاثة أيام
- ٣٣٤ إنما الدهر ثلاثة أيام - أنت فيما بينهن
- ٣٣٥ ما ينبغي للعاقل!
- ٣٣٥ طريق الجنة وطريق النار
- ٣٣٦ من اتقى الله عزّ وقوي
- ٣٣٦ حب الدنيا يعمي ويصم
- ٣٣٧ الدنيا ظلّ آفل
- ٣٣٧ احذروا هذه الدنيا
- ٣٣٨ مثل الدنيا مثل الحيّة
- ٣٣٩ ابن آدم في الدنيا على خطر
- ٣٣٩ من أدلة دناءة الدنيا
- ٣٤٠ الدنيا وأولياء الله

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / ج ١ ٥٢٥

- ٣٤١ مثل الدنيا عند العاقل
٣٤٢ الدنيا ثلاثة أيام
٣٤٢ ساعة بين ساعتين
٣٤٣ لو خيّر المقبور بين أمرين
٣٤٣ مثلكم ومثل الدنيا
٣٤٤ آثار الأولين عبرة وتبصرة
٣٤٥ طوبى للزاهدين في الدنيا
٣٤٥ لا تكن أحد هؤلاء
٣٤٦ اليوم العبوس
٣٤٦ الموت في الطلب
٣٤٧ بتقوى الله فاز الفائزون
٣٤٧ احذروا هادم اللذات

اجتماعيات

- ٣٤٩ إذا رأى أحدكم لأخيه نعمة
٣٤٩ حرث الدنيا وحرث الآخرة
٣٥٠ لا استغناء لأحد عن عشيرته
٣٥٠ لا تقبض يدك عن عشيرتك
٣٥١ المجتمع المتفكك
٣٥١ أين المتورعون في مكاسبهم؟
٣٥٢ سفارة ووساطة
٣٥٢ الله، الله في نفسك!
٣٥٣ لا تكوننّ لمروان منقاداً
٣٥٣ يجمع الناس ويشركهم: الرضا والسخط
٣٥٤ أكره لكم أن تكونوا سبّابين
٣٥٤ ما تصنع بسعة هذه الدار؟
٣٥٥ أما رحمت أهلك وولدك؟

- الواجب على أئمة العدل ٣٥٥
- اختلاف الأخبار لماذا؟ ٣٥٦
- نقلة الأخبار أربعة أصناف ٣٥٦
- قد يكون للكلام وجهان ٣٥٧
- الحق: أوسع الأشياء وأضيقتها ٣٥٨
- الحقوق في الإسلام متقابلة ٣٥٨
- إذا عملت الرعية والولاة بحقوقها ٣٥٩
- عندما تنقض الرعية أو الولاة حقوقها ٣٥٩
- عليكم بالتناصح وأداء الحقوق ٣٥٩
- كلما عظمت النعمة عظم حق الله ٣٦٠
- من أسخف حالات الولاة ٣٦٠
- إنما أنا وأنتم عبيد مملوكون ٣٦١
- مع عباد الله المكرمين ٣٦١
- أهل الذكر: قلب المجتمع النابض ٣٦٢
- من مواصفات أهل الذكر ٣٦٢
- وقد خلقكم أطواراً ٣٦٣
- المحاجة بما هو أقطع للعذر ٣٦٤
- في خطبة زواج ٣٦٤
- زوجني النبي ﷺ فاطمة عليها السلام ٣٦٥
- لا عَدِمْتُ إشفافك وتحنُّنك ٣٦٥
- اسمح لي يا عمّ بترك ما أشرت به ٣٦٦
- ما أَرَادَهُ اللهُ لَخَلَقَهُ ٣٦٦
- تعزية مصاب ٣٦٧
- إلى أهل المدينة ٣٦٨
- وإني مخبركم عتاً وعمّن سرنا إليه ٣٦٨
- أعذرت بالدعاء فأبوا إلّا قتالي ٣٦٨
- رسالة وبشارة ٣٦٩

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٥٢٧

٣٦٩ إلى أهل الكوفة
٣٧٠ نهضت من المدينة
٣٧٠ نزلت ظهر البصرة
٣٧١ بعثت إليكم ابن قيس
٣٧١ بشارة إلى العمال والولاة
٣٧١ إلى ابن كعب ومن قبله من المسلمين
٣٧٢ عندما استعرت نار الحرب
٣٧٢ لما هزمهم الله
٣٧٣ طبقات الناس وأصنافهم
٣٧٤ حق المسلم على المسلم
٣٧٥ أصناف المجتمع
٣٧٥ المكاره الدنيوية وما ينبغي للعاقل فيها
٣٧٥ من حقوق المؤمن
٣٧٦ هو المصوّر لكل مولود
٣٧٦ الخطبة الخالية من النقط
٣٧٦ رحم الله محمّداً وآله الكرام
٣٧٧ اعملوا أصلح الأعمال
٣٧٧ مُصاهِرُكُمْ أظهر الأحرار

أدعية

٣٧٨ هو أهل الوصف الجميل
٣٧٩ سبحانه ما أعظم شأنك
٣٧٩ دعاء للرسول <small>ﷺ</small>
٣٧٩ أنت الصاحب في السفر
٣٨٠ اجمع بيننا وبين رسولك
٣٨١ فان عدتُ فعد عليّ
٣٨١ ارحم أنين الآتة

- ٣٨٢ اللَّهُمَّ سُقِيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً
- ٣٨٣ سَدَّدْنَا لِلْحَقِّ
- ٣٨٤ الْحَثَّ عَلَى النَّزَالِ
- ٣٨٤ اللَّهُمَّ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ
- ٣٨٤ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ فِي هَذَا
- ٣٨٥ اللَّهُمَّ صَنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ
- ٣٨٦ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ
- ٣٨٦ نَشْكُو إِلَيْكَ كَثْرَةَ عَدَوْنَا
- ٣٨٧ يَا وَاحِدًا يَا أَحَدًا
- ٣٨٧ يَا وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ
- ٣٨٨ اجْعَلْنَا فِي حِمَاكَ
- ٣٨٨ اللَّهُمَّ آتِ مُحَمَّدًا ﷺ الْوَسِيلَةَ
- ٣٨٩ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ
- ٣٩٠ اجْعَلْهُ هَلَالًا بَرَكَةً
- ٣٩١ أَوْزَعْنَا شُكْرَ النِّعْمَةِ
- ٣٩١ سُبْحَانَ مَنْ لَا تَدْرِكُ الْعُقُولُ وَصْفَهُ
- ٣٩١ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ
- ٣٩٢ يَا جَزِيلَ الْعَطَايَا
- ٣٩٢ مَنْ عَلَيَّ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ
- ٣٩٣ أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
- ٣٩٣ أَسْأَلُكَ سُلُوءًا عَنِ الدُّنْيَا
- ٣٩٤ مَنْ صَلَّيْتَ عَلَيْهِ فَصَلِّوَاتِنَا عَلَيْهِ
- ٣٩٤ يَا ذَا الْمُنَنِ السَّابِغَةِ
- ٣٩٥ أَحْيِنِي مَا أَحْيَيْتَنِي مُوَفَّورًا
- ٣٩٦ أَعْطِنِي جَمِيعَ مَا أَحَبَّ
- ٣٩٦ أَسْأَلُكَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَصْلِحُنِي
- ٣٩٧ اللَّهُمَّ اشْرَحْ بِالْقُرْآنِ صَدْرِي

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ١ ٥٢٩

- ٣٩٧ يا من دلّ بذاته على ذاته
- ٣٩٨ صلّ اللهم على محمد وآله
- ٣٩٨ أسألك حسن التوفيق
- ٣٩٩ قرّعتُ باب رحمتك
- ٣٩٩ ارزقني السلامة في الدين والدنيا
- ٤٠٠ فلّقت بلطفك الفلق
- ٤٠٠ يا كاشف الكروب
- ٤٠١ أسألك برحمتك التي وسعت كلّ شيء
- ٤٠٢ أدنني من قربك
- ٤٠٣ كن عليّ عطوفاً
- ٤٠٣ من لي غيرك
- ٤٠٤ أتراك معذّبي بنارك؟
- ٤٠٥ تقدّست أسماؤك
- ٤٠٦ وفرّ حظّي من كلّ خير
- ٤٠٧ يا من بيده ناصيتي
- ٤٠٧ يا من عليه معوّلي
- ٤٠٧ قوّ على خدمتك جوارحي
- ٤٠٨ منّ عليّ بحُسن إجابتك
- ٤٠٨ يا سريع الرضا
- ٤٠٩ كن أنيسي في وحدتي
- ٤٠٩ يا سرور الأرواح
- ٤١٠ جد عليّ بما أنت أولى به
- ٤١٠ أتوجّه إليك بمحمد وآل محمد عليهم السلام
- ٤١١ اللهم اجعل محياي محيا محمد وآل محمد عليهم السلام
- ٤١١ أنت الغني وأنا الفقير
- ٤١٢ يا برّ يا رحيم
- ٤١٢ أناجيك يا سيّدي

- ٤١٢ يا من أمر بالدعاء وتكفل الإجابة
- ٤١٣ هب لي ما سألتك
- ٤١٤ اللهم إني عبدك ووليك
- ٤١٤ يا خير الحاكمين
- ٤١٥ إنك أنت عصمتي
- ٤١٥ اكفنا المهم
- ٤١٦ سبحان الذي سخر لنا هذا
- ٤١٦ اكفنا مهمات السفر
- ٤١٧ أعوذ بك من زوال نعمتك
- ٤١٧ أصلح ذات بيننا وبينهم
- ٤١٧ أعوذ بك أن أغلب
- ٤١٨ اللهم الحقني بنبيك ﷺ
- ٤١٩ إلى من يفزع المقصرون؟
- ٤٢٠ ارحم غربتنا
- ٤٢١ إلهي أمرت بالمعروف وأنت أولى به
- ٤٢١ إليك نلتجئ من مكائد الدنيا
- ٤٢٢ ارحمني إذا انقطع أثري
- ٤٢٣ آسنني اليقين بمكارم عطفك
- ٤٢٤ إليك يَلْتَجئ كل مكروب
- ٤٢٥ ادعوك دعاء من لم يرج غيرك
- ٤٢٦ أنت أهل أن تجود عليّ
- ٤٢٧ لو أردت إهانتني لم تهديني
- ٤٢٨ يا من لا يخاف إلا عدله
- ٤٢٩ لا تفضحني يوم ألقاك
- ٤٢٩ جودك بسط أمني
- ٤٣٠ حقيق لمن دعاك أن تُجيبه
- ٤٣١ يا أنيس كلّ غريب

كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / ج ١ ٥٣١

يا أفضل من رجاء راج ٤٣٢

مناقضات

ضعوا تيجان المفاخرة ٤٣٣

الإنسان بين مناوئيه ٤٣٣

اضرب بالسامع المطيع، العاصي المريب ٤٣٤

باض الشيطان وفرّخ في صدورهم ٤٣٤

لقد أقرّ بالبيعة ٤٣٤

أصحاب الشعارات البرّاقة ٤٣٥

الشيطان قد جمع حزبه ٤٣٥

كنتم جند المرأة ٤٣٥

خفّت عقولكم ٤٣٦

ما يدريك يا عليّ مما لي ٤٣٦

مع أصحاب الجمل ٤٣٧

يا خيبة الداعي ٤٣٧

العرب قبل البعثة ٤٣٨

الناس بعد ارتحال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ٤٣٨

بين معاوية وعمرو بن العاص ٤٣٨

عندما أغار الضحّاك على أطراف البلاد ٤٣٩

المغرور من غررتموه ٤٣٩

الحكّام إذا استأثروا ٤٤٠

لا تلقين طلحة ٤٤٠

منيت بمن لا يطيع ٤٤١

المارقون وشعارهم ٤٤١

الغدر: سياسة الفجرة ٤٤٢

قبح الله مصقلة ٤٤٢

مع الخوارج المارقين ٤٤٣

- ٤٤٣ إنَّما أنتم كالمرأة الحامل حملت فأملصت
- ٤٤٤ مع أصحاب الشورى
- ٤٤٤ بنو أمية وتُهمّة الأبرياء
- ٤٤٥ مع بني أمية
- ٤٤٥ مطايا الخطيئات
- ٤٤٦ عجباً لابن النابغة
- ٤٤٦ جبارو الدهر وطغاته
- ٤٤٧ العجب من الأحزاب والفرق المتناحرة
- ٤٤٧ عصر ما قبل البعثة
- ٤٤٨ لقد نزلت بكم البلية
- ٤٤٨ البشير النذير
- ٤٤٩ بنو أمية ومصادرة أتعاب الرسول ﷺ
- ٤٤٩ الدماء والحقوق التي أهدرها بنو أمية
- ٤٤٩ أبصر الأبصار
- ٤٥٠ من وظائف الإمام العادل
- ٤٥٠ البخلاء بالنفس والمال
- ٤٥٠ مع المستهترين والمتكبرين
- ٤٥١ الرقيبان المتنافسان على الدنيا
- ٤٥١ إنها كانت أثرّة
- ٤٥٢ حاول القوم إطفاء نور الله
- ٤٥٢ الحمد لله الذي لا يحجبه شيء
- ٤٥٣ أنتم تحولون بيني وبين حقّي
- ٤٥٣ خرجوا يَجْرُونَ حُرمة الرسول ﷺ
- ٤٥٤ أراد أن يُغالط لئلبس الأمر
- ٤٥٤ لماذا لم يفعل إحدى ثلاث؟
- ٤٥٥ أيّتها الفرقة المتخاذلة
- ٤٥٥ أما دين يجمعكم؟

- ٤٥٦ مع الملتحقين بالخوارج
- ٤٥٦ قَبِّحَك الله يا أترم!
- ٤٥٧ لكنّه يغدر ويفجر
- ٤٥٧ لقد أظهرتما يسيراً وأخفيتما كثيراً
- ٤٥٨ التفضيل في العطاء: بدعة
- ٤٥٨ إن قريشاً قطعوا رحمي
- ٤٥٩ لقد عاثوا في الأرض الفساد
- ٤٥٩ ليسوا من المهاجرين والأنصار
- ٤٥٩ شتان ما بين الاختيارين
- ٤٦٠ كتاب امرئ ليس له بصر
- ٤٦٠ الخارج من البيعة بعد تمامها
- ٤٦٠ ليس المهاجر كالطليق
- ٤٦١ لا تجعل للشيطان فيك نصيباً
- ٤٦١ ما أنت والفاضل والمفضول؟
- ٤٦٢ إنَّكَ يا معاوية لذهاب في التيه
- ٤٦٢ بنعمة الله أحدث
- ٤٦٣ إنا صنائع ربنا
- ٤٦٣ الحق لنا دونكم
- ٤٦٤ من مزاعم القاسطين
- ٤٦٤ أردت أن تَذُمَّ فمدحت
- ٤٦٤ أينما كان أعدى؟
- ٤٦٥ لقد أضحكت بعد استعبار
- ٤٦٥ أردت يا معاوية جيلاً من الناس كثيراً
- ٤٦٦ دع عنك قريشاً
- ٤٦٦ مع شاهري السلاح ومستحلّي القتال
- ٤٦٧ ما أشد لزومك للأهواء؟
- ٤٦٧ أذهب دنياك وآخرتك

- ٤٦٨ احذر معاوية فإنما هو شيطان
- ٤٦٨ مع القاسطين
- ٤٦٩ فرّق بيننا وبينكم: كفركم وفتنتكم
- ٤٧٠ من مزاعم معاوية
- ٤٧٠ إنك يا معاوية الأغلف القلب
- ٤٧١ لقد أكثرت في قتلة عثمان
- ٤٧١ سلكت يا معاوية مدارج أسلافك!
- ٤٧١ أصبحت كالخابط في ظلام
- ٤٧٢ مصادرة الخلافة ومداولتها
- ٤٧٢ عثمان ودم الهرمزان
- ٤٧٣ تسفير الصلحاء من الصحابة
- ٤٧٣ تولية السفهاء من بني أمية
- ٤٧٣ من أسباب غضب الناس
- ٤٧٤ ما مروان بذى رأي في دينه
- ٤٧٤ السفهاء يرون المصلح مفسداً
- ٤٧٥ مع بني أمية وتذرّعهم بدم عثمان
- ٤٧٥ تأليف القلوب: مهمة الأنبياء
- ٤٧٥ المتنازعون في الخلافة بعد الرسول ﷺ
- ٤٧٦ طلحة والزبير ينكثان
- ٤٧٦ ما أنصفك الذين أخرجوك
- ٤٧٧ لماذا التظاهر على أمير المؤمنين عليه السلام
- ٤٧٩ وإن شئتم فاسألوها
- ٤٨٠ أول من أبطل حقّ ذي القربى في الخمس
- ٤٨٠ لي على الناس حقّ
- ٤٨١ قديماً عاداني الفاسقون
- ٤٨١ خدعوا شطر هذه الأمة
- ٤٨٢ معاوية يجدّد موقف سهيل بن عمرو

- ٤٨٣ مع ابن النابغة
- ٤٨٣ إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن
- ٤٨٤ رددتم عليّ رأيي
- ٤٨٤ لكنكم وهنتم وتفرقتم عليّ
- ٤٨٥ خفتُ وهنكم وتفرقتكم
- ٤٨٦ بنا هداكم الله من الضلالة
- ٤٨٦ ما للنساء وقود العساكر؟
- ٤٨٧ ارجعي إلى منزلك
- ٤٨٧ بلاغ وإنذار
- ٤٨٧ إنك كنت أشدّ الناس على عثمان
- ٤٨٨ ادخل يا معاوية فيما دخل الناس فيه
- ٤٨٩ في جواب معاوية
- ٤٨٩ أفنيت قومك يوم بدر
- ٤٩٠ له الخلق وله الأمر
- ٤٩١ أرسل رسوله وأنزل عليه كتابه
- ٤٩١ نهى الله عن المنازعة والفرقة
- ٤٩٢ المنقلبون على أعقابهم
- ٤٩٢ نحن المحسودون وأنت يا معاوية الحاسد
- ٤٩٧ من قصص الحاسدين والمحسودين
- ٤٩٣ حسد القوم نبينا (عليه السلام)
- ٤٩٣ حُسدنا كما حُسد آبائنا
- ٤٩٤ ويلك يا معاوية! فالملك لنا
- ٤٩٥ الوصية إلى الآل: ستة النبيين
- ٤٩٦ أغير الله يا معاوية تبغي ربّاً؟
- ٤٩٧ أدعوك يا معاوية إلى الله ورسوله
- ٤٩٧ حبك آبائك يا معاوية كفر
- ٤٩٨ لا يحبنا كافر، ولا يبغضنا مؤمن

- ٤٩٨ القرآن يشهد بإمامتنا أهل البيت
- ٤٩٨ عرفناك يا معاوية قبل اليوم
- ٤٩٩ أثبت الله سهمنا وأسقط سهمك
- ٤٩٩ انكارك يا معاوية فضلنا. انكار لمحمد ﷺ
- ٥٠٠ الويل لمن يلقي الله بظلمي
- ٥٠٠ اخش يا معاوية فاحش فعلك
- ٥٠١ ما دعاك يا زياد إلى التكبر؟
- ٥٠١ تب إلى ربك وأصلح عملك
- ٥٠٢ عقدت يا معاوية التاج وافترشت الديباج
- ٥٠٢ بلغني أنك تعقد الأمر من بعدك لغيرك
- ٥٠٢ الرجيم عند معاوية والطغاة
- ٥٠٣ ما أنت بأبي عذر عند القتال
- ٥٠٣ لو تُبدي لي الأيام عن صفحتك؟
- ٥٠٥ الفهرس

